

# **ثلاثية ملطن**

## **العربانه - كفاح - الرياض الداهي**

**اسم الكتاب : ثلاثية محطات/ العربية - كفاح - البياض الدامي**  
**المؤلف : حميد الحريري**

المؤلف : حميد الحريري

الطبعة : الثانية ٢٠٢١ م

الناشر:

مِصْنَمُ الْغَلَافِ : فَلَاحُ الْعَيْسَاوِيُّ

التنسيق الداخلي : فلاح العيساوي

البريد الإلكتروني : fffhh9@gmail.com

### الرقم الدولي:

لوحة الغلاف الفنان: احمد البركان

اللوحة الاولى: الفنان حسن شبع

اللوحة الاولى: الفنان حسن شبع

اللوحة الاولى: الفنان احمد البركان

رقم الإيداع في دار الوثائق والمكتب في بغداد (٩٦٥) لسنة ٢٠٢١ م

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائل نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطى من أصحاب الحقوق.

All copyrights are reserved, and no organization, organization, or entity may reproduce, transmit or transmit this book in any form or mode of transmission of information, whether electronic or mechanical, including copying, recording, storing and retrieving, Without the written permission of the right holders.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

حميد الحريري

# لِلْأَيْنَةِ مُلْطَانَ

العربيانه - كفاح - البياض الدامي

رواية

٢٠٢١



# الجزء الأول

## العربانه





نور الشمس، بعد طوال ظلام، هرج ومرج وصخب في الشوارع، من فتح لهم أبواب الزنازين؟ لمن هذه الدبابات والمدرعات؟

أصوات اطلاقات نارية، قذائف، حرائق لا وجود لذوي البدلات الزيتוניתة، صور (القائد) محروقة، ملطخة بالقاذورات؟

أسئلة بلا جواب تدور في رأسه، يشاهد ناسا محنيّة ظهورهم تحت ثقل رزم، أو أكياس، منضدة، تلفزيون، مراوح، الخ رؤوس تمثيل، بابلية وسومريات تتدحرج على الأرض، يحمل أغلبهم بنادق أو مسدسات، تقاطع الأطلاقات النارية فوق رأسه، يهرب بعضهم، يسقط البعض الآخر مضرجاً بدمائه دون أن يحفل به أحد، طائرات تحلق على ارتفاع منخفض، واضحة أجسام الطيارين للمشاهد، طائرات حرية تز مجر في سماء المدينة، ترسم بدخانها المتكاثف صليباً عملاقاً في السماء، أسراب الحمام تحلق مذعورة فوق دوامات الدخان.

العلم الأمريكي يخفق على المدرعات وفوق بعض البناءيات، قطعان من الجرذان والفئران تتقىأها جدران وفتحات المجاري الثقيلة!

- ماذا يجري من نقل العراق إلى أمريكا، أو من نقل أمريكا إلى العراق؟ من أبتلع من؟ من أحتل من؟

هل بعث حيا نوري السعيد من جديد، وعقد حلف بغداد؟

هل ذهبت دماء وأرواح العراقيين سدى؟ هل عادت شركات البترول الأحتكارية إلى سابق عهدها؟!

هل عاد القطار الأمريكي من جديد، ولكن إذا كان قد حمل (البعث) إلى السلطة في ١٩٦٣، فمن المحمول لحكم العراق الآن؟

نعم كانت وستبقى راسخة في فكرهالأمبريالية عدوة الشعوب، لن تهتز قناعاته مهما حصل، نعم إن المستبدالحاكم هو ولیدها المدلل لكن ماذا جرى؟

أسئلة تتكاثف في رأسه ومخهالمضطرب، يحس لها أزيز كأزيز الزنابير المستشار، "الموت لأمريكا عدوة الشعوب، لا ديكتاتورية ولا أحتجال، الموت للشركات الأحتكارية، الخبر للجياع، (وصانه فهد من مات دولته اشتراكيه) (الاتحاد فدرالي والصدقة سوفيتية). (الطالب وردة على صدر العامل). (بس هالشهر ماكو مهر وبصایة المهداوي).

(المایصفگ عفلقی) دوامة من الشعارات والهتافات الحقيقة، والمدسوسة منها دارت في مخيلته عاشهها خلال تاريخه السياسي الطويل.

فارع القامة، تبدو عليه علامات الهيبة رغم ملابسه الممزقة،  
شعره الأبيض يجلل كتفيه، شعر لحيته يغطي صدره الذي  
بانت أضلاعه كحزمة خيزران مقوسة، حالة جميلة تضيء  
وجنته اليسرى، يسير حافي القدمين، تبدو أظفاره ليديه  
ورجليه كأنها ملاعق أصحابها الصداء، يسير دون هدى لا  
يعرف إلى أين يذهب، ولكنه ظل يردد لازمته كما كان في  
زنزانته الأنفرادية قبل (٢٤) عاما

- هل هدم الدرج؟

- من هدم الدرج؟ هل هدم الدرج؟.

أستوقف أحد المارة، وقف الرجل مذهولا وهو لا يدري  
بماذا يجيب هذا الرجل الشبح، تركه ومضى، وهو يهز يده  
مستهزئا، قائلاً: وهل بقي شيء لم يهدم، ألا ترى ما يجري  
في البلاد أيها المجنون؟!

آثار قرف الكثرين، فحين يريد أن يتغوط يفتش عن صفيحة  
معدنية فارغة، يخلع بنطاله، يجلس عليها يكمل حاجته، دون  
أن يغير اهتماماً لأحد تحيطه أسراب من الذباب الطنان،  
ودون غسل، حاول البعض أقتياده وإدخاله للمرافق الصحية،  
مغلقا الباب عليه، يمكث في التواليت ولا يخرج حتى يفتح  
له من قبل أحدهم ويخرج منه، مع إنَّه لا يقضي حاجته هناك  
أبداً فيظل يبحث عن صفيحة نحاسية، يتعرض أحياناً للضرب  
والشتم والسب حين يفعلها في الأسواق والساحات العامة.

عقب أحدهم على تساؤلات بعض الناس عن سبب هذا التصرف الغريب من قبل المعتوه وليمعنهم من ضربه وشتمه متأسياً لحاله قائلاً: أكاد أجزم بان هذا المسكين كان سجينًا لفترة طويلة في إحدى زنازين النظام، فقد كانوا يسجونوهم في التواليت، ولا يدعونهم يفرغون حاجتهم إلا في صفائح معدنية توضع في زنزانتهم، فيبدو أنه اعتاد هذا الحال خوفاً من بطشهم وعقابهم لو أنه خالف تعليماتهم، سبق وأن تعرضت لذلك ولكن لفترة قصيرة، أرتد البعض إلى ذاته وكأنه يتذكر مرارة ما مر به فعلاً، نظر بعضهم للبعض علامة إدانة متبدلة عبرت عنها همة غير مفهومة، واصلوا انتشارهم الحشرى عبر كل الاتجاهات!

لم يتوقف عن سؤاله التقليدي عن حال الدرج، وسط أستغراب الناس أو لا مبالاتهم، هكذا تصرف أغلب من أستوقفهم ليسألهم السؤال نفسه.

اعتاد أن ينام قرب حاوية أزبال في إحدى الساحات، يقلب الأزبال، يأكل من بقايا فضلات المطاعم والبيوت، يلتقط القصاصات الورقية، يقرأ ويقرأ ويظل يقرأ على ضوء النار التي يشعلها ببعض الأخشاب المهشمة وأكياس النايلون وقطع الكارتون، قطع الورق الممزقة يصلها ببعضها البعض بصبر ودقة كبيرة، لظهور له كتابات لها مضامين مختلفة، حبيبي العزيزة أنا لم أخُنِكِ، سيدني أظن أنه منتم لحزب،

يصلّي في الجامع، نعم بالتأكيد هو، فهو يرتدي قميصاً أحمر،  
مهما طال الليل لابد من صباح، صياح الديك لا يعني بزوغ  
فجر جديد، صياح الديكة طبول حرب جديدة، دعوة مواليد  
للالتحاق. دار دور لا دار ولا نور، نيران نيران في بلدنا  
أمريكان، اغتص، الجلا، أمّة عربية واح، ذات رسن.

تهب ريح تجرف معها جذادات الورق، يغيب المعنى، سقط  
ثم أكل، مات، نهض، أحترق، أطفأّ أللن، أحتر، دفن حيا ركلة  
جزاء، كلاب، نكح، سلب، حلب، الماء يجف. خان الرفيق،  
الحك، بالاع، المدر، مائهم أدناه، لاط، الرئيس، مخا برا، لا  
يهم انْ يكو، ذا المهم ولائي للقاء، حف، عاه، عم.

أضناه الركض ليمسك بقصاصات صورة عريسين، بعد جهد  
جهيد أكتملت قطع الصورة إلا رأس العريس لم يستطع ان  
يظفر به فبكى بمرارة حتى هذه الأسى فنام، تتقافر من حوله  
الصراصير المستفزة، وهوام ودواب أخرى لم ير أشكالها  
وأصنافها من قبل.

"أحلام السمراء، عيون صقور الباية، طيبة نخيل البصرة،  
حلوة البرحي، رائحة حناء الفاو، ظفائر دجلة المساحة  
بمشط الفرات العذب، جمال وكمال وثقافة وجرأة واعية،  
هي نعم هي ما تحلم به، هي فتاتك المتخيالة، ولكن –  
ماهو الطريق الذي يوصلك لقلبها؟  
وهل حجرات قلبها لم تضيف حبيباً لحد الآن؟

هل معقول لم يطرق أحدهم أبواب هذا الجمال الباذخ؟  
أستاذة (النقد الأدبي) في كلية الاداب، نعم لقد وجدتها، إنَّ  
أبواب الأدب مشرعة للحوار والنقاش، وفيه الكثير مما يقال،  
خصوصاً وهو أستاذ الأدب العربي الحديث، وشاعر معروف  
في الكلية وخارجها ومن المغرمين بحركة التجديد الشعري  
والخروج على المألوف وكسر التقليد.

الأسم ليس غريباً على نظارة قرائته، شحد ذاكرته جيداً،  
اعتصرها، فلترها من الأنشغالات اليومية الصدئة، هل يمكن  
أن تكون هي الناقدة (أحلام سعيد) التي كانت تلاحق قصائده  
المنشورة في المجالات والجرائد بالدراسات النقدية، دون أنْ  
تخفي إعجابها بنصوصه الشعرية؟!

يسرح نظره صوب بلبل كان يعزف الحانه الشجية من على  
غصن محمل بشمار النارنج المشتهاة "أني أقف بأحترام كبير  
وأعجباب لا أستطيع أنْ أواريه تحت ستار الموضوعية  
وحيادية الناقد، لنصوص الشاعر المبدع المجدد (كفاح) هذا  
الذي أستطيع أنْ يهبنا أكثر النصوص جمالية وسحرًا، لغة  
باذخة الجمال، والتجدد، وفي الوقت نفسه لم يضع في متاهة  
الغموض والعدمية واللامعنى، هذا الوصف الذي أخذ يهيمن  
علىأغلب نصوص الشعراه والأدباء من أنصار الموهوبين  
لستر عورات قصورهم تحت ذريعة نصوص ما بعد الحداثة،  
نصوص شاعرنا، كلماته مفرداته صوره فرحة مسرورة لأنْ

الشاعر أستطاع أنْ يجدد ويفعل معناها ومبناها وأنْ يضيف لها طاقة جمالية ساحرة، مما أغنى المعنى وأضاف للغة ما هو جديد، فنياً، ودلالياً تبل ريقها بكأس من الماء البارد ثم تواصل، فمكِن نصوصه من الأستحواذ على ذائقـة المتلقـي دون أنْ تعلق على صدرها هوية تعريف أو نسب، لم يكن أنـحـيازـه لـهمـومـ الأـنسـانـ وـمعـانـاتـهـ عـلـىـ حـسـابـ الـبـنـاءـ الـفـنـيـ للـنـصـ وـجـمـالـيـتـهـ، لا بل تـمـكـنـ الشـاعـرـ مـنـ جـعـلـ هـذـيـنـ الـطـرـفـينـ يـعـمـلـانـ وـيـتـأـلـقـانـ سـوـيـةـ ليـكـونـ النـصـ لـافـتاـ سـاحـراـ مـعـبـراـ بـأـبـهـيـ "وـأـحـلـىـ صـورـةـ"

لـفتـ أـنـتـباـهـمـ هـدـيـلـ حـمـامـةـ بـلـوـنـ الـحـلـيـبـ، بـالـقـرـبـ مـنـهـمـ، تـلـتـقـيـ نـظـرـاتـ الـعـيـونـ الـشـاخـصـةـ صـوبـ الـحـمـامـةـ الـهـادـلـةـ. تـفـاجـئـهـ يـوـمـاـ بـسـؤـالـ، وـهـيـ تـطـالـعـ اـحـدـىـ الـمـجـلـاتـ الـأـدـبـيـةـ:ـ أـسـنـادـيـ، هـلـ عـنـدـكـ صـورـةـ عـنـ سـمـيكـ الشـاعـرـ الـعـرـاقـيـ الـمـجـدـدـ (ـكـفـاحـ)ـ؟

ظـلـلـ فـيـ حـيـرـةـ مـنـ السـؤـالـ الـمـفـاجـيـءـ، هـلـ يـجـيـبـهـ أـنـ الـذـيـ أـمـامـهـاـ هـوـ (ـالـشـاعـرـ كـفـاحـ مـظـلـومـ)ـ بـلـحـمـهـ وـدـمـهـ، أـوـ يـتـرـيـثـ لـيـتـحـرـىـ عـنـ سـرـ أـهـتمـامـهـ بـ (ـكـفـاحـهـ)ـ الـحـاضـرـ الـغـائـبـ؟ـ دـكـتـورـهـ أـحـلـامـ، هـلـ التـقـيـتـهـ، هـلـ تـعـرـفـيـنـهـ شـخـصـيـاـ؟ـ

لا أـبـداـ حـتـىـ إـنـيـ لـمـ أـرـ صـورـتـهـ لـحدـ الـآنـ، يـبـدوـ أـنـهـ لـايـحـبـ أـنـ تـظـهـرـ صـورـتـهـ بـجـانـبـ نـصـوصـهـ الـمـنشـورـةـ فـيـ الصـحـفـ وـالـمـجـلـاتـ، سـأـكـونـ فـيـ غـاـيـةـ السـرـورـ لـوـ أـتـيـحـتـ لـيـ فـرـصـةـ

لقائه، أَنَّيْ في غاية الأُعْجَاب بنصوصه ومنهجه الفني والفكري في كتابة الشعر، أَنَّه شعلة متوهجة من الجمال الفني، والسمو الإنساني.

بحماسة واضحة، كانت تتحدث عن الشاعر وشعره وأسلوبه المترفرد، مما أضفى عليها حالة مشعة من الجمال الأخاذ، اسر لسان (كفاح) وهو يرى ويسمع، هذه الحورية الساحرة تتحدث عنه بمثل هذا الاندفاع والموضوعية والعلمية، لم يفلت منها أَيُّ نصٌّ من نصوصه وكتاباته.

مالك أستاذ وهل يعقل أَنَّك لم تعرف على الشاعر وهو سميئك وتغفل نتاجه الشعري وأنت أستاذ الأدب الحديث في الكلية؟

أجابها متلعثماً، وقد هيمنت عليه صدمة المفاجأة، وممن، من الحلم والملائكة والحبيب المشتهى.

- لا لا لا شيء دكتوره أحلام، ولكني معجب حقاً بأحاطتك الكبيرة بنصوص الشاعر وبدقة ملاحظاتك وغزارة معلوماتك في النقد الأدبي.

نعم أَنَّي أعرفه وهو صديقي وزميلي، يمكنني أنْ أرتِب لك لقاءً معه في أَيِّ مكان تشاءين.

سأكون شاكراً جداً لكم دكتور، في الحقيقة لدى نية كتابة دراسة موسعة عن شعر هذا الشاعر العراقي الكبير، لفت

نظرها سرب من العصافير وكأنّها تلاعب الهواء المشبع  
بنسميم نهر دجلة.

يحس بحالة من الحرج، الفرح، التشوش، وهو يستمع لها،  
وكان وضعه لا فتا لها فعاجلته بالقول بعد أن رفعت خصلة  
من شعرها الناعم المنسرح فوق عينها اليمنى لفض الأشتباك  
بين شعر الراس وأهداب العينين الطويلة، وقد أعتلت وجنتيها  
سمرة الخيز الحار، وهي تحاول أن تزيل إيهاماً أو ربما حمل  
فكرة ربما علقت في ذهن محدثها: أستاذ أنا عندما أتحدث  
عن الشاعر بهذه الصورة لا شيء إلا لكوني وجدت في  
نوصوشه الصدق والجمال وبدخ المعنى في زمن التصحر  
الأبداعي، يتلهف شوقاً وحرقة ل قطرات المطر، وبالنسبة لنا  
كقاد أدب وكمثقفين.

تسحرنا هذه النصوص الشعرية أو السردية الرائعة، إنَّ الشاعر  
المبدع هو من يتمكن من إيقاظ الكلمة من سباتها  
وصيرورتها ضمن السكون صوب العفن وبث روح الحركة  
والتجدد تعيد لها الحياة والتألق في الدلالة والمعنى ضمن  
النص الشعري أو السريدي للمبدع، أرى إنَّ الشاعر (كفاح)  
تمكن من كسر سبات العديد من المفردات والدواوين  
واخرجها من حال السكون والرتابة إلى حال (الحدوث)  
فانتشرت وانتعشت فرحة بما آلت إليه في موقعها ودلالتها  
الجديدة في نص الشاعر، إنَّ المفردة تعيش ربيعها وتفتحها

بين أنامل الأديب المبدع الذي يتمكن من جعلها ترتوي حد الأملاء من نسخ الحياة الدافق في سوافي أحاسيسه ومشاعره وهي تغترف من نهر الأبداع والجمال والخصب والحركة. يخرجان من كافتريا الكلية ليتجولا بين اصص الزهور وتحت أغصان الشجيرات في حديقة الكلية، وهو يستمع إلى قول الناقدة القديرة معجبًا بقدرتها على فهم النص وقراءته قراءة غير تقليدية، فانبسطت أساريره وقد ملأته اعجابا مسحوراً بتحليلاتها وجمال ورشاقة مفرداتها وتصيفاتها، الدالة على صدق الأحساس بالجمال والحب، ناهيك عن جمالها الأخاذ، مر من فوقهم نورس وكأنه يؤدي لهم تحية الحب والسلام.

قال لها بصيغة الواثق:- لا عليك دكتوره سأنظم لكما يوم غد لقاء في نادي الكلية، فهو صديق حميم وسيستجيب لدعوتني، له عدت زيارات سابقة لклиتنا في عدد من مناسبات مؤتمرات أدبية وثقافية.

ابدت الدكتورة شكرها وأمتنانها لزميلها لتحقيق أمنية عزيزة على قلبها، ودعته على أمل اللقاء غدا.

ظل يتربّص انقضاء ساعات هذا اليوم التي بدت تسير ببطيء مرة ومرة يشعر إنّها تتبخر بسرعة تبعاً لوضعه وإحساسه وهو يكاد لا يصدق ما سمعه من دكتوره أحلام، ولهفتها للقاء شاعرها المفضل، مرة يشعر بالخوف ومرة يشعر بالفرح، ظل

قلقا متوترا، حالة لم يشعر بمثلها سابقاً، حاول أن يسرب لنفسه جواباً يقول انه يعيش حالة حب حقيقي وعليه أن يعترف بذلك، رغم إن فترة معرفته بـ(احلام) قصيرة، لا يؤيد منطق فكره وقناعاته وفلسفته صحة هذه الأجبابة وبمثل هذه السرعة الخاطفة، لقد فشلت حواجز وأسيجة مناعته من صد أشعة عيون (احلام) وفتنتها الساحرة، يتمنى أن تكون كذبته البيضاء عليها، ومفاجئته لها بأنه هو (كافحها) المطلوب وشاعرها المرغوب، يتمنى أن تلقى قبولها، ولا تعدها سيئة بحقه لأنه أستغفلها أو تمنع عنها في حينها، ليجعل حالة التعريف بنفسه صادمة لها، ونافذة دخول نور حبه إلى فيض قلبها المضاء بالوعي والأدب ورهافة الأحساس، عند عودته للدار علم من والدته إن (البلبل) أفلت من قفصه وأطلق جناحييه للريح، أبتسم دون أن يعقب أو يعلن عن أنزعاجه أو أسفه.

دوى إنفجار كبير بالقرب من (مملكته) فأستيقظ مذعورا، وسط دوامة من الأوراق وأكياس النايلون والنفايات المتطايرة من شدة العصف وقوة الانفجار، رفع رأسه وحاول النهوه من يستطع الأمر، فلطمته كف ناعمة مدمامة، وسقطت على الأرض، كف بياض الحليب، اصابع كالشمع، مختمة بحلقة ذهبية، لم يستطع أن يتعرفها (كافح) هل هي خاتم خطوبة أو خاتم زواج، لأنَّه لا يعلم هي كف اليد اليمنى أو

الكف اليد اليسرى ولكنها هي كف انتى بالتأكيد، نهض  
متهمسترا وبدون وعي منه يصبح أحلام، أحلام، ضاع صوته  
وسط عويل ونحيب وهسنهة النيران التي التهمت الدور  
والمحلات، والدخان المشبع برائحة اللحم البشري  
المحروق.

في كومة الأزيال لفت نظره جريدة قديمة مع صورة (القائد  
الضرورة) وهو يلوح بكفه للجماهير وقد كتب بخط عريض  
(إنّي متأكد من النصر على قوى التحالف الأميركيالي وكاني  
أراه بعيني الآن)!

وكراس صغير،قرأ باهتمام بالغ شعار مؤتمر (الديمقراطية  
والتجديد) (لا ديكتاتورية ولا أحتلال) تلفت حوله وكأنه  
يستطلع الشارع، وانّ لا أحد يراقبه وضع الكراس في جيب  
بنطاله الخلفي، أنفرجت أساريره وكأنه يطمئن على سلامة  
مدخراته بعهدة رجل أمين.

ظل ينقب في كومة الأزيال، يبحث عما يثير اهتمامه من  
مستودع الأسرار والعجبات والغرائب في هذه الأكواخ التي  
تضخم يوماً بعد آخر. لاحظ أحدى الصحف لا تبدو غريبة  
عليه تلقفها من الأزيال فلاحت له صورة شخص متورد  
الخدود، ضاحك متفائل بلا حدود. قرأ له (أننا نسعى من  
أجل تهذيب الرأسمالية) بأعتباره عضوا في مجلس الحكم  
يتوسط لهم رجل أمريكي؟!

أحس بألم كبير في أمعائه أفرغ محتويات معدته على الصحيفة فتوارت صورة متوردة الخدوود تحت قيئه العفن. متسائلاً عمن قطع الـ(لا) رأس الشعار الذي كان متوازنا فصار (احتلال وديكتاتورية)!

في إحدى لياليه وقعت تحت نظره صفحة من جريدة مشبعة بدهن الكتاب، وتفوح منها رائحة الطماطة والبصل، (الروح) نص شعري،قرأ المقطع الأول رمى الجريدة وأكمل ترديد بقية النص، يجلس على الرصيف ينشد قصائد الشهير نجم الأدب الشاعر (س) العائز على عدد من الجوائز والشهادات التقديرية نظراً لموهبه الشعرية المتميزة!

يوماً بعد آخر اخذت تظهر صور لرجال دين معممين، بعمايم سوداء وببيضاء، ورایات سود، التفت على الأعمدة وفوق وعلى واجهات وبنایات حكومية وغير حكومية.

- ماذا هل أنا في النجف أو كربلاء؟ وهل هذا الشهر شهر محرم أو صفر، أين أنا؟

نهش شعر رأسه، ضرب الأرض برجله وكأنه يريد أن يتتأكد هل هو واقفاً بالفعل على الأرض، أو هو في عالم آخر لا يعلم ما هو وأين هو؟

مر بقربه كلب يعض على عظمة ساق محترقة، دون أن تثير اهتمام أو منافسة جموع من الكلاب الذي يبدو أنها متخمسة، فلا حاجة لها بالتكالب الذي صار من حصة أسيادها منبني

الانسان، الذين تكالبوا على نهب وسلب بعضهم بعضاً،  
فكانـت مؤسسات الدولة ودوائرها غنيمتـهم الكـبرى!  
كانـ تذمره، شـعراً، يـقذـفهم، يـمدـحـهم، يـسـبـهم، يـعـتـليـ أـكـوـاماً  
منـ الأـنـقاـضـ وـحـطـامـ الـعـجـلـاتـ وـالـأـبـنـيةـ، وـالـأـثـاثـ الـمـبـعـثـ،  
يـتـلـوـ يـصـرـخـ يـتـرـنـمـ شـعـراًـ، يـخـطـفـ أـسـمـاعـ بـقـايـاـ ذـوقـ ماـ زـالـ يـمـيزـ  
بـيـنـ الـموـسـيـقـىـ وـالـضـجـيجـ، بـيـنـ رـغـاءـ وـثـغـاءـ وـغـنـاءـ.  
أـخـذـ يـشـيرـ أـهـتمـامـ مـنـ يـرـاهـ وـيـلـتـقـيهـ، فـماـ اـنـ يـلـفـظـ أـحـدـهـ شـطـراًـ  
مـنـ شـعـرـ (سـ)ـ حـتـىـ يـكـمـلـ الـبـقـيـةـ (عاـشـقـ الـدـرـجـ)ـ الـمـخـبـولـ  
الـصـعلـوكـ الـذـيـ لـاـ يـعـرـفـ أـحـدـ أـيـنـ كـانـ وـمـنـ أـيـنـ أـنـىـ؟ـ  
لـفـتـ نـظـرـ الـشـعـراءـ فـاسـتـدـرـجـوهـ إـلـىـ مـجـالـسـهـمـ فـيـ مـقـاهـيـ  
(المـتـبـيـ)ـ وـكـانـهـ (نـسـخـةـ طـبـقـ الـأـصـلـ)ـ لـشـاعـرـهـمـ الـكـبـيرـ (سـ)  
الـذـيـ مـاـ زـالـ فـيـ الـمـنـفـيـ، يـزـدـادـ إـعـجـابـهـ بـهـ، يـثـيرـ أـسـتـغـرابـهـ،  
مـاـ هـوـ لـغـزـ حـفـظـ هـذـاـ الصـعلـوكـ لـنـصـوصـ الشـاعـرـ الفـذـ (سـ)  
وـكـيفـ أـسـتـطـاعـ حـفـظـ كـلـ نـصـوصـهـ، رـغـمـ إـنـهـ كـانـ مـمـنـوـعـةـ،  
لـمـ تـدـخـلـ دـوـاـيـنـهـ إـلـاـ عـبـرـ الـاستـنـسـاخـ الـمـحـظـورـ، لـأـحـدـ يـعـرـفـ  
كـيفـ هـرـبـ مـنـ الـبـلـادـ، أـيـنـ التـقاـهـ هـذـاـ الـمـجـنـونـ وـكـيفـ حـفـظـ  
كـلـ نـصـوصـهـ؟ـ!

يـتـسـمـرـ فـيـ بـابـ المـقـهـىـ لـيـسـتـمـعـ إـلـىـ (سـ)ـ مـتـانـقاـ، رـبـطةـ عـنـقـهـ  
الـحـمـرـاءـ، تـرـسـلـ مـوجـاـ اـحـمـرـ كـرـشـاشـ دـمـاءـ، عـلـىـ وـجـهـهـ  
الـمـدـمـدـ بـلـحـمـ الـصـحـةـ وـالـرـخـاءـ، يـقـومـ بـحـرـكـاتـ غـيـرـ إـرـادـيـةـ  
بـجـذـبـ أـطـرـافـ سـتـرـتـهـ مـنـ الـخـلـفـ وـكـانـهـ يـحاـوـلـ اـنـ يـلـجـمـ ذـيـلاـ

يحاول أن يستطيل، بطول قصائده المذهبة التي يترنم بها عبر شاشة التلفاز في القنوات الفضائية.

ينتفض فجأة بين حين وآخر ليصحح حركة أو يحتاج  
لاستبدال كلمة أو صوره، أو عنوان قصيدة!

يُضحك من كان حوله من الأدباء يكلم أحدهم الآخر: من يرى نفسه هذا الصعلوك حتى يصحح لشاعرنا الكبير (س) يعود هو للأزمته المعتادة؟

يرد عليه آخر الملفت للنظر إنَّه يحفظ على ظهر قلب العديد من نصوصه، المعروف والغير معروف منها، يبدو لي إنَّه من عشاق شاعرنا الكبير!

رسالة لا ينتهي: هل هدم الدرج؟ هل هدم الدرج؟ من هدم الدرج؟

أتفق الجميع على أجابته، إنَّ الدرج لم يهدم بعد، ليهداً، ثم يبدأ يصحح قراءة (س) المتلفزة لنصوصه الشعرية.

يقضي وقتا طويلا في باب المقهى يحاور مشاهير الشعراء والأدباء من كل الجنسيات حيث كان يجيد إجاده تامة (اللغة الروسية، والإنكليزية، والفارسية) بالإضافة إلى لغته الأم (العربية) يقرأ لهم بعضًا من نصوصهم، معلنا إعجابه، أو امتعاضه، وتصححه، كأنه يجالسهم فعلا!

كلا يا (نيرودا) أنت قلت (أشهد إني قد عشت) فماذا تريد  
أكثر من ذلك، يا وقح كيف صاجعت الشاعرة الجميلة

وأستغفلت الجميل (لوركا) ليكون حارس متعتك. صادر الديكتاتور حياتك، وقد صادرت الحياة منه أنسانيته، أصبحت نجما ينير طريق محبي الجمال والسلام، أما هو فقد ألبسه التاريخ ثوب العار والذل والقبح.

لا لا أنت أنتحرت يا (مايكوفسكي) لم تحتمل التناقض بين المبادئ وواقع سلوكيات رجال الثورة، ففضلت الموت على أن ترى وجهة الثورة قد تلطخ بالوحشية أو قبح الأنانية الفجة.

قالوا إنَّ النواب أدخل معه الصمت حال دخوله دار ضيافة (الرئيس) وما زالت بين أصابعه حبات رمل نفق سجن الحلة، يوزعها كأنها تعويذات من أجل الحرية والثورة ضد القهر والعبودية.

والشيوعي الأخير) أستطاب الإنشاد قريبا من قبر (الشيوعي الأول) في بلاد الضباب، مقرراً أنَّ يوجه صواريشه الشعرية من على منصة في الهاديبارك، فلم تستوعب البصرة حروفه. نعم، نعم إنَّهم كانوا معي ولكن رباث الشعر مستحthem قروداً حين أمسكتتهم متلبسين بأغتصاب الكلمة بأمر السلطان رغم أحترامهن لـ (أنشودة المطر) وـ (أين حقي) وـ (الحر أرياحي) وووو.

ثم يظل ينشد نصا لا يعرف الجمع من هو قائله، هل هو لـ (س) أو لغيره هل هو للمعtoo؟

(ناظم حكمت) نعم أين أنت يا صديقي الوسيم كنبيٌّ، ما الذي ورطك في قضايا المعدمين والفقراء وأنت سليل الأرستقراطية التركية العريقة، قصيتك رائعة بحق حبيبك منور، الله يا منور خالدة بخلود ناظم، من منكم خَلَدَ الآخر، وأخيراً فزت بقطعة أرض في بلدك لتكون موطنك في حياتك الأبدية، حيث ينحني العمال والعشاق لها أجلالاً وأكبارةً، أما جثامين شعراً بلدي فما زالت تتقاسمهم بلدان الغربية معلنين أمميتهم في الموت والحياة؟  
كيف أستطيع (بافلوف) أنْ يحررك من سجنك، يا لغباء وتفاهة سجانيك؟

- كيف أحتملت صفعة الرفيق الروسي الأحمق، الذي لم يتحمل وهج قبس الجمال المهاجر؟  
نهرك المتدق بآيات من جمال القصيد وسحر الكلام، خلط بمرارة مصافحتك للفاشست إنتقاماً من جفاء الرفاق، ما كان يجدر بك هذا يامن أنشدت للحياة والمطر، جيكور عاتب لابل جيكور غاضب عليك وشط العرب لا يريد عليك السلام وأنت واقفاً تحييه منذ عشرات السنين، خلفت خدشاً في جبهتك لا ينسى ولم يعد خافياً على (المومس العميماء) وأنت تسطر حروف كتابك الأخير (كنت شيئاً عيناً).  
كلا (البريكان) ظل صامتاً حد الجزر، و(الحجاج) معتزل عالم (الدم قراطية)

والمربد قطعت أرجله فصار مرأً بلا بد، أصغت لشكواه عاليات النخيل فأحترقت بنار الشكوى دون مجيب. المنبر يستجير من (زناة الحرف) ولا مجير، يجهش بالبكاء، يرسل قذائف الحسرة والالم صوب المجهول، وعلى حين غرة (المتنبي) يقول: (إنه شاهد زملائه من الشعراء والأدباء الذين يحتفون به كل عام في (واسط) يشتمونه من على المنصة بأقذع الشتائم، وشاهدهم خلف موائدهم يتهمون أحذية أطفال العراق الحفاة بدلاً من يلبسونها أقدامهم الصغيرة المدمدة، شاهدهم يتمخطون ويجفون مؤخراتهم بأوراق دفاتر وكتب أكثر من ربع سكان العراق الأمين).

فقرر الصراخ معلناً هاهم قتلتى الذين لم أكن اتنأ بهم. يسمع نباح كلاب يهاجم بعضها بعضاً قرب جثة نصف محترقة، كأنها أقسمت ساحة الحرائق إلى إقطاعيات تخص بعضها دون بعض، فكلاب (الطيران) غير كلاب (التحرير) وغير كلاب (العلاوي)، الخ ثم يسأل: ما هذه الضجة وما هذا الهوس بالمتنبي، إذا كان المقياس الشعر مجرد فنעם المتنبي الشاعر الفحل، ولكن أيّن الإنسان في شعر المتنبي، هل انتصر للمقهورين والمعدمين واهل الفكر والفلسفة، أم أنه ظل حاملاً نرجسيته راية يقارع بها من لم يكرمه ولم يجزل له العطاء، ومعروف موقفه العنصري من الزنوج عموماً والعبيد خصوصاً، وتمجيده للسيف وفضيله على الكتاب، باخساً

حق أداته القلم والقرطاس مبارزاً ومنتقماً من أعدائه، وقد كان ضحية هذا السيف الأعمى الذي نحر شرائين شعره الذي خلده عبر العصور، مفتداً دعواه بغلبة السيف على الكتاب.

(العبد ليس لحرٍ صالحٍ بأخٍ \*\*\* لو أنه في ثياب الحرِ مولود لا تشرِّ العبد إلا والعصا معه \*\*\* إن العيَّد لأنجاش مناكيد). ثم لماذا هذا الهرس بالشعر وبشعراًء السلاطين - دون تخليد ذكرى أهل الفكر والفلسفة، ومن قاموا بالسلطان الظالم، كـ(ابن المقفع) وـ(الحلاج) وـ(ابن عربي) وـ(ابن رشد) وغيرهم كثير؟

- لا أدرى لماذا رحم بلدي عقيم، لا يلد الفلاسفة؟

- لماذا اليونان ولادة للفلاسفة؟

- هل لأننا أدمتنا على تلقى الأجابات ولا نجيد السؤال والتسؤال؟

منذ ما قبل التاريخ ابدعنا الكثير من فنون الحياة، ولكن أرضنا لم تتحضن فيلسوفاً يعتد به؟ وإنْ وجد فمصيره الأبعاد، ومصير مؤلفاته الحرق؟

نصغي كثيراً لثررة الفقهاء وأهل الكلام، ولكننا لا نتحمل فكر الفلسفه، أمة أرتضت أن تنام على بساط التقليد، وأن تحارب التساؤل والتتجدد، هكذا أرادها (امراء المؤمنين).

الجواهري صاحب (تنويمة الجياع) يصرخ ويبحث التراب على رأسه، وهو يرى الملائين من الأطفال والنساء والشيوخ

يتضورون جوعاً، يطلبون رغيف خبز فلا يجدوه، في حين يتربع المحتفون به على موائد الخراف الممحشية والأسماك المشوية وتلال من الرز والخبز والسمن، وهو يلطم الجياع

على أفواههم إنْ (نامي جياع الشعب نامي！)

يا ويلتاه عليك يا جواهري أنت الذي أردت أنْ تبث فيهم روح الثورة، الآن أنت ومن أفتراك من الشعراء تحثونهم على الصمت والخنوع، تغتصبون حقهم في الحياة أمام انظارهم

باسم (نبيهم) ومشعل جذوة الثورة في نفوسهم.

أهرب أيها الجوادري فقد أخراك تابعوك، يلطم وجهه نادباً (واجواهرياه) (وامتنبياه) (الحصيري) مات سكراناً على حصير رث، فلم يتحمل الصحو في عالم القبح والرذيلة، وسط دهشة واستغراب الجميع كان يستعرض الشعراء والكتاب من مختلف قارات العالم.

يهداً قليلاً ثم ينتفض يصبح بأعلى صوته، أحلام أح، لا، م، يصاب الجالسون بالذعر والأم يتسائلون من هذه الأحلام

وماذا حدث لها، كيف استذكرها وهو يتحدث مع المتنبي؟

ترادفت خيول الاسئلة وعلا صهيelaها في رؤوس ونفوس الأدباء والشعراء وجمع الناس الذين تجمروا حوله، لاشك

إنه عاشق، صدم بخيانة أو صدود أو موت حبيته (أحلام).

أحلام لم يكن لك ذنب فيما حدث حبيتي فلا تبئسي، العفة عفة الروح والمبادئ أنت لست وحدك أغتصبت يا (أحلام)

بِل جمِيعنا أُغتصبنا في ظل حُكْم الفاشية، شعب بِكاملة  
أُغتصب، عزيزتي حبيبي إِنَّ صلابتُك وثباتُك وقوَّة أرادتك  
هي التي أثارت أتعجُّبِي وحبي لك، إِنَّ أفعالَ الفاشست هذه  
هي أسباب مقاومتنا وأصرارنا على إسقاط هذا القبح وهذه  
الوحشية، تزدحم الصور المفجعة التي شاهدتها وعاشتها  
(أحلام) في السجن، ما حدث لـ(بتول) و(سوزان) (ونهلة)  
(فطومة) و(عائشة) و(شيرين) وو... وخصوصاً ما حدث مع  
الأُمراء كبار السن التي جلل الشيب شعرها، وهي تدافع عن  
نفسها ضد معتصبيها الوحش مذكرة إِيَّاه بأمه فهي ربما أكبر  
من أمها أو بعمر جدته ليُكَف عندها ولكن دون جدوٍ، رد  
عليها بِأنَّه سوف ينكِّھن جميعاً لِوَإِنَّهُنْ وقفن ضد الحزب  
والثورة او شتم القائد العظيم، يقوم بهذا الفعل وهو يشعر  
بلذة المنكوح الذي لا زال يحس بها ويمارسها منذ طفولته  
إِلى حين التاريخ!

تترَّأَى أمام عينيها، ما حدث للرضيع الذي حطم رأسه بضربه  
بجدار حائط الزنزانة لأنَّها رفضت الاعتراف.

طرق (أحلام) والدموع تنهمر على خديها، وقد أشتعلَّا حمرة  
باذخة الجمال المشتهي، يا الله كم هو رائع ومدهش هذا  
الحزن الإنساني النبيل، حزن الشرف، حزن الجمال، حزن  
الإنسانية الواقع متredi يتسلل بالقبح والرذيلة يقوده قطيع من  
الذئاب المسعورة، الذي يكاد يسمع عوائدها من حولهم.

أحلام أتذكرين كم وردة غرسنا على شاطيء دجلة، فما من  
مكان جمعنا إلا وزرعنا ورده، ألا تذكرين كم فرخ عصفور  
أعدناه إلى عشه الصغير، خشية أن يكون صيداً للقطط، أحلام  
كم حلمنا بعراق بلا جياع، بلا أطفال حفاة، بلا أمية، بلا  
بطالة، بلا خوف ولا حروب، كم حلمنا بشوارع معبدة نظيفة  
منورة، أن تكون الخضراء والزهور، ونافرات الماء في كل  
مكان، ليغادر بلدنا جلافة الجدب والتصحر، ليكون بلد  
الحب والحياة، أحب لالalam.

كان يتجاهل الحضور ويسرح في عالمه الخاص يكلم  
أشخاصاً ويحاكي أحياء وأمواتاً وسط ذهول الجميع  
وغيرتهم وهم يلاحظون أمراً ظاهرة الوقار والهيبة تتبّعه  
كظله أينما حل أو رحل، تجلب له الطعام، تحاول أن تجعله  
يسْتبدل ملابسه أو يشذب شعره ولكنه لا يستجيب، يظل  
يسأّلها عن الدرج هل هدم الدرج، فتجهش بالبكاء المفجع.  
تركه مساءً، لتعود إليه فجر اليوم التالي محملاً بالأكل  
والملابس والمناشف ولكن دون جدوى.

يقضي لياليه معتكفا في (مزبلتهم) يقرأ على ضوء محروقاته،  
وعزف المدافع الرشاشة ودوي الأنفجارات، فترقص جواري  
(الرشيد) المذبوحة رقصة (القرمطي) على أصوات الحرائق،  
تغتصب (شهرزاد) في وضح النهار، تبيض الديكة، يوأد  
الكلام المباح، فيتحرر الصباخ، من يحرق بغداد؟ هل أستيقظ

(صاحب الزنج) ليتقم من قتلته، ليهدم ويحرق بغداد انتقاما  
ل العاصمه (المختارة)؟

ولكن أين الزنج هؤلاء الجند من الشقر والحمر وزرق  
و خضر العيون بينهم نفر من خونة الزنج، يمتطون جمالاً  
عملاقة من حديد، لها خراطيم ترسل ناراً من الجحيم؟  
كلا يابن عباد أنت بريء مما يفعلون، كلا ياقرمط ليس أنت  
من يفعل هذا بعمال ساحة الطيران، إنهم الأزارقة وجيوش  
الحجاج وجيش من أستباح الكعبة وضربها بالمنجنيقات  
وأغتصب العذاري تحت راية (الله أكبر) انهم جلاوزة محاكم  
التفتيش، أحفاد من أحرق (برونو) إنهم شرطة ملاحقة،  
الهراطقة، و(الزنادقة).

يحرك يديه شمالاً وجنوباً وفي كل اتجاه وكأنه يتقي السهام  
وضربات السيوف وطعنات الرماح، يزيل من على الطريق  
الدروع والرؤوس وعدد الخيول، وجثث القتلى، من المغول  
من العرب من الفرس من الانكليز، من الترك، من الأمريكان،  
من كولومبيا وحتى من الصومال يتسائل مع نفسه قائلاً:  
ايعلم أن لا تجد كل هذه الأقوام مكاناً أو ساحة للمبارزة  
والقتال الدموي إلا على أرض العراق؟

يتأسى لمنظر القحط الكلاب المطاردة من قبل جياع بغداد،  
يغلق أنفه من عفن جثث الموتى من الطاعون والكولييرا  
وضحايا طغيان دجلة، يغلق أذنيه التي أخترقتها أصوات

الطبول الملذوعة بعضى الغزاوة والجناة والثوار والشطار، هذه  
الطبول الذي تردد على غضبه وأستيائه من صوتها معايبة: هل  
العتب علينا ونحن نتلقى لذع خيزران الطبالين فنضج  
بالصراخ لطلب النجدة ولكننا لا نتلقى إلا مزيداً من الضرب  
وسط رضاكم ودبكاتكم وتشجيعكم للطبالين للمزيد من قوة  
الضرب، لترتفع أصوات أهازيجكم وطربكم؟  
وكأنكم لا تعلمون كيف سلخت هذه الجلوود عن أجساد  
الخراف والثيران وصغار الماعز، لتكون وسيلة نذير الحرب،  
ووسيلة أعلان فرمان السلطان، ووسيلة أعلام بأقتياد  
الجواري والغلمان، فما أظلمكم؟

ضحيح بيانات الثورة وزعيق المذيع التائز، ضحيح فوضى  
الحشود والتظاهرات والمسيرات بين اليابعيش اليابيسقط،  
أحياناً يتبدل الأفراد والجماعات أماكنهم من اليابعيش إلى  
اليموت واليسقط دون أن يعرف سبب هذا التحول من حال  
لحال؟

يعصب رأسه بكلتا يديه ويسقط مغشياً عليه بعد أن أنهكه  
الركض والصراخ وهو لا يدرى في أي عصر وفي أي زمن  
يعيش أو في أي زمن وفي أي عهد تعيش بغداد المصائب.  
عصر بغداد الذهبي؟!

- أي مهزلة وكذبة كبرى هذه التي سطرها مؤرخوا ووعاظ  
كتاب السلاطين؟

نعم كان ذهبياً للسلطين والحكام ولكنه كان جحيمًا لـ (الجواري) و(العبيد) والمفكرين والأحرار من خارج حاشية الخليفة وزمرته.

أي ذهبي هذا وقد أمتلك (الخليفة) آلاف النساء من مختلف الشعوب والقوميات والأعمار الأسيرات المجلوبات بقوة السيف من بلدان (الفتوحات) الإسلامية، ومن يسمونها (ملك اليمين) والغلمان الخصيان المخطوفين من أهلهم وذويهم عبر البحار والقارات؟

أي ذهبي هذا المبني على شقاء وعذاب مئات آلاف الزنج العبيد المجلوبين من مجاهل أفريقيا ليعيشوا حياة لاطيقها حتى الحيوانات؟

أي عصر ذهبي هذا والحلاج يقطع ويحرق؟

أي ذهبي هذا وابن المقفع يقطع ويحرق؟

أي عصر ذهبي هذا والسياف يقطع رقاب كل حر لايسبح باسم السلطان؟

سحقاً لعصركم هذا.

رمز فخركم فيه ساعة أبهرت الأفرنجه كما تدعون؟!  
هلا سألتم أنفسكم كيف دخل أجدادكم العظام بلاد الرافدين؟

ماذا فعل وكم ألف قتل، وكم أغتصب، وكم ألف سبي، وكم دار نهب (ابن الوليد) ومن خلفه تحت راية (الله اكبر) لنشر دين (التسامح) و(لا أكره في الدين)؟

حين يدخل مبكراً لشارع المتنبي كعادته تمسح عدستا عينيه عناوين الكتب، كان يتناول الكتاب ثم يعتكف وينعزل عن كل العالم لينغمس في قراءته، يتكلم أحياناً بكلمات غير مفهومة، يغضب، يبتسم، يبكي، لم يطالب أحداً من باعة الكتب (كافح) بشمن الكتاب أو يمنعه من اصطحاب الكتاب معه ليعيده في اليوم التالي، كان كتب المتنبي أصبحت مشاشةً له يعاملونه كزبون لديه معرفة سابقة مع باعة الكتب هؤلاء الذين تفتح أساريرهم ويشعرون بالنشوة والفرح حين تمد يد المثقف على عنوان رصين من الكتب المعروضة، ليس لأنه سيربح من بيع الكتاب ولكنها فرحة من يجد من يأتمنه على كنز ثمين انهم يكنون أطيب الأمنيات لأحبتهم الكتب، فـ(الثقافة لاتباع بل تؤمن) كما رد أحدهم.

في ذات يوم وقع بصره على أحد الكتب، رفعه فتحه ضمه لصدره، وصاح بأعلى صوته: هدم الدرج، هدم الدرج، أنتهى الأمر، أنكشف السر، وقع المحظور، خان الأمين، صاح وناح هرول ركض بكى، نتف شعر لحيته وشعر رأسه، مرق قميصه، سقط مغمياً عليه وسط الشارع فهوت عليه المرأة

العجز، وهي تبكي وتناديه: يمه كفاح، بعد عيوني كفاح. يمه  
هاي أشصار بيك يبعد أمك وأبوه؟

يبعد عيوني يمه، يمه زرفت چبدی ولک یمئه، وین چانوا  
مضيعينك يا بعد عمري، يمه الله لا يرضه عليهم، الله لا يرضه  
على من كان السبب، اللهم أعن (س) و(ص) الذين أوصلاك  
إلى هذا الحال، يغط في عالم طفولته حيث كان أسمه  
(مطشر) بين الريف البائس والمدينة المخاتلة حاضنة كل  
الثعالب والعقارب والكلاب المتسلولة يستعرض مسيرة  
الهجرة والعودة يتراى له كبراء كلبه حمور وصباه في قريته  
الصغيرة (أم حلانه) أخذ يتحدث وكأنه يقص على احدهم  
قصة حياته في قريته التي يبدو إن صورتها لم تزل عالقة في  
لاوعيه وذاكرته التي لاتتعجب من الذكريات.

(أم حلانه) قرية صغيرة متناثرة البيوت ترقد على ضفاف نهر  
صغير يسمى (بسط العزامية) في المشخاب.

أستقرت العائلة في مقدمة بستان على جرف النهر لأرض  
تعود ملكيتها لأحد الإقطاعيين من السادة. بعد ان تركنا دارنا  
الأولى على (شط المجهيلة) بسبب شجار والدي مع  
الإقطاعي ثائرا لكرامته وعدم أحتماله لظلمهم.

شط (العزامية) يكاد يكون خاليا من الماء تماما عند نزولنا  
على صفتة، تجري عملية حفره وتطهيره بواسطة عدد كبير  
من العمال كانوا يحملون الطمي بواسطة الكركات

والمساحي لتحميل (العدلان) على ظهور الحمير لنقله إلى ضفة النهر. إنها أيام لا تنسى حيث غطت رائحة السمك المشوي والمقلبي من كل الأنواع والإحجام والإشكال حين أمتلأ النهر بالأسماك البني والقطان والشبوط والحمري ناهيك عن أبو زريده الذي لم يعد يصطاده أحد هو والشلك (ابو عليوي) والجري الذي لم نكن نتناوله في مناطقنا هل لكونه بدون قشور، أو كما يقال بأنه خبط الماء أمام الأمام الحسين فحرمه من شرب الماء؟

طبعاً لم يكن سمك (الكارب) معروفاً في العراق آنذاك، عندما فتحت سدوده بعد أنجاز عملية الحفر والتطهير نظراً لكونه يصب في الهور الذي كان يشبه مستودعاً ضخماً للأسماك حاله كحال معظم أنهار العراق.

لا يمكنني أن أصف المتعة الكبيرة في صيد الأسماك بوسائلنا البدائية المختلفة (الشباكة، الفاله، الشبك، السليه، الزهر) فلا يمكن أن يحس بها إلا من يمارسها.

رافقنا في الرحلة من الدار الأولى للدار الثانية كلبنا (حمّور) طبعاً لم يكن أحمر اللون بل كان بلون (طين الحري) البني الداكن وكان وقتها كلباً فتياً نشطاً متحفزاً لا تفوته شاردة ولا واردة ليلاً ونهاراً. ولم تكن العائلة لتخلل عليه بأرغفة الخبز يومياً أو بقايا عظام الأسماك أحياناً وربما بعض العظام المكدودة في حالة ولائم العرس أو وليمة ضيف كبير ينزل

عليهم. رافق (حمّور) العائلة في حالة يسرها في الدار القديمة وعسرها في الدار الجديدة. ولم تبد عليه إمارات الكآبة أو الضيق رغم تبدل الظروف وفراقه لرفاق صباه في أول دار رغم انه كان يسرح أحياناً في أطيااف طفولته ومسقط رأسه في الحديقة الغناء للعائلة على ضفاف الشط الغنية بالثمار وأعشاش وبيض الطيور وأنواع التخيل، التي كانت يحظى برعاية فائقة من قبل إفراد العائلة وكان لها حق المغار سه في البستان والنخيل.

كان رغم ذلك يشعر بالسعادة والفرح وهو يرى كل أفراد العائلة مع بعض نساءً ورجالاً وأطفالاً ومنهم المتحدث حيث كان حمور صديقي الأثير. كانت رائحة أفراد العائلة المحببة لديه تملأه بالنشاط هذه الرائحة المفضلة دون سواها من روائح بني البشر وهي علامته الفارقة بين العدو والصديق مهما كان منها مستتراً أو ظاهراً ومهما قدم من الإغراءات حتى ولو كانت عظمة دسمة، ويظل سيده صديقاً مهما قسى وسيظل الآخر عدوه مهما بذل.

أنَّه وفاء كلب وليس أي كلب آنَّه (حمور).

كان يوماً كلبياً مشهوداً له في القرية حين توجته (گمرة) الجميلة الفتية البيضاء بتاج عرش المحبة والغرام رغم أنف عشرات الكلاب الطامعة برضاهَا وكسب موتها. فقد كان

بذكائه وفطنته ولياقته وقوته وإندامه وجرأته لا يدانيه أحد في  
أمتلاك (گمرة).

كان شديد الحساسية فيما يخص كرامته وحمايته فهو يغضب  
حتى ولو رميته بعظمة دسمة مهما كانت درجة جوعه  
وحرمانه.

يتأسى ويتألم كثيرا لغباء أسياده وهو يراهم يتجرعون خبزهم  
والرز الأحمر الخشن (الحويزاوي) مع النباتات البرية (الكرط  
والكوكله)<sup>١</sup> بالرغم من إن النهر والهور بجانبهم يزخر بأسماك  
وفيرة من مختلف الأنواع والإحجام وكثرة وتنوع الطيور  
كالفاخته والعصافير والزرازير والدراج والخضيري كان يظفر  
بعضها على الرغم من عدم قدرته في استخدام وسائل  
الإنسان في الصيد.

- فما الذي يجعلهم يفنون حياتهم في خدمة الأرض على  
الرغم من عقم رحمها وظلم ملائكتها وأستغلالهم، وكونهم  
يستطيعون أن يعيشوا عيشة أفضل مما هم عليه بأقل من ربع  
جهدهم المبذول في خدمة أرض الإقطاعيين والشيوخ  
وإذلالهم، لو أنهم أمتهنوا الصيد وتربية الحيوانات، وترك  
أستانكافتهم من بيع ما يصطادونه ويزرعونه في السوق؟  
هل هو الإدمان على العبودية والرضوخ للظلم والخوف من  
مجاهل الحرية؟

---

<sup>١</sup> - نبات بري يأكله فقراء الريف العراقي.

أم هي غريزة الإنسان في أستيلاد الأرض وإنبات النبات مهما بلغ من العرق والدم والألم وهو سبب خلق الإنسان لأول مرة من قبل الإله ليكبح من أجل توفير الطعام والغلال لها كما تذكر الأساطير وها هو يكبح من أجل وكلائها الإقطاعيين؟

ربما يكون حالهم مع الأرض كحاله معهم، يفني عمره في مراقتهم وخدمتهم وعدم قدرته على فراقهم رغم فقرهم ورغم كثرة العظام والطعام حول دور الشيوخ والملا لي والسراكيل في القرية والمدينة المجاورة لم تغره بفراقهم؟ عاش (حمور) حياته جذلاً فرحاً قوياً معافى وسط المروج الخضراء برفقة (گمرة) حبيته الحسنة ملكاً متوجاً على رؤوس كلاب المنطقة ذكوراً وإناثاً على حد سواء. حتى تناهى إلى سمعه وبصره مشهد العائلة وهي تحمل أناثها المتهالك وفرشها الرث على ظهور الحمير مهاجرة إلى مدينة "النجف" جاء هذا القرار بعد أن أنهك الجوع العائلة المشاكسة صاحبت الكبراء بسبب جشع الإقطاعيين بالإضافة إلى شحة الماء لخراب (المكينة) وعدم أعمارها من قبل الإقطاعي عقاباً لوالدي بسبب عدم تقدير يد (السيد) وهذا مالا يجرأ عليه أي من الفلاحين في القرية قبله.

عرف والدي بـ "أبو العرایض" حيث ظل لأكثر من ثلاث سنوات يدور بين المحاكم ودوائر الدولة وقد وصل حتى إلى بغداد!

صرف كل ذخيرته من المال واللال في هذه المراجعات والمرافعات ليستردّ حقه ويثار لكرامته من الإقطاعي ولكن دون جدوى.

هذا الأمر وضع (حمور) في أرباك وحيرة شديدة وصعوبة اتخاذ قرار.

هل يرافق العائلة إلى حيث ضياعها في شوارع المدينة وأزقتها ويترك "گمرة" لأنّه يعلم تماماً أنها لا يمكن أن تقبل حتى مناقشة فكرة الرحيل والتخلّي عن قريتها وقد ذاقت في طفولتها مرارة وعذاب الذل والمهانة والأبتسال في المدينة ضمن قصة حزينة عاشتها في المدينة وكيف غامت بحياتها للعودة إلى القرية وامتلاك حريتها وقد روتها لـ "حمور" في بداية تعارفهما.

هل يستطيع أن يتّأقلم مع كلاب المدينة المختلة الجبانة متزوعة الغيرة التي لا تعرف العدو من الصديق فكل من يطعمها بعظامه فهو سيدها وأن يكن أسفل السافلين. كلاب المدينة متزوعة الكبراء ممسوحة الذات مفرغة من المبادئ والقيم؟

هل يستطيع وسط هذه المسوخ الذليلة أن يقود ثورة كلبية من أجل الحرية وهي تؤمن بمقولة أو حكمة شائعة في أوساطها كل من يعطيني عظمة يصير (عمي).

عصفت هذه الخواطر والأفكار برأسه كدوي الزناير ومادت الأرض تحت قدميه غير متبه لـ(غمرة) وهي "تلحس" جبيه الوضاء الذي أنطفأ نوره على حين غرة، غير مدركة وغير مستوعبة لمدى معاناته وصعوبة حسمه لأمره.

أنّها لحظات تفصلك بين الحرية والكرامة وبين المذلة والعبودية والهوان فما عساك فاعلا يا "حمور"؟

أقى (حمور) فوق "المترب" مشرفا على فضاءٍ فسيح على مدار البصر من الماء والخضرة وأصوات ذكور الدراج تبدد صمت المراعي والحقول وجمال حبيته بعد أن نفضت فروتها من ماء النهر فملأت انفه رائحتها الأنثوية المخدرة.

رفع يده اليمنى متكتئاً على يده اليسرى وضرب بها وجه الأرض بقوة كمن يبصم بإصرار على قرار مصيري خطير؟

قفز نازلاً من (المترب) راكضاً بصحبة (غمرة) وراء ضعن العائلة وسرعان ما أدركنا، فأخذ يسابيني في المسير مرة خلفي ومرة قافزاً أمامي وبجانبي كمن يحثني على البقاء وعدم الرحيل وكمن يقدم اعتذاراً، لعدم قدرته على مرافقتنا! مع هدير محرك السيارة الناقلة للعائلة وأثنائها من (الدسم) - لا يشيركم اسم (الدسم) فهو يبدو أسماء على مسمى فهو شبه

قرية تتكون من شارع ترابي رئيس واحد يتلوى كأنه أفعى  
رمادي اللون تحف به بيوت طينية كأنها حراشف متهرئة،  
وبعض دكاكين قصابة وباعة اقمشة، ومقهى، مسقفة  
بالبواري والحضران، يتربع على أحد تخطوها الحاج مالك  
السيارات الباص الخشبية التي تنقل المسافرين من الدسم إلى  
(الجعارة) أو أبو صخير وأحياناً إلى النجف وكرباء في  
مواسم الزيارات، الحجي أحمر بدین أشیب معروف بشذوذه  
ومثليته الجنسية رغم أنه لا ينقطع عن حج بيت الله في كل  
عام - صوب مدينة النجف أختلط صوت عواء حمور باكيا  
شاكيا متألماً مختلطاً مع زعيق طيور الدجاج على ظهر  
السيارة في وداعها الأخير لحمور وكأنها تسأله بمن سيفتكلف  
حمايتها من الشعالب بعده جاهلة حقيقة عدم وجود ثعالب في  
المدينة حيث هجرتها بعد أن تعلب فيها الإنسان!

إنّها شهقة الوداع الأخير (لحمور) لعائلة تنتقل إلى شكل  
جديد من أشكال المعاناة والألم والضياع، هذا ماروته له  
(غمراه) عن حال الفقراء من الفلاحين المهاجرين للمدينة.

قالها حمور بصراحة رغم غصة الألم: ألم الفراق والجوع مع  
أملاكه لحريته أهون عليه من المذلة والضياع في أزقة  
المدينة.

مر أكثر من عام على رحيل العائلة من القرية تعرضت فيه  
لأقسى حالات الضياع والبؤس والمذلة وشظف العيش

بسبب البطالة الشديدة وسوء وخبث وثعلبة أغلب سكان المدينة بما لا يألفه ولا يعتاد عليه ابن الريف.

وبالنسبة للحدث عن المدينة فإن كثيراً من المتعلمين يربطون بين ثعلبة والتلواء وعدم مباشرة ومراوغة سكناً المدينة وبين تداخل والتلواء وضيق أزقتها وشوارعها مقارنة بأمتداد واستقامة ورحابة وب المباشرة فضاء الريف وانبساط أراضيه ومزارعه وأنهاره وحقوله وبالخصوص مدينة النجف.

النجف تحيا ازدواجية كبيرة بين ظاهر معلوم ومستتر مضموم بيوت مرتفعة البناء كعالم ظاهر والسراديب والأبار المظلمة كعالم ثانٍ متوازي تحت الأرض وخوف العناصر الأجنبية التي توطنت المدينة من فرس وأفغان وأتراك وغيرهم الذين كانوا يشعرون بنقص كبير أمام عروبة وأصالة أبناء الريف العرب المجاورين للمدينة فبقدر ما كانوا عبيداً أذلاء يتملقون شيوخ العشائر في الريف ويخدمون الإقطاعيين عندما يكسبون منهم مالاً وفيراً يحاولون أن يذلوا ويستصغروا الفلاحين القراء عند دخولهم للمدينة بأعتبراهم عناصر غريبة غير مرغوب بها بسبب فراغ جيوبها لأنهم كما يسمونهم بالـ(معدان).

قرأت لأحد هم أنَّ مثل هذه الأزدواجية تميز أغلب المدن الخدمية، حيث تكون ثقافة المنفعة والربح هي السائدة على ساكنيها فالماء يباع والأكل والمنام والنقل وحتى الكلام الخارج من أفواه الملالي وقراءة الأدعية، لذلك فهم يتسلون

ويتذلّلون لمن يدفع بينما ينظرون بعين الازدراء والدونية لمن لا يستطيع الدفع، حتى عطائهم أو (كرمههم) في المناسبات فيكون بالمنة والتباكي واذلال من يحتاجهم، بالضد تماماً من أبناء الريف الذين يعطون بلا مقابل ومن دون منة، حتى انهم يستنكفون عن بيع منتجاتهم رغم حاجتهم.

كان (حمور) محظ أهتمام أهل القرية وعطفهم لما تميز به من القوة والجرأة في مطاردة الشعالب وحتى الخنازير وإبعادها عن القرية ومدى وفائه لأسياده طيلة فترة غيابها فلم يفارقه الإطلاق وهو يقعي عاوياً بأنين حزين يقطع أنياط القلوب نادباً شاكياً لوعاج شوقة معاتباً أهل الدار بسبب غيابهم، ولم يعد يسامر (كمرا) على مروج الحقل في الليالي المقرمة. تشاركه أنينه (بدور) التي تعلق قلبها الصغير بـ(مطشر) رفيق الطفولة والصبا، ومكتشف مكان المراهقة والشباب.

روى لنا بعض جيراننا من أهل القرية عند زيارتهم لنا أوقات الزيارات أو جلب مريض للنجف، بأنَّ (حمور) ضعف بصره وهو يجر أقدامه بصعوبة وتقوس ظهره وتهدللت إذناه وتتدلى ذنبه بسبب ماعاناه من الجوع والألم فقد أبى أن يستجدي عطف الغرباء من أهل القرية لإطعامه بعد رحيلنا فهذه الجوع والمرض.

وما زاده كدراً ضعفه وقلة حيلته أمام حبيبه (گمرة) فلم يعد قادرًا أن يصد عنها طفلين ولا تجاوز المتجاوزين من الكلاب الطامعة بها سواء من كلاب القرية أو من خارجها فقد طاول الغرباء على حرمة إناث كلاب القرية بعد عجز ومرض (حمّور) بتواطؤ وتخاذل وجبن وشذوذ بعض ذكورها.

في موسم الإخصاب السنوي المعروف أخذت قطعان الكلاب الحمر والبيض والسود والملونة تتحلق وتعلق وتستعرض قوتها وفتوتها حول (گمرة) التي لم تظهر عليها علامات الكبر لجمالها الأخاذ المتجدد دوماً وجاذبيتها الأنوثية الآسرة التي لانتقاوم وإن بدا عليها بعض الفتور بسبب ما حل بحبيبها وأثيرها (حمّور).

ورغم إنَّ أغلب الكلاب تهابه وتخشى صولاته وتقر له بمجد وبطولة سابقة وإنَّ بعضها قد جاء من صلبه محاولة قدر الإمكان كبح جماح غرائزها وعدم جرح شعوره بالاستيلاء على معشوقته الفاتنة.

أخذت هي تضعف أمام هياج الغريزة وعبارات وأستعراضات الإغراء والإطراء والافتتان لكلب فتي قوي جميل، أستطيع عبر عراك ضروري أن يبعد عنها كل المنافسين الآخرين ليقرون صاغرين له بتاج العرس العظيم على (گمرة) فاتنة الجميع وهي ترى فيه شباب (حمّور) بالإضافة إلى ضغط

غريزة استمرار النوع وغريزة الأمة التي لا يمكن أن تقاوم بالنسبة لإثبات كل الحيوانات ومنها الكلاب أذعنـت وأوـمـأت بعلامات الرضا للعـرـيس الشـاـب فـدـخـلـ العـرـوـسـانـ فيـ غـيـبـيـةـ الغـرـيـزةـ الطـافـحةـ لـيـذـوـبـاـ فيـ نـارـ الغـرـامـ المـتـأـجـجـةـ فالـفـذـيـلـانـ عـلـىـ بـعـضـهـمـاـ مـفـتوـلـينـ كـفـتـلـ الـجـبـالـ بـقـوـةـ خـارـقـةـ وـسـطـ عـشـرـاتـ الـكـلـابـ صـغـارـاـ وـكـبـارـاـ بـيـضاـ وـسـوـدـاـ وـهـيـ تـهـزـ ذـيـولـهـاـ وـتـدـلـقـ أـلـسـنـتـهـاـ وـتـغـلـقـ عـيـونـهـاـ عـلـىـ الـمـشـهـدـ الـمـسـكـرـ لـلـعـرـيـسـيـنـ وـمـشـارـكـتـهـمـاـ لـذـتـهـمـاـ التـيـ غـيـبـتـهـمـاـ عـنـ عـالـمـ الـحـضـورـ إـلـىـ عـالـمـ السـعـادـةـ وـالـجـبـورـ إـلـاـ حـمـورـ فـقـدـ أـسـوـدـتـ الدـنـيـاـ بـعـيـنـيهـ وـأـنـكـسـ ظـهـرـهـ وـخـارـتـ بـقـايـاـ قـوـاهـ فـأـنـطـلـقـتـ منـ فـمـهـ صـيـحةـ أـطـارـتـ الطـيـورـ وـأـرـعـبـتـ الـحـضـورـ أـفـقـدـتـ جـمـعـ الـكـلـابـ الـمـعـرـسـةـ نـشـوـتـهـاـ وـكـبـحـتـ جـمـاحـ غـرـائـزـهـاـ وـأـفـاقـتـ عـلـىـ صـوـتـ أـرـطـاطـ جـسـمـهـ فـيـ مـاءـ بـئـرـ عـمـيقـ مـتـرـوـكـ عـلـىـ مـقـرـبـةـ مـنـ الدـارـ وـعـنـدـمـاـ هـرـعـتـ لـلـبـئـرـ لـمـ تـرـ غـيرـ ذـنـبـهـ وـهـوـ يـغـوصـ فـيـ لـجـةـ الـمـاءـ الـآـسـنـ كـسـرـتـ أـمـواـجـهـ صـورـةـ الـقـمـرـ فـيـ كـبـدـ السـمـاءـ وـهـوـ يـتـشـظـيـ شـعـاعـاـ مـتـطـاـيـرـاـ عـلـىـ جـدـرـانـ الـبـئـرـ،ـ ماـ إـنـ عـادـ الـمـاءـ إـلـىـ رـكـودـهـ حـتـىـ دـوـتـ جـمـوعـ الـكـلـابـ بـالـنـبـاحـ الـمـرـيـعـ وـهـيـ تمـدـ أـعـنـاقـهـ تـكـادـ أـنـ تـسـقـطـ فـيـ الـبـئـرـ،ـ مـتـوهـمـةـ أـنـعـكـاسـ صـورـهـاـ عـلـىـ سـطـحـ الـمـاءـ كـقطـعـانـ مـسـتـثـارـةـ تـحـمـلـ جـثـةـ حـمـورـ عـلـىـ رـؤـوسـهـاـ لـتـخـرـجـ مـنـ غـيـاـهـبـ الـبـئـرـ لـلـأـنـتـقـامـ مـنـ قـاتـلـهـ!

أخذت تتوالى على ذاكرته المزيد من الذكريات الجميلة التي لا تنسى عن القرية وبساطة العيش، سذاجة التفكير، حميمية المشاعر والجيرة وصدق المشاعر مع التزام صارم بالقيم والأعراف والتقاليد السائدة في ظل نظام القرية وضمن ثقافة الانقطاع الطبقة المهيمنة على سكان الريف الفقراء، لفتت أبتسامته العريضة نظر والدته ومرافقه ظناً منهم أنه سيصحو ولكن دون جدوى فقد كان يعيش ذكرى حكاية (ماي العروس) وذكرى الصياد وحبنته سكنه في صبيحة أحد الأيام (أرهف السمع إلى صوت زعiq ديك الحجل في صباح يوم جديد، وأنا ارقد على (الدچة)<sup>١</sup> تعلو الفراش (كله)<sup>٢</sup> تقி النائم من لسعت البعوض المتواجد بكثافة في قرية (العزاميه) المطلة على هور (النبي احمد)<sup>٣</sup> : صاحب القبة الخضراء التي تطاول ذؤابات القصب والبردي داخل الهور، يقصده الزوار عن طريق الزوارق من القرى المجاورة فهو ملاذ المرضى وانين النساء المضطهدات ومحط أحلام العشاق والعاشقات وحسراتهن ينذرن له النذور ويحضرن الحناء والبخور كل

---

<sup>١</sup>- دكة تعمل من الطين على شكل سرير تقى النائم من الزواحف الضارة.

<sup>٢</sup>- ناموسية تقىا لنائم من البعوض والحشرات الطائرة.

<sup>٣</sup>- بناء لاحد السادة او الاولياء يسمى بالنبي احمد.

حسب قدرته، لا يرد ألقيمون عليه (الْكَوَام)<sup>١</sup> أي شيء: بيضة، دجاجه، سمكة، كيس تمن، خروف، الخ.

أستيقظت كالعادة مستنشقا هواء الصباح الندي قاصداً شرفة النهر لأغسل وجهي نافضاً علامات النعاس والكسل مستمتعا بزرافات (أبو زريده)<sup>٢</sup> وهي تشق طريقها عكس مجرى النهر، خلعت (دشداشتي) لأشبح في النهر ملتهما عدد من (أبو الدبيس)<sup>٣</sup>، لأنني وأبناء قريتي نظن إن من يتلعلها سوف يكون مثلها ماهرًا خفيفاً في السباحة مهما كان الموج عاتياً، خرجت من النهر متتشياً ببرودة الماء، لأنضم إلى والدتي ووالدي وشقيقتي وأبناء جالسين على شكل دائرة تحيط (قوري)<sup>٤</sup> الشاي (قوري) الحليب المدسوسين في الجمر المتبقى من (چانون)<sup>٥</sup> خبز (الطبگ المحرش)<sup>٦</sup> اللذيد ونحن نتناوله مع أقداح الشاي والحليب.

---

١- القائمين على أمر الفصريح وتلقى النذور غالباً ما يكونون من سلاة الإمام علي (ع) من السادة

٢- أحد أنواع الأسماك في العراق، يتميز بصغر حجمها لذيل لا يزيد أكبره على الكف ويدرك الفلاحون إن الزردة اذا كبرت فسوف تموت السمكة.

٣- حشرة صغيرة سوداء اللون ولها تواتس تطفو على الماء وتسبح بخفة ومهارة وبراعة الحركة

٤- ابريق الشاي.

٥- كوم من (المطال) وهي أقراص معمولة من غائط البقر تجفف لاستعمال الوقود.

يمه (مطشر) بوزك ملغم طين، كوم غسل وتعال أتريغ.

هذا ما أمرتني به والدتي، فطين الشط (الدهله الحميره)<sup>٢</sup>  
يتربس حول شفاهنا وعيوننا لتصطيع باللون البني الكالح  
حين يجف حول أفواهنا بعد خروجنا من النهر.

أتهمت خبز الطابق (المحرش) والشاي حليب الذيذ  
خرجت كعادتي لأطارد أفراخ العصافير والفالخاتي وانصب  
المصائد للبلابل في بساتين النخيل الممتد خلف دارنا، لفت  
نظري (بلبل) وهو يحوم حول عذق (الخضراوي)<sup>٣</sup>، يفرد  
جدلا فرحا وهي إشارة نستلمها من الطيور تدل على بداية  
نضوج الرطب (نگد الرطب)<sup>٤</sup> فالبلبل أول من يذوق الرطب

---

<sup>١</sup>- نوع من الخبز السياح ألتمن بأنواعه (العنبر، التعيمه الحويزاوي) المطعم  
بصغار السمك المقطع والمخلوط مع البصل والبهارات) والذي يجري  
شواء على قرص من الطين بواسطة إشعال أقراص صغيره (مطال) معمولة  
من براز الأبقار والجاموس والماشي وهو مصدرها من مصادر الطاقة  
والوقود في الريف العراقي يعمل ويخزن بشكل قباب صغيرة بجوار الدار.  
بعد إن يكون الطابك محمولا على ثلاثة أثافي طينية صغیره تدعى (منصبه).

<sup>٢</sup>- الماء الجاري المشبع بالغرین وخصوصا أيام الفيضان في الربيع وهو  
مفضلا ومطلوبا خصوصا لدى زراع الشلب لأنه يزيد الأرض خصوبة.

<sup>٣</sup>- نوع من التمور يتميز بالنضوج المبكر.

<sup>٤</sup>- بدلية نضج الرطب.

كما يقول أهل القرية (مثل العصفور يضوّك الرطب گبل  
أهله)<sup>١</sup>.

قررت إن اعتلي (الخضراويه)<sup>٢</sup> التي تظلل طريق ضيق يمتد على كتف نهير صغير تمتد على جانبيه شجيرات من الرمان والصفصاف وأمهات النخيل المتنوعة وهي تباهي الشمس بأفراطها الذهبية المتهدلة على رقابها الفارعة الطول.

وما إن أستقر جسدي على الجريد ليحملني تحت (العشگ)<sup>٣</sup> فعثرت على عدة حبات من الرطب (المنگد) الحلو المذاق، وأنّا أمضغ حبة الخضراوي سرح نظري ممتدا على طول النهير اليابس متبعا طيران بلبل جميل فر من على شجرةتين المجاورة، كدت اسقط من على النخلة لهول ما رأيت!!  
- صالح ابن ذاك الصوب يمسك بين يديه رأس (سكنه) (مفرعه)<sup>٤</sup> وهو يذوبان في قبّلة لم اشهد مثلها من قبل فييدوان كجسد واحد لولا إن بياض رقبة (سكنه) كأنها حليب طازج وجديلتها الطويلة السوداء التي تشاكس مرفعات قباب وركيّها البارزين مقابل وجه صالح الذي بلون الطين.

---

<sup>١</sup>- مثل شعبي.

<sup>٢</sup>- نوع من التمور العراقية.

<sup>٣</sup>- عذق التمر.

<sup>٤</sup>- بدون غطاء حيث تكون القرويات يسترن رؤوسهن بما يسمى -الشيله والعصابة- وهي قطع من القماش الأسود

سكته، التي تقول عنها والدتي بيرغ فرح لطولها الفارع وجمالها الأخاذ الذي سحر كل شباب وشيب القرية وقصة حبها مع (مالح) المعروفة في قريتنا والقرى المجاورة، إصر شقيقها (محمد) عدم تزويجها لمالح على الرغم من تكرار مشياطه<sup>١</sup> وتوسلاته العديدة فقد كان شرط (محمد) أن لا يزوجها ألا لمن يزوجه شقيقته (گصه بگصه)<sup>٢</sup> لتكون زوجته الثالثة وهذا شرط عجز عن تنفيذه (مالح) لأنه الأبن الوحيد لعائله وليس له شقيقات.

رميتما من على النخلة بحبة من الخضراوي الأصفر  
مشاكسا فجفلا مذعورين وانقض اشتباكهما ليتكأ كل منهمما  
على الجهة المقابلة لجهة مشبوكه من (الطير) بعد إن تفاجئنا  
بمشاهدتي ارقهما ضاحكا وأنا معلق في أعلى النخلة.  
لفت سكنه فوطتها حول رأسها ورقبتها بارتباك ظاهر وشدت  
خصرها بعبأتها وأسرعت الخطى متعرثة وهي تحمل حزمة

<sup>١</sup> - القرية تذهب لولي امر الفتاة المراد خطبتها لأخذ موافقته.

٢- احد طرق الزواج في الريف العراقي حيث يتبادل العرسان أخواتهما وبناتهم ليتزوج كل منهما بأخت أو بنت الآخر هذه الطريقة التي لم تزل قائمة لحد الآن وإن بدت تنحسر وفيها ظلم كبير للمرأة.

(الحشيش) متوازية بين صفتني (الطبر)<sup>١</sup> صوب دار أخيها  
كعادتها فجر كل يوم لجلب الحشيش إلى الأبقار.  
بعد إنْ شيعها مالح بنظراته متألماً، توجه نحوي بعد إنْ نزلت  
من النخلة تملقني ضاحكاً ومتودداً وهو يحمل (هندالة)<sup>٢</sup>  
صيده من السمك قائلاً:

إنه كان يخرج (گشايه)<sup>٣</sup> من عين (سكنه) المسكينة حيث  
استعانت به لأنها ما عادت ترى طريقها من شدة ألم هذه  
(الگشايه) اللعينة التي دخلت عينها وهي تقطف الحشيش ثم  
مسح على رأسي وقبلني وأعطاني سمكه (بنيه) تلبط من  
هندالته قائلاً إنَّ والدي يحب السمك البني طالباً مني أنْ لا  
أذكر له ولغيره مشهد إخراجه للقشة من عين سكنه لأنَّه لا  
يريد أن تعرف الناس بقدراته على إخراج القش وخصوصاً من  
عيون الفتيات فيشغلونه عن عمله لكثرة حدوث مثل هذا  
الأمر في القرية.

---

<sup>١</sup>- النهير الصغير الذي يوصل الماء للأرض من النهر الرئيسي ويتحكم في جريانه من عدمه صاحب للأرض وحسب الحاجة.

<sup>٢</sup>- حاوية مصنوعة من سعف النخيل يضع فيها الصياد حصيلة صيده من السمك.

<sup>٣</sup>- قطعة من القش تحملها الريح وقد تدخل عين الإنسان فتسبب له الأذى.

إن سماحته ولطفه وتودده لي سمح لي أن أسأله السؤال التالي: (مالح) هل لك أن تعلمني كيف يستطيع أحدنا إخراج القش من العيون؟.

قال لي: وان كنت لم تزل صغيرا يا (مطشر) ولكنني سوف أفضي لك بسر هذه المهنة نظرا لمعزتك عندي، يمكنك أن تتعلم هذا العمل عندما تشرب من (ماي العروس)<sup>١</sup> وهذا سر يجب أن لا تعلمه ولا تفشيه لأقرب الناس إليك لأنه سر المهنة ولا يعرفه غير أنا وأنت في القرية ثم قبلني مؤكدا علي وصيته بكتمان السر العظيم!

مضى مالح حاملا هنلالته على ظهره قاصداً داره في الجانب الآخر من النهر. بعد إن حل رباط زورقه من جرف النهر ليسرح مع المجرى مطلقا صوتا شجيا متهدجا كموج النهر يتكسر بعبراته وحينه منشدا (آنه أرد الوگ لحمد ما لۆکن لغیره جفلني برد الصبح وتلجلج الليره) ملوحا لي بيده السمراء.

وعملابنصيحة (مالح) انصرفت عن شرب الماء كعادة أهلي من الحب بل كنت أقصد ماء بركة كبيرة متصلة بالنهر داخل البستان تظللها شجرة تين كبيره في ظهاري تموز الساخنة لأغوص في عمق البركة تحت ظلال شجرة التين حتى ابلغ القاع لأرتوي من (ماي العروس) البارد المنعش في برودته

---

<sup>١</sup>- من شعر الشاعر العراقي المعروف -مظفرالنواب-

ولذلك سمي بماء العروس، وعندما أخذت أشعر كأني أكبر من عمري عشرات السنين واني أتحفظ على كنز ثمين لا يستطيع أن يراه غيري على الرغم من انه أمام عينيه، أخذت أعيد الغوص والشراب عدة مرات في اليوم بحيث زهدت الأكل وانتفع بطني ظنا مني، إني كلما شربت من ماء العروس أكثر كلما بربعت في إخراج القشة أكثر.

أخذت أفتشف وأترصد أخبار سكان القرية باحثا عن أصابت عينه (گشايه)<sup>١</sup> وخصوصا من الفتيات لاستخرجها بقوه ما امتلكت من سر لا يعرفه غيري ولکثرة ما شربت من ماء العروس.

عمه سكينه، إلا صارت بعينيچ گشايه مره ثانية آني أطلعه أليچ، كان هذا عندما استقبلتها أمام باب دارنا لأهش عنها كلابنا خشية إن تعصها.

مسكتني وقبلتني ضاحكة وهي تقول: أي يبعد عيون عمتك عفي ابن خوي، بس يعمه لا تسولف لحد غيري لا تحسدك النسوان يبعد روحني، وتمتمت -عفيه (امویلخ) هاي شلون  
- دبرته-

- ها عمه اشو تسولفين ويه روحچ؟

---

<sup>١</sup> - القشة.

لا (يعمه). أغراك صورة ياسين تحفظك من العين، دتعال  
يعمه عّدني<sup>١</sup> من چلابكم آني چايه أشوف أمك ڪالولي (ما  
هي طوبيه)<sup>٢</sup> مالهه خلگ).  
أصيـب رواد (المتنبي) بالذهول وازدحـمت الأسئـلة في رؤوسـ  
الـكل:-

من هذه المرأة، وماذا تعرف عن هذا الصعلوك المجنون، ما  
هي علاقة الشاعر الشهير (س) بحال المعتوه (عاشق الدرج)؟  
استدعيـت الإسعـاف حملـته إلى المستـشفـى رافقـه بعضـ  
المـتعـاطـفـينـ معـهـ،ـ ومنـ اخـذـ يـشـحـدـ ذـاكـرـتـهـ ليـسـتـذـكـرـ هـذـاـ الـوـجـهـ  
وهـذـاـ الصـوتـ الذـيـ يـيدـوـ انهـ لـيـسـ غـرـيـباـ عـلـيـهـ،ـ ربـماـ هوـ الرـفـيقـ  
فلـانـ أوـ الأـسـتـاذـ فـلـانـ أوـ أوـ وـتـمـدـ قـائـمـةـ الـاحـتمـالـاتـ  
وـالـتـصـورـاتـ وـاسـتـرـجـاعـ صـورـ وـأـصـوـاتـ زـمـلـاءـ عـمـلـ وـأـصـدـقـاءـ  
وـرـفـاقـ طـرـيقـ غـيـبـواـ فـيـ وقتـ الـدـيـكـتـاتـورـيةـ وـلـمـ يـعـثـرـ لـهـمـ عـلـىـ  
اثـرـ حـتـىـ الـآنـ،ـ وـلـمـ يـهـتـمـ بـأـمـرـهـمـ اـحـدـ وـسـطـ فـوـضـيـ الـحرـائقـ  
وـكـرـنـفـلـاتـ الـهـرـجـ وـالـمـرجـ وـالـذـبـحـ،ـ رـافـقـهـاـ فـيـ سـيـارـةـ الإـسعـافـ  
مـنـ أـرـادـ مـعـرـفـةـ الـمـزـيدـ عـنـ هـذـاـ الـ(ـمـعـتـوهـ)ـ صـوتـ (سـ)  
الـشـعـريـ،ـ مـمـنـ تـجـمـهـرـواـ حـوـلـهـ فـيـ (ـالـمـتـنـبـيـ)

استـقـرـ وـضـعـ عـاـشـقـ الـدـرـجـ الـ(ـكـفـاحـ)ـ كـمـ نـادـتـهـ الـمـرـأـةـ فـبـادـرـهـاـ  
الـفـضـولـيـ بـالـسـؤـالـ:ـ خـالـهـ رـجـاءـاـ مـاـ هـيـ درـجـةـ قـرـابـتـكـ بـ(ـكـفـاحـ)ـ؟ـ

<sup>١</sup>- ابعد عنـيـ الـكـلـابـ أوـ اـحـرـسـنـيـ مـنـهاـ لـحـينـ تـجاـوزـهاـ.

<sup>٢</sup>- بـمعـنىـ مـرـيـضـهـ أوـ مـتـوعـكـهـ.

يمه (كفاح) ابني، ابني، هذا أستاذ (كفاح) الشاعر: الحنين،  
(كفاح): أبو الغيره. ولكم شلون أهل بغداد متعرفون (كفاح)?  
يمه هاي صار (١٢) سنه غايب عنى من يوم الذي اقتادوه  
أهل (الزيتوني) من البيت في ١٩٩١، كان دليلهم صديقه  
ورفيق دربه وحامل أسراره (س) الله لا يطيه ولا يخليه.

- وما قضية الدرج وهدم الدرج التي يلهم بها؟  
يمه (كفاح) وضع كتبه ودفاتره تحت الدرج وأغلقه عليهم  
بجدار، بعد أن قمعت انتفاضة آذار ١٩٩١، شنت حملتها  
المشؤومة لمطاردة معارضيها وتصفيتهم أو سجنهم. وقد  
غادرنا (كفاح) في ١٩٧٨ إلى جهة مجهولة لم نعلمها إلا بعد  
زيارة المفاجأة لنا في ١٩٩١ للمساهمة في انتفاضة آذار بعد  
أن كان مع رفاقه من ثوار الأهوار.

داهموا البيت بعد غيابه، دلهم (س) الذي كان برفقتهم على  
مكان إخفائه لكتبه ووثائقه السرية، صادرها معهم هذا الذي  
تسمونه اليوم الشاعر الكبير والمنفي والمطارد من قبل  
السلطة السابقة!

أصيب السامع بالذهول بين مصدق أو غير مصدق وهو  
يسمع أقوال هذه المرأة، وهل حقا هم أمام الشاعر الكبير  
بلحمه ودمه وقد غشهم هذا -(س) كل هذه السنين، حمل  
نياشين الشرف والبطولة والنضال والابداع، وهو خائن  
وعميل لأجهزة الأمن الفاشية، ويعيد كل البعد عن الأدب

والثقافة، هل حقا هو نكرا وحشرة حقيرة، انطلت حيلتها على العراقيين وغير العراقيين في الداخل والخارج، هل يمكن هذا بدهائه وحده أن يفعل ما فعل، وأن يكون نجماً أدبياً كبيراً ووطنياً يشار له بالبنان، أن صدقت المرأة فهذا يعني أن هناك جهة ذات نفوذ وقوة ومال روجت لهذا النكرا ليكون علماً من أعلام الأدب والأبداع، إنها صدمة قوية سينلقها أهل الثقافة والأدب في المتنبي.

أن الامر بحاجة للمزيد من الأدلة والوثائق والإثبات ليمكنهم التأكد من شخصية الشاعر، ولا مفر إلا بانتظار تحسن حالة (كافح) الصحية والنفسية ليفصح عن الحقيقة ولا بد من فضح ذلك الدجال الخائن المزور من محل شخصية المبدع والمناضل الكبير، وأن كان ما يجري على ساحة الوطن وصعود التكرارات، وتنكر الخونة بلباس الوطنية والشرف صارت ظاهرة صدمت الكثيرين ما عدا أعمدة السلطة ومنتفيها لأن أغلبهم ذو ماضٍ مشين، فتستر بعضهم على بعض !

أنتبه السائل من شروده ودخوله عالم الأحتمالات والتساؤل ليتابع حديث أم كفاح: هذا الكتاب الذي في يده هو أحد كتبه الخاصة القريبة لروحه التي أخفاها تحت الدرج. وما يردده من نصوص شعرية إنما هي نصوصه الأدبية والشعرية

التي ضمتها مخطوطات دواوينه الشعرية المصادرية، هذه قصة ولدي (كافاح) يا جاحدي (كافاح).

- وما قصة أحلام مع (كفاح) يا أم (كفاح)؟

آخ يمه بعد عيني عليچ يمه أحلام، وين صرتى، أسوو بىچ  
هذوله الذياپه من بعد عين (كفاح)،

بكث الأَم بحرقة كبيرة لطمت خدوتها، لوعة ومرارة وأسى،  
وبعد أن سقينها شربة من ماء وتناولت حبة من دواء تحمله  
معها حسب توصيات الأطباء، هدأت قليلاً هوت على  
(كفاح) تشمئ تقبلاً تكلمه تحاول أن تعيد إليه ذاكرته بطفلته  
بصباها شبابه، ولكن دون جدوى، (كفاح) مشغول بدرجه  
و(أحلامه).

اللفت إلينا قائلة: أحلام يا ولدي هي زوجة (كافح) حبيبته وزميلته في الجامعة، تزوجها بعد قصة حب طويلة ومشوقة، ألتقيا في الكلية على طريق الأدب والحب في أواسط عام ١٩٧٧، لم يستمر زواجهما أكثر من سنة واحدة، وبعدها أضطر إلى الاختفاء داخل الوطن بعد قطيعة مع حزب السلطة عام ١٩٧٨.

بعد اختفائه بأسابيع اختطفت (أحلام) من الشارع وهي في طريق عودتها من الجامعة للبيت حسب ما رواه شهود عيان، ولم نعثر لها على أثر منذ ذلك اليوم رغم إننا عملنا المستحيل لتعقب أثراها ولكن بلا جدوى، أحلام أفترستها

الذئاب يا ولدي، أجهشت بالبكاء وتوقفت عن الكلام  
ومتابعة طريق الآلام.

بعد مكوثه في المستشفى لعدة أيام، وقد تعاطف معه العديد من الأطباء بعد إن استمعوا إلى قصته من قبل والدته، وما تعرض له من قهر في السجون والمعتقلات، مما جعلهم يهتمون كثيراً في حالته النفسية ومحاولة إعادته إلى وضعه الإنساني الطبيعي من قبل أطباء اختصاص بالأمراض العصبية والنفسية عبر جلسات طويلة من قبلهم، وقد شجعهم حدوث بعض التحسن الذي أخذ يتطور تدريجياً نحو الأحسن، ولكنه أخذ يسأل كثيراً عن مصير العربانه، وعن قدور اللبلبي والباقلاء، وأحياناً ينادي (لبلبي، لبلبي، أكل وصلبي عله النبي، أنظر وأسمع ولا يصييك العجب) ثم يستمر بمسجوعته هذه، مرة بالفصحي وأخر باللهجة العامية، يستغرب الأطباء كثيراً مما يسمعون ولكنهم توصلوا إلى أنَّ هناك طبقة من خلاياه المخية تخزن ذكريات بعيدة مخزونة في كهوف لا وعيه أخذت تنشط الآن بعد أن اكتسحت أو دمرت معاناته وعداياته طبقة ذاكرته الأحدث، وأنَّ مجمل جهازه العصبي يناضل من أجل نبذها وأبعاد تفاصيلها المأسوية من ذاكرته، لتغور به نحو أيام الطفولة والشباب، وقد تيقنوا من صحة ما ذهبوا إليه، حينما أوضحت لهم والدته، مهنة والده كانت باائع

لبلبي أو باقلاء بواسطة عربانه معدة لهذا الغرض وقد كان  
(كفاح) يرافق والده بائعاً متوجلاً.

أخيراً قرر الأطباء إخراجه من المستشفى وقد أفتتح بمرافقة والدته إلى دارهم التي مازال يظنها ويتصورها بأنّها دارهم في مدينة النجف، فرحت والدته كون ولدها أخذ يتعافي ويعود إلى وعيه، أخذ يستحم ويأكل بانتظام، ولكنّه كان يطالب وبإصرار أن تعود له (عربانه) ليعاود عمله، فلا يمكن أن يظل بلا عمل، وبناءً على نصيحة الأطباء قررت والدته ومعارفه على مجاراته وتتنفيذ ما يريد، فابتاعوا له (عربانه) وحسب شروطه ومواصفاته، وأعدت له قدر من اللبلبي، مع الكاسات (الففوري) وقناني الخل والحامض وما إليه وكأنه تستعيد حياة زوجها، وهكذا كل يوم أخذ يصطحب عربانه كل صباح، متوجهاً إلى أبواب المدارس والساحات، وخصوصاً بالقرب من مساطر العمال، حيث يجد متعته، وكانوا يقدمون له الكثير من المساعدة ويتلذذون بتناول اللبلبي من يده، رغم أنه لا يهتم بأخذ فلوس ممن يطلب لبلبي، ولكن الأغلبية من عرفوه كانوا لا يدخلون عليه بدفع فلوس أكثر أحياناً من ثمن كاسات اللبلبي، في حيث يسيطر عليهم الذهول أحياناً وهم يسمعونه ينشد الشعر يفهمون بعضه ولا يفهمون البعض الآخر، كما كان يجري حوارات فكرية تستعصي الفهم على الكثيرين مع أسماء وأشخاص بأسماء عربية أو أجنبية، مما

لفت نظر بعض المثقفين والشعراء والأدباء إلى هذا البائع المتجول غريب الطباع، عالي الثقافة حيث يتكلم أحياناً بالإنكليزية أو الروسية، والفارسية، وأجادته التامة للنطق والحديث باللغة العربية الفصحى في حوار شيق وعميق مع محدثه المفترض مع أحد أعلام الثقافة والأدب العراقي أو العربي والعالمي وكل بلغته، ولكنه على حين غرة يعود إلى بساطته فيصبح بأعلى صوته لبلبي لبلبي اكل لبلبي وصلي عليه النبي !

ويقوم بأنشاد بعض أبيات الدارمي أو أبيات مؤثرة من الأبوذية العراقية العذبة، كانت والدته تراقبه من بعيد في أيامه الأولى، إلا إنّها أخذت تطمأن عليه بعد أنْ أخذ يذهب بيع ويعود في مواعيد محددة ومضبوطة، كما انّها أقنعته بأنَّ يرافقه صبي من أهل المنطقة لمساعدته في دفع العربية وتنظيف الكاسات وليحل محله في البيع حينما يقوم بتناول الشاي أو طعام غدائه، أو ينشغل في حوراته الأدبية أو الفكرية، الخ..

لوحظ على (كفاح) في الآونة الأخيرة تركه لعربته، وتسمره وحروه الغاضب قبالة همرات ودبابات الأميركيان وهي تجثم على صدر شوارع وساحات بغداد، يصرخ بلغة إنكليزية لا يفقه معناها الكثير ممن يراقبون حركاته، يظل واقفاً لا يتزحزح ولا يستجيب لتوسلات أمه أنْ يتبعده عن هذه

الخنازير الموثبة فقد تفتك به في آية لحظة، نقل عنه من يجيد اللغة أَنَّه يطالب الأميركيان بجوازات سفرهم، ومن سمح لهم اغتصاب بغداد الحبيبة، كيف دخلوا بدباباتهم ومدرعاتهم، وهو يهدّهم بالويل والثبور وأسوء الأمور، يسحبونه عنوة ويبعدونه عن مراibles المدرعات والدبابات ليعود له هدوءه ويستدرجونه ليقرئ قصائد شعرية تتغزل بمدينته بغداد وحاراتها، ويناشد حبيبته (أحلام) بموافاته، إِنَّه يتتظر تحقيق حلمهم الكبير، حلم (وطن حر وشعب سعيد) يعدد أماكن لقاءاته الجميلة بأحلام، ويدركها بحلو الكلام، تترأَى أمام عينيه المناضلة القروية الصلبة بنت الأهوار (سعيدة) التي أذاقت، قوى القمع الهوان وربمت صفوفهم وحيرت أدمنتهم نتيجة جرأتها وشجاعتها وإيمانها بقضية شعبها وخلاصه من الديكتاتورية وأسيادها ملوك البترول ومصاصي دماء الشعوب، في فجر أحد الأيام وقد كان منهمما في تقديم كاسات البلبي للعمال في مسطحهم كعادته في كل يوم.

حتى فار التنور واصطبغت المنطقة باللون الأحمر اللزج، في حين اندلعت الحرائق وعلا الصراخ والصياح، بعد أنْ هدت أركان المنطقة انفجار سيارة مفخخة دبل قماره أحتشد حولها العمال طلباً للعمل، كعادتهم حينما يتدافعون باتجاه كل قادم يطلب عملاً، وكل واحد منهم يريد أنْ يفوز بهذه الفرصة

ليضمن قوت أطفاله لهذا اليوم، أحس بسائل ساخن يغطي جبهته، رفع أحد يديه فلم تسعفه حيث شاهد أنّها عضد بلا ساعده، فحرك يده الثانية ماسحاً بها جبهته، فعادت إليه مليئة بدم رأسه، بدأت تتوارى الصور من أمام عينيه، هوت إلى جانب حمامه مذبوحة، أصابها اللهيـب الناري المسعور، اعتصر (كـفاح) بيده اليسرى جناح الحمامـة ثم أطلق صرخته الأخيرة (لا ديكتاتورية ولا احتلال) ودخل عالم اللا عودة.

وضع رأسه في حجرها الوثير وهي تمـشـط له شعره المسترسل على كتفيه، غاصـنـ في عمق ذكرياته الدفينة التي أرادـتـ حبيـتـهـ أحـلـامـ انـ تـنـطـلـعـ عـلـيـهـاـ.

كانت دارنا أنْ صح انْ نسميهَا بدار، أكواخ من القصب  
وسعف النخيل، محاطة بسياج واهن من الجريد وأغصان  
الصفصاف تضمنا أبي وأمي وأختي، يحاذِي صفة النهر  
المتدفق دوماً بماء تدرج ألوانه بين الزرقة في الصيف  
والحمرة في الربيع والشتاء، كان مستودعاً كثيراً للأسماك  
(الشبوط والبني والزوري والكتان والجري والحمري، ولم  
يكن معروفاً آنذاك سمك الكارب كما هو الحال الآن)  
ويدور

آهههههه هل لا زلت تذكرين وربما تغارين من (بدور) رفيقة طفولتي في القرية، مرر يده على شعرها الذي جلل وجهه وبدأ يروي لها القصة:

هيمن الحزن والألم على صدري منذ إن سمعت والدي  
ووالدتي يتداولون في أمر رحيلنا من القرية بصورة نهائية  
للسكن في المدينة خلاف ما كان حالنا أو حال بعضنا في  
مغادرة القرية بشكل موسمى طلبا للعمل في المدينة، فعمدت  
إن أخرج يوميا لأتفقد الأماكن والمواقع الأثير مزبداً على  
نفسى على ضفة النهر الذي يبدو ملتويًا كأفعى يتلوى هادرا،  
مزيدا في مواسم الفيضان أو نحيلًا متراخيًا في أوقات  
الصيهود، حديقة السيد (صاحب) المسيحة والمحروسة من  
قبل (جارا الله) (القاسي)، لا تغمض له عين، رغم كل ذلك كنت  
كالشعلب أبتكر الطرق أستغل التغرات وغفلة الحراس لأدلف  
إلى داخل الحديقة لأقطف قدر المستطاع من الجنيد الأحمر  
من شجرة الورد الجوري الساحرة وسط الحديقة وقطف  
التفاح المثقلة أغصانها بغزارة حملها، القيلولة تحت ظل  
شجرة التين العملاقة المجاورة لدار جارنا (مسعود) الجراد  
الملون أحمر، أزرق، أسود، متعدد الألوان، أمسك بذيلها  
احدها من الخلف مقتربا منها بحذر بالغ كي لا تطير، أربط  
ذيلها بخيط رفيع ثم أرخيه لها لتطير واتبعها راكضا وراءها،  
أتذوق (الصميصمله) من على كتف (الطبر)، والتقط غنوص  
(العوين) من شجيراته المتشابكة الفروع على طول كتفه  
وعلى (فروك) ألواح الشلب، أهيم في الأرض البور أرض  
(سيد مسعد) المكتظة بالعواقول والطرفاء وأنواع الحشائش

مخفية أعشاش ومكامن بيوض وأفراخ الدراج (الحجل) متذكراً بألم كيف أخذ مني شرطي كان في مهمة عابرة في قريتنا فرخ الحجل الصغير الذي الفني والفتة، أخذ يعني أينما أذهب وقد كنت أطعنه بمختلف أنواع الحشرات والديدان التي كنت اصطادها لتكون غذاء المفضل هذا ما أخبرتني به شقيقتي المبروكة (فطومه) والمختصة بتربية الطيور وخصوصاً (الفاخته) كانت تسحق الحبوب ثم تطعم الفاخته من ريقها بوضع منقار الطائر في فمها لتزقه الطعام المهروس، اجلس على المتراب لأقرب صوت طيور (الكارور) الخضراء وهي تحلق في السماء عازفة موسيقاها المميزة في موسم الربيع، أو متربقاً جمال وغرابة (غريب الجول) أو (الهدهد) في بعض البساتين شبه المهجورة حذرة من كيد الإنسان وغدره، ولا اعرف ماذا يحل بي وكأنني أطير محلقاً عندما أشاهد منظر (الطلسة) تزغرد كأنها عروسة الماء تطير تلامس سطح ماء النهر مستعرضة أجنبتها ككفوف عروس مخضبها بحناء الزفاف، صدرها الأبيض كالبرق الذي يغطي وجه العروس، منقارها صارخ الحمرة مفتوح متلهف لقبلة فارس الأحلام، (صليلكع) السماج ذو اللون الحبرى والأبيض، منقار طويل مستدق النهاية، يحلق عالياً ثم يقف في الفضاء أعلى نقطة محددة في النهر، سرعان ما يصف جنحه ويهبط كالبرق صوب هدفه، ليارتفاع وقد تدللت من

منقاره سمكة صغيره غذائه المفضل، أَنَّهُ ذو بصر حادق وذو دقة تصويب مذهلة حقاً، أَتَأْمَل (عبد آل عبдан) البدوي المزارع الغريب الأطوار الذي لم أر مثله في قريتنا أو القرى المجاورة فمن طبائعه أَنَّه لا يقسم بالله ولا بالأئمة أبداً كعادة أهل القرية بل يقسم بأقرب شجرة أو آلة أو يقسم برأس محدثه مهما عظم الأمر ومهما بلغت خطورته، كان (عبد آل عبدان) يحمل مسحاته على متنه وإنْ أراد أن يتغوط يحرفر له حفرة صغيرة ثم يقوم بدفع غائطه ويغتسل في أقرب ترعة أو نهر، هذا ما لا يفعله أهل القرية كباراً وصغاراً نساءً ورجالاً حيث يتغوطون في أحد المنخفضات أو خلف الاكمات والشجيرات تاركين برازهم مكشوفاً.

وقد أصبح معروفاً بطباعه الغريبة هذه أحسست بالخدر بفعل النسيم العليل القادم من النهر وأنا مستلقي تحت ظل شجرة التين العملاقة!

قبلتني والدتي وزغردت ثم قامت بصبغ شفاه (البنيه) بأحمر الشفاه وأعادتها للماء ثانية حسب عرف للقرويين آنذاك عندما يصطاد أحد أبناءهم سمكة لأول مرة، رميته (بالمحجال) فأصابه الحجر في كف يده متھشما إيهإ إلى شظايا متناشرة فعجبت لدقة التصويب بمثل هذه الدقة بواسطة (الم المجال) أمر لا يحصل ولا يتكرر أبداً مما قد يتهيأ لي باني شخص مسحور أو مبروك أو رجل صالح،

طالما أتنبأ بأمور وإحداث ووقائع تحدث لي ولغيري في قابل الأيام والأسابيع أو الأشهر، شعرت بالخدر والذوبان عندما أحطك جسمي بجسمها ونحن جالسين تحت ظل (الطرفية) واستهونتي مكوراتها فتجرأت على تحسسها بأصابعي بعد إن رمت رأسها على صدري وبدت كالنائمة فلثمت خدها بقبضة ثم أردفتها بثانية وبعدها التقت شفتينا بقبضة طويلة أن حضنتني (بدور) وأحتضنتها وسكننا في عنق طويل أحسست خلالها إن كل الطيور طارت وكل الديكة تصيح والبلابل تغرد والبردي يرقص، لم نصح إلا على صوت إطلاقة صياد الحجل أستاذ (شمخي) معلم المدرسة الوحيد، كان فرحي لا يعوض عندما أهداني المعلم دفتراً صغيراً تقديرًا لتميزي في الدروس في الصف الثاني الابتدائي، منحت لقب فارس الصف مع زميلتي (بخيته) التي تشاركتني نفس الصف في مدرسة القرية (مطشر، مطشر) عمي ألدىنه المغرب وانته نايم تحت التينه وهلك يدورون عليك ما تگلي اشبيك؟

- بدور بدور بويه جيبي ماي بارد لخوچ من الكوز اشو چنه حلمان مدرني تعبان.  
وبذلك أفقـت مذهبـلا وفـزعا من أحـلامـي عـلـى صـوتـ أبو (بدور).

- اصمّله، اصمّله يبعد عيني هاك هاي أميه اشرب واغسل وجهك أظنك اليوم تعبت وانته ترعى الهوايش بكاع عبيد ثم ابتسمت محمرة الخدين واستدارت حولي بخفة ماسحة العرق من على جبيني مجففه وجهي من الماء بطارف فوطتها المزكرشة فأتحات لي فرصة شم عبير نهديها الصغيرين وودت لو، ولكن.

صدگ (يمطشر) راح تمشي عنه، چا بعد ياهو اليسرح ويائي  
وبعد ويامن العب (صكله) و(أمهات) و(غميشه) ماتكلي يا  
بعد كلبي

تتكلّم وهي تعالج دمعاً مدراراً وألماً ظاهراً.

الولاية الملعوبات وشويه شويه تلتهو، وياهن وتنسانه.

- ردت عليها مستفهمة: (بدور) أنتي منين تعرفين بنات الولايه حتى تگولين عنهن ملعبيات؟

- لا والله آني ما اعرفهن لakin هجي الوادم تگول: أهل الولاية وبنات الولاية موش مثلنه الـبـگـلـوـبـنـه عـلـه لـسـتـتـه!  
بياناته (العباس أبو فاضل) يا بدور ما أنساچ طول عمري.  
اقسم معاهدا (بدور) على الوفاء.

كفكت دموعها بأنامله حابسا حسرا وعبرة كادت أن تنفجر  
لولا الإحراج والخجل من أبيها الذي انشغل بجمع التين  
علي مقربة منا.

انتبهت على نفسي، ودعت بدور بحسرة شادا على يدها بقوه،  
قاصدا دارنا التي يسيطر عليها الوجوم والحزن استعدادا  
للهجرة إلى النجف الذي أصبح مؤكدا بعد إن ضاقت بنا  
حياة القرية، عند الصباح بدأت عملية تفليش الصرائف وحزم  
الافرشة وإفراغ (السدائين) من الجبوب والطحين ليوضع في  
أكياس خاصة (وحملوا (المجرشة)؛ و(الرحة)؛ وتركوا  
(المرتبه) لثقل وزنها وانتفاء الحاجة إليها في المدينة ولم  
تنس والتي (الچاون) و(الميچنه) و(الگطينه) أم الملح،  
والحصران) و(الزبلان).

حدث توقف في عملية التفكيك عندما أتجهوا صوب  
(الچرداغ) الرئيس وهو مكان نوم والدي ووالدتي ونحن  
الأبناء الصغار، فقد نادت والتي على والدي قائلة:

- أبو (مطشر) بالكم اتفلشون (الچرداغ)!
- شنهي خاييه قابل هذا گبة النبي أحمد وما يتفلش !
- لا لاچن أظنك نسيت عش (العلوية) ابسگف (الچرداغ)؟  
كان طير السنونو يدعى (العلوية) التي اعتادت أن تعشعش في  
(سقف الچرداغ) سنويا وتضع بيوضها وبعد أن يكتمل نمو  
أفراخها تعود مع أسرابها إلى ديار بعيدة لا نعلمها لتعود في  
العام التالي وهكذا تتكرر العملية في كل عام ونحن طبعاً لا  
نعرف هل من يعود إلينا الأم والأب أم أبناء وأحفاد السنونو،  
فلا أحد يجرؤ على هدم الكوخ وتفليش وتخريب عش

(العلوية) ومن يفعل ذلك سيصاب بمكروه لا محالة، اقترح أخي الأكبر مقترحاً أن نعرض (الچرداع) على من يروم شراءه وهو يتکفل بتفليشه وبذلك تخلص من خطية (العلوية)، ولكن الذي حدث إن كل من يأتي لشراء مكونات (الچرداع) يمتنع عن الشراء عندما يشاهد عش (العلوية) في سقفه فليس هناك من يجرؤ على هدم عش (العلوية) مهما كان السبب ومهما كانت الفائدة المرجوة من وراء ذلك، إن عقاب ذلك أشد من عقوبة من يقتلع (السدرة) من البيت. وهكذا فقد قررت العائلة ترك (الچرداع) على حاله ليكون ملكاً (للعلوية) وأفراخها.

- قالت (حياة) والله يخie ما يجبرك عليه الممر إله الأمر منه، موضحة لها إنَّ الحياة في المدينة ليست سهلة، بل هي حياة صعبة، ومعاناتها كبيرة، ولكن مالحيلة وقد عضهم الفقر والجوع في القرية بسبب ظلم وتعسف الأقطاعيين واستغلالهم ومناصبهم العداء لأبو (مطشر) لأنَّه لا يرضى بالذلة والمهانة.

- إِي يمه الله يمهل ولا يهمل هذا ما قالته أم بدور وقد وافقتها والدتي القول وقد اغروا رقت عيونهما بالدموع:

- فرددت عليها أم بدور بحسنة وألم واضح وهي ترمي وقد وضع (شيشه) ريحه و(مشط) و( بشكير ) و( مشوفه ) بيد (بدور) كهدية مني (بدور) الحبيبة.

- كشفت أم (مطشر) رأسها رافعة عصبتها وأيديها للسماء  
قائلة:

- ربى بجاه هل المغربية ومصيبة كربله وهضمية ألفقره  
والمساكين أريدك ما تخلي للظالم ضجراً !  
- إyi والله ربى آمين رب العالمين هذا ما ردته أم بدور مع  
والدتي ثم انتحبتا باكتين، في الوقت الذي انتحينا أنا وبدور  
جانبا لنسرح في عالم ذكرياتنا الجميلة وهي تضم هديتي إلى  
صدرها كمن تداري كنزاً ثميناً.

\*\*\*\*\*

كانت هذه العائلة تستظل تحت شجرة تين عملاقة لم أر مثيلاً  
لها في كل مكان، العائلة تجلس عادة تحت ظل هذه الشجرة  
من الصباح للمساء تتناول تحت ظلها الفطور والغداء،  
الشجرة مستودعاً ضخماً للطيور وخصوصاً العصافير، مثلثة  
أغصانها بالتين الأسود حلو المذاق في الصيف، والمملفت  
أنها كانت مشاعة لعائلتنا نسلقها حيث نشاء، أحياناً يتسلح  
ليلاً بعض القرويين بـ(تورج) يسلطون ضوءه الحاد على  
أغصان التينة مما يشل قدرة (العصافير) عن الحركة  
فيصطادونها بسهولة وسرعان ما يقطعون رؤوسها الصغيرة  
لتشارك أختها رقصة الموت، ترفس تصطفق أجنحتها ترفع  
أرجلها نحو السماء ثم تخلد للصمت، بعد أن يقتعنون من

كفاية عدد العصافير لعمل (حمىسة) شهية تعوض حرمانهم  
الطويل من اللحم.

غذاءك حليب البقرة وماء الرز المغلبي (الفوح) لأن صدري  
كان شبه جاف من الحليب.

- آه يعني أخيك كان أبن البقرة بالرضاعة؟  
وها أنا الآن ثور كبير يسلم قياده بين يديك أيتها المروضة  
الساحرة ههههه.

ضمتها إلى صدرها قائلة الله كم أحبك يا (ثوري) الجميل، بالله  
عليك أستمر في رغائك الساحر.

- سمعاً وطاعة يا بقرتي الجميلة.

أخيراً اهتديت إلى طريق الحرية على يد النجار الذي عملت  
معه بعد أن غادرنا والدي يسلمني إشارة الصلة برسول  
المخلص "جريدة في اليد اليسرى ومسبحة في اليمنى، شارع  
الأمام الصادق الساعة الرابعة إلى الرابعة وخمسة دقائق  
عصراً، يكرر في اليوم التالي إن لم يتم الاتصال"

لم أنم تلك الليلة، أراجع الكراريس والوصايا، أتخيل وأرسم  
صور هذا العظيم الملائكة الشجاع أَلْ، أَلْ، لا بد أنهم نوع  
خاص من البشر، لا يعرفون الكذب ولا الأنانية، شعلة من  
النور والجرأة وحب العدل والناس الفقراء والمعدمين،  
يقرءون الحاضر والمستقبل كما السحرة وفاتحي الفال.

- كلا لن أرتدي ملابسي الأنيقة ولا حتى القميص الجديد،  
لا داعي لتلميع الحذاء أنها مظاهر برجوازية تافهة، ليس لي  
أن أتمثلها، على أن ألبس (اللنگات) فأنا متممي للبروتاريا

وليس للبرجوازية الصغيرة التافهة، ولكن أنا أنتمي إلى فئة الطلبة وهم مصنفون كبرجوازية صغيرة، كيف لي أن أتخلص من هذا العار؟

كم عذبتني رائحة (الكاكي باللحم) المقلبي، هل يمكن أن يأتي يوم أتمكن من أكل كفافي من الكاكي؟  
أما الكباب المشوي فهذا فوق مستوى أحلامي.

كنت أمرح في البساتين أتأمل مغيب وشروق الشمس من على تلال (متر) تحيط بصفتي النهر، أطارد الزناير الملونة، وأستمتع بصوت ديك الحجل وسط الأحراش المحيطة بالدار خصوصا وهو يتحدى الصيادين كما يقول عبر زعيقه (صيد ضربني وضرط، صيد ضربني وضرط، طيط طيط طيط)

أضحك مع نفسي وأعجب بشجاعة وطرافة هذا الطائر الجميل وتحديه لمكر وعدوانية الإنسان ولكنه كان يسقط صريعاً برضا صيادين مهرة لا يخطئون التهديف على الطيور في الأرض أو الطائرة في السماء منهم معلمنا أستاذ (شمخي) و(سيد محمد) ابن الإقطاعي مالك قريتنا. وقد كانت لي حكاية مؤلمة مع هذا الطائر فقد اصطدمت فرخا صغيرا للحجل كان هائما بين أدغال العاقول في الأرض المهجورة المجاورة لدارنا، بدأت أغذية بمختلف أنواع الديدان، ألفني هذا الصغير وأخذ يتبعني أينما ذهبت مزفرا

بصوت شجي يطلب المزيد من الطعام والماء من يدي فصار أنيسي ورفيق تجوالي بين النخيل حتى أنه يدس جسمه الصغير معي عند المنام متقيا البرد أو محاولة افراشه من قبل القطط والكلاب، كانت رفة وألفة رائعة، مشبعة بحب وحميمة التعايش بين الإنسان والحيوان ضمن طبيعة بسيطة وادعة، لم يستغرب أهل القرية مثل هذه العلاقة بين الإنسان والحيوان طائراً كان أو كلباً أو غيرهما، فلكل منهم كلبه وطيره وحماره وبقرته أو خروفه الأليف، رغم أنَّ علاقة من هذا النوع بين طير الحجل البري والأنسان ليس لها سابقة ضمن ذكريات أهل القرية إلا في حكايات (كان يا ما كان من غرائب الجن والأنسان).

استمر هذا الحال حتى زار قريتنا في أحد الأيام الشرطي (أبو إسماعيل) مبلغًا بعض الفلاحين الحضور في مركز الشرطة في الناحية لأمر يخص الأرض وتوزيع المياه، الخ، كان والذي أحد المبلغين في الحضور، أثناء تبليغ والدي بالأمر لحظ الشرطي (طائر الحجل) وهو يتبعني ويزقزق بين يدي مما أثار استغرابه فطلب الطائر من والذي ليكون هدية جميلة يعود بها الشرطي إلى ولده في المدينة، اختطف طيري الحبيب من يدي ليكون في يد الشرطي فكانت معه هذه الحكاية: منذ أن غادرنا (أبو إسماعيل)<sup>١</sup> مصطحباً معه فرخ

---

١ - هي كنية الشرطي في العراق كما يكتنى الجندي بـ(أب خليل)

الحجل: أنيسي ورفيق شقاوات يومي، يطأطئ، خلفي، ينط  
أمامي، يتدرج بين أقدامي، أناديه فيأتيني مسرعاً مرفراً  
بجناحيه الصغيرين الملؤنين ليتلقف من يدي بقايا الحشرات  
وحبوب الحنطة التي كانت طعامه اليومي منذ أن وقع في  
أسرى أثناء إحدى غزواتي لغابة شجيرات العاقول في أرض  
سيد (عبيد) المتروكة بور.

كنت أرجع دائماً بعينيه جيدة من بيض الدراج (الحجل)<sup>١</sup>  
حيث كان يبني أعشاشه في مثل هذه المناطق المتروكة أو  
حقول القمح اليابسة، كنا في فجر وغسق كل يوم نستمع إلى  
أصوات ديك الحجل وهي تتنادى بأصوات جميلة معلنة عن  
وجودها وبده أو نهاية يوم من حياة الكائنات الحية، حيث  
تشبه أصواتها أصوات أبواب معسكرات الجيش في التعداد  
الصباحي والمسائي ولكنها لا تنطلق في لحظة واحدة، فتبعد  
متلاحمقة أو متنافرة كأصوات المآذن في الصبح والظهيرة  
والمساء، فالحجل يرقب الإنسان ويجاوره ويحاوره ولكنه لا  
يستأنسه ولا يرضخ لتدجينه، ولكنني استطعت أن أجذن  
(مشمش): وهو الأسم الذي أطلقته على طير الحجل الصغير،  
الذي سلبه أو بالأحرى صادره مني أبو إسماعيل الشرطي  
الزائر غير المرغوب فيه، ورغم ذلك يستقبل بمهابة واحترام

---

١ - طائر من جنس الدجاج ذو لونبني (الدراج) يعيش في البراري، وهو  
كثير الشبه ماعدا الصوت بالـ(قبح) الذي يعيش في المناطق الجبلية.

وهذا بسبب خوف القرويين من السلطة ممثلة بشرطها، لقد لحظ الشرطي حركات (مشمش) الطريفة والظرفية وهو ينظر خلفي مزقرا فارشا جناحه كلما ناديته مقلدا صوت طيور الحجل مكونا لديه فعل انعكاسي لتناول الطعام من يدي وأنا لا أخيب ظنه فألقمه بما جمعت له من الديدان والجراد، طلبه الشرطي من والدي كي يأخذه لابنه (فرهود) ليتسلى به، فأذعنـت للطلب تحت ضغط وتهديد والدي فأبـو (إسماعيل) لا يرد له طلب في قريتنا (غالي وطلب رخيص) كما كان والـدي يقول للـشرطي وهو يسلـمه (مشمش) بعد أن أخذـه من يدي.

فما أن حلـ المساء أحـسست بفراغـ كبيرـ حالـيـ كحالـ من اـ فقدـ صـديـقـ أوـ أـخـ عـزيـزاـ عـلـىـ قـلـبـهـ،ـ مماـ جـعـلـنـيـ اـعـرـضـ عـنـ تـناـولـ طـعـامـ العـشـاءـ معـ الأـهـلـ وـعدـمـ الـاستـمـاعـ لـحكـاـيـاتـ خـالـيـ عنـ بـنـتـ السـلـطـانـ وـحـكـاـيـاـ الإـنـسـ وـالـجـانـ فـيـ (ـكـانـ يـاـ ماـ كـانـ فـيـ سـالـفـ الـعـصـرـ وـالـزـمانـ)ـ هـذـهـ هـيـ الـحـكـاـيـاتـ التـيـ كـنـتـ أـلـحـ علىـ خـالـيـ كـلـمـاـ زـارـنـاـ لـيـحـكـيـهـاـ لـنـاـ فـنـجـلـسـ أـنـاـ وـإـخـوـتـيـ وـأـمـيـ وـأـبـيـ لـنـسـتـمـعـ إـلـيـهـاـ بـشـغـفـ وـانـهـارـ وـتـأـثـرـ بـالـغـ وـكـأنـهـ قـصـصـ حـقـيقـيـةـ نـظـلـ نـحـلـمـ بـهـاـ طـوـالـ اللـيـلـ وـأـثـنـاءـ النـهـارـ،ـ فـغالـبـاـ مـاـ تـسـأـلـنـيـ أـخـتـيـ صـبـاحـاـ أـنـ أـتـلـمـسـ صـفـائـرـهـاـ وـهـلـ إـنـ إـحدـاـهـاـ ذـهـبـ وـالـأـخـرىـ فـضـهـ،ـ وـ،ـ وـ،ـ وـ،ـ إـمـاـ أـنـاـ فـكـمـ تـخـيلـتـ نـفـسـيـ أـمـيـرـاـ بـالـغـ الـحـسـنـ وـالـجـمـالـ وـخـارـقـ الـقـوـةـ وـالـسـطـوـةـ وـأـنـاـ اـمـتـطـيـ

(حمارنا) الأبيض ممسك بإحدى يدي لجام (الحصان الأبيض) ومحتضنا بيدي الأخرى الأميرة الحسناء ابنة سلطان الجان بعد أن قذتها من خاطفيها.

أثار وضعي هذا وإعراضي عن تناول الطعام وعن الاستماع للحكايات الأثيرة على قلبي استغراب الأهل جميرا وخصوصا والدتي حيث قالت: ولك يمه ما تگلي اشبيك ضيج خلگك، خاف مریض، مصخن، طوقت بكفها معصم يدي، ثم وضعته على جبهتي متحسسة درجة حرارة جسمي! الحمد لله مو مصخن، دخليلك ييو فاضل العباس، يمه بسلا صابتک عوينه يبعد أمك؟.

لم أستطع إجابتها وأنا أغص بعترتي، غطيت راسي باللحاف دون أن أرد على تساؤلاتهم، وأطلقت العنان لدموعي الحبيسة وأنا أتصور حال (مشمش) الصغير بيد ابن الشرطي وماذا عساه أن يفعل به!

(طططط، طط. ط أحسست أن شيئا ناعما يمسح الدمع عن عيوني ويداعب شفاهي بنقرات ناعمة متلاحقة ودوده، يا الله ها قد عاد إلي (مشمش) الوفي الجميل كدت إن أطير من الفرح، ففرشت له كفي كي يستقر فيه ويكون قبالة وجهي ليكلمني وأنا أسأله: ماذا حصل لك بين الأيدي الغريبة يا عزيزي وصديقي (مشمش)؟

- ماذا أقول لك وبأي شيء يمكن أن اصف لك حالتي بعد أن تخليت عنني، وأنا الذي خالفت عادات أهلي ورهطي وعشيرتي وأبناء جنبي من الحجل ورافتك وأخلصت لك ولم استجب لنداءات عشيرتي في الصباح والمساء وهم يدعوني للالتحاق بهم وان لا أأمن غدربني الإنسان. لم أكن أظن انك ستتخلى عنني مهما حصل وأنت تطعمني بيديك الحنوتين وتدبرني معك لحمياتي من البرد أو تطاول القطط والكلاب، فكيف تمنعني هدية مجانية لهذا الكف الغريب؟

ما أقسامكم بني الإنسان، إن هربنا منكم نصيبتم لنا الشباك والفحاخ والمصائد لاصطيادنا وقتلنا، وان ألفناكم وتقربنا منكم أسلتمونا لمن لا يستحقنا ولا يرعى لنا قيمة ولا حقوق، تضحون بنا في فرحكم وحزنكم وغضبكם ولهوكم.

- أتعلم إن فرهود ابن الشرطي وضعني في قفص ضيق نتن واحد يطعني بقطع من اللحم والسمك ظنا منه إني من أكلة اللحوم مثله وإنّي إن أكلتها سأكبر بسرعة لأصبح بحجم الخروف كما أخبره بذلك والده هازئا به لسذاجته.

- أتعلم إن فرهود كان يسكنني بـ(سيخ) من الحديد حينما تعاف نفسي ما يرميه علي من أكل، وحينما التف على نفسي غير قادر على حركة أجنبتي ولا مزاج لي للزقفرة، كما كنت افعل حينما أنط خلفك ونمراه في البستان والمرج الأخضر الجميل، ألا تذكر يا (مطشر).

أتعلم إن فرهود يخرجنـي من القفص ويرميـني إلى الأعلى  
عدة مرات طالبا مني الطيران!

- أتعلم إنَّ وحشـيـته وسادـيـته بلـغـتـ بهـ أنـ يـلـهـبـ ذـنـبـيـ وـظـهـرـيـ  
بعـودـ مشـتـعلـ كـيـ اـهـرـبـ أـمـامـهـ لـيفـتـحـ شـدـقـيـهـ معـ والـدـيـهـ وـهـمـ  
يـضـحـكـونـ منـ خـوـفـيـ وـرـعـبـيـ وـهـلـعـيـ؟

- أتعلم آنـهـ كـانـ يـمـسـكـنـيـ منـ (ـعـرـفـيـ)ـ ليـجـعـلـنـيـ آـتـدـلـىـ مـلـتـفـاـ  
حـوـلـ نـفـسـيـ يـمـيـنـاـ وـيـسـارـاـ منـ شـدـةـ الـأـلـمـ وـالـأـذـىـ منـ هـذـاـ الفـعـلـ  
فيـ الـوقـتـ الـذـيـ كـانـ يـرـدـ جـذـلاـ وـفـرـحاـ مـعـ والـدـيـهـ (ـشـلـوـنـ  
أـمـكـ تـرـكـصـ بـالـعـيـدـ،ـ شـلـوـنـ أـمـكـ تـرـكـصـ بـالـعـيـدـ)ـ مـتـصـورـيـنـ  
دـوـرـانـيـ رـقـصـاـ!

- أتعلم إن راسي بين فكي كلـبـ (ـفـرـهـودـ)ـ وـجـسـدـيـ يـشـوـيـ  
فـوـقـ نـارـ تـنـورـ أـمـ فـرـهـودـ،ـ لأنـهاـ توـحـمـتـ بـلـحـمـ (ـحـجـلـ)ـ مشـوـيـ.  
مشـمـشـ،ـ دـمـوـعـيـ تـنـزـلـ مـدـرـارـاـ وـأـنـاـ أـتـأـسـىـ لـحـالـهـ وـسـوـءـ مـآلـهـ  
وـمـاـ جـرـىـ لـهـ ضـيـمـمـتـهـ لـصـدـرـيـ وـقـدـ بـلـلتـ دـمـوـعـيـ رـيشـهـ النـاعـمـ  
الـجـمـيلـ،ـ وـاعـدـاـ إـيـاهـ آـنـ لـاـ اـفـعـلـ مـثـلـ هـذـاـ ثـانـيـةـ أـبـداـ وـسـأـعـوـضـهـ  
عـنـ كـلـ مـاـ فـاتـهـ،ـ وـضـعـ مـنـقارـهـ عـلـىـ صـدـرـيـ وـاسـلـمـ نـفـسـهـ لـنـومـ  
عـمـيقـ).

مشـمـشـ،ـ مشـمـشـ أـيـنـ أـنـتـ مشـمـشـ لـمـ لـاـ تـصـدـقـنـيـ مشـمـشـ؟ـ  
أـيـنـ هـرـبـتـ أـيـنـ ذـهـبـتـ مشـمـشـشـشـشـشـشـشـشـشـ،ـ غـيـرـ  
مـوـجـوـدـ.

كشفت الغطاء عن وجهي تأكيدت أن مشمش غير موجود  
بجانبي، قفزت من فراشي، متوجهلا صوت أمي بعد ان  
جلست من نومها فزعة وهي تحاول أن تمسكني وتهديء من  
روعي: اصمليه اسم الله يمه هاي شبيك؟

وينه مشمش وينه من باگه مني وين راح بالليل جان وياري  
بسلا باگه مني الشرطي أبو فرهود مره ثانية، بسلا أخذه  
لفرهود، مشمممش، ولك حبيب مشمومو وووش.  
أفلت من يد أمي وخرجت مهرولا خارج البيت وأمي  
تلحقني.

- اسم الله، اسم الله يمه القرعان عله گلبك، يا مشمش يا شرطى يا فرهود. يا تنور.

يا ربى سترك، يا أبو فاضل دخيلك، أ揖صير هذا الطوير چنى  
وطب براس الولد، اصمله يمه صورة ياسين عله گلبك،  
كانت تحاول الإمساك بي وهي تردد دعواتها للأئمة والأولياء

<sup>١</sup> - الحولي: هو الثور الذي زاد عمره على عام واحد.

وَتَرَجَّاهُمْ لِيَمْنُوا عَلَى الْشَّفَاءِ، ثُمَّ تَوَجَّهُتْ صَوْبَ كَربَلَاءَ  
مُخَاطِبَةً الْإِمَامَ الْعَبَّاسَ (ع):

يا بو فاضل، يا بو مرازينب الذهب<sup>١</sup>، يا كفيل زينب، يا عزيز  
الحسين، إلك علىّ نذر اذبحلك أربع (مخاصي)<sup>٢</sup> بس تشافي  
بني وتر دله عَگله!

نهضت راكضاً أحسست وكأني أسبح في نهر من دم هذه  
الديكة النذور وهي ترفس وتزرع تحت أرجل ذباجيها  
 تستنجد، تترجي، تذكر بالألفة والعشرة دون جدوى فقد  
 قطعت السكين رقابها وهي تنظر إلى بنظرة لم استطع فهمها  
 هل هي نظرة عتاب أم وعيد وانتقام لأنى سبب ذبحها  
 وفناءها، وعندما غبت عن الوعي ولم أستطع الكلام ولم  
 أفتح عيني إلا في مساء اليوم الثاني وأنا في حضن أمي في  
 مستشفى المدينة؟

نهضت راكضاً كالملدوغ تاركاً حضن أمي وكأني أطير وأنا  
أصيح: إليكم إليكم خذوني إليكم أنا (مشموش) أنا  
(مشموشك) فما عدت استطيع العيش في مكان يضم شرطي  
وسكين، خذوني معكم يا طيور (الحجل) ط ط ط  
ططططططططططط.

<sup>١</sup>- من كنفي الإمام العباس بن الإمام علي (ع).

٢- المُخْصي هو الديك الذي يتعرض لعملية إخصاء ليكون سمياناً معداً للذبحة.

نعم حبيبتي هذه قصة أخرى: "عندما أصطدمت سمكة جميلة صغيرة من أحد النهيرات الفرعية الصغيرة جنب دارنا، هرعت بها إلى والدتي وهي (تلبط) في يدي، استقبلتني والدتي بفرح غامر وأسرعت فأمسكت بالسمكة صبغت فمها الصغير بأحمر الشفافيف وكحلت عينيها بـكحلها ثم أمرتني أن أعيدها بسرعة للنهر، أنها حوريتك يا ولدي فستكون صديق كائنات الماء وسيكون رزقك وفيراً، وهكذا فعلت وكأني أمارس طقسا سحريا لا أفقه معناه، غاصت السمكة في النهر ضربت الماء بـزعنقتها الصغيرة وكأنها تشكرني وتودعني.

كانت والدتي تتعامل ضمن طقوس خاصة مع الحيوانات، فحين تدخل دارنا سلحفاة خارجة من النهر، تجلب حفنة من الطحين تضعها على ظهرها قبل أن تنزلها للماء قائلة أنها أتت تطلب الطعام لصغارها وسيبارك الله لنا في رزقنا أن نحن أطعمناها.

كانت تعمل عصيدة خاصة تطعمها للكلبة النساء في يومها الأول قائلة أنها كالمرأة بـحاجة للرعاية عند الوضع، تطلب من يذبح الدجاج أن يقطع أرجلها وإلا فإنها ستطارده يوم الحساب جراء فعلته بـنحرها!

تشيح عني بوجهها حين اسألها:- أمي لماذا لا تقومي أنت أو أي واحدة من شقيقاتي بـذبح الدجاج؟

فحين لم يكن أحد من الرجال في دارنا تأخذ الدجاجة للعم علوان أو رجل من رجال القرية لذبحها، كانت تشيح بوجهها عني وتوئنني على كثرة أسئلتي واستفساراتي التي لا تنتهي، أذهب الآن أذهب ستكبر وتعرف، وعندما سأتمكن من ذبح الدجاجة أليس كذلك؟

فقالت أمي نعم هو كذلك، فكان يوم ذبحي للدجاجة علامة اكتمال رجولتي هههه وكان يوم زفافي ودخلتني اختباري الكبير، ضحكت أحلام قد أحمرت وجنتها وهي تستذكر تلك الليلة التي لا تنسى، وبعد حبيبي؟ وهناك الكثير الكثير حبيبي.

لأبقارنا ولكلابنا أسماءها وكانتها من أفراد العائلة هكذا كنا نتعامل مع الحيوانات، لا أدرى كيف يجرؤه سكان المدينة على بيع حيواناتهم دون أي شعور بألم فرافقها وتسليمها بأيدي غريبة؟

هكذا كانت تقول أمي عندما تضطر لبيع أحدى دجاجاتها في السوق.

لا لا سوف لن أقص عليك حكاية جدتي إلا إذا بللت ريقني برضاب شفتيك الشهد حبيبي، الله الله كانت قبل لا تنتهي أحس بحلواتها في كل حين "كانت جدتي أم أمي تعيش معنا مذ توفي جدي لأمي، كانت من نسل السادة، يعتقد أن لها كرامات، ولها طرائف عديدة، فقد كانت تضع دريهماتها في

كيس من قماش، تخفيه في أحد حاويات التمر (حلانه) مصنوعة من سعف النخيل (الخوص) باعت عدد من حاويات التمر حصتها من بستان زوجها، وبعد حين افتقدت الكيس، لاحقته لبائع التمر في المدينة، صادف أنه لازال يحتفظ بما اشتراه من حاويات التمر، فتشها وقد عثر على الكيس فعلاً في أحدها، معيداً لها الكيس، وضعته في رقبتها كعادتها، عند عودتها كانت تساقط أمامها قطع من النقود، تنحني لأنلاقطها فرحة بمطر السماء نقوداً أمامها - تضع القطع النقدية في كيسها وهكذا، حتى أحسست بالتعب فزهدت بما يسقط من الكيس ليكون من حصة الآخرين، ما التققطة يكفي ليكن الباقي من حصة ناس آخرين (الطمع موزين علويه) كلمت نفسها وكفت عن التقاط القطع النقدية المتتساقطة على قدميها وحولها.

وصلت الدار متعبة نزعت الكيس من رقبتها فوجدته فارغاً خاويًا قلبته وجهها على قفا فلم تعثر إلا على وصيتها لما بعد الموت، كان الكيس مثقوباً من أسفله، والنقود تتسرّب وتتساقط أمام (العلوية) تلتقطها تعيدها فتسقط ثانية، حين زهدت بها ففرغ الكيس تماماً.

"ظن الناس أنَّ كونها يضيء ليلاً وهي غائبة عنه فهم يرون ضوءاً مشعاً والعلوية غائبة، حيث كانت للعلوية مسبحة

فسفورية من الخرز المشع في الظلام موضوعة على ظهر  
صندوقيها الخشبي وسط الكوخ المظلم"

كانت جدتي كثيرة النسيان، تنسى ما تتسوقه من المدينة في أماكن متفرقة، قد تعثر على بعضها أو تعود للدار خالية الوفاض، يقال أنها حددت يوم موتها قبل ان توافيها المنية بعدة أيام، فأصبحت مضربيا للأمثال، تترجى منها الكرامات وتندر لها النذور.

لala حبيتي (حكاية الحذاء الأول) هذه جوهرة ثمينة لا أحكيها لك إلا بقبلتين.

آخر منك (كفوحي) انته شگد طماع، تستغل حبي للحكاية فتطالب بالمزيد، أشاح بوجهه عنها دلالا قائلا: لك الخيار بين قبلتين وبين الحكاية، وإن لم تستجيبي فورا فسأزيد عدد القبلات لتكون أربعة ثم اثنى عشر ثم أربع وعشرين وهكذا. وقد تحتاجين لحساب مربع عدد القبلات هههههههه، لشها بقبلتين ساختين وواحدة أخرى وببدأ يحكي: "في طفولتي كما هو حال بقية أقراني من الأطفال لم تكن أقدامنا تعرف (الحذاء) تقرن الجلد فاصبح كالدرع الواقي لأقدامنا، كنا نذهب للمدرسة حفاة نحتدي الطين، ننظر بانبهار كبير لأبناء وبنات الأثرياء وهم وهن يلبسن الأحذية اللامعة، التنورات والبناطيل القصيرة النظيفة"

أما (حاتم) فكان شغوفاً بتعلم الكتابة يكتب يرسم الحرف على لوح معدني صديء بواسطة قطعة من الفحم ثم يقوم بلحسه بلسانه كي يتم طباعته على قلبه ولا ينساه كما يقول! بانبهار راقت العريف نسيب (جون) وهو يمسك الفرشة ومعجون الأسنان لينظف أسنانه الفعل الذي لم أتعرف عليه إلا بعد سنوات العيش في المدينة، لذلك كانوا يقولون (الجيش مدرسة الشعب) نعم كانت المدرسة الوحيدة المتاحة أمام فقراء المدينة والريف لأداء خدمة العلم الذي يستظل في ظله أصحاب السطوة والمال والوجاهة وتحترق سنوات شباب المعدمين من أبناء العمال والفلاحين والكسبة هؤلاء صناع الحياة والبناء والحضارة، وقد استغل نظام صدام شحة مياه الفرات فاضطر الفلاحون إلى التطوع افواجاً في سلك الشرطة، الذين تم تحويلهم إلى جيش في حرب القادسية ليلقى أغلبهم حتفه في تلك الحرب القدرة، منهم من يقبل العبودية والذل والهوان ويعيش حياة الخنوع والمذلة واضعاً كل مهاراته الفكرية والجسدية في خدمة أسياده ومستعبديه ومنهم من تقدح في فكره شرارة الوعي فينخرط في طريق الكفاح من أجل الحرية والمساواة فيضرب أروع الأمثلة على قدرة هؤلاء الناس على التطور والتحضر والقيادة والعطاء والفداء حينما ترسخ في عقولهم فكرة الحرية وإمكانية تحقيق السعادة لبني البشر على الأرض، فتبرق في ذاكرته

صورة والده (مظلوم) الذي مات موت فجأة يوم إعلان الجبهة في ١٩٧٣، أبن الريف الأمي وتحولاته النوعية ليكون من اكثرا القادة قدرة على العطاء والفداء وكفاءة في القيادة والتنظيم والفطنة والتعليم. ويستذكر توقعات وتنبؤات أستاذ (فريد) العجيبة والتي أثبتت السنين صحتها، رغم أنه كان يهزاً بها (ماذا عساه ان يفعل (مظلوم) بعد ان سدت بوجهه كل أبواب العمل في دوائر الدولة وبكل العناوين الممكنة (حارس، فراش، شرطي، عامل بلديه).

بعد ان ترك القرية هربا من ظلم الإقطاع وسنوات عجاف عاشها مع عائلته، و، و... فبدأ كائبا حائرا وكان الظلم والقهر والحرمان والبطالة والشقاء أصبحت تلازمه كاسميه وأن لا فكاك له من الظلم.

- أمسك شباك ضريح الأمام علي (ع) باكيا متأواها وهو يقول: -

وينك يا بالحسن يا حامي الجار مو أحنه اجنيه بحماك،  
موراح يكتلنه الجوع، وأنت تدري احنه ما نحمل الذل  
ولانگدر نجدي لو نموت!، أشو كل بيان الحكومة انسدت  
بوجيبي.

- عمي ما تگلي شبيك ضايجه أللديه بعينك، هسا انته اله  
تشتغل عد الحكومة، ماتشو فلك شغله ثانية وتاكل من وراء  
خبزه انت وعيالك.

هذا ما قاله أحد الزوار كبار السن لـ(مظلوم) بعد أن سمع  
شكواه وألمه.

- ماتكلي حجي الشغله آني لاجيه أو داير وچهي عنه؟  
وروح أبوك يوميه أغبشن للمسطر وأظل اتمصلگ للظهر  
محمد يجلب سلعتي ويگلي امش ويایي للشغل كلمن يأخذ  
ربعه.

زين عمی شنهو رايک إذا أطيک عربانه تفتر تبيع بيه (لبلبي،  
باگله) لأن آني بعد مااگدر افتر بيه بالشوارع، والمحمصون آنه  
وياك بالنصن..؟

حجي أولهيله آني ما عندي ولا فلس أشتري بيه (لامحص  
ولا باجله) والثانية، ما عرف اشلون أو وين ييعون ومنهو  
يشتري اللبلبي والباجله..؟

- سأله الحاج عن اسمه، فأجاب: عمی آني اسمي (مظلوم).  
أبني (مظلوم) العربانه وفلوس (المحص والباجله) عليه  
و(البريمز) و(الگدر) والمواعين والخل و"البطنج كله مني،  
بعد شترید؟

عمی رحمه الله والديك وأظن انته هتفك أبو الحسينين ألي،  
يا الله عمی نتوكل على الله.

- زين مظلوم يا الله توكل امش ويایي للبيت اتغده ويایي وحتى  
أسلمك العربانه والأغراض وأعلمك شلون تطبخ وشلون  
تبيع وين تبيع.

وهكذا حصل أستلم العربية وأدوات ومستلزمات بيع الباقلاء والحمص ومقدار (٢ كيلو باقلاء) وذهب لأهله دافعاً العربيه أمامه، وهو يتلفت يميناً ويساراً محاذراً أن يسقط (عَگَالَه) من رأسه وهو ينحني لدفع العربية وكما أنه اخذ يتعثر بأذيال بشته) وقد غرق في تفكير وحيره كيف سيخرج صباح غد لبيع الباقلاء.

استقبلته عائلته باستغراب وتساؤل عن ألمعبه، من أين أتى بها وماذا سيعمل بها؟.

أجاب باقتضاب عن كل الأسئلة والاستفسارات وأبعد الأطفال وحذرهم من صعود العربية، ثم أودعها الباب وسلم (الباقلاء) والبريمز والقدر والمواعين لزوجته وفهمها ماذا تفعل.

خرج فجر صباح اليوم التالي دافعاً العربية للعمل، وهو محترف يمكّنه أنْ ينادي (باجله باجله لوز) يبلغ الناس وخصوصاً الأطفال في الشارع لشراء الباقلاء، وما هي الكمية التي سيضعها بواسطة (الچمچه) في الماعون، وكيف لا يلبي للأطفال طلباتهم إلا بعد دفع (٤) فلوس أو فلسين وهو الذي كان يستنكمف من بيع السمك أو الطيور أو التمور أو الخضرة في السوق.

إيه والله زمان يـ(مظلوم) وين صار مضيف اهلك المفتوح  
للخطار الغريب والجريب، هساه أتبיע باجله عله الزعاطيط!

أو غمك من وقت.

- الله يساعدك خويه ابو الباگله، ما تگلي انته وين رايح، وانته من يا عمام؟.

هذه أسئلة طرحتها عليه أحد العمال الخارجين للعمل عند الصباح.

- خويه ما تشواني طالع عليه باب الله أبيع باجله، ظل ما  
تگلي شلك شغل بعمامي، شنهي أنته تطلبك أحد بثار وتدور  
عليه، يصير مشتهي به؟

- ضحك العاما، يوجّهه ورد عليه، أسئلته:-

- لا خويه آني أشوف كلش زين، ولا عندي ثار ويه أحد  
وآني مثلك هم طالع للشغل على باب الله. لا كن شوف  
أحزامي وشوف أحزامك!

أسئلك أبروح جدك أكواحد طالع أيبيع (باجله) وهو متحزم  
بخنجر (عفچاوي) خويه انته بولايه خاف أيشوفك شرطي  
ويأخذك للجسر؟

رد عليه مستغرباً: - خويه چاليطمع للشغل غير يتحزم، وهذا  
آني حزامي من أطلع للشغل بالگاع بسلفنه، جاماتگلي بيش  
احتزم، هسا (الحدره) وعگالي ذبيتهن بطن العربانه، شلون  
أظل بغیر حزام، ولکم والله هاي محنه، شلون بيي وشلون راح  
أدبره وييه أهل الولايه؟.

- خويه (مظلوم) الولايه غير السلف هنا ممنوع تشيل وياك سلاح.

تفك (الخنجر) وذبه بطن العربانه وظل متحزم بس (بالسفيفه).

يا الله أمودع بالله الله يرزقك، وألف نعله عله أبو الوكت وعله ابو الگطاع الوصلنه الهلحال.

عمل (مظلوم) بتعليمات أخيه العامل الذي بدا متكيفاً مع وضع المدنية وعاداتها، حتى أنه ألقى بالعصا التي كان يحملها على ظهر العربية ليهش بها الكلاب الذي كان يظن إنّها قد تهاجمه في الطرقات بعد ان اخبره العامل حينما سأله عنها: خويه چلاب الولايه ماتعرض مثل چلاب الريف، لاجن دير بالك يعضك بعض الناس الصاروا أچلاب يحرسون أهل الغلوس مثل اچلاب الكصاصيب ما تعرف تتعارك إلا مابيناته على عظام الگصابه !!

وهكذا وجد نفسه في عالم آخر لم يألفه ولم يعتد عليه وغالباً ما كان يقف محترأ لا يعرف ماذا يفعل للرد على الكثير من مشاكسات وشيطنة (فروخ) الولايه، وضحكاتهم هم وآبائهم وأمهاتهم وهم ينادونه

- ها أبو المعيد اشجابك للولايه، (باجله لوز، باجله لوز) طيط، طيط.

وقد كان بعض الأطفال يخطفون ماعون الباقلاء في غفلة منه ويفرون هاربين مستفزينه ليلحق بهم لإعادة الماعون، وعندها تهجم زمرة أخرى متربصة على العربية للاستحواذ على بعض مواضع الباقلاء من على العربية. مما يضطره لترك العربية وملحقة الطفل الهارب ليعود إلى عربته كي يهش عنها الأطفال ويحميها من الفرهود وسط ضحك وعيثية (الشياطين) الصغار، وأحياناً يتعاطف معه بعض الناس طاردين هؤلاء الأطفال.

ولكم (نغوله) شلکم عله هل المسکین الكاسب الشارد من الضيم.

فيردون له بعض مواضعه، وقد يضع البعض منهم خمسون فلساً أو مئة فلس لتعويضه عن خسارته عطفاً على حاله.

- ولک (مظلوم) هاي وين چانتلك المذله وعيشه الگشـه، صارت الزعـاطـيط تلعب عليك والوادم تترـحـم عـلـهـ حـالـكـ، ربـيـ شـنهـيـ ماـ تـشوـفيـ بـعـينـكـ التـشـوفـ بـيـهـ الزـنـاـگـيـنـ، شـنهـيـ سـاـيـجـ باـيـجـ وـتـعـذـبـنيـ بـنـارـكـ بـالـدـنـيـهـ گـبـلـ الـآـخـرـةـ، ماـ تـشـوفـ هـلـ الـظـلـامـ تـطـشـرـ بـالـفـلوـسـ تـطـشـرـ أـهـلـ الـرـبـاـ وـ(ـالـخـضـرـ) وـ(ـالـعـشـرـ) اـرـبـعـطـشـ) وـ(ـالـمـلـالـيـچـ)، ماـ تـگـلـيـ وـيـاـمـنـ اـنـتـهـ، موـشـ كـلـكـهـ خـلـگـهـ وـحدـهـ يـوـ هـذـولـهـ رـبـهـ وـحدـ وـحـنـهـ أـللـهـ غـيرـ رـبـ؟ـ!

- أـسـتـغـفـرـ اللهـ رـبـيـ، أـسـتـغـفـرـ اللهـ، ولـكـمـ عـمـيـ وـالـلـهـ الفـگـرـ يـكـفـرـ بنـادـمـ.

أستمر على هذا الحال وقد كان يعاني، بمراره عندما يعود عند المساء ليضع ممحصوله أمام الحاج صاحب العربة، ففي غالب الأيام يظهر خاسراً جزءاً من (الصرمایه) ناهيك عن الريح، إما لعدم دقة قياسه لكمية الباقياء فينزل العطاء دون حساب للكلفة أو نتيجة ما يسرقه الأطفال، أو رفضه أن يأخذ مقابل ما يقدمه للعمام والجيران والمعارف من باقلاء، فليس من المعقول أن يأخذ منهم (فلوس) مقابل استضافتهم، وأحياناً تتعرض الباقياء للتلف (تنمرد) وتنهش بسبب استمرار نار (البريمز) تحت القدر طوال الوقت؟

يعود عند المساء إلى داره متعباً مرهقاً مازوماً مفلساً لا يملك حتى كلفة أفراد خبز (البرين) وكثيراً ما يتفجر هذا الإحباط غضباً وعراكاً مع زوجته وأطفاله، وأحياناً ينفرد بنفسه في أحد زوايا الدار بعيداً عن عيون أطفاله لتنهمر دموعه وآهاته على ما وصل إليه من حال، كان يجد متنفساً لتغريغ همومه نحرياً مسماوعاً تحت منبر قاريء الحسين المقامة في المدينة أو عند أحد الجيران فيشعر بعدها بالراحة، ويردد بحماس مع القاريء دعاء (اللهم أكشف هذه الغمة عن (مظلوم) بدل أن يقول اللهم أكشف هذه الغمة عن هذه الأمة وينسى نفسه وهو يردد (أمن يجيب المضطر إذا دعا ويكشف السوء) فينبهه الحاضرون أنَّ مجلس العزاء قد انتهى فما باله وكأنه في عالم آخر، فيوضع في فمه سيكاراً (مزبن) ليشعلاها ويأخذ

منها نفساً عميقاً ويقول: ولكم عمي وعيت عليه جدي  
(هلكان) وأبوي (عذاب) وهم يدعون هذا الدعه بلاكت رب  
العالمين لا يستجاب اشو واحد يسلم الفگر للشانى وفوكه  
چماله.

- بويه هاي شمالك رحمة ربک أکرب من حبل الوريد، عمي  
تعوذ الشيطان واصبر والله ويه الصابرين؟  
يختنق (مظلوم) بحنقه وغضبه ويكتم غضبه، ويستغفر الله ثانية  
وثالثة.

وفي ظهيرة أحد الأيام التموزية حينما كان واقفاً خلف عربته  
مستظلاً بظلال جدران أحد البيوت، أوّمأت له امرأة بعد أنْ  
فتحت الباب الذي قبالته ونادته: داده أبو البيگله فدوه جييلي  
گد ربع دينار بيگله.

فطار من الفرح حيث انَّ كل ما تبقى لديه من باقلاء قد لا  
يعادل الربع دينار، جمع كل ما في القدر ووضعه في ماعون  
كبير مع البطنج والخل ثم أطفأ (البريمز) وذهب صوب الباب  
وهو مذهولاً من مقدار الطلب ومن الصوت الملائكي  
النسائي الغنج الآسر، طرق الباب فأتاه الجواب من الداخل:  
- أتفضل عيني أتفضل، انه بالطبع ما أكدر اطلعك داده.  
- وبعد تردد وخجل من دخول دار ناس غرباء ردا على طلب  
امرأة.

- هاي وين صرت خش داده خش البيت بيتك، قالت ذلك  
وهي تكاد تلتهمه بعينيها الكحيلتين الواسعتين، قوامه  
الممشوق (مرصوص رص) وهو يفيض فحولة وحيوية وقوه  
وسامته الباهرة وهي تقول: مثل هذا يدوجن بالشموس  
وكاتله الفگر ومثل (معيوف) أبو كرش أبو (الضراط) يلعب  
بالفلوس لعب والله الله ما يقبل!

- دخل الدار محرجاً وبيده يحمل ماعون الباقلاء وبحزامه  
معلق كيس نقوده أملأا ان يضيف إليه ربع الدينار؟!

- طاطاً رأسه غاضباً بصره وهو يرى فتاة كحور العين، شبه  
عارية لا يلف جسمها سوى رداء خفيف (اتك) من البرلون  
الأحمر قصيراً كاشفاً عن ساقيها البضان البيضاوان كبياض  
حليب النوق ومبرزاً مكوراتها الأمامية والخلفية الرجراحة بما  
لا يحلم بمثله (مظلوم) طوال حياته.

- هاي شبيك داده، أوبي انته شگد خوش ولد متگلي شسمك  
فدوه لهل الطول؟

- خويه آني اسمي (مظلوم).

- سوده عليه داده، أسم علىه مسمى وأني أسمى (غنوه)  
الاسم (قند) والروح (حنظل)، دهاك هاك برد گلبك بهذا  
(گلاص) شربت الزبيب، فدوه لهل الجهامه وهل الشوارب  
ولهليعون الحلوه والخدود (المکشمشه)؟!

- أفرغ كأس الشربت البارد في جوفه وأرده بالثاني من يد هذه الحورية، غير مصدق هل هو في حلم أو يقظه مرددا مع نفسه يا قند يا عسل ولح أنتي حوريه لا والله حورية الحوريات؟!

داده شدسو لف ویه روحک؟

تعال أكعد يمي وساعدني بتفليس الباكله مو دا أريد أسوبي  
زقنبوت لمعيوف أبو كرش اليوم مشتهي عشه مطبگ بيگله.  
جلس بجانبها وقد سرت في كل جسمه قشعريرة وفي رأسه  
حدر عجيب عندما لامس جسده جسدها واشتم عبير شعرها  
وعطرها الفواح فاغراً فمه غارساً نظراته في حمرة شفتتها  
الممتهنتين ونهديها النافرين شبه المكسوفين وهما ينطان من  
تحت (الأتك).

- ولک های شنهو ی(مظلوم) أشو راسك ٹگل ولک انتعلوا  
اھلک شنهو های الحوریة الحاطه راسه بحضورک ولک شنهو  
های النہود وہای الشفا یف وہای الخدود چنہ فرط الرمان؟  
والله لأنعل أبو الباجلہ لأبو الیاع الباجلہ، وقد بهرہ بیاض  
ساقیها وہی تحاول عامدة رفع الأتك عنهمما مره تلو أخرى  
- های شنو شبیک عینی أشوفک دایخ؟ شو خل اغسل  
و جھک.

نهضت ورشت الماء لبارد على وجهه، قادته إلى غرفة نومها،  
ممسكة برأسه بين كفيها ثم طرحته وألصقت شفتيها بشفتيه

الظامئة في قبلة أذهبت له رشده، صار يدور معها حيث تدور  
ملتهماً جسدها بكل حواسه حتى غاب عن الوعي ولم يصحو  
إلا وهو مضطجعاً على سرير نومها شبه عاري وقد قارب  
الوقت المغرب.

قفز مذعوراً وكأنه أنتزع من أحضان حواري الجنان بعد أن  
رشت وجهه بقليل من الماء البارد.

أكعد عيني أكعد بلله بعمرك هم مفلس هيج باكله، ههه؟؟  
ثم رمت عليه دشداشته وهي تضحك غنجه بصوت عالي  
وتقول (باكله لوز) بعد أن أرتوت تماماً من فتوته وفحولته  
التي لم تعهد بمثلها من معیوف أبو كرش ومن يتردد عليها  
معه من تجار المدينة.

أرتدى دشداشته وانسل شبه هارباً كاللص من باب الدار  
الذي فتحته له غنوده بعد أن تأكدت من خلو الشارع من  
المارة.

الحمد لله العربانه بعده مچانه، ولكن، صخام وچهك (مظلوم)  
وین چیس الفلوس، عاد مسرعاً طرق الباب: أجباته غنوده من  
خلف الباب: هذا منو بالباب؟

عيني أني (مظلوم) نسيت يمکم الماعون والدخل بلچي  
اتناویشنیاه بروح أبوچ.

های شنو ولک أبو المعید يا ماعون يادخل شنهی انته  
سکران؟

أمشي سربوت لا أطلعلك واكسر راسك بالقبقاب ولك آني  
وين شفتوك وين شفت چيسك وين شفت باگلتك أم الذبان؟!  
عيني غنيده خلي الربع يولى فدوه الچ بس أطيني الچيس بيه  
كل الدخل الصايه والصرمايه وهاي فلوس الوادم موفلوسي.  
ولك كتلك امشي (زفر) لا يجييك حجي معيوف وي Shawfak  
بالباب ويگص لوزتك.

عاد أدراجه خائباً، ولك هاي شلون مصيبة، هسا شگل لهلي  
شگل للحي وين الدخل وين الفلوس، منين اشتري خبز  
للفروخ وأمهم؟

- حچي مصيبة شگلک، بطني كتلتنی اليوم، خلفله على بت  
الحال فكتلي بابهم وطيبت (لتواتي لهم)، ومن كثر ما متوازي  
حليت حزامي وگع چيس الفلوس أبلوعة المرافق، وراح كل  
الدخل وحتى الباقي البلعبانه فرهدته الزعاطيط وانه  
باتتواليت أدور عله الچيس !

- حچي يشهد الله آني كلش مستحي منك والتفصله عليه آني  
البسه حتى مناوهه يچ أطيك الدخل كله لمن أوفي البرگتي.  
بس هل المره حچي خل أبيع لبلي من حيث اللبلبي ما ينرادله  
تفليس مثل الباجله.

عند الفجر أمتزجت أبخرة ورائحة (اللبلبي) المنبعثة من القدر  
المثبت في بطن العربانه مع عطر وشذى (غنوده)

في يومه المشهود وقد ازدحمت المشاهد والصور في خياله  
المحموم بين عذوبة لا تنسى ومرارة لا تطاق.

دفع (عرباته) أمامه لترتقي بصعوبة مرتفعاً يتوسط الشارع  
المتموج الذي يقوده صوب مستقره قرب أحد مدارس  
الأطفال في المدينة كمن يدفع خيالاته ليجلوها عن صدره  
المهموم متحملاً هذا العناء في دفع (العربانه) ليتجنب المرور  
في شارع (غندوه) شارع المتعة والألم شارع الشهد  
والحنظل، وما ان تعتلي العربية قمة المرتفع حتى تأخذ  
بالانزلاق مما يتطلب منه جهداً غير قليل ليشدتها إليه خشية  
ان تتدحرج سارحة في منحدر الشارع المتعرج والمليوي،  
يعيش (مظلوم) حالة الدفع والجذب بشكل متوالي طيلة  
الشارع حتى وصوله المدرسة.

كعادته أشتري رغيفين خبز (بربر) حار من الخباز (هاشمي)،  
يجلس في مقهى (شدهان) وهو من أخوالي والدته، يزدرد  
الرغيفين الخشين بدفعات من الشاي الحار كوجبة إفطار  
مقابل كاسة من (اللبلبي) يتناولها للحال شدهان، ثم يقف  
خلف العربانه لتمشية طلبات العمال المبكرين للعمل بعد  
تناولهم كاسات من اللبلبي الحار مصطحبين بوجه (مظلوم)  
قبل طلوع الشمس كعادتهم يومياً في مثل هذا الوقت وبعد ان  
ينصرف العمال والكسبة إلى أعمالهم يتوجه بعربته لتلبية  
طلبات الأطفال وباعة الخضروات والمتسوقين من (اللبلبي)

الحار منجذبين لصوت (مظلوم) الشجي وهو ينادي (البلبي  
يلبلوب لبلبينه يداوي الگلوب).

- السلام عليكم، الله يساعدك (مظلوم).

صباح الخير، هاي شنو انته هنا تبيع لبلبي؟

تفاجأ برؤيته أستاذ (منير) الأفندى الذى يمر به يومياً راكباً  
درجاته الهوائية يشتري منه (كيسا من اللبلبي) ويعامله بمحبة  
وعطف مميز.

صباح الخير والصحة والسلامة إستاد (منير)، ويأهله بهل  
الصباح هذا مارد به (مظلوم) على تحية (معميله) وصديقه  
الأفندى منير سائلا إيه: ها إستاد شنهو انته جاي إلهاي  
المدرسة؟

- نعم آنه جاي نقل جديد للمدرسة ومنا وهيچي أشوفك  
الصبح والعصر وأستمتع بأكل اللبلبي الطيب من أيدك  
الحلوه.

- الله يطيب خاطرك إستاد والله انته طيب خاطري الله يطول  
عمرك ويسعدك بالدنيه ولاخره.

- تشكر منه أستاذ (منير) بعد ان أعطاه ثمن كاسة (البلبي)  
واستمع منه إلى بيت من الأبوذية والدارمي العراقي، الأبوذية  
التي كان أستاذ منير يحبها كثيراً (مظلوم) يحفظ ويؤلف منها  
الكثير، ثم دخل المدرسة عند سماعه رنين الجرس.

لا يعود (مظلوم) إلى داره إلا عند الغروب وبعد ان يسلم  
أستاذ منير وجنته المسائية من اللبلي ثم يذهب لتسليم ما  
حصل عليه خلال اليوم من النقود إلى مالك العربانه  
الذى يسلمه فلسان لا تقاد تسد رمقه وأطفاله من خبز  
البربر ومركة (جتال حاچم) الخالية من اللحم كالعادة  
وكما تندر زوجته لترد عنن يسألها عن اللحم، يمه  
اللحم (ماكله البزون) هذا (الجتال حاچم) الذى ترحم  
عليه (مظلوم) حاسدا إياه لتطليقه الحياة وتخلصه من  
المرگه اللعينه التي ابتلي بها (مظلوم) من بعد حاچم.  
هاولك شنهى المصيبة هاي الوادم عليمن فازعه عله هذا  
البيت، يا ساتر يارب (شنهو حريج غريج) اللهم سترك يا  
رب.

هذا ما قاله عند عودته مساء إلى داره مدحراجا (عرباته) أمامه  
ولمح جمع من الناس صغارا وكبارا شيوخا وشبابا وأطفالا  
وهم يحاولون اقتحام احد البيوت فاستل (حدرته) ييد  
و(سطل) الماء المخصص لغسل كاسات اللبلي الذي أنتزعه  
من يده العربانه وهو يصبح: حيهم، حيهم، أخوتي أولاد علي  
الحگولهم، الحگولهم أهل الغيره، قال له أحد المتدافعين  
عند باب الدار:

عمي شنهو انته مسودن اشبيك جاي هاد بحدرتك تريد تترس  
السطل (تمن وقيمته) والناس ماتعول اتحصلله ماعون تبرك  
بيه!

شلون، شلون، شنهي ولك تمن ومركة قيمه؟  
شنهو ماعون؟

- ماتنگلي انتم عليمن ملتمين وتدافعون وتريدون تكسرون  
الباب؟

هذوله الوادم مو محترجين وتريدون اتطفونهم، متعارجين  
وتريدون أتفكونهم؟، شو توخرروا عنى وخل أدفر الباب  
العاصيه عليكم وشوف شنهو القصه؟!

ولك عمي لا متعاركين ولا محتركين هذوله عدهم عزيمه  
(تمن ومركه قيمه) ثواب لباعبد الله الحسين (ع) وحنه جاين  
ناكل ونبرك. افتهمت لو أتظل معيدي گلبك ثخين؟  
فغر فمه وبحلق عينيه متعجبها وهازا يده مستغربا لا يكاد  
يصدق ما يسمع!

ولكم انتم واحد راچب عله الثاني ونعلكم امگطعه وباطكم  
امشلعيه وتريدون اتشلعون باب الوادم علمود لگمة تمن  
ومركه، من سود الله وجوهكم وطيع الحسين حظكم، لكم  
هذا ياثواب، ياحساب، لكم هاي هرفله وجلة حيه، الرجال  
الحترمكم وعزمكم هچي تسون بيه، لكم الحسين بعدعني  
ضحه بدمه بسبيل الناس وانتم واحد يسحگ بطن الثاني

ويروس بطن أخوه وأبوه حتى يأكله لگمة زقنبوت يلگفه من  
أيده حتى يحطه ابحلگه!  
كل هذا وتسمنه ثواب، والله يعمي هاي علامات طلوع  
(الصاحب)؟

قال هذا ثم قفل راجعا إلى عربته دون ان يسمع كلامه أو  
يهتم به أحد، أستمر على هذا الحال وهو يبيع (اللبلبي) وقد  
توثقت علاقته بمعلم المدرسة أستاذ (منير) كثيرا واخذ يسمع  
منه كلاما لم يسمع بمثله من قبل وكأنه وجد بين يديه وفي  
مضامين كلامه مفاتيح مغاليق كل اشكالياته ومشاكله وجوابا  
للعديد من أسئلة (دوخت راسه) عبر معاناته اليومية في  
الريف والمدينة قائلا مع نفسه (ولك هذا عبالك على آل  
صوبح).

تلقي منير حزمة من هذه الأسئلة وحل الغاز الصور  
والإشكاليات التي يتعرض لها، أستغرب ان تظهر أمامه  
صورة المرأة أم (البوشيه)

أحاه يل مهبول ولك هاي شلون ضاعت عليك وشلون ما  
عرفت هاي المره المبوشه التچي كليوم تشتري منك كدر  
(١٠٠ فلس) لبلبي وهي مبوشه، وكل يوم ذاتله حچايه عليك  
وتصچمك وچنه تعرفك وتعرف ماجره عليك، ولك شلون  
ما فهمته من گالتک ها ابو (المعيد) يظهر تفليس الباگله ما  
عجبك حولت علبلبي أو نزول حتى نزول.

(اليدري يدري والمайдري - لا هل مره حفنة لبلبي مو- كضبة عدس)

ولك هاي غندوه ألف نعله عله والديك لحگتك لهنا بعد شتريد منك؟.

في غروب أحد الأيام وقبل أن يأتي أستاذ منير لأخذ حصته من (اللبلبي) مثل كل يوم، قبل أن يذهب لتسليم الدخل للحجبي كالعادة كان مستغرقا في دوامة أفكار يحس خلالها بالظلم والغبن الكبير الذي يلحق به فهو الذي يدفع ويطبح ويبيع ويجول في الشوارع ويتحمل الأذى ولكنه لا يستسلم إلا فلسات لا تغنى ولا تشبع من جوع ولا تكسو من عري، ولكنه يكتم أستياءه وإحساسه بالظلم لأنه لا يجد بداً من هذا العمل ثم للحاج فضل عليه فهو صاحب (الصايه) والصرمائيه) مثل ما يگولون. وحيينما كان منهمكا ومستغرقا في هذا الهم لفت نظره عند زاوية الشارع قبالته مجموعة من الشباب يلعبون (اللگو) وقد شاهد أن بعضهم يحصل مالا كثيرا دون متاعب وعندما وقف يراقبهم دعوه للمشاركة فقد أغتنى الكثرين من هذه اللعبة مقابل مبالغ تافهة (من يركبه الحظ ويجي وياه اللنصل) وبعد تردد ونعله للشيطان قرر أن يشتراك على أن لا يعود للعب بعد أن يحصل على المال الكافي لشراء عربانه وكمية من اللبلبي والمواعين ليتخلص من استغلال (الحچي) أبو العربانه ويعمل لنفسه. باشر

باللعبة حيث تبرع أحدهم ليضع خبرته تحت تصرفه ويوجهه في اللعبة مدعياً أنه من أبناء قريته ومن أبناء عشيرته وأنه متأكد بأنه سيكسب لأنَّه إنسان بسيط وعلمه نياته وسيحالقه الحظ، فربح في المرة الأولى والثانية ثم تبعتها خسارة بسيطة ومن بعدها ربح ثم توالت الخسارة وهو يضع تشجيع من (ابن عمِّه) للأستمرار باللعبة، آملًا في الربح وتعويض خسارته مما أستنزف الدخل بكماله، فساوم على الموعدين ثم على القدر (البريمز) ثم على العربية بكمالها دون جدوٍ وأخذ يردد مع نفسه بألم مردداً المثل القائل (جزءه من العنب ونريد سلطنه) فقد خسر كل شيء.

لمس (مظلوم) غمز ولمز وعلامات نصب وتأمر عليه من قبل هؤلاء بمن فيهم نصيره (ابن عمِّه) المزعوم، وشاهدهم يقتسمون المال فيما بينهم وقد دحرج (ابن عمِّه) العربية أمامه فقد صارت من حصته، عندها فارت دمائه وبلغ به الحنق أشدِّه والغضب متلهاه لمدى وضاعة وقدنة وثعلبة (ابن عمِّه) وزمرته فاستل (حدرته) من حزامه التي لم يعد يمللك غيرها لأنَّه من المعيب أن يبيع أو يقامر المرء بعرضه وسلامه، فانقض عليهم وهو يقول:

أنَّه أبو مطشر ولكم مخانيث أهل الثريد (سياب) هجي تريدون تاخذون غلبي وتقرهدون يبهايلعبتكم تقشموون الوادم وتاخذون فلوسه.

أشهروا بوجهه سكاكيتهم وقاماتهم المخبئة تحت دشاديشهم،  
فاشتبك معهم في معركة غير متكافئة ورغم ذلك أثبتت بسالة  
وشجاعة فائقة وأنثخنهم ضرباً وسالت دماء بعضهم  
وخصوصاً (ابن عمه)، أصابوه بساعده ورأسه ثم هربوا بما  
غنموا من المال تاركين العربية تشتعل فيها النار فقد حطموها  
وأولعوا فيها النار بعد أن أفرغوا عليها نفط (البريمز) قبل أنْ  
يتمكن المارة من زجرهم وطردهم وحمايته من بطشهم فقد  
كان أغلبهم من مدمني الخمر والحسبيش.  
وكم كان أستاذ منير قلقاً عندما لم يجده في مكانه وشاهد  
بقايا العربانه المحترق !

فأسفسر ممن كان في موقع الحادث ومن أحد البقالين  
فأجابه: هاي وين انته إستاد صاحبك أتعارك ويه (القمريجيه)  
وضربوه سجين وحرّكوا عرباً نته وهل تشوّف رماده گدامك،  
وهو أخذوه أهل المنطقه للمستشفى !

تلقي منير الخبر بحيرة وألم وغضب شديد متأسفاً ومتأسياً  
على مثل هؤلاء الناس الذين يقتلون فيما بينهم ويتركون  
عدوهم الرئيس ومصدر تشردتهم وشقائهم يستنزف قواهم  
بهذه الطريقة ولكن؟

فما كان من أستاذ (منير) إلا أنْ أدار وجهة دراجته الهوائية  
صوب المستشفى في مركز المدينة وحينما وصل وجد  
(مظلوم) في شعبة الضماد وقد لف ساعده بالقطن واللفاف

و شاهد بعض الشدوخ في وجهه و رقبته و آثار دم متاخر في فروة رأسه.

الحمد لله على سلامتك ابو (مطشر) هاي شورطك ويه هل  
السفله وشجابك عليهم؟

- های هیه استاد صارت، ومثل ماگال ابو المثل: (رادله  
گرون گصوا اذانه)؟

ابو مطشر ما تعرف احد منهم؟

إِسْتَادْ شُرْفٌ مِنْهُمْ أَهْمٌ هُذُولَةُ الْهَمِّ أَصْلُ فَصْلٍ حَتَّى يَنْعَرِفُونَ  
اَشُو (خضير ابن معجونه، وفرهود ابن الدلاله)، وصبر ابو دكه  
وابو الرگم) ماتكلى اشيلزم الواحد منهم.

والله صدق يا أبو (مطشر) هذوله يطب واحدهم للسجن  
مظلوم يطلع ظالم، يطلع ضيمه وحيفه من اهله ويعوف من  
ظلمه، صدق من وصفهم بـ(حالة البرولتاريا)!

إِسْتَاد آنِي هُمْ مَا قَصْرَتْ وَيَا هِمْ وَنَعْلَتْكَ سَلْفَهِ سَلْفَاهِمْ بَسْ  
آنِي شَنْهُو مَا عَرَفَ هَذِي الْيِسْمُونَهْ (كَلَاتْ) مَثْلَ مَنَاطِحْ  
الصَّخْوَلْ آنِي أَعْرَفَ أَعْارِچَ بِالْخَنْجَرِ وَالْحَدْرَهِ وَ(الْمَگَوارِ)  
وَ(الْتَّوْيِيهِ)!

بس سيدنا آني ما سامع بهاي عشيرة التلاريا مدرى البترايا  
هذوله منين عراقيين أجانب، عجم، ترك، هنود؟  
يضمحلك منير، لالا أبو مطشر هذى العشيرة متعرفه انته،  
هذوله لملوم،

الله يسترنه سيدنه من اللملوم هذوله لا؟ أصل ولا فصل وما  
تركب عليهم سانيه .

المصيبة إستاد هسه شگل لبو العربانه، (مظلوم) ضيع الصايه  
والصرمايه بالقمار!

- شنهي هلحظ ياربي أطلع من مصيبة أطب بالثانية والوادم  
ابتلت بيه وهو يردد بيت الدرامي : (چبتيني للظيم اشماليج  
ييمه اشبيچ چبتيني للضيم شوبس علي دنياي تمطر بلاغيم)  
ثم تلا ذلك بحسرة قائلا: ولكم هاي ولاية بشر يو ولاية  
حيايه وعجارب ومخانيث، والله انعل ابو هيچ او لايه من  
خشى الامام والطيبين.

- أبو (مطشر) لا تظل أتلوم بنفسك الصار صار والولايه ييه  
الزين والشين وهاي تجارب يمر ييه الإنسان ويتعلم منها،  
هسه أهم شي صحنتك وسلامتك، ولعربانه و(الصرمايه)  
والمواعين خليه عليه .

أصطحبه إلى دار الحاج مالك العربانه ملخصا له ما جرى مع  
مظلوم واعدا إياه ان يسدد له ثمن العربانه والغراض والبلبي  
كاملة يوم غد.

فتالم الحاج لما حل به متأسياً له وشاكرها للأستاذ نخوته  
وجهوده ومناصرته لـ (مظلوم) وأمثاله مخاطبا إياه:-

أستاذ (منير) هاي ألغز عه والغيره على (مظلوم) وأمثاله مو  
جديده عليك وانته من أهل المعروف وآني من ناحيتي ذاب  
ربع الفلوس لخاطرك وخاطر (مظلوم) وجهاله.

تشكر الأستاذ للحاج تفهمه لوضع (مظلوم) وتنازله عن قسم  
من المبلغ، ثم اصطبجه أستاذ منير إلى داره واضعاً بيده شيئاً  
من المال وكيساً من الفواكه له ولأطفاله قبل توديعه.

- إستاد ما تگلي انته شمشكل نفسك ويایي، ومنين راح  
أجيب الفلوس للحجبي، والله ما ادري شلون راح اگدر  
أوافيك وبيمن أچازيك؟.

ابو مطشر لتشيل هم احنه عدنه جمعية وآني حاجيلهم عن  
وضعك او واعدوني يساعدونك، خله عليه وروح هسه ارتاح  
وريح اهلك وعمامك، وگللهlem خل يردون لهلهم والشغله ما  
تحتاج فرعة عشائر وبعد ما تصير زين آني أمر عليك بل肯  
نشوفلك غير شغله.

شكراً أستاذ منير مرداً كعادته بيتاً من الدار مي: (مايلحگ عله  
الطاح فزع الگرابه بعد الفزع شيفيد للمضه أصوابه)  
صدق أللنيه بعده بخير موعظ بلله إستاد.

هكذا ودع (مظلوم) أستاذ (منير) محضنا إيه ودموعه تترقرق  
في عينيه. وبعد إنْ مرت ثلاثة أيام طرق الباب أستاذ (منير)  
عليه، ومعه كيس من الفواكه والحلويات ولأطفاله مطشر

إخوانه، مطمئنا عليه ومطمئنا إياه بتسديد المبلغ لل الحاج مع  
تحيات أصدقائه في الجمعية وأمنياتهم له بالشفاء العاجل.  
واستدرك أستاذ منير قائلًا: بالمناسبة (ابومطشر) لغيتك  
شغله مريحة وما يبهي دوحة راس.

اي والله إستاد رحم الله والديك، بس شنهو هاي الشغله؟  
شوف أكو واحد طيب من ربعله (حايچ عبي) ييرidle واحد  
يساعده بالشغل، وآنی گلت هم تعيش وهم تتعلم منه تفیدك  
وييمكن تگدر تتعلم القراءة والكتابة عن طريق الأخ الحايچ  
لأنه عدو لدود للأمة.

فـ مـذـعـورـاً كـمـن لـدـغـه عـقـرـب قـائـلـاً: - لـلـأ إـسـتـاد كـلـشـي وـلـأ  
حـايـچـ، إـسـتـاد بـس يـسـمـعـون أـعـمـامـي يـطـلـجـون مـرـتـي وـيـفـصـلـوـنـي  
مـن العـشـيرـة يـا بـوـيـه أـدـورـ حـايـچـ، وـرـحـمـه مـن الله يـتـبـاهـونـ  
عـمـامـي (بـبـشـوتـهـمـ) حـيـاـچـةـ (أـبـوـمـطـشـ) وـالـلهـ نـعـمـهـ!

تبسم أستاذ (منير) وبذا كمن يراجع بعض الثوابت لديه متفهماً ردود فعل (مظلوم) على مقتراحه باعتبار مهنة الحياكة مهنة معيبة وفق الثقافة الإقطاعية السائدة وخصوصاً في الريف العراقي.

- خلص، خلص أبو مطشر لا تغث نفسك، اييin انته  
أصبحت مدمn على بيع اللبليبي يلبلوب وازيدiad المعجبات  
المعجبين بصوتك الحلو وانته تصريح لبليبي يلبلوب، واني  
هم ماگدر استغنى عن لبلييك الطيب فقد أصبح (مزتي)

المفضلة، العفو عشاي المفضل، وراح او صيلك على عربانه  
ممتناعة (عروسه) من (فورميكه) ايسويه مخصوص إلك اخوي  
النجار "ابو ماهر" فهو من محبي لبلبيك أيضا.

عملية صناعة (العربانه) بحاجة إلى وقت حتى تكتمل، وأنت  
ستكون خلال هذه الفترة بلا عمل، تقبل مني هذا المبلغ  
البسيط لأدارة أمور عائلتك إلى حين بدء العمل ثانية.

- استاذ (منير) تره انته هواي كلفت نفسك وياي، وآني يبين  
مصابي ما تخلص، ارجوك خليه فلوسك عندك، واني اموري  
الله يدبره، احتمال اروح لعمامي بالقريه لمن تكضي العربانه،  
ونرجع نشتغل عله باب الله.

أسمع ابو مطشر هذا المبلغ ليس منحة مني، انما هو دين  
عليك انت مطالب بتسدیده على شكل لبلبي، حصتي مساء  
كل يوم كالعاده، فلا تهتم كثيراً للامر، ثم ان (عمامك) في  
القريه ربما لا يستطيعون اعانتك، وأنا وانت نعرف ظروفهم  
تحت ظلم وأستغلال الأقطاعين.

دس المبلغ في جيب (أبو مطشر) قائلا: ساتقاضى على هذا  
المبلغ ارياحاً زيادة كاستين لبلبي فوق المقرر.  
اللبلبي وصاحب اللبلبي كله بخدمتك أستاذ انته فضلك عليه  
ما انساه طول عمري، الله يحفظك ويطيل عمرك ويخليك  
lahel bittak.

تمت بكلمات خجلٍ لا يدرِي بماذا يرد على هذا الإنسان  
النيل والأخ الذي لامثيل له.

(ابو مطشر) خلال هل الأسبوع لا تحرمنه من شوفتك، تعال  
العصر مر بيه، نلتقي ونسولف ونشربنه استكان جاي بـگهوة  
(ابو رضا حجي عبد ننه) بالميدان، حتى انته ما تضوچ، وانه  
ما انحرم من سوالفك الحلوه.

استاذ الله يخلیک اني وین گھوہ ابو رضا، های کعادته  
ناس کباریه ملا لیچ، و موظفين کبار، و دخاتره، و محامین،  
ومعلمین.

صحيح كلامك (ابو مطشر) لكن صاحب المقهى انسان كاد  
مثلك، وهناك العديد من العمال والكسبه يتواجدون بالمقهى  
ايضا، فلا تتحرج في حضورك، وسترى كيف لا تشعر بالغربة  
والحرج بينهم، ويكتسب اصدقاءا جدد، وتكتسب (معاميل)  
جدد ل (اللبلبي) لانه سيكون مكانك مقابل المقهى، قريبا من  
المدرسة وقريبا من رواد المقهى واغلبهم من محبي اللبلبي.  
ها هي استاد مثل ما ت يريد ليش آني الـكـه احسن من گعدتكم  
وسوف الفكم، وانى مثل ما اشوفك اشوف صدـگانك.

ودعه استاذ منير، وقد توجه إلى (مقهى عبد ننه) في حين قرر أبو مطشر أن يقوم بجولة أستطلاع في ساحة الميدان، مستعرضاً المحلات، والمقاهي على جانبي السوق الكبير، مقهى (الشمام) و(مقهى النكراني) وبالمقابل بناية بلدية النجف، وبالقرب منها المدرسة، ومركز الشرطة، تلمس جيده ليتأكد من مبلغ المال الذي زوده به استاذ منير، لأنَّه قرر أنْ يتناول كاسة (لبلبي) من أحد الباعة في شارع الخورنق، لكي يطلع على المزيد من الخبرة في طريقة البيع وكمية اللبلبي في الكاسة، وفق الأسعار المختلفة، (فلسين) و(عaneh) و(عشر فلوس) وما يتطلبه اللبلبي من مطبيات أخرى كالحامض وما إليه لأنَّه لم يكن موقفاً جدًا خلال فترة العمل السابقة قبل حرق العربانه.

سلم على البائع، وهو شاب أسمه، يلف رأسه بيشماغ أحمر، وأمامه على العربية قدر اللبلبي وبخاره الذي يثير شهية من يمر بجوار البائع، طلب منه كاسه أم (العaneh) ملاحظاً حركاته وقياسه لكمية اللبلبي، له ولغيره وبمختلف القياسات، كما دخل معه بحديث حول عملية تحضير (اللبلبي) وما هي أنواع (الحمص) المتوفرة في السوق وأسعارها، وكيفية تحضير (اللبلبي) لأنَّه يحب (اللبلبي) ويريد أنْ يتعلم طريقة تحضيره، كان البائع الشاب أريحا طيباً ، أفالص وأسهب في شرح كل شيء حول تحضير اللبلبي، ومستلزماته، أكمل (أبو مطشر)

كاسته شاكراً للشاب، سعة صدره وطيب معاملته متنيناً له الرزق الوفير.

- مر وهو في طريقه إلى فضوة الحويش على معهيله في تناول (الباكله) الخباز الطيب عبد الساده، الذي رحب به كثيراً، داعياً آياته بالجلوس، مقدماً له سيكاره (مزبن) وهو يعالج نار التنور ويتصبب عرقاً، مشهداً يعيد (مظلوم) إلى ذكرياته والعمل في الأرض لزراعة (الشلب) خلال شهر حزيران وتموز وآب، كيف كان جميع أفراد العائلة بما فيهم (أم مطشر) يسبحون عرقاً، وهم يعملون تحت هجير شمس تموز الحارقة، وما يزيد الحال بلة، ما كانوا يعنونه من ديدان (الشرع) التي كانت تلهب سيقانهم وأيديهم لسعاً، لتشعر حبيباتها الحمراء المؤلمة، ليذهب كل هذا الجهد والمعاناة إلى جيوب الإقطاعيين المرفهين في قصورهم، يعالجون كروشاً تتضخم يوماً بعد آخر.

لاحظ عبد السادة شرود صديقه وهو يقوم بإخراج أرغفة الخبز الحار من آتون التنور، مستفسراً عن أحوال (أبو مطشر) وماذا سيعمل وكيف يتدارس أمره وعائلته، مبدياً له أنه على استعداد كامل ليقاسمه رزقه اليومي إلى أن يفرجه الله ويحصل على عمل.

شكر له (أبو مطشر) شهامته ونخوته وطبيته، موضحا له أنَّ صديقه الأستاذ (منير) لم يدعه بحاجة، وسيعمل ببيع (البلبي) قريباً بعد حصوله على (عربانة) جديدة.

- أي والله والنعيم من (أستاذ) منير من أهل النخوة والطيب وما يقصر ويه كل محتاج،

عموماً أني عندك أبو مطشر، وهاي جم گرصه خبز حاره (امسممه) اخذه وياك للعيال، خلصت ارواحهم من (خبز البربر).

أخذ أرغفة الخبز من صديقه (أبو لميغه) وتوجه نحو الصحن الحيدري الشريف لزيارة الأمام علي عليه السلام، فهو أمام القراء ونصير القراء واليه يلجم المقصورين، بعد أن اتم زيارته مساء، اشتري بطيخة وكيلو طماطم من سوق الحويش كوجبة عشاء، وتوجه إلى سكنه في منطقة التزلة، شاكرا الله على معرفته بمثل هؤلاء الأصدقاء النبلاء.

أجتمعت العائلة أم مطشر ومطشر والصغريرة (سعوده) حول المائدة البسيطة، مستمتعين بتناول خبز (التجاري) الأبيض هدية (أبو لميغه).

والله بويه هذا الخبز ينوكل من دون غموس، وما يحشر بالبلعوم جنه زيد،

فقالت (أم مطشر) رداً على ولدتها بس لا نتعود عليه وبعد ما نگدر ناكل (البربر) لا أبو (مطشر) بعد لا تجيبي منه.

أنهمكت (سعوده) باكل البطيخ اللذيذ والخبز الطيب وهي جالسة في حضن والدتها، مما ادخل السعادة إلى قلب والدها.

أنه فعل (منير) كم هو جميل إدخال البهجة والسعادة في قلوب الآخرين، أنه درس رائع في معنى الإنسانية، والتضامن والتكاتف الأخوي الإنساني، رغم بساطتها ولكن ما أروعها أرغفة خبز (أبو لميغة) عندما تلوكها بشهية ومتنة صغيرته العزيزة، ما أروعك يا (أبو لميغة).

بعد العشاء، حدثه (مطشر) حول الوضع في مدرسته، كون الطلبة وبعض الأساتذة، مستائين جداً من محاولة الحكومة لدخول العراق إلى حلف بغداد

إجابة على استفسار والده حول ماذا يعني هذا الحلف وماذا يضر العراق والعراقيين أجاب (مطشر) قائلاً: الحلف يا والدي بين العراق وتركيا وباكستان وبريطانيا، مع دور عسكري للولايات المتحدة الأمريكية، معنى هذا ربط العراق بمصالح الدول الاستعمارية أكثر مما نحن عليه الآن، وجعل العراق قاعدة للقوى الكبرى للتحكم بارض وشعب العراق، ومنطلقاً للاعتماد على الشعوب والبلدان الأخرى تنفيذاً لرغبة هذه الدول، كما أنه سيكون القوة الضاربة ضد كل تحرك شعبي ينحو منحى الحرية والاستقلال.

نظر (مظلوم) بأعجاب إلى ولده، ومدى تطور معرفته، والذي قال أنه استقاها من معلميه وزملائه الطلبة.

يبدو لي أن هذه الدول تعلمت من العشائر، حيث تتحالف العشائر الضعيفة مع العشائر القوية، لتقى عدوان العشائر الأخرى، كما يحصل كثيراً إن يتحالف شخص أو عائلة مع عشيرة غير عشيرته أما لضعف عشيرته أو لزعله منها، وهذا يكون موقفه ضعيف دائماً ويسمى (لفو) أي ليس من العشيرة الأصلية، وطبعاً القوي ما يقبل الضعيف إلا إذا كان يستفيد منه سواء بضميه إلى قواه المسلحة لمحاجمة الآخرين، أو الاستفادة من ثروته أو سمعته.

والله يا ولدي يبدو انك طالع عليه جدك الشائر اللي كان حامل راية الثوار في مقاومة الجيش الإنكليزي، وقد قتل في معركة (الرارنجية) ولم تصلنا منه سوى بندقيته، وقيل انه دفن من قبل أهل النجف، حتى أننا لم نستدل على قبره لحد الأن.  
فرد عليه (مطشر) موضحاً ما يعنيه (حلف بغداد) قائلاً: لا دور حكومته تريده تضييع دم الشهداء بغير مستحبه وتحالف ويه الأنكريز والعثمانيين!

ويبدو لي يا والدي ان حكومة العراق أنما تحالفها مع بريطانيا وتركيا وباكستان، ومن ورائهم أمريكا، ومدربي منهوا بعد يشبه هذا (اللفو) من الله يطح حظهم عليه هل العمله الي

يردون بيه يذلون العراقيين، والأنكлиз وغيرهم طمعانين بنفط العراق لا اكتر ولا اقل، والله اني هجي أشوفه .  
أبتسם (مطشر) مستحسنا ما ذهب إليه والده من تفسير (حلف بغداد) المزمع دخوله من قبل حكومة نوري السعيد.

في صباح اليوم التالي بعد تناول أفطاره من بقايا أرغفة عبد السادة، و(استكانين) شاي من أيد أم مطشر، ارتدى كوفيته وعباءته، وذهب إلى محل النجار، ليطلع على مراحل عمل (العربانه) فأستقبله أبو (ماهر) مرحباً به، وقد امر له بشاي من مقهى (أبو البسامير) القريبة منه، ارتشف شاهيه واستقبل سيكاره من يد أبي ماهر، وأخذ يصغي إلى حديث هام بينه وبين أحد أصدقائه عرفه عليه وكان يدعى (محمد موسى التنجي) كان الحديث يدر حول أقدام السلطة السعيدية على إعدام عدد من الوطئين العراقيين وقمع التظاهرات الكبيرة التي انطلقت فيها في بغداد، وقتل العديد من المتظاهرين وسجن عدد كبير آخر، وعن مدى غضب الشارع العراقي ضد هذه الجريمة البشعة بحق أبناء العراق.

كان (أبو مطشر) يستمع دون ان يشتراك في الحديث رغم ارتياحه إلى (محمد موسى التنجي) وأسلوبه في الحديث وجديته وحماسه الظاهر وأسئلته بالحديث الودود معه وكأنه يعرفه مسبقاً، وقد توسم فيه (أبو مطشر) الغيرة والرجلة، فهو لم تخفي عليه سمات الرجال، وبعد أن غادره

(محمد موسى). سأل أبو مطشر صديقه النجار:- كلي اسطه نوماس هذوله الجماعه العادمتهن الحكومه شمسوين، سايجين بايجين، جاتليلهم جتل، ناهيلهم مره، اشو من معنه حجي صديجكم ابو جاسم يييون هذوله ناس اجاويد او مال هيچ شغلات؟

- زين أهلهم ما افصلوا ايمجانهم، عشايرهم وعمامهم وين؟  
أستل أسطه نوماس سيكارتين من علبة (اللوكس) أعطى لأبي مطشر واحدة ووضع الثانية بفمه، ولع السيكارتين، أخذ نفسا عميقاً نفث الدخان بحسرة والم ثم التفت صوب (أبو مطشر)  
قائلا: عزيزي هؤلاء (الشهداء) لا قتلهم ولا سلامه، ولا نهايه،  
إنما هم كرسوا حياتهم من أجل إيقاف سلب ونهب ثروة  
الشعب والوطن، ووقف قتل وتعذيب وخطف أبناء الشعب  
الشرفاء، كل ما يردونه سلام وأمن وحرية ورفاه الشعب،  
وخصوصا من العمال والفلاحين وكل الفقراء والكادحين،  
لذلك ناصبتهن الحكومة العداء وقررت قتلهم حفاظا على  
حكمهم والحفاظ على مصالح أسيادهم، وان شاء الله يتبدل  
الحال وتستطيع ان تتعرف أنت وغيرك على مدى تضحيات  
هؤلاء المناضلين وشجاعتهم وحبهم لناسهم.

- والله يا خويه زرفت چبدي بهل الحجي، كل هذا اليصير  
وحنه ما ندرى شكو ماكو، نسأل الله وأبو حسين ان ينتقم من  
الظلم وكلمن يساندهم.

ولكنه لم يستوعب معنى (الظاهر) و(المظاهرة) هل هي (فزعه) أو (حشر) أو شيئاً آخر لازال مستعصياً على فهمه، ولم يستفهم عنها، فهو مشغول بامر (العربانة) وعمله المستقبلي الذي يتعلّق بمصيره ومصير أطفاله، أطلعه (أبو ماهر) على هيكل (العربانة) وشرح مبسط إلى شكلها المستقبلي وطمأنه بأنه سوف يكملها بأسرع وقت ممكّن، فأخذ يرسم في مخيلته شكلها ومدى تراوتها، وجمال إطاراتها، وصف (ابطاله) الليمون في مقدمتها وووو. أصبح يطيل الوقوف قرب باعة (اللبلبي) أيّما يراهم، وكأنه يتلقى دروساً في طريقة العمل المتظر، لم يمر يوم إلا وابتاع (كاسة) لبلبي أم العانه، يحاول أن يأخذ وقتاً طويلاً قبل الانتهاء من أكلها، يحاول أن يفتح حديثاً حول اصل وفصل البائع، وهل هو من أهل الولاية، أو مثله مهاجر من الريف، ولايفوتة ان يسألة: انته خويه من يا عمام؟

أي والنعم انت من أولاد اختنه، أو انت من أخوالنه، ثم يدخل في حديث طويل حول وجهاء هذه العشيرة، والأحداث التي مرت بها، ومناطق تواجدها، ولايفوتة ان يسمع الزميل المستقبلي بعضاً من (الهوسات) حول زعماء وواقع قبيلته، ويسمعه عدداً من أبيات الابوذيه حول الحنين للقرية ومرابع الطفولة والشباب، مما يجعل الزميل المتظر يعجب ويعتز به كثيراً، وغالباً ما يرفض ان يأخذ منه ثمن

كاسة اللبلبي، واحياناً يأمر له بـ (استكان) شاي من أقرب مقهى أو من (چايچي) دوار، لكي يستزيد من حديثه الشيق، في أحد الأماسي قرر أنْ يزور صديقه أستاذ (منير) في مقهى (عبد ننه) فقد أبلغه أسطه نوماس أنَّ أستاذ منير يسأل عنه.

وعلى الرغم من كونه من مرتادي المضايف والدواوين، وجرأته المعروفة بالحديث، ولكنه سار يمتلكه القلق، وفي قلبه شيئاً من الهيبة من دخول مقهى (الحاج عبد ننه).

وازن (بشهته) على كتفيه، وثبت كوفيته على رأسه، وسار نحو المقهى، وما دخل المقهى حتى لمحه (منير) فقام مرحباً به، حيث كان يجلس مع عدد من الأفنديه، وأصحاب (العگل) من وجهاء المدينة، فقدمه لهم أستاذ منير بأنه صديقه (أبو مطشر) معرفاً لهم، الأستاذ حسن عوينه، المحامي جواد عبد الحسين، المحامي موسى صبار، الحاج مهدي آل غلام، رحب الجميع بـ (أبو مطشر) سائلينه عن صحته وصحة عائلته، وكأنهم على علم بوضعه وحاله، حيث يبدو أنَّ (منير) قد أخبرهم عنه.

شكرهم (أبو مطشر) وانه بخير وهو وسطهم ومحل اهتمامهم، راجياً من الله ان يوفقهم ويحفظهم لعوائلهم، مساه الجميع بالخير ومن ضمنهم الحاج (عبد ننه) وأبنه (رضا) تناول شايه المهيل، وقد ناوله أحدهم سيكاره (روثمان) ولع سيكارته، وأخذ يستمع إلى حديثهم الذي كان

معظمه يدور حول (حلف بغداد) وخطورته على الشعب العراقي، وكلام آخر لم يستوعب ولم يفهم أبو مطشر الكثير منه.

كان أستاذ منير متأثراً جداً هو وأصدقائه يعلو وجوههم الحزن والألم والغضب، لأن السلطات أقدمت على إعدام وقتل العشرات من العراقيين الأحرار الأعزاء من الوطنيين العراقيين، انتقاماً من انتفاضة الشعب في ١٩٤٨ التي هزت أركان السلطة كما اسموها الرجعية العميلة، المتهاونة مع الصهيونية، والتي أقدمت على ترحيل الأخوة اليهود غصباً عنهم من العراق، وأنَّ الشعب سوف لن يستكين ولا بد أن يثار لشهادته الأبرار.

أها يبين هذوله المرحومين نفسهم صدگان اسطه نوماس وهذا الولد الشمسي (التننجي).

فأجابه أستاذ منير: نعم همه نفسهم أبو مطشر فاجئه أحدهم حول رأيه بما يجري وبحديثهم؟ والله استاد آنه ما اعرف بالضبط شتریدون، ولا أعرف منهوا هذوله أخوته المقاتيل ومن يا عمام، بس لزمن اهلهم ياخذون بشارهم، أو ما طول همه ضحوا بارواحهم لخاطر الوطن واهله، لزمن عله الكل يطالبون بدمهم، ولا رحتوا للفاتحه بروح والديكم خل اروح وياكم آنه والموجود من

عمامي بالولاية، هذوله من حموله طيه الف رحمه عليه ارواحهم.

فأجابه أستاذ منير ومن معه: ممنونين منك أبو مطشر أحنه  
نكتفيك وراح نقوم بالواجب، الفاتحه بعيده وأحنه ما نريد  
نكلف الناس أكثر مما هم عليه؟.

وأخذوا يتحدثون عن المظاهرات الجماهيرية ضد السلطة، وأمكانية تحشيدها، ونسب نجاحها أو فشلها، وموقف الحكومة منه، وأبو مطشر) يسمع ولكنه لا يستوعب ما يتحدثون عنه ولم يسمع به من قبل، فقال لهم: -

ولواني ما اعرف شنهو (المظاهره) وشتسوي، ولو ما آني  
عندی طرشه لهلهه بالريف كان فرعت وياكم، وارد العن أبو  
الباشه اللي يريد يسوی العراق (لفو) للأنكريز، وينهبون  
نقطاته، وتفگة عمي، بعده عدى، والانكريز ضاكو چلاته.

والنعم والسبع تنعام منك (أبو مطشر) والله من أهله، بس  
القضيه ما وصلت للتفگ والچيلات.

مثـل مـا تـشـوـفـونـ، الـبـقـيـةـ بـحـيـاتـكـمـ وـحـيـاةـ أـهـلـهـمـ، لـاـ وـالـهـ عـمـيـ  
الـبـقـيـةـ بـحـيـةـ الشـعـبـ وـالـوـطـنـ. سـلـمـونـهـ عـلـيـهـمـ.

ولا تريدون (ندگ) الحكومه من عين باچر اودي عليه اچم  
زلمه من عمامي وندگهم ونجيبهم للحگ غصبن عليه  
اخشو مهم.

أستل سيكارا لف من قوطيته، ولعها جاذباً منها نفساً قوياً،  
وما نفثه حتى خلق دوامة من دخان، أحس أنها ضايقـت بعض  
الأـندية.

تحدد أحد التجار، مشيراً إلى ارتفاع أسعار بعض المواد الغذائية في السوق، مثل الشاي والسكر، والدهن، والعدس، والبطاطه، والحمص.

ففرز أبو مطشر قائلًا: انه أبوك يمطشر هذوله خاف سمعوا  
بابأبو مطشر ي يريد بيع لبلبي، والله أبيع لبلبي يعني ابيع لبلبي  
ومارد لبيع الباجله لو يموتون.

ضحك ابو مطشر وضحك معه جميع الحضور رغم حزنهم،  
معريين عن ارتياحهم لاريجية وخفة دم ابو مطشر ووعيه  
الفطري.

أمر لهم الحاج عبد ننه بوجبة شاي جديدة على حسابه اكراماً  
لأبو مطشر، الذي رد على كرمه ببيت شعر دارمي، أستحسنـه  
الجميع.

بعدها نهض أبو مطشر شاكراً للجميع على حسن الضيافة،  
مودعاً ايّاهم على أمل اللقاء بهم بعدهاً يعود من سفرته إلى  
قريته.

أخبر أم مطشر بننته السفر إلى قريته لأن شيخ العشيرة وعد من عمامه أرسلوا له خبراً يدعونه للحضور للمشاركة في مجلس العشيرة السنوي، في مضيف الشيخ لغرض القيام

بعملية تعداد الشابات والشباب في العشيرة، وتوزيع الإناث على الذكور وحسب الأسبقية في القرابة، أبنت العم لأبن العم، قبل أبن الحال، وقبل غيره من أبناء العشيرة.

تجهم وجه أم مطشر محتضنة طفلتها حياة وعلامات الخوف والقلق بادية عليها وقد قالت لأبو مطشر: والله هذا ظلم أو مو حگ هسا هذوله بعدهم زعاطيط من هل الوكت قررت مصيرهم، ما تدرؤن باجر شيسير ما يصبر، وماندرى بگلوبهم باجر شتهوه، هذا أنته أبو مطشر مو رفضت بت عمك واخذتنی، وهي مگudedه الک أكثر من عشر سنين.

والله يم أم مطشر تريدين الصدگ انه هم موش راضي بهذى الجسمه، وشفت شلون حبيچ وعفت بت عمي بدون صوح وآن راح أحاول شکثر ما اگدر اخليهم يتركون هاي العاده، مخصوص والدنه تغيرت، والشباب گامت تروح للمدارس، ومثل مايگولون الگلب وما هوه، ظل أحنه شعدنه هي حياة بعده زغironه، ومطشر ماشاء الله عقله چبير وهو يعرف دربه، والله حيره.

اللتى مساء باستاذ (منير) فحكى له سبب سفره للقرىه، ومسألة توزيع البنات على الرجال في العشيرة، فأجابه متاوها:

يا أبو مطشر هذا ظلم بحق الإنسان، لا تقره القوانين ولا الأديان، والأهم مخالف لضمير الإنسان الحي، وزواجك

أنت خير مثال على ذلك، هذه أمور رسخها في عقول الناس الأقطاعيين والناس الماудهم ضمائر، والذين يعاملون المرأة كما يعاملون الحيوان، هل تقبل أنت غصب (حياة) للتزوج أنسان لا تحبه وهي غدا تدخل المدرسة كأخيها مطشر وتعلم، مثل هذا الأمر تقريباً أندثر في المدينة.

مثل هذه الأمور وغيرها مثلاً قسم عشائر السادة لا يزوجون بناتهم من غير السادة، في حين يعطون لأنفسهم الزواج من كل القبائل والعشائر والألوان، وكما تعلم تزوج عدداً منهم من زوجيات خادماتهم، وتزوج آخرون من السادة والشيوخ غجريات، وفارسيات، ولبنانيات، وإنكليزيات، ولكنهم حرموا هذه الحرية في الاختيار على بناتهم، تحت ذرائع واهية حقيقتها أنَّهم يخافون على أقطاعياتهم وعقاراتهم يشاركون فيها (الغريب) بالأرث الذي سترثه البنت عند وفاة والدها، وبذلك تتشتت ملكياتهم.

الأمر من ذلك حتى السادة الفقراء الذين لا يملكون شيئاً أخذوا يقلدونهم دون وعي ودون معرفة.

أي والله استاد حچيك عين الصواب، أحنه عدنـه علويات ظلن ينسلن شيب وجراهن القطار مسكنـات، لا أولاد عمـهن أزوجـهن ولا أطـوهـن للخطـبوـهن من عـامةـ الناس.

أستاذ منير رحمة على والديك، واتمنى أن تتحمل سؤالي ولا  
تفهمني خطأً، لكن هناك سؤال حيرني ولم أجده له جواباً  
شافياً، عسى أن أجده لديك أجابة تريحني.

أستاذ أنا أراقب (السيد) فلا أجده هناك أي فرق بينه وبين  
الأنسان (العامي) كما يسمونه، أو نسميه نحن، الكل يأكل  
ويشرب، ويتجوّط، ويتزوج، ويتكلّم بنفس كلامنا، يخطيء  
ويصيّب، فلماذا هذه التفرقة أذن؟

ابو مطشر، هذا سؤالك دلالة على نباهة وفطنة، سرني كثيرا، وأتمنى أن يدور في رؤوس جميع الناس.

أنا الآن الذي أمامك يسموني (سيد) ووالدي رجل دين (معهم) يلبس عمامة سوداء، فبالتأكيد لا شيء يميزني عنك سوى أسمى وشكلي، وعملي، وقال النبي محمد (لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى) و(أقربكم إلى الله أتقاكم) (كلكم من آدم وآدم من تراب) لكن هناك من يستفيد من هذه الرمزية، للحصول على المال والجاه، رغم أنه يعلم تمام العلم إنَّ لا أساس لهذه الميزة في حقيقة الإسلام.

والله أستاد نورتنه، وهذا الشي مو معقول، عموماً آني راح  
أروح للقرية، وشوف شلون تاليه ويه هلظلام.  
هاي القضية بعد ما أرضه بيه أبد حتى لو العشيره تفصخني،  
هذا ظلم والله ما يرضه بالظلم.

وهكذا كان لـ(أبو مطشر) عند وصوله للقرية، وقد قصد مضيف الشيخ، وقد خاض صراعاً كاد أن يتطور إلى مشادة أو عراك دامي بينه وبين الشيخ وعدد من وجهاء العشيرة وأفرادها، بينما قرر رفض عملية (الجسمه) لأناث على الصبيان، كونه ظلماً لا يرضاه لا الله ولا عباده.

قال الشيخ: يبدو إنَّ الولايه غيرت أطباعك أبو (مطشر) وبعد سوانبي ولعراوف العشيرة بعد ما تعجبك، أو أتشوف روحك وعيالك أعله من هاي الوادم، أبو مطشر تره فطور أيديك ورجليك بعده ما راحت، فلاتنسه أعمامك وعشيرتك حزام ظهرك، هز الأغلبية رؤوسهم مستحسنين كلام الشيخ مع لومهم لأبن عمهم (أبو مطشر).

شيخنا آني ما نسيت أعمامي وأخوتي، لكن أكول الأمه ومرته وبنته مغصوبه وموحره ما راح يعيش حر وميحس بكرامه، وهسه انتم كم واحد منكم مأخذ مره من غير عشيره، وعاف بت عمه لو بت حاله محيره لا هو الماخذه وهو المخلية رايحه لحال سيله، وهذا واحد منهم انته شيخنه، عندك أربع نسوان غير الظلكتهن، وأغلبهن مو من عشيرتك، أما (الساده) فحدث ولا حرج.

أبو مطشر أحنه عدنه عرف اليطلع من السانيه ناخذ منه مرته، وخل يروح يزوج ويزوج أبراحته.

أسمع شيخنه هاي السانيه ما ترکب عليه، لأن آني لا مأخذ  
گصه بگصه ولا ما خذ بت عمی ومرتي مثل ما تعرفون مو  
من العشيره، آني أشوف هاي السانيه لازم تنتهي وتموت من  
اليوم، حرام أخواتنه وبناتهن غصبهن غصب، وأحنه ما خذين  
راحتته نعشگ ونحب ونتزوج منين ما نريد.

وآني اترخص منكم گلت العندي وشما تردون أتسون سوو،  
الله وياكم.

ولم تنفع منه تشبت أخوته وأبناء عمومته به.

خويه شنهو گعدتي وياكم وانتم بمجان ما ترفعون الظلم عن  
أرواحكم من أهل الظلم من الأكتاعيين وصراكيلهم، تذبون  
نقمتكم، وتطلعون رجولتكم وقوتكم على هل المسكينات  
من بناتكم وأخواتكم وأمهاتكم.

دار همس وتململ داخل الديوان، مما حدا بالشيخ بتلافي  
أنفلات الوضع، وسد الطريق أمام أبو مطشر، ليبدل آراء أفراد  
العشيره، خصوصا وهو معروف من فتيان العشيرة الشجعان  
والمحربين بالجرأة والكرم، وله عدد من الأخوان وأبناء العم  
المهابين داخل العشيرة، فخاطبه قائلا: زين أبو مطشر أحنه  
راح نأجل هذا الموضوع لغير وكت وعد نشوف، انشالله الله  
يهديك وتطيع عمامك.

شيخنه الدنيه محترجه بغداد وغير بغداد وأنتم هنا تتجاسمون  
النسوان المسكينات، انا هذا رايي بعد ماكو جسمة نسوان وما  
عندي غيره لااليوم ولا باصر، وهساه الله وياكم.

نهض ونهض معه أخوته وأبناء عمه وأولاد خاله مما أحدث  
ثغرة كبيرة في مضيف (الشيخ) الذي ظل في حيرة من أمره.  
بات (أبو مطشر) ليتلته مع أخوته وأبناء عمه، في دار أحد  
أخوانه، وقد توصل خلال السهرة الليلية معهم أقناعهم برأيه،  
وقرارهم بتبني موقفه، مقررين أنَّ ما ذهب اليه هو عين الحق،  
ولكنهم خضعوا للعادة والتقليل دون تفكير، معلنين أعجابهم  
بما يطرحه حول مختلف الأمور، وقد خاطبه أحدهم قائلاً:  
والله أبو مطشر بيبين بيع الباجله هواي مغير من طبائعك، جا  
لونك تبيع ذهب جان صرت بمجلس النواب، فرد عليه أبو  
مطشر قائلاً: تشووف شلون راح أصير من راح أبيييع (البلبي)  
ضحك وضحك الجميع، وبعد ما طابت الخواطر، شاركتهم  
نسائهم الجلسة وقد اعجبهن كثيراً رأي أبي مطشر ووقفه  
ضد جسمة النساء والزواج گصه بگصه، وقد خاطبته  
كبيرتهن: والله ياخويه لو ندرى الباجله هچي اتسوي جان  
ندرناله نذور، وعلگناله بيرغ.

فالنفت اليها أحدهم: كافي ولچ كافي مو أطناچن مجال راح  
تاكلنه، اليوم أبو مطشر هنا باصر ماكو، عود خل الباجله  
تنفعچن.

خويه أبو مطشر ابروح أبوك سمعنه چم بيت أبو ذيه، وخلنه  
من النسوان لا تخربيهن عليه.

أدراط الكبيرة عليهم صينية الشاي، ثم أخذ أبو مطشر يترنم  
مطلقًا لعنان لصوته الجميل، لتتردد كلماته وحياتها مع  
مويجات النهر، ورقص سعيفات النخل، فأهتزت الرؤوس  
وتفاعلـت الأيدي، وربما أنهمرت الدموع من عيون بعضهن  
وبعضهم، غادرـهم القمر، فغالـبـهم النعاس.

استيقظ أبو مطشر مبـكـراـ، تناول أـفـطـارـهـ، من (طـابـگـ المـحرـشـ)  
وأـسـتكـانـاتـ الشـايـ من ضـرعـ الـبـقـرةـ، مع الشـايـ المـهـيـلـ معـ  
أـخـوـتـهـ وـنـسـائـهـمـ، الـلـاتـيـ، أـحـضـرـنـ لـهـ، أـكـثـرـ مـنـ (زـبـيلـ) مـلـيـئـ  
بـالـتـمـرـ، وـالـدـهـنـ الـحـرـ، وـالـبـيـضـ، وـزـبـيلـ سـمـجـ، كـطـانـ، وـبـنيـ مـنـ  
صـيدـ الـيـوـمـ صـبـاحـاـ حـيـثـ شـارـكـ أـبـوـ مـطـشـرـ أـخـيـهـ فـيـ جـمـعـ  
الـأـسـمـاكـ العـالـقـةـ فـيـ الشـبـكـ الـذـيـ تمـ نـصـبـهـ فـيـ اللـيـلـةـ الـمـاضـيـةـ  
عـبـرـ النـهـرـ، فـكـانـ مـلـيـئـاـ بـالـأـسـمـاكـ، حـاـولـنـ أـنـ يـمـسـكـ بـدـجـاجـةـ  
وـدـيـكـ هـدـيـةـ لـأـمـ مـطـشـرـ وـبـتهاـ العـزـيزـهـ (حـيـوـتـهـ) الـحـلـوـهـ.  
ولـكـنـ أـبـوـ مـطـشـرـ رـفـضـ حـمـلـ الدـجـاجـاتـ، يـكـفيـهـ حـمـلـ  
(الـزـبـلـانـ).

قـائـلاـ: وـهـذـاـ السـمـجـ وـالـلـهـ زـحـمـهـ، وـأـنـتـمـ بـحـاجـتـهـ أـحـنـهـ بـلـوـلـاـيـهـ  
كـلـشـيـ موجودـ.

أُجابتَه كِبِيرَتَهُ: لاخويه أخذهن ألف عافيه تدري هاي الفترة  
أكوا (زراوه)، والسمچ هوای، وانته تدري اخوتك واولاد  
عمك پستنکفون بییعونه بالولایه.  
تشكر من الجميع، مودعا اياهم على امل اللقاء ان سمحت  
الظروف.

مع ألف سلامه واذا اجيت مره ثاني مره راح تصير صوغتچن  
(لبلبي) همه.

رافقه أحد اشقاءه إلى المدينة حاملاً عنه أثقاله، ثم ودعه بعد اكتمال عدد المسافرين في السيارة وأغلبهم قاصدين زيارة الإمام علي عليه السلام، مصطحبين معهم نذورهم من الخراف السمينة محمولة على (سلة) السيارة، إيفاءً لنذر تعهدوا به، لشفاء مرضاً، أو لتحقق أمنية بدت مستحيلة.

بعد إن أخذ قسطاً من الراحة، وقد أفرغت أم مطشر  
محتويات الزبلان، وأختلى بحبيته (حياة) سألها عما يقلقها  
ويجعلها حزينة بدلاً أن تكون فرحة ومستبشرة بعودته من  
سفرته للريف، وفراقها لأكثر من أسبوع، فاضت عينيها  
بالدموع المشبعة بالكحل وقد أسندت رأسها على كتفه  
منعشة روحه برائحة الحناء التي كانت قد خضبت بها  
ضفائرها التي تشاكس مكوراتها، لاثما شفتيها التي أضفى  
عليها (الديرم) سحرأً شهياً عذباً، مما جعله يستذكر أيام  
عشقاهم الأولي ولقاءاتهم السريية بين ثنايا النخيل وشتلات

العنبر وو، يتذكرها حين كانت ترأس (الشدة) للحوارات  
(المنيستچيات) وهن محترمات بأحزمة منسوجة بخيوط  
الصوف الملونة، ويرددن أناشيد الحصاد الجماعية لبث روح  
العمل والتواصل بين الفلاحين والعاملات لنقل أكdas  
الممحضول الي البيدر حيث تتم دراسته بواسطة دوران الحمير  
فوقه، كانت جذابة القوام ساحرة الصوت ذات قابلية لقول  
الشعر الغنائي وإسماعه إياه عن بعد.

دموعها أعادت إليه وعيه مسح دموعها بطارف يشماغه، قبلها  
بلهفة وشوق قائلًا: (حياة) حبيبه شلون تبچين وانه موجود انه  
من بيچي حياة وانه عايش، گليلي شنهو القضية تره بعد ما  
استتحمل أكثر؟

(مطشر) مطشر، شنهو شبيه مطشر، يايابه صدگ ما شفته،  
أصورته بالمدرسه يو بالشغل؟

لا ييو مطشر، أمطشر، أ McCoy برجله، هو الصواب بسيط  
وهسه ما بيه شي، بس والله آني خايفه عليه، يگولون الشرطه  
تدور عله هذوله اليسمونهم (متظاهرين).

شنهو شمسوي حته تلزمـه الشرطه؟  
يگولون طالع ويـه ربـعـه الطـلـابـ بالـمـظـاهـراتـ ضـدـ الـحـكـومـهـ،  
وهـوـاـيـهـ منـ ربـعـهـ وـغـيـرـهـ حـبـسـوـهـ وـالـلـهـ السـاتـرـ.  
أـهـاـ أـگـولـ شـفـتـهـ شـادـ جـفـ رـجـلـهـ.

والله يبو مطشر مدربي منين تلaimت عليه المصايب مدربي  
شمسوين، اشو لا چاتلينه سيد ولا گاطعين الصوم ولا  
الصلاه.

هاي هم إله حلال يم (مطشر) وما طوله يم أبو ماهر  
لاتخافين عليه وانه الصبح أروح لأسطه نوماس وأشوف  
شنهو القضيه، تعالى يلحببيه، لثم فمهما كعطنشان ليروي  
غليله من شهد حبيبته، التصق جسميهما توغلت نتوءاته في  
أعماق منحدراتها ووداينها باذخة الدفء والعذوبة والسحر،  
تهامسا تلامسا تلابسا تأججت نيران الحب والغرام فاضت  
ينابيع الرغبة والهياق تفجرت براكين العشق، وهكذا كان  
الحال حتى بانت تباشير الفجر، حين غطا في نوم عميق، لم  
يستيقظ إلا على صوت مطشر وقد جلب خبز (البربر) الحار  
من الخباز، أستقبله والده مقبلاً إياه، وسائلًا عن حال قدمه  
فطمأنه ولده:

لا بويه الحمد لله ما كوشي، وهسا راح أحـل الضـمـاد، وـانـي  
كلـتلـهم آـنـي جـنتـ عـدـ عـمـاميـ بالـرـيفـ وـدـچـتنـيـ سـلـاـيـهـ منـ  
الـنـخلـهـ.

الحمد لله وانشاء أطلع شويه ومن رد أريدك تسولفي شنهي  
الصار بالولايه من وره روحتي لعمامك.

نهض (مظلوم) غسل قدر اللبلبي وضع فيه الماء واضعا إياه فيما يسمى بالحمام أستر بقطعة القماش على الباب ليغتسل بعد تعب السفر، وعرق الغرام.

خرج متتعشاً أقبل على إفطاره من البيض والخبز والشاي، أرتدى ملابسه المعطرة برائحة صابونة اللوكس والجمال المخبأة بين طياتها في صندوق أم (مطشر) وضع بشهته أبو نص ربع على أكتافه، وضع في يد أم مطشر بعضاً من المال الذي اعطاه اياه استاذ (منير) وأبقى الباقي في جيده تحسباً للطوارئ، فبدى باهر الأناقة والفتوة، تنظره (حياة) بأنبهار وإعجاب داعية ربها أن يحفظه من (الهافي والمعافي) ومن عيون (الطامعات والحاقدات) قبلها قبلة خجلة بمرآي من (مطشر) واعداً إليها أن يجلب لها الرمان الذي طلبته.

(ابو ماهر) ردت اعرف شنهو قضية (مطشر) كالولي مصوب، مدربي معور وهو يمل؟

نعم خويه، مطشر بامان، وهو حال زملائه الطلبة شارك في المظاهرات التي خرجت في المدينة، واتعرضت للضرب واطلاق النار من قبل الشرطة، وبهالي المظاهرات، اقتل (حمودي) ابن عبد ننه الكهوجي، وتصوب عدد من المتظاهرين، فارتينا ان نخفي (مطشر) وعدد من زملائه والمتظاهرين الغير مشخصين من قبل الشرطة كم يوم لحين

هدوء الوضع، والله صدك طلع سبع ويشيل الراس وأبن أبوه،  
كان لا يخاف ولا يهاب حتى رصاص الشرطه.

بإيجاز كبير تمكنا (الأسطه) أستعراض وضع النجف  
وجماهيره خلال التظاهرات الحاشدة ضد السلطة الحاكمة،  
التي استمرت قرابة الأسبوع، عندما كان (أبو مطشر) في  
القرية، مما أثار لديه الكثير من الأسئلة، نتيجة هذه الأحداث  
الهائلة، والله ياسطه هذا الحجي الحجيته وهذا الفعل لأهل  
النجف شيلة راس، ونصر للفقره، وعزه لكل العراقيين،  
 بلاكت بروح أبوك اشو الشرطه والحكومة وربعهم،  
 والأقطاعيين الكبار يكولون هذا من فعل (الشوعيه) ماتكلي  
 هاي الشوعيه شنهو داخلين بجده وشنهو عدواته ويه  
 الحكومة، واشو وين ما اروح ايسولفون بيه، ابتسم الاسطه  
 بوجه أبي مطشر، وقد وعده بأنه سيأخذه بيده ل (الشوعيه)  
 بس خل الأمور تتحسن شويه ويعم الأمان بالولايه، وهسا  
 روح لهلك وخل امطشر يسولفك الشafe.

- (ام مطشر) ما رأيك أنْ أعزّم أصدقائي، أستاذ منير، واسطه  
 نوماس، وعبد الساده الخباز، على هذا الكطان الچبير والذي  
 يفيض عن حاجتنا.

والله خوش مقترح وهذوله ناس اجاويد وهوایه ساعدونه،  
 وجماليهم ما ننساها انت اعزّم الجماعه، وآني راح اوزع قسم

من السماچات على الجيران، يعني معقوله أحنه ریحت  
السمج بيتنه تعط وما يضوگونه جiranه.

أحسنت أم مطشر والله كريمه عله أهلج، بس عود حطيلهم  
تمرات وخبزة عرب، الف رحمه عله والديج، واليکرم يکرم  
فرد مره.

تدلل أبو مطشر والله آني هاي ناويه أسويه، بغير ما تگول،  
بس أنته أخذ الگطان وياك العبد الساده خله يشوي وياه  
بالتنور، ماعدنه غير (الأبريمز).

زين عيوني أم مطشر انتي حضرىهن، وانه راح اگللهم  
وواعدهم عله الغده، وانتي وديهن الي بيد أمطشر.

التقى اولا صديقه نوماس في محله، وبعد السلام والتحية  
والسؤال عن الأحوال، أخبره بدعوته لتناول الغداء في بيتهم،  
رافضا كل أذعار نوماس بالأعتذار، فقال له أسطه نوماس:  
زين أبو مطشر لعاد خلي عليه الفواكه والخضره، ماشي أسطه  
مثل ما تريid.

ثم كلفه أن يخبر الأستاذ (منير) لدعوته للغداء، ولكن أسطه  
نوماس اعتذر له نيابة عن منير، مخبرا إياهإنّ أستاذ منير  
مطلوب للحكومة ولا يستطيع الحضور، ودعه متاسفاً لعدم  
حضور أستاذ منير، متوجها صوب عبد الساده الذي رحب به  
كثيراً، مستفسراً منه حول سفرته وأحوال أهله وقريته، وبعد

أن طمنه على الجميع أخبره بأنه معزوم اليوم على الغده  
بيتهم.

تبسم عبد الساده قائلاً: شنو أبو مطشر شنهو جبتلك مره  
جديده من القرية؟

لاخويه لامره ولا حمره لكن انطوني هلي خوش سمعقات  
كلت ما آكلهن الا بحضوركم، وراح يجيبيهن الك مطشر  
حتى تشوبيهن واجيبيهن وياك من تعزل المخبز الظهر.  
والله والنعيم منك أبو مطشر، واني خلي عليه الخبزات  
والطرشي.

لا خويه ابو لميعه الخبزات خبزات عرب جبتهن وياي، وانتو  
 مليتوا خبز البرير والتجاري، بس الطرشي خليه عليك. يا الله  
 في أمان الله، كمل شغلك وتعال انته ومطشر، تلگينه كدامك  
 آني واسطه نوماس.

بعيد أذان الظهر، أجتمع الجميع في دار (مظلوم) الذي رحب  
 بهم أشد الترحيب، وأصبحتهم خيرا (أم مطشر) وقد تولت  
 غسل الفواكه وتنظيف الخضر، وتهيئة الطرشي والبصل،  
 وأعدت السفره (الخوص) التي جلبتها معها من الريف، وقبل  
 كل هذا عزلت عدد من الأسماك بعدد بيوت الجيران  
 المقربين، واضعة مع كل سمكة رغيف من الخبر وكمية من  
 التمر، وقليلا من الطرشي والرقى، وأمرت مطشر بأن يوزعها

على بيت أبو عباس وأم علي وحجي محيسن وام فطومه،  
وسعيد الربلچي وعامر البايسکلچي.

والله يابه أمي صايره اشتراكيه للكشر، يكلك عاد أم امطشر ما  
تعرف.

أمشي ولك شنهو إدور هاي الشراكيه، أحنـه هـاي عـادـتهـ ما  
ناـكـلـ شـيـ وـنـخـلـيـ جـيـرانـهـ.

فـنـادـاهـ والـدـهـ منـ البرـانـيهـ،ـ هـاـ ولـكـ شـبـيكـ وـيهـ أـمـكـ،ـ اـسـمعـهـ  
أـدرـدـ؟ـ

لاـ لاـ ماـ كـوشـيـ بـسـ أـمـيـ صـاـيرـهـ اـشـتـرـاكـيهـ وـزـعـتـ السـمـچـ  
وـالـخـبـزـ وـالـفـواـكـهـ وـالـطـرـشـيـ عـلـهـ الـچـيـرانـ،ـ تـگـولـ اـحـنـهـ ماـ نـاـكـلـ  
إـلـاـ ماـ يـاـكـلـونـ جـيـرانـهـ.

أـيـ بـوـيـهـ عـاشـتـ اـيـدـهـ هـذـولـهـ اـحـنـهـ هـيـچـ منـ اللهـ خـلـگـنـهـ لـلـيـوـمـ،ـ  
الـلـگـمـهـ ماـ تـمـرـ توـگـفـ بـلـاعـيـمـنـهـ الاـ مـاـيـشـارـكـنـهـ بـيـهـ اـهـلـنـهـ  
وـچـيـرانـهـ،ـ دـيـالـهـ وـزـعـهـنـ،ـ وـچـيـبـنـهـ غـداـنـهـ تـرـهـ الجـمـاعـهـ چـاعـواـ.

هـلـ سـمـعـتـ وـرـأـيـتـ أـسـطـهـ،ـ مـثـلـ هـؤـلـاءـ النـاسـ لـاـ يـحـتـاجـونـ إـلـىـ  
أـكـثـرـ مـنـ تـنـظـيمـ حـيـاتـهـمـ حـتـىـ يـعـيـشـونـ فـيـ نـظـامـ اـشـتـرـاكـيـ،ـ  
بـشـكـلـ فـطـرـيـ وـطـوـعـيـ،ـ لـاـ يـحـتـاجـونـ إـلـاـ فـهـمـ أـسـسـهـ الـعـلـمـيـةـ  
وـآـلـيـاتـ أـقـامـتـهـ الـعـمـلـيـةـ،ـ هـكـذـاـ قـالـ اـسـطـهـ نـوـمـاسـ لـعـبـدـ السـادـهـ.  
ماـ أـدـريـ اـسـطـهـ تـصـلـوـنـ أـوـلـ يـوـ تـغـدـهـ؟ـ

نظر الأصدقاء بعضهم لبعض، وقد أجابه أسطه نوماس: لا  
أبو مطشر جيب الغده احنه نصلي عد اهلنه، إلا تريد انته  
نصلي براحتك.

لا هاي هي خليه وره الغده، يو اطبگه وييه صلاة المغرب،  
شوفة بنادم لبنادم صلاه.

هاي شنه أبو (مطشر) صاير مفتني، والله هاي خوش فتوه، من  
رحمه عله أمك وابوك، والله من هلساعه راح اقلدك ولو انته  
ما لابس عمame، هكذا قال عبد الساده ضاحكاً.

فرش السفره المدوره، واضعاً السمكة في المنتصف تحيط  
بها، رؤوس البصل، ومواعين الطرشي، والتمر (الخستاوي)  
والليمون والبرتقال، وأرغفة خبز العرب الشهية.

قال عبد الساده: أولاً يجب عزل حصة أم مطشر و(سعوده)  
الحلوه، من السمكه قبل أن نأكل، فهي كبيرة، ويجب عزل  
حصتهم.

هاي شنهو ابو لميعه الله يخليك همه حصتهم عدمهم، هاي  
مالتكم خالصه مالكم بيه شريح، مو صحيح (ام مطشر) صاح  
(مظلوم) مخاطباً زوجته.

أي والله خويه اكلوا هني ومري والف عافيء احنه عدن  
المكفيئه وزايد، هكذا ردت أم مطشر.

أستطاب الجميع الاكل الشهي، وهم يستمعون لنكات أبو  
لميعه، حول غباء السلطة وحلقاتها من الأقطاعيين والمرابيين،

وأهل العمامه من وعاظ السلاطين، متذاذباً الحديث مع  
اسطه نوماس، وأبيات الشعر الشعبي من أبو مطشر، بينما  
أمطشر ظل واقفاً لتبليه طلباتهم من الماء واللبن أو الخبز.

بعد رفعوا أيديهم من السفرة، رغم الحاج أبو مطشر وحثهم  
على الأكل، قال أبو مطشر ياجماعه بهل اللمه الحلوه والأكله  
الطيبه وما عايزه الا استاد (منير) لباس ان نقره الفاتحه لروح  
صدقانه اللي كتلتهم الحكومه.

فتح الجميع أيديهم بقراءة سورة الفاتحة على أرواح شهداء  
الشعب والوطن كما قال اسطه (نوماس).

جلب لهم مطشر (البريج) و(السلبيجه) وصابونة اللوكس،  
والخاوي، حتى يغسلون، رفضوا ان يصب لهم مطشر، بل  
اخذ بعضهم يصب الماء لبعض، رغم اعتراض مطشر وأبو  
مطشر فهم ضيوفهم وهذا من واجبات الضيافه.

زين إبني مطشر گل لأمك خل تهمنه الجاي، ها كون سنگين،  
تره الجماعه شرابة جاي أصليلين من گھوہ (عبد ننه).

بعدما شربوا الشاي (المهيل) استاذن الجميع، شاکرین لأبي  
مطشر كرم الضيافة، وقد أخبر أسطه نوماس (مظلوم) بأنّ  
(العربانه) ستكون جاهزة بعد غد.

في اليوم التالي، ذهب إلى السوق، ليشتري الأواني اللازمه  
للعمل، بالإضافة إلى كمية من (الحمص) بقدر ما كان يبيعه  
قبل إحراق (العربانه) وهكذا أستيقظ في اليوم الثاني مبكراً،

قادها محل أسطه نوماس، ليشهد اللمسات الأخيرة على (العربانه) وإبداء ملاحظاته ومقتراحاته للأسطه قبل زفافها إلى داره، ومن ثم أصطحبابها للتجوال في شوارع وساحات المدينة.

وبعد أن عاد للبيت اختص بولده ليحكى له ما حصل خلال الأيام الماضية فقد قرر أحرار النجف الانتصار لأخوانهم الذين انطلقت تظاهراتهم الواسعة في بغداد على اثر إضراب طلبة كلية الصيدلة، وأعتقدوا السلطات على الطلبة وجراحت أربعة منهم، مما زاد من اشتعال شرارة الأضرابات والتظاهرات وقد أشترك فيها أعداد كبيرة من الجماهير الغاضبة، ولم تتمكن السلطة من اخمادها إلا بعد أن أستشهد العشرات من المتظاهرين، بالإضافة إلى مقتل عدد من أفراد الشرطة، وأحرق بعض مراكز القوى الرجعية وأسياده الأنكليز والأمريكان، ولذلك قرر النجفيون القيام بتظاهرة مستكورة لأفعال السلطة ورافعة مطالب الجماهير، وقد سبقت هذا حث الجماهير عن طريق توزيع المناشير التي تندد بعدوانية السلطة، وتطالب بالثأر لدماء الشهداء، وعلى ضوء ذلك قامت السلطة بالعديد من الاعتقالات العشوائية للترهيب، وقد كنت أنت (ابو مطشر) أحد المعتقلين أنت و(عربانتك) لأكثر من أسبوع، لذلك لم نستطع زيارتك

للسجن، لأن العديد مناAMA كان في السجن أو أختفى عن عيون السلطة، للأعداد لتظاهره ٢٤ مايس ١٩٥٢.

تم الأعداد لتظاهره محدودة من سوق الحويش باتجاه الصحن الحيدري، وقد تفرق المتظاهرون من خلال (الدرابين) الفرعية حال نزول الشرطة إلى الشارع، وقد كانت هذه التظاهرة عبارة عن مجس لقوة الشرطة ومدى تصديها للمتظاهرين.

وبالفعل تم الأعداد لتظاهره اكبر وأوسع أنطلقت عصر يوم نفس اليوم من شارع ثانوية النجف، باتجاه ساحة الميدان، فالسوق الكبير، ومن ثم الطواف حول الصحن الحيدري، فسوق العمارة، ثم العودة إلى السوق الكبير، فساحة الميدان، شارع الثانوية، وشارع المستشفى، فساحة الميدان، حيث تفرقت التظاهرة في الساعة السابعة والنصف مساء، وقد تميزت هذه التظاهرة باشتراك النساء بفعالية، وقد شكلت تحديا كبير للقوى الأمنية، وقد كانت الشعارات المرفوعة خلال التظاهرة (يسقط الاستعمار، نريد جلاء المستعمرين من العراق، نطالب بمحاكمة سفاكي دماء الشهداء الأبرار، نذبح فداء لشعبنا، نريد أطلاق سراح الموقوفين السياسيين، يعيش أنصار السلام في العراق، تسقط الشرطة المحلية والتحقيقات الجنائية).

وفي يوم ٢٥ تشرين الثاني يوم الثلاثاء صباحاً انطلقت مظاهرة أخرى مكونة من غالبية طلابية من ساحة متوسطة السدير، فشارع الثانوية حيث شارك طلابها زملائهم والاشتراك في التظاهرة، فساحة الميدان، السوق الكبير، الصحن الحيدري، وقد كانت التظاهرة سلمية ولم تحدث اصطدامات مع القوى الأمنية وقد دامت لأكثر من ساعتين وقد ردت الشعارات (ليحيا الجادرجي، ليسقط الاستعمار، ليسقط نوري السعيد، تسقط الشرطة المحلية، نريد جلاء المستعمرين، نريد الغاء الأحكام العرفية).

مظاهرة أخرى في نفس اليوم الثلاثاء عصراً، انطلقت من ساحة الثانوية، فساحة الميدان حيث وصلت في حدود الساعة الخامسة عصراً، وقد تصدى لها الجيش هذه المرة، مما أدى إلى حصول أشتباك مسلح بين المتظاهرين الغاضبين، والمسلح بعضهم بالأسلحة النارية، والسلاح الأبيض، مما أدى إلى أستشهاد الشاب (حمودي عبد نه) و(حسن هادي) وجرح أحد الجنود نتيجة الأشتباكات.

على أثر تفاقم الأوضاع في المدينة، وتصاعد غضب الجماهير الشعبية لعدم تلبية مطالبها المشروعة، وطبيعة القمع المفرط الذي تعرض له المتظاهرين، وسقوط الشهداء، حاول قائممقام النجف (لطفي علي) بأن يصدر بياناً ملقاً محملاً بالتهديد والوعيد بتاريخ ٢٦-تشرين الثاني الاربعاء ١٩٥٢،

بالأضافة إلى تلفيق التهم والأساءة للمتظاهرين وقادتهم،  
محاولا بذلك الفت من عضد الجماهير وتحجيم غضبها  
وعزلها عن قادتها، ولكن مسعاه قد باء بالفشل الذريع، زاد  
من تلاحم الجماهير مع قادتها والالتفاف حولها والتحمس  
لشعاراتها المرفوعة ضد السلطة، فقد انطلقت في ضحى  
نفس اليوم ٢٦ تشرين الثاني، تظاهرة من ساحة المشرقا،  
بأتجاه ساحة الميدان، وكانت تردد نفس الشعارات السابقة  
ومنها سقوط الخونة وعملاء الاستعمار، وقد تدخل الجيش  
لتفريق التظاهرة، وقد تفرقت بالفعل بسلام، مما يؤكد بأنّها  
لجس نبع السلطة ومناورتها.

في الساعة الرابعة والنصف عصر نفس اليوم انطلقت تظاهرة  
من شارع ثانوية النجف وقد كانت مسلحة بأتجاه ساحة  
الميدان، وتظاهرة أخرى من السوق الكبير ايضاً أتجاه ساحة  
الميدان، حيث أشتباك المتظاهرون الغاضبون مع قوات  
الجيش، وقد أُعتلى بعض المتظاهرين على اسطح المنازل  
والبنيات، وقد استمرت المناوشات المسلحة لاكثر من  
ساعة، مما أدى إلى اصابة جندي وستة افراد من المتظاهرين  
بجروح، وقد كانت تردد نفس الشعارات في المظاهرات  
السابقة.

نتيجة لخوف السلطة من انفجار الوضع في النجف بما  
لا يمكن السيطرة عليه، وخشيّة أن تثور ألوية ومدن أخرى

لمناصرة أهل النجف، أضطرت الحكومة على اللجوء إلى وساطة المراجع الدينين ممن يحظون بالسمعة الطيبة والأحترام بين أهالي النجف، فكانت وساطة العلامة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، حيث أصدر فتوى متوازنة تدعى إلى الهدوء والسكينة من قبل المتظاهرين وتدعى السلطات إلى الاستجابة لمطالب الجماهير، ورفع الظلم والجيف الذي لحقهم والتخفيف عن كاهل الفقراء، والحد من تفاقم البطالة، لكنه دعا الجماهير إلى المطالبة بحقوقها بالطرق السلمية ونبذ العنف، وبذلك فقد عاد الأستقرار وإن كان قليلاً إلى المدينة، وعودة الأهالي إلى ممارسة أعمالهم الأعتيادية، وفتح محلاتهم.

عاد (أبو مطشر) مغرياً وراء عربانته الفورميكا الجديدة، مسيطر على سطحها كاسات الفرفوري الملونة وبطالة الخل والليمون المرصوفة رصفاً جميلاً على صدر العربانة، وأخذت شهرة لبلبي (مظلوم) تزداد يوماً بعد يوم حيث أخذ يطعمها حسب نصيحة أستاذ منير (الكسور) والدجاج ليكون طعمها أطيب وتكون بقايا الكسور والدجاجة وجبة عشاء دسمة له ولعائلته عند عودته للبيت ليلاً بعد أن تنفذ كمية (اللبلبي) المعدة للبيع كل يوم.

كسب زبائن جددًا لشراء اللبلبي يومياً من قبل بعض جلاس مقهى (عبد ننه) الذي كان لا يفوت يوماً إلا وغرد أمامها

عارضاً لبلبيه الشهي، فكان معه في غاية الكرم والأريحية، وكان أبو رضا يأمر له بشاي حال رأيته بباب المقهى. ولكن الذي حدث في فجر أحد الأيام وعلى حين غرة طوقت زمرة من الشرطة (مظلوم) وعربته وطردت المشترين وطلبت منه أن يتنهى جانباً بعد تفتيشه تفتيشاً دقيقاً ثم فتحوا أبواب العربانه وخرجوا كل محتوياتها من اللبلي والبريمز والقدر والنفط والخل والملح والحامض، وثقبوا صفائحها الجانبية بحراب بنادقهم ومظلوم ينظر إليهم متالماً مستغرباً يكاد يفقد أعصابه ولا يعرف ماذا يفعل وبأي شيء متهم هو وعربانته وهل أصبح بيع (اللبلي) ممنوعاً وهو لا يعلم؟ ولكن أحد أفراد الشرطة همس في إذنه ابن عمي عدنه إخباريه اكتو بعربانتك مناشير معادي للحكومة هذا بعد أن عرف انه من ابناء عمومته (آل هلكان).

ولك خويه آني وين والمناشير وين شنهو آني أبيع لبلبي يو اشتغل نچار، ظل شنهي السوتة المنشير وصارت تعادي الحكومة، انشالله باچرتطلع المساحي والچواكيچ والکراکه معادي للحكومة.

ولك هاي شلون مصيه وين ما تحطه (يمظلوم) سوده امصبخمه.

هز ابو (إسماعيل) يده مستهزءاً ومستغرباً بسبب عدم فهم مظلوم لما أسر به له: (عرب وين طبوره وين) (اليحجي

هندي وليس معون أهل الچريات)، ولك عمي يانجارة  
ياطياره يا جواكيچ مناشير يعني ورق مكتوب بيه حچي موزين  
عله الحكومه افهمت، من طاحظ اللوگي إلي جاب هذى  
الاخباريه البایخه.

- (محضر ضبط، تم تفتيش المشتبه به مظلوم وعرباته وجه  
وگهه ولم يتم العثور إلا على بريمز عدد واحد متروس نفط  
وجدر لبليبي حار وعشر مناچيس فرفوري وخمس بطاله خل  
وكيلو نومي حامض.

توقيع

العريف مزععل راضي

رئيس المفرزه

توقيع

المشتبه بيه

مظلوم دايح

أنقلل المحضر.

قرأ العريف المحضر على (مظلوم) طالباً توقيعه على  
المحضر وإقراره بنتائج التفتيش والمواد المضبوطة في  
العربانه ولكن مظلوم رفض التوقيع قائلاً: جناب العريف أشو  
ما جبت ذكر للدجاجه الجانت بجدراللبليبي شنهو الدجاجه  
طارت يوماً مشموله بالقاء الغبض؟

إيه الدجاجه طارت صارته جناحات وطارت، ثم نادى على الشرطي (سعود) الذي يدعى أنه من عام (مظلوم) گل لين عمك شلون طارت الدجاجه!

- مظلوم (الحدره والخنجر) صارن أجناحات وطيرن الدجاجه من المحضر وإلا كان كتب العريف انه ضبط في العربانه أسلحة جارحه وأسلحة راشه چارحت بيه (سبعه ماي)!

اسكت ابن عمي وقع وقع واسكت احسلك!  
تحركت سيارة الشرطة المسلحة، تشق طريقها بصعوبة وسط حشد الناس الذي أثار اهتمامهم طرافة منظر عربانة اللبلي في المسلحة وقدر اللبلي يرسل بخارا شهيا، ترجل العريف في باب مركز الشرطة آمراً شرطته بإinzال (مظلوم) وعربته وإدخالهما المركز، نفذ الشرطة الأمر بفضاضة مع (مظلوم) وبعناية كبيرة مع العريانة حرضا على اللبلي.

نعم سيدى المتهم حاضر، أمره المفوض بإدخاله عليه ادخل (مظلوم) على المفوض أنت (مظلوم دايغ)  
- نعم حضرة المفوض

أمره بوضع كيس نقوده على (الميز) الذي كان معلقاً في وسطه بواسطة الحزام الذي يشد ظهره، فعل (مظلوم) دون مقاومة، ثم أمر الشرطي بإدخاله النظارة.  
اقتيد إلى النظارة دفع داخلها دفعا من قبل الشرطي.

استقبله الموقوفون باستغراب خصوصاً (القمّجي) الذي سبق وان تعارك معه خارج السجن، كما أثار فضولهم تجمع الشرطة بمن فيهم العريف حول قدر اللبلبي، أقسموا اللبلبي فيما بيتهم بعد عزل حصة السيد المفوض مع نصف الدجاجة ل تكون مزة شهية لجناه هذه الليلة.

كان (مظلوم) يراقب المشهد وقد ادله مت سحنته بسحابة الغضب والألم وهو يرى الشرطة قد اقتسموا اللبلبي وركلوا القدر بأحدزيتهم،

لا يا مناعيل الولدين ولكم ياظلام النفس، هسه الجدر شعليه  
هم شوعي، فرهدتوا اللبليبي والخل والحامض والدجاجه،  
الجدر ليش تخسفونه، من ألف نعله عله بهاتكم، ولا بو  
السلطكم عليهن.

قدم له أحد الموقوفين سيكاراة غازي، أخذها وقد لفت نظره وجود القمرجي مع الموقوفين.

ولع سيكارته، دافعاً دوامة كثيفة من الدخان من منخريه ملأت الغرفة، سائلا القمرچي.

ها ابن عمی شنهو انته هم توزع مناشير شوعیه لو هم  
نصبیتولکم علی فقیر مثل حالی باللگو.

والله تراهي مصيبة الحكومة من صفحة وانتم السرسرية  
والنصابة من صفحة ثانية وين أيولي الفگر يارب لعالمين؟  
ودور طلبة الشوعيه.

بادره أحد الموقوفين بالسؤال

- كلي خويه شسمك بالخير أبو من؟

- مظلوم أسمى مظلوم دايخ أبو (مطشر)

- والنعم والسبع تنعام عاشت الأسامي.

أگول خويه ما تگلي شنهو هاي الشوعيه أم المناشير  
الجايبيينك بسيبه للحبس.

والله ياعمي ومان الله مالي كل عرفه بهل المره لامن جريب  
لامن بعيد، مالي كل عرف بيه، حتى ما سامع بسمه بت  
الحلال هاي ولا شايف مناشيره.

أجاب أحد الموقوفين قائلاً بتهمكم، عمي يگولون هاي علويه  
جديدة وشارته باليد.

قال (مظلوم): عمي من چان هچي داخلين بخته نريده تاخذنه  
حگنه من كل ظالم، ونشوف شارته بالتأهيميه وياه ظلم، بچاه  
كلمن عنده چاه، ولكن عراض الوادم لعبه يا ماعدكم.

قال آخر لاعمي يگولون الشوعيه ما تعرف الله ولا رسول الله  
والشوعية شرابة عرق والرگص، فرد عليه الأول: بويه لونه  
مثل ما تگول ماچان الحكومه حرست الملاهي وبيوت  
القمرچيه والبارات وهل تشوف العرق ينبع وين ما چان  
وهذا هل عندك اليسمونه (مانينه) مو هل بيع العرق من غير  
مايعرضه أحد، بلا كت همه معادينه لأنه تريد اتساوي بين

الفقير والزنگيين، وتنصر المظلوم عليه الظالم، وهل التشوف  
اني وذاك صديجي هم ذبونه بالحبس بتهمة حب (الشوعيه).  
فقال أبو مطشر: عمي يمين عليه إذا طلعت من الحبس سالم  
لو ديله بيرغ أو واهليه وچيس حنه.

ضحك الجميع بين مصدق وبين متهم (عارف وخايف) كما يقولون مظلوم، مظلوم دايغ، هاي إلك أمانه من الهايم.  
asherab عنق (مظلوم) نحو باب الموقف مستغرباً من نداء الشرطي والهايم؟

عمي ياهانم، ياطرگاهه ولکم آني ما عندي غير أم (مطشر)  
وهي ما تندل باب الحوش.

رد الشرطي قائلاً: ولك هاي أمانه إلک من الهاشم (غنوده) من مرة الحجji (معيوف) وتسليم عليك تگول ليدير بال أبو مطشر.

استلم عدد من الأكياس من الشرطي وكانت مليئة بأرغفة  
الخبز الحار والكباب والفواكه وسجائر الغازى واللوكس  
وشخاط أبو النجمه.

ولكم شنهو هل المصييه هاي من چاب غنوده لهنا،  
وشمدريه بيه محبوس / يصير گال اله أخو أستاذ منير يو  
شدھان الگھوچي، يصير، لا لا بويه استغفر الله.  
لکزه أحد الموقوفين (أبو مطشر) لا تظل تسولف ويه روحك  
رزق وجاك، أيين ليلبيك امغزر بالهانم، ضحك الجميع فيما

فتح أبو (مطشر) الأكياس داعيا الكل للمشاركة في الأكل حتى (القمرجي) قائلاً مع نفسه "البات فات واليوم أحنه بالمضيبيه سوه كلنه بالقلق، القمرجي والعربنچي")

بعد وجبة الأكل الدسمة والفواكه الطازجة، وقوري الشاي الذي جلبه لهم الشرطي على حساب الهانم، وزع عليهم السكائر والشخاط، فتراكمت سحب الدخان في سماء الغرفة وسط ثرثرة السجناء كل عن قضيته وسبب سجنه وتوقعاته عن مستقبله وماذا سيحل به، إلا هو فلا يعرف لماذا هو مسجون ومن هو المشتكى عليه وما هي تهمته، وضع رأسه على البلاط واخذ يدندن مع نفسه ببعض أبيات الابوذية ليتنفس عن حاله ويبعد حزنه، فعم الصمت القاعة مصتنا لصوته الشجي حتى أبكى اغلب الموقوفين، الذين تعلقوا به وطالبوه الأستمرار بالغناء، الصق الشرطي أذنه بباب الموقف لسماع الغناء وقد أغروا قت عيناه بالدموع!

أحس بالتعب فأسلم نفسه للنوم وسط هذا الحشد من الموقوفين بين سارق أو قاتل أو مشتبه به واو.

عند الصباح أقتادوهم لدوره المياه / حسب الدور في ممارسة لم تكن تخطر على باله يوماً، بعد عودتهم للموقف. سمع شرطي ينادي: (أبو مطشر) عمي (أبو مطشر) (مظلوم دايغ).

أستغرب من الأمر وخصوصاً لهجة الشرطي المحترمة والمؤدبة وعمي أبو مطشر، سبحان مغير الأحوال، مردداً مع نفسه "إيه ولك اچاك الموت (يمظلوم) والله هسه يودون چلدى للدباغ، ولو أهوا مدبوغ من كاعه، مثل ما گال المفوض / ولك ياعمي يابو (مطشر) اليوم أتصير أبو مكسر" وعله طاري (الدباغ) هذا الحيوان المسكين، نذبحه، نأكل لحمه، ونلبس صوفه أو شعره، وبعد ذلك يقوم (الدباغ) بدبغ جلده بمادة (الشوره) المحرقه قبلها الملح الذي يأجج نار الألم بالجروح، كل هذا لتهياً الجلد، ليصنع منه الانسان، حقائب، واحزمة، واحذية ندوس بها الأرض بلا رحمة، ومتى اهترأت رميت في المزابل، لا موبس هاي يسون منعده طبول لتدوي بدميهم في افراهم وأتراهم، عيدان الطبالين تزداد قسوة مستلطفة صرائنا والمنا، متصورة عويننا، هلاهل، وصيحات فرح !

ولك أخنه الفقره من عمال وفلاليح هذا هو مصيرنه عدد الأقطاعيين وربعهم أهل الفلوس والحكام، حتى جلودنه يصلخونه ويدبغونه.

أعاده إلى وعيه نداء الشرطي : هاي وينك عمي أبو مطشر مو السيد المفوض يريديك، هاولك جنه صدگ وهذا المفوض طلع سيد يجوز گرایب العلویه الشوعیه / ونتخالي . إيه إيه صار صار جناب الشرطي .

خرج من باب الموقف متوجهًا ناحية غرفة المفوض والشرطـي  
يسير خلفه هذه المره وبدون لكرزات أو وعيد وتهديد بصلـخ  
الجلـد.

استعدـ الشـطـي عندـ بـابـ المـفـوضـ، نـعـمـ سـيـديـ هـذـاـ عـمـيـ أـبـوـ  
(مـطـشـ) تـفـضـلـ عـمـيـ تـفـضـلـ أـسـتـريـحـ.

ماـ إـنـ اـطـلـ بـرـأـسـهـ عـلـىـ غـرـفـةـ المـفـوضـ حـتـىـ تـفـاجـأـ بـ(ـغـنـوـدـ)  
جـالـسـةـ بـجـانـبـ المـفـوضـ كـأـنـهـ عـرـوـسـ فـيـ لـيـلـةـ دـخـلـتـهاـ.  
ولـكـ شـنـهـوـ هـلـ المـصـيـهـ هـايـ أـجـابـهـاـ أـهـنـاـ وـشـتـرـيـدـ مـنـ  
مـصـلـوخـ.

أـسـتـقـبـلـتـهـ غـنـوـدـ بـأـبـتسـامـتـهـ الـمـعـهـودـةـ، هـاـ أـبـوـ (ـمـطـشـ) سـحـولـوكـ  
هـذـوـلـهـ الـظـلـامـ، شـافـوـكـ فـقـيرـ وـمـاـ لـكـ أـحـدـ، مـاـ حـصـلـوـاـ غـيرـكـ  
يـتـهـمـوـنـهـ حـطـوـهـ أـبـراـسـكـ، وـالـلـهـ وـالـلـهـ لـاـ بـهـذـكـ أـحـواـلـهـ.

قـالـتـ ذـلـكـ وـهـيـ تـنـظـرـ لـلـمـفـوضـ الـذـيـ لـزـمـ الصـمـتـ دونـ أـنـ  
يـنـبـئـ بـبـنـتـ شـفـهـ،

نعمـ، نـعـمـ سـيـديـ عـدـنـهـ سـيـديـ، أـشـتـبـاهـ سـيـديـ هـايـ إـخـبارـيـهـ  
كـاذـبـةـ مـنـ الـمـخـبـرـ السـرـيـ الـمـتـهـمـ أـسـمـهـ (ـمـظـلـومـ دـايـحـ مـوـ مـظـلـومـ  
(ـدـايـخـ))

الـتـرـيـدـهـ أـيـصـيرـ سـيـديـ أـعـذـرـنـهـ سـيـديـ، التـامـرـ بـيـهـ أـيـصـيرـ أـنـذـبـ  
الـمـخـبـرـ بـالـسـجـنـ وـعـمـيـ (ـمـظـلـومـ) يـطـلـقـ سـرـاـحـهـ فـورـاـ.

ولك هاي طلعت حکومه مو غنووده ولکم هاي بهذلهم  
اتبهذل ونعلت سلفه سلفاهم، دخيلچ يعلويه شوعيه هاي  
انتي الوديته إلية.

وضع المفوض سماعة الهاتف وهو يتصرف عرقا، والتفت  
مخاطباً ومعاتباً (غنووده) هانم ليش توصلية للبasha، احنه فد  
يوم راديلچ طلب.

قالت غنووده: مفوض (حدران) هسه تطلعون (مظلوم) من  
الحبس وترجعوله فلوسه وفلوس اللبلبي والدجاجة والگدر  
المحسوف والمواعين المكسرة، يو والله والله وراس العباس  
أبو راس الحار أخلي كل واحد منكم تحت نجمه.

أمرج هانم أمرچ، شتگولين أيصير ولا تزعلين انتي والبasha  
علينه، شرطي ردوا لبو (مطشر) كل غراضه وعرباته حطوه  
بالمسلحه وده كدامه ليته، عمي أبو (مطشر) هاي بوسه من  
راسك، وهاي فلوسك وچيسك وفلوس اللبلبي الكلناه  
وفلوس المواعين، وهاي من عندي جم دينار فوگه عن  
الحلال والحرام، وهسه أتفضل روح ويه الهانم مع ألف  
سلامه.

لا عمي لا فلوسك ردهن، أحنه ناس ناكل من چدنه وتعبنه،  
ردولي فلوسي وأبوك الله يرحمه.

خرج يسير خلف غنووده والمفوض الذي أوصلها إلى باب  
المركز حيث تجمع أهل (مظلوم) وجيرانه بانتظار مقابلته منذ

فجر اليوم، جالبين له معهم الأكل الملابس والفاكه  
والسکائر، مع أم (مطشر) و(مطشر) وأبو صبريه العربنچي،  
وعارف البايسكلاچي، وأبو فاطمه البقال وآخرين من نساء  
ورجال، تحملوا الكثير من الأهانات والكلمات البذئه  
والطرد من الشرطة وهم يتولونهم لإرسال حاجياتهم لابو  
(مطشر) دون جدوى.

(أي بمظلوم هاي تاليتك تشفعلك مره عد الحكومه وتطلعك  
من السجن / هاي أرددته بالولايه / ولكنكم مو احنه اچينه دخاله  
على أبو أفقره أبو الحسن والحسين، هيچجي اتسون بيشه /  
شدنه من حبس الملالیچ وقراییچ عبیدهم طحنه بحبوس  
الحكومه وقراییچ شرطته، والله أنعل أبو هل الوكت الطایع  
حظه"

ثم يرد على تساؤلاته "ولك عمي تستحمد ربك وشكراه،  
ولك يمكن بخت العلویه هتفلك غنووده وطلعتك من  
الطاموره"

أحتشد أهل المحله بباب المركز مستبشرین بإطلاقه أبو  
(مطشر) وإطلاق سراحه من الحبس، لم يتتبه، حتى قطعت  
عليه غنووده استرساله بأفكاره حين أمسكته من كتفه قائلة: أبو  
مطشر هاك هل الچم دينار دبر بيهن حالك وعيالك / وهسه  
روح ويه ناسك وباچر امن الصبح أريدك تمر عليه الي وياك  
شغل مهم، الله وياك.

فتح لها السائق بباب السيارة التي كانت تنتظرها في باب المركز، ودعها بأرتباك شديد وهو يلاحظ نظرات أم (مطشر) والجيران.

أستقبله الجيران بالأحضان مباركين له خروجه من السجن وخلاصه من التهمة الباطلة الخطيرة، وقد همس باذنه (عارف البايسكلچلي): إنَّ أبي لم يعه وجماعته يسلمون عليك، ويعتذرون عن المجيء إلى المركز بسبب ظروف خاصة، وانشاء الله يشوفونك بغير وقت.

أكبوه مع أم (مطشر) و(مطشر) في ربل أبو (صبريه) ليأخذه إلى دارهم، أما هم فقد استأجروا (ربلات) أخرى ولحقوه، ليكملوا معه بقية النهار وسط الفرح والزغاريد وتناولنوجبات الطعام المعدة من قبل نساء المحلة للاحتفاء به.

بعد إنْ أنصرف الأصدقاء والجيران، أختلى بعائشه مهونا عليهم الأمر، وإنَّها ساعة ضيق وقد أتى من بعدها الفرج، ثم إنَّ ما حدث له لا يعادل أبسط ما تعرض له الأبطال الذين تصدوا لرصاص الشرطة بتصديورهم، وهو يعيد إلى ذاكرته ما حدثه به ولده مطشر واسطه نوماس وصديقه (ابو لميغه) وساعد الله قلب الحاج (عبد ننه) الذي فقد ولده (حمودي) شهيداً في ميادين التظاهر، قضى يومه وليلته في داره، قرب أم مطشر وعزيزته سعوده، وولده مطشر الذي بدا اكبر من عمره بكثير.

نهض صباحاً وهو متتشياً بنوم مريح وليلة حب حميمية في أحضان حبيبته أم مطشر.

صبحها بقبلة حارة، ثم نهض محضراً الحمام، ليغسل، من عرق السجن والغرام، تناول أفطاره مقتسماً البيض المقلي والشاي، مع ولده وابنته وحبيبته، مع خبز (البرين) الحار الذي أحضره لهم (مطشر) كعادته كل يوم.

وضع في يد زوجته قسماً من المال الذي حصل عليه من المفوض ومن غنوده لتسوق ما تحتاجه من طعام وما تحتاجه لها ولطفلتها.

أرتدى دشداشته البيضاء المعطرة بعطر صابونة اللوكس المودعة بين طياتها والتي لا تخرج الا لغسل بها الخطأر يديه، وضع (البشت) على كتفيه وخرج من الدار وهو بأبهى مظهر، سفك الماء (حياة) خلفه من باب الدار، سلك طريقاً متعرجاً صوب بيت (غنوده)، بعد أن استطاع أن يقنع أم (مطشر) بصعوبة بعدم الذهاب معه للتشكر من (غنوده) بنت الحال التي وقفت إلى جانبه وأخرجته من السجن، واعدا إياها مظلوماً بأنه سيصطحبها لزيارة العلوية (شوعيه) ليوفيا بنذرهما جزاء إطلاق سراحه في وقت آخر بعد احضار نذرها، وخلال طريقه لاحظ اموراً غير اعتيادية في شوارع وأزقة المدينة، ووجود دوريات من الشرطة، وبعض مفارزهم في بعض الساحات ومفارق الطرق، والناس تتحدث حول

فتوى الشيخ كاشف الغطاء، والتي كانت تذاع من على مكبرات الصوت من الصحن الحيدري الشريف.  
طرق باب (غنوده) فاته صوتها غنجاً وهي تفتح الباب:  
أفضل عيني أتفضل (شياع) من رحت فدوه لهل الطول  
الحلو.

وقف متربداً، يبدو أنها على موعد مع شخص آخر أسمه (شياع) وان دخوله كان خطأً، وقفها (غنوده) عيني يمكن آتي جاي بالغلط، أنه موشياع، أنه (مظلوم) حاول أن يستدير ليعود أدراجه، ولكنها أمسكته من ذراعه بقوة، رمت بجسدها البعض عليه، جسدها الذي كان يشع دفناً وينث عطراً، لثمته برشقة من القبل الحرى لك عيني أنه محتاجه كشمش حتى أسوى مطبك باكله هههه، أرتحت مفاصله وأصابه الخدر، لك عيني هاي شبيك انته مزاجك حامي، هاي غلطة لسان/  
انته شگد غيار، فوت يمعود دفوت، دفعته أمامها وهي مبهورة بحسن قوامه وجمال هندامه وفتوته الطاغية.

جلسا في غرفة الأستقبال الفارهة وثيرة الفراش والرياش،  
المزينة بالثريات الكريستال التي لم يشهد مظلوم مثلها إلا في أضরحة الأولياء.

أجلسته خلف منضدة معدة مسبقاً، تغط بأنواع الفواكه وأنواع الكرزات وقناني الويسيكي الانكليزي الفاخر، ومكعبات الثلج  
وووو.

نزع (أبو مطشر) بشته وعقاله ويسماعه، مطيلا النظر فيما حوله وأمامه، خرجت غنوده من غرفة نومها بأكمل زيتها لا يسترها إلا (اتك) من الحرير الشفاف تعاركه مكوراتها المتفجرة شهوة من الأمام والخلف ومن الجوانب، وصدر كبياض الحليب ونعومة الحرير، عطر فواح، شعر ذهبي يشاكس وركيها، ملأت كأسين بالزبيب الأنكليزي كما تقول، تترافق في مكعبات الثلج، جلست في حضن (مظلوم) سقته بيدها ودعته ليرويها بالكأس الثاني، لم يرفعا أيديهما حتى افرغا الكاسين في جوفيهما، ارتشف مزته من شفتيها المكتنزيتين، تأججت الرغبة، وحلوة العناق، أحس بما يشبه التيار الكهربائي يسري في جسده من ملامسة راس نهدتها النافرين لصدره الذي فكت أزراره غنوده، انتصب شراع زورقه بفعل الحرارة الفوارة تريده ناراً اشتعلانا تأوهاتها وحركتها الروحية الطاحنة في حضنه، توالت الكؤوس والسكائر الروثمان وحبات الفستق والقبل الماصة الراصة، حتى كادت أن تحطم الأنهر سدودها والبحيرات ضفافها، أضطجعا على سجاد ارتفعت الاشارة البيضاء فاتحة ينابيع الرغبة، فكان التحامما عاصفاً، اغلقت كل الفتحات قطعت كل الاتصالات بالعالم الخارجي، فار تنور الشهوة تدحرجت الأقداح، صاحت الديكة، طارت الطيور، أقتلت السدود، ز مجرت الرعد / أمطرت السماء، حين بلغ المد منها، أغرق

الزبد سدود الجسد، هدأت العاصفة وتراحت المجاديف  
وأنزلت الأشرعة، نهضت حورية البحر وعيونها لازالت  
تومض بالرغبة والشيق العارم، أطبقت شفتيها على شفتيه،  
وهي ترتجف مكللة إياه بغابة شعرها المعطر مجرأً براكين  
الرغبة.

- ولك عيني (اشياع) ما أشعـب منك، ما اشـبع ما اشـبع  
أنتفض كالملدوغ، أنقلبت غنوـده على قفـاها، تـدحرـجـت  
الـكـؤـوسـ وـتـنـاثـرـتـ حـبـاتـ الـفـسـقـ وـالـفـواـكـهـ وـكـرـيـاتـ الـلـلـجـ علىـ  
طـولـ وـعـرـضـ الـغـرـفـةـ، ذـهـبـ الـخـدـرـ عـادـتـ صـحـوـتـهـ وـانتـباـهـ  
استـقاـمةـ قـامـتـهـ حـالـ سـمـاعـهـ لـكـلـمـةـ شـيـاعـ، هـمـ بـلـبـسـ مـلـابـسـهـ  
وـهـوـ يـرـجـفـ غـضـبـاـ، حـاـوـلـ أـنـ يـصـفـعـهاـ لـوـلـاـ إـنـ أـمـسـكـتـ  
بـذـرـاعـهـ بـكـلـ قـوـتهاـ وـأـمـطـرـتـهـ بـوـابـلـ مـنـ الـقـبـلـ، وـدـغـدـغـتـ موـاطـنـ  
ضـعـفـهـ، حـاـصـرـتـ مـنـخـفـضـاتـهـ بـمـرـفـعـاتـهـ الـلـدـنـةـ، فـاحـ العـطـرـ مـنـ  
ثـنـايـاهـاـ.

- لك عيني هاي شبيك، هي حچايه وطفرت عله لسانـيـ.  
اسمعـيـ (غـنوـدهـ) آـنـيـ بـعـدـ مـاـ اـكـعـدـ وـلـاـ دـقـيقـهـ وـحـدـهـ إـلـاـ مـاـ  
اعـرـفـ شـنـهـوـ سـالـفـتـچـ وـيـهـ (شـيـاعـ) وـشـنـهـوـ عـلـاقـتـچـ وـيـاهـ.  
زينـ عـيـنيـ زـينـ /ـ نـاوـلـتـهـ كـأسـاـ مـتـرـعاـ، أـفـرـغـهـ فـيـ جـوـفـهـ مـرـةـ  
وـاحـدـةـ عـسـىـ أـنـ تـطـفـأـ نـيرـانـ غـضـبـهـ وـغـيـرـتـهـ الطـافـحةـ.  
أـرـثـتـ لـهـ سـيـكـارـةـ وـلـهـ الـأـخـرـىـ ثـمـ أـخـذـتـ تـقصـ عـلـيـهـ حـكاـيـةـ  
شـيـاعـ: "أـنـاـ غـنوـدهـ غـبـرـيـةـ الـأـصـلـ وـلـاـ تـرـبـطـنـيـ بـمـعـيـوفـ أـيـةـ

رابطة، لم أكن اهتم إلا بالرقص والغناء والتنقل بين أحضان الرجال، طلباً للمال، وهذا هو حال كل الغجر، كأننا آلات لا تعرف الحب ولا الغرام ولا كرامة للجسد الذي هو بضاعتنا الرئيسة، وكذلك كان حالى إلى أن جاء (للفريج) شاب عليه علامات العز والترف والثقافة وجمال المظهر، كان صوته شجياً وغناءه معبراً، مشبع بالإنسانية والصدق والجرأة، يعامل الكل بلطافة وحلوة واحترام، لم يستجدني عطف أحد، ولم يكن مبتذلاً رخيص المشاعر كغيره من زبائننا/ كنا نسمع منه كلاماً لم نسمعه من أحد قبله، في معنى الحب والحياة، الحرية والأنعتاق، تحرر الروح والجسد من عبودية المال، وبمرور الأيام غزى قلبي وهيمن على كل مشاعري فلم أعد استأنس حديث ولا مجلسة أحداً غيره، ولا احضر حفلات الرقص والغناء إلا بحضوره، لم أسأله منه هو ولا من أين أتى ولا عن سبب مجئه للفريج، وماذا كان يكتب ويرسم، أحسه كالعطر أخشاً أن يتبخّر ويتطاير حال فتح غطاء قناته، أصبحت أسكر بصوته وجمال روحه ومظهره، صار محط أنظار كل الغجريات وحتى الوافدات المؤقتات، قبل ظهوره في حياتي كنت محظية إقطاعي كبير وشيخ عشيرة مشهور يدعى الشيخ (عربيد) الذي أخذ يتضائق ويغار كثيراً من (شياع) بعد أن عجز عن منعي من مجالسته رغم ما بذل من مال وهدايا ثمينة.

أستحوذ (شياع) على قلوب أغلب الفريج من النساء والرجال، وذات ليلة مشئومة بلغ بعربيد السكر والغيرة والغضب مداه لأنني لم استجب لدعوته ولم احضر مجلسه، مما كان منه إلا أن يصوب نيران مسدسه الي راس (شياع) مفرغا شاجوراً كاملا برأسه، فتناثرت عظام جمجمته في الخيمة، مما جن جنوني فهجمت عليه في الحال وبصقت في وجهه وأسقطت عقاله، مع وايل من السب والشتم، كدت أطبق على رقبته وخنقه لو لا تدخل حمايته من العبيد الذين أوجعني ضربا وخلصوه من يدي، كاد أن يقتلني لو لم يكن شاجور مسدسه فارغا من العتاد، وتدخل عائلتي وتوسلاتهم بالشيخ وحاشيته للغفو عنني، حضرت الشرطة للفريج أجروا تحقيقا شكلياً وأخبروا الشيخ إنَّ (شياع) سياسي خطير هارب من أحد السجون، وهو لم يزل مطلوبا للحكومة،  
أستغل (عربيد) هذه الخبرية وشهد له الشهود من عبيده، بأنه كشف أمره وأراد أن يسلمه للسلطات ولكنه حاول قتله مما أجره للدفاع عن نفسه وقتله، سجل لأمر دفاعا عن النفس.  
بعد الذي حصل لم تفارقني صورة (شياع) فعزفت عن الرقص والغناء وأهملت نفسي، بلغ مني القرف حداً لم أعد أطيق (الفريج) فقررت الهرب للمدينة، فذهبت لمتجر (معيوف) الذي كان يتتردد علينا ويتودد لي ويقدم العروض المغرية لمرافقته للمدينة دون جدوى، لم يصدق معيوف

نفسه حين أخبرته باني قد قررت أن أعيش معه وهجرت (الفريج) نهائياً، فأصبحت محضيته لأكثر من ستين مضت، أحيي حفلاته وسهراته مع كبار المسؤولين والتجار الذين يظهرون في الليل ويتوارون في النهار، البasha، المدير العام، والوجيه، والمرجع ووو أفنديه ولباس عربي وعمائم وكشاید ووو، أذلاء تتحكم بهم غرائزهم، متهدكين شواذ خلاف ما يتظاهرون به من الرفعة والعفة والوقار خلال النهار، حتى أحياناً يرافقهم (صبيان) يسمونهم (فروخ) صغار السن، يرقصون، ومن ثم يمارسون معهم الجنس على فراشي ودون حياء،

هذه حكاياتي مع شياع يا (أبو مطشر) إما علاقته بك فمنذ إن شاهدتك لأول مرة خلف العريانة وسمعت صوتك ن أعدتني الي صورة (شياع) سبحان الخالق الصانع، الطول الشكل الصوت الشارب، الفتوة.

لا كن تريد الصدّق، شياع كان حچيे مدری منین یجیب السوالف، یگولون هذوله ناس مرفوع عنهم الحجاب یقرؤن الماضي والحاضر والمستقبل، دار راسي خلاني أشوف الدنيه بغير شکل، صرت ما راضيه على عيشتي).

كانت (غنوده) تتحدث والدموع المشبعة بالكحل تسيل مدراراً، السيكاره لا تفارق فمهما، كان هو ينصت بانتباه شديد لما ترويه له من قصة حب مؤلمة وحزينة لا يستطيع أنْ

يفهمها إلا من عاش نار الحب وألم الفراق، هدأت أعصابه  
وشعر بالتعاطف مع (غنوده) معجباً بوفائها لحبيبها المغدور،  
مسح دموعها براحته واسعاً رأسها في حضنه متحسساً  
أنفاسها وضربات قلبها الصادقة.

عمل لها وله كاسين من (الزيسب) قبلها وسقاها بيده، عادت  
نيران الحب تدب في جسديهما، تدانست الأعضاء ورميت  
الكؤوس، تداخلت الجسدان، غابا عن الوعي بفعل نيران  
الهوى، فاضت ينابيع الرغبة، نهضت غنوده وهي ممتئنة  
بالنشوة ورائحة الشبق الفياض.

عيني أبو (مطشر) خلينه هسه نتغده، وآني محضر تلك شلون  
سمچه تلوگ لهل الحلگ.

انتقلوا لغرفة الطعام، كانت السفرة تغص بأنواع المأكولات  
والعصائر والمقبلات وسمك القطان المحشي من العيار  
الثقيل، اقبلنا على الأكل بشهية كبيرة مصحوباً بكؤوس من  
الويسيكي الفاخر المخفف بعصائر البرتقال والرمان والتفاح.  
"ولك شنهو هل النعمة ي (بمظلوم) ولك انته أبو زريده ما  
شبعان، ومن التمر الزاهدي، مو گطان أبو حگه، وهذا هذا  
الشربت اليغمش الروح ويفتح العيون ويطرد المستحه،  
ولكم وين انه بچنه؟"

حوريه وطعم ملوكه وفواكه ما بعد عايشه غير الفروخ  
المخلدين وآني ما أحبت الفروخ برد حيلهم.

تلاحظ غنوده شروده وأندهاشه مما هو فيه فتعيده إليها قبلة  
ومداعبة.

- هاي وين عيني، وين رحت أبو (مطشر) نحن هنا، ما أريدك  
تروح الي أي مكان وانته يمي، حبيبي أموت عليك.  
ما إن أكملوا غذائهم وشربوا أقداح الشاي المهيل، وتبادل  
سکائر الروثمان المذهب "ولك هاي مو جگاير هاي دهن  
حر، ولك مظلوم وين لاجيه أبو المزين"

سحبته غنوده إليها، دخلا الحمام الذي لم يحلم بمثله  
(مظلوم) أنواع الصوابين والشامبوات والعطور، دلكته  
ودلكها. تبادلا نوبات من الحب، تفتحت صنایير الرغبة،  
كصنایير الماء الدافق من حنفيات الحمام المزین بالصور  
الداعرة والمرايا وووو.

رمت إليه بأنواع من المناشف المعطرة لم ترها عيونه ولا  
حلمت بها نفسه. ولك شنهو آني بحلم بعلم ولكم شنهو  
hai الوادم وين احنه وين؟

أعاد إليه الحمام توازنه، متذكرا أنه يجب أن يذهب للقاء  
الأسطه (نوماس) النجار شقيق أستاذ منير، أرتدى ملابسه  
على عجل، وضع في كل جيب من جيوبه علبة سکائر،  
معتنرا لغنوده لعدم قدرته على العمل حدقجي أو مسوگجي  
عندهم كما اقترحـت عليه غنوده، استأذنها ودعـته بـسيـل من  
القبل، على أن لا يكون اللقاء الأخير.

توجه نحو محل نجاريه (نوماس) وجده على وشك غلق المحل والتوجه لداره، تدللى مسبحته الحمراء الملتقة على ساعده الأيمن، وهو يمسد شارييه الكثين، رحب به كثيراً، مباركاً له سلامته وتمتعه بحريرته، داعيا إياه الذهاب معه للبيت، فوافق على الطلب.

أي والله لا بأس لأن آني عندي حچي هواي أريد اسولفه لك.

أهلاً وسهلاً أبو (مطشر) وأنني مشتاق جداً لشوفتك  
ولسوالفك وأبي ذياتك الحلوه.

بعد أن قدم له مراسيم الضيافة الماء البارد والشاي.  
أخرج مظلوم علبة سجائر (الروثمان) وقدم لنوماس واحدة  
ووضع الثانية في فمه، فألتفت إليه نوماس.

هـ أبو (مطشر) أمورك صايره بالعالي مثل ما نگول صاير  
(برجوازي) تدخن روئمان.

- أی والله أسطه نوماس عمی های (الجوازیه) تخبـل، عمی های سلطنه اشمواچـل؟ اشمـشاریـب؟ اـشـروـایـح، اـشـجـکـایـر؟ عمـی خـلـیـه سـکـتـه يـنـوـمـاـس، خـوـیـه تـگـول مـوـغـنـوـدـه، لـاـبـوـیـه سـلـطـانـه.

بالعافيه عليك عسانه بختك، كون كل الينجبس هچي يسوله  
چان الوادم كله راحت للحبس.  
ضحك الأثنان وتبادلوا الأحاديث الحميمة دون تكلف.

نعم أبو (مطشر) كلت عندك سوالف تفضل.

ثبت مجلسه على بساط الغرفة، ولع سيكاره ثانية واضعا عليه الروثمان أمام الأسطة ثم قال: لا والله أسطه، بس ردت أطمئن على وضع (مطشر) هم وراه شي من الشرطه يو غيره، ومدرسته يكدر يداوم بيه يو لا؟

عيني من ناحية (مطشر) اطمأن هو محد يعرفه، وأشتراكه بالمظاهرات مرت بسلام، ودوامه بالمدرسه عادي، وشغله يمي هم عادي، الجماعه ما خذين أحياطاتهم حتى لا تعرف الشرطه والشرطه السريه عله كل المتظاهرين، وهسه الأمور بعد فتوى الشيخ كاشف الغطاء، وأقدام الحكومة على تلبية بعض مطاليب الشعب، فالوضع هاديء وقد عادت الحياة إلى مجريها.

رحم الله والديك أسطه والله هسا بردت كلبي، وانشا الله باجر أطلع العربانه، وتنسب عله باب الله، أو دعناكم. ودمعه أسطه نوماس متمنيا له السلامة.

عاد (مظلوم) إلى بيته مرتاح البال، اكمل احتياجات (العربانه) حملها (قدر اللبلي) فجر اليوم التالي، راصفاً في مقدمتها وجوانبها قناني الحامض والخل، وكاسات الفرفوري الصغيرة النظيفة البراقه، ماسحاً ظهرها بقطعة من القماش وكأنه يتحسس ظهر حبيبته كيف لا وهي (ام العيشه).

تدرجت أمامه رشيقه الحركة كالحبية المشتاقة للقاء احبتها بعد فراق مؤلم، يصطبح بالخير هو جيرانه ومعارفه من العمال والكسبة من الرجال والنساء والصبية الصغار الخارجين للعمل كما هي عادتهم فجر كل يوم، الذين اسبروا خيراً بعوده جارهم الطيب للعمل، واستعدادهم للمساعدة والتعاونة في كل أمر وطلب.

- ممنون منكم عيوني أنتم أحزم ظهري والله، يابعد عيوني عيونكم، الله يخليلكم ويزد لكم ويطيكم العافية والجيل. يسير في طريقه قدماً وهو يدنن مع نفسه على صوت قناني الليمون، المرتطمة ببعضها وفق اهتزاز جسد العربية وترعرعات الطريق، مخاطباً (العربانه): والله أنت أشرف راكوشه بهل الدنيه، تركصين حتى تفرحين الزغار والكبار وتجيبيين الرزق الحلال، من فدوه أروح لتأياراتچ الحلوه.

متخيلاً أطارات العربية وكأنها تطبع قبلها الحمية على جبين الأرض، شاكرة لها فضل حملها لتلتقي أحبتها، هكذا كان يتأمل عربته مستذكراً مهرته الجميلة التي كانت تحمله صوب الأرض، ومربع الرعي والصيد، لا يقطع خيالاته وتأملاته سوى صوت أحد أصحاب البسطيات أو المحلات طالباً منه كاسة لبلبي، وهو في طريقه ليستقر أمام باب أحدى المدارس، أو بالقرب من سوق الخضرة، وفضوة الحويش والمشراق، ومساءً قريباً من مقهى (عبد ننه) ليحظى بحب

ورعاية وصداقة الحاج (ابو رضا) الذي ما إن يراه حتى يرسل  
شايا سنكينا، وتحية وسلام، ناهيك عن محبة رضا وتفقده له،  
ودعوة كل أصدقائه ورواد المقهى بتذوق لبلبي (ابو مطشر)  
الطيب، مما جعله صديقاً لزبائنه من الاطباء والمحامين  
والعلميين والتجار ووجهاء وكسبة ومثقفي النجف، ان حضر  
رجبوا به وان غاب افتقدوه، وقد كان فرحاً جداً عند تعرفه  
بالشاعر المعروف (عبد الحسين أبو شبع) الذي أصبح من  
معاميله واصدقائه المقربين بعد ان عرف بولعه الكبير بالشعر  
الشعبي، وحفظه للكثير من ابوذيات ودارميات ابو على - فقد  
وقف عنده أبو علي يوماً لتناول كاسة لبلبي فرحب به كثراً  
وقد ترنم بيت من الأبوذية بحضوره:

هله بالجايلينه لبلبينه

هلينه ومرحبينه ولبلبينه

اله ماعون يأكل لبلبينه

ابو علي كلك حكمه وأريحيه

فأستانسه ابو على كثيراً وظل يت Rudd اليه بصورة مستمرة منشداً  
له المزيد من القصائد بمختلف المناسبات.

رغم ذلك كان يحزنه كثيراً افتقاده صديقه، العزيز أستاذ  
(منير) الذي توارى عن الأنظار ما بعد التظاهرات العارمة في  
النجف، كان يرسل له التحيات والسلام عن طريق التجار (ابو  
ماهر) الذي لا يمر مساء إلا ويركن عربته قرب محله ويزوده

بحصته اليومية من اللبلي، رافضاً أن يأخذ منها، تقديرًا لجهوده في نجارة العربة ورعايته لولده، متقبلاً من سيكاراة وقدح من الشاي، مع دردشة حول وضع الناس وتطورات الأحداث وما يجري في البلد، والاستماع إلى الراديو هذا الناطق العجيب الملمس بكل أخبار العالم، والذي يشنف أسماعهم أحياناً بأغنية.

جميلة لمسعود العمارتلي أو صديقة الملاية أو حسن خويكه وناظم الغزالى وقد ظل الراديو حلم وأمنية مظلوم المكبوتة، غالباً ما يكون نوماس محطة الأخيرة قبل عودته لداره.

أصبحت دار أبي مطشر محطة لأبناء قريته من النساء والرجال، عند قدومهم للمدينة سواءً أثناء مواسم الزيارة، أو التسوق أو مراجعة الأطباء أو عند دفن أحد الموتى من أهالي القرية، وكان اغلب هؤلاء لا يشكل عبئاً على مظلوم أو عائلته إذ يجلبون معهم التمن، والطحين، والدجاج، واللبن والزبد والخضرة بما تجود به أرضهم وحيواناتهم من خيرات وثمار، خصوصاً وقد أجذبتهم طيبة أم مطشر ومطشر ناهيك عن (مظلوم) وحنوه على الجميع ومداراتهم والعناية بهم دون أي تذمر.

مرضى ابناء قريته فتحوا له الباب لمعرفة نبع من الإنسانية والمحبة الكبيرة ورفعة السلوك من قبل الأطباء والطبيبات المعالجين للمرضى والمريضات عند مراجعتهم في عياداتهم

أو في المستشفى، فقد كان الدكتور (عبد الامير السكافي) لا يتتقاضى من فقرائهم أجراً الفحص، بالإضافة إلى تحمله كلفة الوصفة الطبية، وهكذا كان سلوك الدكتور (رضا عجينة) وزوجته الدكتورة (فضيلة محمد بشقة) والدكتور (خليل جميل الجواد) مما ترك انعكاساً طيباً أذهل هؤلاء الفقراء من الفلاحين والرعاة لهذا التعامل الإنساني النبيل والمحبة والأحترام وسعة الصدر في التعامل معهم على الضد مما يلاقونه من إذلال وأستهزاء وتعالي من العديد من عناصر الجهلة، من أصحاب المحلات والسوق، وبعض التجار وحتى من بعض خدمة الروضة الحيدرية، حيث يلقبونهم بـ(المعدان) الذين لا يستحقون غير الأستهزاء وعمليات النصب والاحتيال، وكثيراً ما يعملون لهم المقالب ليكونوا محل ضحك وأستهزاء مقرف يدل على العدواية والسادية الغير مبررة، مما يجعلهم يحملون الكراهة وعدم الحب لأهل الولاية.

(مظلوم) يراقب نمو ونضوج ولده الوحيد، وأبنته الجميلة (سعوده) يرى مطشر يكبير يوماً بعد يوم، أصبح له العديد من الأصدقاء والزملاء، واضح أنه متميز بينهم، لا حظ تكرار حضورهم إليه للبيت، يتسامرون، يتحدثون، وأم مطشر فرحة بهم وبولدها العزيز ورفاقه، فرحة بمرحهم وشبابهم، وأجياز مطشر للمرحلة المتوسطة بالنجاح بتفوق، بالإضافة إلى عمله

وتقدمه في تعلم مهنة النجارة بشهادة العم (نوماس) وان كانت احياناً تتوجس من كثرة مطالعته سواءً أثناء الدراسة أو أثناء العطلة، وهي لا تفقه ماذا يقرأ، وان كانت تفرح وهي ترى عناق المنجل والمطرقة في بعض الكتب أو الكراريس التي يحرص على أخلفها مطشر، ولكنها تجدها حين تقوم بتنظيف وتنظيم وترتيب غرفته أثناء غيابه.

تمر الأيام والأشهر و(ابو مطشر) مستمراً بعمله الذي أكسبه مزيداً من الأطلاع على شوارع ودربين المدينة ومحلاتها، تجارها، مثقفيها، مساطر عمالها، مقاهيها، ومدارسها، بحيث أصبح معروفاً من اغلب أهل النجف صغاراً وكباراً، توطدت علاقات الصداقة والمحبة مع الصغار والكبار، وخصوصاً طلاب المدارس وأصحاب المحلات، وأصحاب الأكلات الشعبية في مختلف المناطق، كان يقف طويلاً قرب باائع (الحريرة) في شارع الرسول، الأنسان الطيب الأيراني، وهو يجلس قرب (جدريه) الحريرة الطيبة المهميلة، وكاساته الحلوة وابتسماته الرائعة، ونظافته المميزة، وأبو الكاهي وابو الفشافيش، وابو الهريسة والأش الصباحية وخصوصاً في الشتاء، يتبادل الكاسات بينه وبين باائع الشوندر، والشلغم، والباقلاء احياناً واحدة بوحدة، كان الجميع ينفتح مع (ابو مطشر) في الحديث العام والخاص، والاستماع إلى ابو ذياته الممتدة.

ولكن ما يثير أستغرابه وأستغرقه في الضحك أحياناً ما يفعله (غماس) هذا القروي الذي يرتدي الكوفية والعقال على سترة وصايه مهلهلة فهذا الرجل يحمل كرها غير مفهوم للملعومات، ويحذر الناس من كيدهن، كما أنه يهمس بأذن من يلاصقه دون غرف مسبق ليهمس باذنه (شوف تره بس أنه وياك أشراف وهاي باقي الناس كله سرسرية)!

كان يسمع الكثير من الأخبار من أسطه نوماس، وقد لاحظ انفراج أسارير صديقه وهمته في العمل بعد إن انتهت أحداث ١٩٥٢ ما انتهت اليه، وقد حفقت الجماهير العديد من المكاسب على نطاق العراق، ولكنه لاحظ تجهم وحزن صديقه في أحد أيام شهر حزيران ١٩٥٣، وقد كان على غير عادته، بالإضافة إلى ما لاحظه على سلوك ولده، وصديقه (ابو لميعه) وغيرهم من المعارف والأصدقاء، فسأل أسطه نوماس عن الامر وما به.

ابو ماهر اشو اشوفك مو عله بعضاك، مهموم، وحزين وگلبي  
يكول چن صاير شهي ماتگلي شنهو القضية؟

والله خويه اشكلك مصيبة وجريمه جديدة أرتكبته الحكومة  
بحق السجناء الأحرار في سجن بغداد المركزي، وراح  
ضحيتها ثمانية شهداء وجرح حوالي (٨٠) سجيننا.

فما تكللي شلون واحد ما يضييج خلگه وينقهر وينتقم من  
هذه الحكومة الظالمة.

والله يا خويه هذا ظلم ما كو مثله ظلم، الله ينتقم منهم هل  
المناعيل الوالدين، بيش ايطلبون هل الوادم الا جاويد  
المایر ضون بالموزينه.

ناول أسطه نوماس سيكاره لف من علبه المعدنية، ووضع  
الثانية في فمه، أرث أسطه نوماس السيكارتين، بعد أن نفث  
دوامة من الدخان، قال لأبي مطشر.

دم الشهداء ما يروح هدر، ولا بد للعراقيين من محاسبة هؤلاء  
القتلة وال مجرمين والخونه، وانشاء الله وشاء الشعب هذا  
اليوم ما راح يكون بعيد.

والله يا خويه أبنادم خلص صبره وهو يسمع بهاي المصايب  
المایر ضه بيه لا الله ولا عباده.

وقد لاحظ أبو مطشر وضعاً غير طبيعي في اليوم التالي للقاء  
أسطه نوماس، حيث انطلقت مظاهره غاضبة من ساحة  
الميدان متوجهة صوب الصحن الحيدري، وهي تهتف بحياة  
الشهداء وتطالب بمحاكمة المجرمين القتلة، والذي سرعان  
ما حضرت قوة من الشرطة لتفرق التظاهرة، التي توари  
أفرادها بشكل سحري، مما فوت الفرصة على الشرطة القاء  
القبض على أحد في المكان، ولكن أبو مطشر علم من  
الأسطه انّهم اعتقلوا عددًا من الوجوه السياسية المعروفة في  
المدينة فيما بعد، وقد تكررت الاخبار المحزنة في شهر آب  
من نفس العام حيث اقدمت السلطات القمعية على ارتكاب

مجازرة في سجن الكوت وأردهتها بأخرى في شهر ايلول من نفس العام مما أثار الغضب الجماهيري في كل انحاء العراق. وقد أدى الأمر إلى استقالة وزارة حكومة جميل المدفعي بسبب هاتين المجازرتين الكبيرتين، وتشكلت وزارة فاضل الجمالية بعدها في ١٧-٩-١٩٥٣. كان (أبو مطشر) يتبع الاخبار من خلال صديقه (أبو لميغ)، و(أبو ماهر) ومن ابنه (مطشر) الذي كان يجلب معه بعض الصحف إلى البيت ويقرأ لوالده ووالدته ما مكتوب فيها من أخبار.

وقد أخبر مطشر والده أنَّ الحكومة الجديدة، تحاول استرضاء الناس ببعض الاجراءات والتخفيف من ملاحقة الوطنين وأنصارهم، وسمحت بتصدور بعض الصحف الوطنية، وقد تم عقد مؤتمر لأنصار السلام، وقدم استقالة حكومة الجمالية وتشكلت حكومة جديدة في ١٩٥٤-٣-٨، وعملت على اجراء الانتخابات من الأحزاب الوطنية، وقد سمع الأخبار من راديو أسطه نوماس، والجرائد المقرؤة من قبل ولده، والذي بدا متৎمساً لهذه الانتخابات، التي رشح فيها الشيخ الخطيب محمد الشبيبي، والدكتور خليل جميل، والمحامي محمد رضا السيد سلمان، وهي الاسماء الذي يؤيدها نوماس وابو لميغه وولده مطشر، ولاشك إنَّ أبو مطشر يعرفهم جميعاً وكان يحبهم ويحترمهم وخصوصاً الدكتور خليل جميل الذي عالج الكثير من المرضى الفقراء مجاناً، وفي

المقابل رشحت السلطة عددا من أنصار نوري السعيد ممثلا  
بـ(عطيه السيد سلمان) وآخرين ممثلين لجماعة صالح جبر،  
وقد ألتـ حولهم (معيوف) وجماعته، من مشايخ واثراء  
ومتنفذـي السلطة في المدينة، وقد سمع مظلوم اسمائهم مرة  
من خلال هتافـا للمتظاهرين يقول (نوري السعيد القنـدره  
وصالـ جـبر قـيطـانـه) والـذـي قـلـبـه غـيرـهـم إـلـى الضـدـ عندـ قدـومـ  
الـشـرـطـةـ وـبـسـرـعـةـ عـجـيـبـهـ إـلـىـ (نـورـيـ السـعـيدـ شـدـةـ وـرـدـ وـصـالـ  
جـبرـ رـيـحـانـهـ)!

والله يعمـيـ اـنـتـ ماـ أـعـرـفـ شـنـهـوـ مـنـ وـادـمـ،ـ شـلـونـ عـدـكـمـ قـابـلـيـهـ  
تـتـلـونـونـ بـهـلـ السـرـعـهـ.

وقد كان يـسـأـلـ أـبـوـ مـطـشـرـ أـصـدـقـائـهـ:ـ يـاـبـهـ آـنـيـ ماـ عـرـفـ بـسـ  
أـكـوـلـ مـعـقـولـهـ هـذـوـلـهـ رـاحـ يـسـوـنـ اـنـتـخـابـاتـ مـنـ صـدـگـ وـيـخـلـونـ  
الـنـاسـ الـاـشـرـافـ وـالـاـجـاوـيـدـ يـصـيـرـوـنـ حـكـوـمـهـ،ـ وـهـمـهـ طـايـحـلـهـمـ  
شـنـقـ وـقـتـلـ وـاعـدـامـ،ـ بـالـشـوـارـعـ وـالـحـبـوـسـ؟ـ

يـصـيـرـ هـذـوـلـهـ مـوـ مـنـ جـمـاعـةـ هـذـوـلـاـكـ،ـ وـالـلـهـ يـاـبـهـ اـنـهـ مـاـ  
اـصـدـجـهـمـ،ـ لـكـنـ لـخـاطـرـ عـيـونـكـمـ وـعـيـونـ الطـيـبـيـنـ،ـ وـعـيـونـ  
دـخـتـورـ خـلـيلـ،ـ وـلـاـيـهـونـ الشـيـخـ،ـ اـنـيـ وـيـاـكـمـ،ـ عـمـيـ اـهـوـسـ اـفـرـهـ  
أـبـوـ ذـيـهـ،ـ اـوـزـعـ لـبـلـبـيـ اـبـلـاشـ،ـ هـچـيـ وـصـدـگـ اـيـصـيـرـ الدـخـتـورـ  
نـايـبـ،ـ هـوـ وـالـشـيـخـ وـصـدـيـجـهـمـ السـيـدـ،ـ وـالـلـهـ يـعـمـيـ يـدـلـلـونـ  
الـوـادـمـ دـلـالـ،ـ وـالـخـيـرـ يـعـمـ بـلـوـلـاـيـهـ وـبـالـرـيفـ،ـ وـالـفـقـرـهـ يـعـيـشـونـ  
بـخـيـرـ وـأـمـانـ.

بويه تگول انشالله، ليش انته مطايير وما مصدح؟  
بويه مطشر هاي الوادم ما تعرف الله وما تحب عبدالله، هاي  
الوادم تريد حكم وفلوس واملاك، همه وربعهم الملايلچ،  
واهل الربه، والعشره اربعطش. رغم هذا نگول ايصير خير  
ونتوكل عله الله.

أخذت تظهر في المدينة في الشوارع والساحات وعلى  
واجهات البناءيات والمنازل، العديد من اللافتات، والصور،  
والشعارات المختلفة، كان (سيدكااظم) المختلف عقلياً  
والذي يجوب المدينة وشوارعها وهو يحمل العديد من  
الصور وصفحات من الصحف والمجلات المختلفة، مثبتة  
على لوحة خشبية يحملها على كتفه أينما يذهب كأنه أحد  
مروجي أفلام السينما قريب العرض في أحد الدور  
السينمائية، الصق البعض عليه ببعضًا من صور المرشحين  
لمناكدة الخصم والاستهزاء به، هذا يلصق صورة أو شعار،  
وذاك يقلع ويمزق آخر (سيدكااظم) حاملاً لوحته ويذر في  
الشوارع والساحات وكأن الامر لا يهمه.

تعقد في الكثير من مناطق المدينة خطب ومهرجانات تدعو  
إلى انتخاب مرشحها، كان (مظلوم) يستبشر وهو يرى صور  
الشيخ الشيببي وصور خليل جميل، ومن معهم، في حين  
يشعر بالأشمئاز وهو يرى صور عدد من الأقطاعيين  
والأثرياء من التجار من أنصار نوري السعيد صالح جبر،

كان يدعو زبائنه إلى انتخاب الشيخ الموقر والدكتور الشريف، والسيد المحامي، يدعوهם بالأشراف، ومناصري الفقراء من الفلاحين والعمال والكسبيه، فشعاراتهم كما يقرأها له ولده ويكلمه عنها أبو لميغه، تدعوه لتوفير العمل والخبز والحرير، وانصاف الفقراء، وأطلاق سراح السجناء المظلومين ووو

عمي هذوله صدگ خيرة الوادم، شوف شلون هذا السيد كاظم القزويني (ابو ضياء) ومرته ام ضياء شلون يستغلون ليل ونهار حتى ينصرون الشيخ ابن كاشف الغطه وربعه، عمي شوف هاي الآلاف من الوادم تسمع لخطب الشيخ، والله هاي وكفة اشرف من اهل النجف، ياربي تنصرهم عله الظلام، وقد كان يستمع إلى العديد من القصائد الشعرية التي تنتصر لل فلاح العراقي وخصوصاً للشاعر العراقي شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم:

(ايها الفلاح فيمن ترجي. فرج الخير وخير الفرج  
وحواليك افاع لسعت، قصب الكوخ بناب الحرج

\*\*\*

أقلب العالم واسحق ستنا، فرضت سحق حقوق الفقراء  
وابق في ريفك وأهجر مدننا. جمعت انفاس أرباب الثراء)

كان (مظلوم) يقف بعربته قريبا من هذه المجتمعات ليستمع للشيخ وللدكتور خليل، وكان يرى وجود اصدقائه اغلبهم موجودين ضمن الاجتماع.

رافق بذهول وأعجاب كبير، طابور السيارات الذي تقدمه الدراجات البخارية، و سيارة - جواد مجيد المعمار - المكشوفة التي يجلس فيها الشيخ الشيباني والمحامي ابن سيد سلمان، وهم يلوحون للناس المحتشدة على الطرق من مؤيديهم، كما انه صعد في أحد اللوريات الخشبية التي امتلأت بالمؤيدين، وهم يحملون الطبلول، واللافتات، والمزامير و(البوقيات) وهي تصدح لتمتزج مع هدير أصوات المؤيدين الذين انطلقا من أمام محل المصور الفلوجي، وداروا في شوارع مدينة النجف ثم توجهوا صوب مسجد الكوفة، حيث كان أول السيارات في الكوفة ونهايتها في النجف، وقد ألقى هناك الشيخ كلمة وبرنامجه الانتخابي وسط أهازيم وصرخات وهتافات التأييد له ولمناصريه.

والله يا أم مطشر ما أدرني شلون الله ما ينصر هاي الوادم وهي بلاكف المؤلفه الي تأييد الشيخ والسيد وربعهم من المرشحين لمجلس النواب، حبيبه الوادم زفتهم زفه چيبره بالهلاهل والطبلول والبوقيات، وادم تنشر چكليت وادم توزع ماي وناس توزع شربت، كله شاده حزام واحد حتى النسوان وياهم لتحقيق الفوز.

الله ينصرهم ييو مطشر، كلي هم شفت مطشر ويه الوادم؟  
أكيد هناك ويه ربعة الطلاب، من حيث اكثراً الطلاب ويه  
الشبيبي وربعه، واكيد، نوماس هم وياهم، لا ومو بس هاي  
النسوان هاي التهلل وهاي التشر چكليل وتندعى الله  
ينصرهم عله الظلام.

والله ييو مطشر ما اشواف الاگطاعيه وربعهم يهدونه من اديهم،  
ولو اني ما أعرف كلشي بها الأمور، بس معقوله الشيوخ  
والملالي والملاليچ يتكترون ويخلون هاي الوادم تحكم؟  
كولي الله كريم وبخت الساده وابن كاشف الغطه، ودعوات  
الفقره لزمن الله حوبه عد الله.

لا أرى ان الحكومة سترضى بهيمنة جماعة الشبيبي ودكتور  
خليل جميل على المدينة، وبالتالي فوزهم في الانتخابات، إنَّ  
السلطة مذهولة من جماهيرية وشعبية (الجبهة الوطنية) في  
الانتخابات، هذا ما ذكره اسطه نوماس لأبي مطشر خلال  
لقائهم بعد التظاهرة، وبالفعل حدث المحظوظ اذا أقدمت  
السلطة على اعتقال (الشيخ الشبيبي) ومؤيديه الذين أمثلأت  
بهم غرف الاعتقال في النجف، بينما أرسل الشيخي إلى بيت  
المتصرف في كربلاء وقد بقي هناك حتى نهاية الانتخابات.  
ها اسطه نوماس اشگال البهلو?

موگلنہ هذولہ ما راح یطونہ بالھین، عمی هذولہ متھنین  
بالقصور والفلوس والسيارات بروس الفقره، وما یهدونہ الا  
بالقوه.

والله انَّ ما تقوله هو الحقيقة كاملة يا ابا مطشر ولكن لازلت  
الظروف غير مواتية لمثل هذه الثورة المسلحة.

لاحظ (مظلوم) خروج تظاهره غاضبة احتجاجاً على اعتقال  
الشبيبي وجماعته، وقد لاحظ فيها أستاذ حسن عوينه وسلیم  
مرزه، وصديقه ومعمليه صاحب الحکیم، وعدد آخر من  
الطيبین ومعارفه المقربین، وكاد أنْ یترك (العربانه) ویندمج  
بالتظاهرة لو لا منعه من قبل اسطه نوماس، أنطلقت التظاهرة  
من میدان النجف مروراً بالسوق الكبير، ومن ثم إلى دورة  
الصحن، وقد سمع أطلاقات نارية هناك من قبل الشرطة  
لتفرق التظاهرة وقد أستشهد نتیجة ذلك (کاظم ذرب) ثم  
تفرقت التظاهرة.

قرر (مظلوم) حضور مجلس الفاتحة المهيبة للشهید حيث  
أقيمت في أحد مساجد محلة (البراق).

قال (مطشر) انَّ هناك وفداً من أعلام الحركة الوطنية في  
النجف ذهب إلى بغداد واللتقاء بکامل الجادرجي، واطلاعه  
على ما حدث في النجف ومطالبتهم بمحاسبة القاتل،  
واطلاق سراح الشيخ الشبيبي وانصاره.

المهم بعد كل الذي جرى والسيطرة على صناديق الأقتراع من قبل أنصار الحكومة ووضع الأوراق المزورة في الصناديق أسفر عن فوز ممثل نري السعيد (عطيه السيد سلمان) والمحامي (كاظم أحمد) من جماعة صالح جبر، رغم ذلك لم تأت الانتخابات مطابقة لما ارادته السلطات حيث دخل البرلمان (١٠) شخصيات غير مرحب بها، مما أدى إلى إعلان استقالة حكومة (فاضل الجمالي) حسب ما أذيع براديو اسطه نوماس، وتشكيل حكومة (أرشد العمري) في ٢٩-٤-١٩٥٤.

ولكن الاوضاع لم تستقر في البلاد، وتخبط السلطة الحاكمة في مواقفها وعدم تخليها عن ظلم وقهر المواطنين من احرار العراق، فاستقالت وزارة العمري وشكلت وزارة (نوري السعيد) في ٣-٨-١٩٥٤، التي كرست كل جهودها لمحاربة القوى الوطنية العراقية، وحل مجلس النواب لأبعاد كل من يساند الشعب ومطالبه المشروعة.

خلال أحد الأيام أخبره ولده (مطشر) كيف حضر أجتماعاً جماهيرياً كبير عقد في أحد بساتين الكوفة، لما يسمى بـ(أنصار السلام) بحضور الشيخ الشيببي وشخصيات وطنية نجفية وكوفية وعراقية بارزة، وقد كان عبارة عن مهرجان رائع تميز بالمحبة والاصرار من أجل نصرة راية السلام والمحبة بين كل شعوب العالم.

- ايخويه بعد عيني ابضم ليش ما ابضم على عريضة السلام،  
الله يديم السلام عليه وعله كل الناس.

وهكذا بضم (ابو مطشر) على عريضة أنصار السلام التي  
نظمت في مدينة النجف والتي جمعت الآلاف من التواقيع  
لنصرة الأمن والسلام.

(هاك أصبعي بل كل أصابعي  
خذها أوقع لا أريد مجازرا) - حسن عوينه.

كان (مظلوم) يتسائل في سره عن السر الكامن وراء هذه  
النشاطات الشعبية الواسعة والمنظمة، ومن يقف ورائها ومن  
يقودها، وما هو السر الكامن وراء استجابة الناس لهذا الرأس  
المدبب والمسير لهذه الأحداث من تظاهرات واعتصامات  
وتوزيع المناشير والصور، وهي كما هو واضح تشترك في  
أغلب الشعارات الموحدة، رغم أنه وبحدسه يمكن أن يخمن  
دور صديقه نوماس وأبو لميغه وأستاذ منير والتنجي والذى  
يدعونه بأبن عوينه أستاذ حسن، ودكتور خليل، وووووو الخ.

فيتأكد له أنَّ من يناصرهم سائراً على الطريق السليم من أجل  
نصرة الفقراء والمظلومين، ولذلك فهو يشعر بالفخر لنشاط  
ولده مع هؤلاء الناس، كما أنه أخذ لا يمانع في ذهاب زوجته  
(حياة) لزيارة الائمة فيحلة، وكريلاع، والديوانية، وأحياناً  
إلى الكاظمية، وحماس ولده مطشر لزيارات أمه هذه، وقد  
حدس أنَّ وراء هذا الحماس وتكرار هذه الزيارات مدفوعة

الثمن من قبل مجهول وان أدعى ولده انه يتکفل بمصاريف والدته للقيام بهذه الزيارات!

ثقته العالية بزوجته وبولده يجعله لا يثير المزيد من الأسئلة على هذا التبدل في حبها لزيارة الاشارة، التي لم تكن تحلم بها سابقاً وقد لا تزيد على مرة واحدة في السنة.

أنصرمت العديد من الأشهر وعمل (مظلوم) بروتينه اليومي واقفاً وراء (العربانه) واتقانه لعمله وتفنه في ان يكون طعم الليبيي أشهى وأطيب، وكان عدد زبائنه والمدمنين على (لبلبيه) يزداد يوماً بعد آخر ودخله يتحسن بشكل مستمر، وقد كان نوماس وعبد الساده ورضا عبد ننه من يزيدون من تفاؤله بالحياة الأفضل له ولعائلته ولكل الكادحين في العراق.

وفي أحد الأيام وعند عودته لداره حاملاً أكياس من الفاكهة التي تحبها أم مطشر وخصوصاً الرمان، فاجتته بتوجهها وانحطاف لونها، على غير ما عهده منها في كل يوم فالبسمة لم تفارق تغراها الشهي، وهي تتلقف منه الحاجيات وتتساعده في غسل قدر اللبلبي وتنظيف الكاسات، وعزل لحم الكسور المتبقية في القدر ووو.

وحينما سألتها عن السبب قالت: اليوم اچتنه وحده من نسوان اخوك، تگول خل أبو مطشر يضيع وجهه خلال هاي الفترة، لأن واحد من اولاد عمه كتله زلمه من (آل رطان) بعركه

چيبره عله حصة الماي، وبعد لهساه ما اخذا عطوه منهم، والرطان يريدون ايكتلون واحد منكم، وانته تدری بيهم ملا ليچ وشرانين، وعدهم سلاح وفلوس ومجلوبين عله الناس الفقره.

والله يحياة هاي مصيه لا عله البال ولا عله الخاطر، الوادم بياحال وهذوله بياحال، الناس تتظاهر وتموت وتنسجن حتى توفر لهم لكتمة خبز بكرامة وشرف، وهذوله يتعاركون عليه مود الماي، والهوايش، ونهيبة مره، وملهيتهم الحكومه بهاي المكسرات حتى لاتخليلهم يفكون عيونهم على ظلم الحكومة وينتفضون ضده ويه اخوتهم بالولايه، والله صدگ المهوال الكال: (الصوج لا بشطنه ولا بالحميدات، الصوج بحکومته تدور العانات).

عموما لا تحزنني حبيتني الغالية، ساحاول ان اجد حلا لهذه المشكلة، سأزور صديقي (ابو ماهر) وان اصدقائي سوف لا يدخلون جهداً لمساعدتي وتدبر هذا الأمر.

الذى يهمني هي سلامتكم، انت وسعوده ومطشر، وقد أصبح الآن طالباً في الثانوية، وان شاء الله يبقى متفوقاً في دراسته وعمله.

الآن اعدى لنا العشاء، لتنعشى بحضور مطشر، ونام والصبح رياح ان شاء الله، بس اليوم لا تنگعين حمص ليوم باچر.

ها، لقد نسيت أخبارك انَّ اسم مطشر من اليوم ورایح صار (كفاح) الم يخبرك بذلك، حيث تبرع احد الاصدقاء من المحامين، تغيير اسم ولدنا من (مطشر) إلى (كفاح) فهو الآن طالب مجد مجتهد وانسان واعي يعرف ما يريد فعله لم يعد يليق به اسم مطشر.

لكن آني خبر (الچتل) نساني هذا الخبر، يمه فدوه اروحلك (کفوحي).

زين وينه هساه (كفاح) الله شحالته أسم كفاح الله يرحم (مطشر؟).  
گاعد بغرفته يقره ويمه (سعوده).

ما طول هچي انطيني بوسه من هالخد الحلو، وانسي الحزن وابتسمي رحمه عليه والديچ ما اگدر اشوفج حزنانه، لثمها بقبله حری ثم ترك لها المجال لعمل وجبة العشاء.

اجتمع أفراد العائلة على وجبة العشاء من لحم الكسور وبقايا (اللبلبي) وخبز البربر، وشيئ من الخضرة، والرمان الذي جلبه معه (ابو كفاح) شربوا الشاي ثم خلد الجميع للنوم، بعد حديث اداره (كفاح) حول اخر تطورات المدينة وعموم العراق.

أخبر (مظلوم) ولده بحادث القتل ووجوب أختفائه تحسباً لخطر القتل من قبل (آل رطان) وأنه سيكون المسؤول عن العائلة إلى حين.

نهض صباحاً متوجهاً إلى محل أسطه (نوماس) متخدداً طريقةً غير الذي يسلكه في كل يوم، محترزاً مما قد يحدث. وبعد أداء التحية والسلام على أسطه نوماس، الذي استقبله بالترحاب، مستغرباً عدم خروجه للعمل مصطحباً (عرباته) كالمعتاد صباح كل يوم، ويستمع إلى صوت فرقة الأنساد العراقية في أغنية (خدرى الچاي خدرىه).

أمر (نوماس) باستكانين شاي، وبعد احتساء الشاي، قال (أبو كفاح): أسطه أنه أمر هل الأيام بوضع غير آمن فقد قتل ابن عمي شخصاً من آل رطان وهؤلاء يطالبون بشار أبنهم، مما يستدعي أن نتوارى عن الأنظار في هذه الفترة لحين أخذ (عطوه) من آل (رطان) وعليه أصبح متعدراً عليه الأستمرار في عملي وبيع (اللبلبي) في شوارع المدينة، لذلك قررت إن أعيد لكم (العربانه) لأنها ملكاً لكم يعني (حلالكم يرد لكم). هذا الموضوع الأول إما الموضوع الثاني، أريد أن يتم إخبار الأستاذ (منير) وضعني عسى أن يجد لي عملاً بعيداً عن المدينة.

قال أسطه نوماس: أبو (كفاح) انته صرت واحد من عدن، ولি�صير عليك أيسير عليه، وأستاذ منير وصانه ييك، لكن أهو الآن مختفي لأن الحكومة تاهمته بتوزيع المناشير اللي انته انحبست بسببه.

بالنسبة للعربانه فـأني أقترح عليك تبيعه و تستفاد من فلوسه  
لمن يجي الفرج،

ضرب (مظلوم) كفا بکف مولعا سیکاره جديدة قائلأ:-  
(اسطه نوماس) العربانه لا يمكنني بيعها، كما لا أستطيع أن  
أبيع (كفاح) هي مصدر رزقي وعيشي وأصبحت جزءاً من  
حياتي وحياة أطفالي، نحن في الريف العراقي نختلف عنكم  
في المدينة في عدة أمور ومنها: إن أدواة عملنا "المنجل،  
والمسحاة، المرواح والدکره، الخ" بالإضافة للحيوانات حتى  
الكلاب، يكون لكل واحد منها اسم خاص، واني أذكر ما ذا  
حدث لنا حين قرر والدي بيع (الحولي أبو غره) فأقيمت في  
الدار مناحة للنساء والأطفال حتى والدي أخذ يبكي معنا  
وكانه سيبيع واحداً منا وليس الحولي ابو غره" في حين انت  
في المدينة تقتنون الحيوانات والأشياء لغرض بيعها فلا  
يحزنك فراقها.

أظهر الأسطه تفهمها وتعاطفها كاملاً مع مشاعر أبو (كفاح)  
مستذكراً ما حصل لهم حين باع جدهم (الجومه) حين هجروا  
الريف وارتحلوا للمدينة.

بعدما طمأنه الأسطه نوماس، ودعه على أن يزوره فور ورود  
جواب الأستاذ منير.

في اليوم التالي التقى أسطه نوماس برفاقه عارضاً عليهم حال  
صديقم (مظلوم) الذي صار جميعهم يعرفه لأنهم شاركوا

في كلفة عرباته وعلموا بقصة سجنه، ثم طلب منهم رأيهم بمصير (العربانه).

قال أحد الرفاق (هسه هيه "عربانه" يو (الطراد اوررا) يو المدرعة (بوتكمين) سنعرضها بعد الثورة في المتحف لأن عربانة (مظلوم) ساهمت في انتصار الثورة من خلال قذائفها اللبلبية الساخنة على قصر (الزهور).

ضحك بعضهم في حين صمت البعض الآخر لصمت الرفيق (نوماس) الذي وجد صعوبة في وصف مشاعر ابن الريف وتعلقه بأدواته وحيواناته وتماهيه معها وما يعانيه من ألم لفراقها سواء ببيعها أو موتها أو ضياعها، فقرر أن يكتب بالأمر إلى اللجنة الأعلى للبت في الموضوع بالإضافة للاستفسار حول إمكانية لقاء (أبو مطشر) بالرفيق (منير).

بعد عدة أيام وردتهم الرد الآتي:

الرفاق الأعزاء

تحية رفاقية

بخصوص الصديق (.....) يمكن لقاءه بالرفيق (.....) وفق خطة اتفق عليها مع حامل الرسالة. وأما بالنسبة (للعربانه) يمكنكم أن تعطوها لأي شخص بحاجة إليها، سنرسل لكم بعض الكراريس ذات الفائدة لتعزيز وعيكم بمثل هذه الحالات، تحياتنا ودمتم للنضال .

ذهب أسطه نوماس لزيارة (ابوكفاح) وأخبره بأنَّ أستاذ منير سيلتقيه ويتدبَّر أمر عمله وسكنه في بغداد، طلب منه أن يواصل ولده (كفاح) في ورشة النجار ليتقن مهنة ويحصل على أجراً ليعيل نفسه ووالدته واخته الصغيرة، ويستمر في مدرسته، فسيكون برعايته هو وأمه وسيعاملهم كأحد أفراد عائلته، عليه أن يجهز نفسه للسفر بعد يوم غد بمرافقة أحد الأصدقاء كي يوصله للأستاذ (منير).

تناولَ الفرحُ والحزنُ على محياه متسللاً مع نفسه (ها ولد مظلوم) شردت من الريف للنجف، وهل التشوف ولاية النجف بعد متضمك، الدور مدربي ليوين راح اتروح ليا ولايه، ولايه الماشايفه بعمرك انته المشهد جا ضعت بيه ادور مدربي وين، لكن لا انه بأمان لا زال أستاذ (منير) قريباً مني). سأله (اسطه نوماس) بعد أن أرتشف شايته وولع سيكاره (المزين) من يده: ها خويه شقررتُ.

والله يسطه هيي والكتبه الله يصير، تتوكل على الله ونروح ونشوف تاليه ويه هل الوكت.

مسح رأس ولده الذي كان جالساً بجواره، والذي أبدى حماساً للعمل مع عمه (نوماس) والاستعداد لتحمل المسؤولية خلال غياب والده.

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني

معاني بعض الكلمات والمصطلحات المتعارف عليها في  
منطقة الفرات الأوسط من العراق:

- ١- الصميمصمّله: قلب حشائش الحلفاء التي تنبت بكثرة في المناطق غير المزروعة، طرية، حلوة الطعم غالباً ما يتقوّت بها أطفال القرية أثناء اللهو أو الرعي في البراري والمراعي المحيطة بالقرية.
- ٢- الطبر: نهر صغير يكتريه الفلاحون لنقل الماء من النهر الرئيسي لسقي الأرض.
- ٣- غنوص العوين: أصابع نبات اللوبياء.
- ٤- فروك: سد صغير يفصل ألواح الزرع عن بعضها.
- ٥- الشلب: نبات الرز بأنواعه (العنبر، النعيمة، الحويزاوي،  
الخ.).
- ٦- الحجل: طائر الحجل الشبيه بطائر القبج يتميز بطعم لحمه اللذيد وصوت ذكوره المتميزة وخصوصاً عند الغروب فتغط الطبيعة في هذا الوقت في سكون عميق كمستمع رفيع الذوق يرنو لعزف موسيقي ساحر.
- ٧- الفخته: طائر الفاخته وهو طائر يألف الإنسان ولا يخضع لسجنه اصغر من الحمام يكثر في قرى وبساتين العراق.

- ٨- الكَارور: (أبو الخضير) وهو طائر اخضر اللون يدور محلقا في السماء مع إصدار أصوات بشكل جماعية كعزف موسيقي رائع خصوصا عند المساء.
- ٩- غريب الجول: طائر ملون نادر شبيه بالهدهد ولكن بدون عرف - يصدر صوتا كصوت غريب تائه!
- ١٠- الطُّسلة: طير اكبر من العصفور واصغر من الحمامه ذو جناحين ملونين باللون الاحني الغامق وصدر ابيض له صوت قوي مميز كزغرودة حورية بحر تبشر بعرس دائم ينشر لحنه طائرا ملامسا سطح ماء النهر يقر ويتكاثر في كهوف صغيرة في جرف النهر لا يريد أن يفارق النهر رمز الحياة والنماء.
- ١١- البنية: احد اذن انواع اسماك الانهار العذبة والأهوار في العراق.
- ١٢- المحجال: (المقلاع) يصنع من خيوط الصوف الملونة من قبل صبية القرية وأطفالها ويستعمل لرمي الحجارة باعتباره سلاحا شخصيا يحمله أطفال القرية.
- ١٣- الأحذية الشعبية: تسمية لشركة صناعات الجلود في العراق، تنتج الأحذية والحقائب والأحزمة الجلدية الرخيصة الثمن والمدعومة من الدولة لسد حاجة الفقراء من الصناعات الجلدية.
- ١٤- اصمله: (اسم الله) تلفظ بالصاد لدفع الشر عن الاحبة من المرضى أو المرعوبين والخائفين.

١٥ - أمهات: لعبة تلعب بواسطة نوى التمر، (الغميضه) لعبه مشتركة بين الجنسين يحصل خلالها احتاكهما ببعض مما يثير خدرا بريئا حين يفاجأ أحدهما الآخر من الخلف ويسد عينيه بكفيه لحين معرفته من قبل مغمض العينين.

١٦ - الصَّلَلَه: لعبة تعتمد على خفة حركة تقلب كف اللاعب وتستخدم فيها مكعبات صغيرة من الطين.

١٧ - السَّدَائِنُ: أسطوانة مصنوعة من الطين تشبه برميلاً مفتوح الطرفين ولكن قاعدته أوسع من فتحته العليا تستخدم لخزن الحبوب في الريف.

١٨ - المجرشة: أحدى أدوات أزاله القشرة عن (الشلب) ليتحول إلى تمـن وهي مصنوعة من طاقين من الخشب مكسوين بالقير يدار الطاق العلوي حول (قطب) مركزي مثبت في بؤرة الطاق السفلي مخترقاً قطعة معدنية أو خشبة على شكل قنطرة لدائرة في الطاق العلوي يوضع فيها الشلب ويدار الطاق بواسطة قضيب خشبي مثبت على حافة الطاق العلوي. غالباً ما تقوم النساء بعملية الجرش لإحضار الطعام للأسر وهي الأداة المشهورة في قصيدة المجرشة للشاعر الشعبي العراقي المعروف عبد الكرخي.

١٩ - الرحة: أداة تشبه المجرشة ولكنها مكونة من طاقين من الحجر الصلد تكون الجهة العليا للطاق السفلي خشنة ويدار الطاق أو القرص العلوي باليدي بعد إن توضع الحبوب

(الحنطة، التمن) في العين لإنتاج الطحين بدوران القرصين الحجرين المطبقين على الحبوب المحصورة بينهما فيتجمع الطحين عند محيط القرص السفلي للرمح وهو ما يحصل للشلوب في المجرفة والمرتبة.

٢٠- المرتبة: أداة لها نفس شكل وطريقة عمل المجرفة ولكنها مصنوعة من الطين.

٢١- الجاون: أسطوانة من الخشب السميك محفور بداخلها تجويف توضع فيه الحبوب وخصوصاً التمن ليكون صالحًا للطهي بعد إزالة قشرته الخارجية تحت ضغط (الميجنه) في عملية تدعى (الهبس).

٢٢- الميجنه: وهو عمود من الخشب مثقلة بآخر قصير يركب بقمة العمود الأول على شكل حرف T الإنكليزي تكمل عمل الجاون حينما تحرّك صعوداً ونزولاً بحركة إيقاعية جميلة من قبل النساء الريفيات لتخالص (الرز) من قشرته (السحالة) وأحياناً تتقابل اثنان من النساء وهن يشدّن خصورهن بأطراف عباءاتهن لأداء عملية (الهبس) مع صوت وحركة إيقاعية جميلة.

٢٣- الكطينه: قرعة كبيرة ترك لتجف ثم تفرغ من حبوبها عن طريق قص (رأسها) فتكون على شكل حاوية يحفظ فيها الملح وبعض الحبوب أو بيوض الدجاج وما إلى ذلك.

- ٢٤ - الجرداع: بيت مصنوع من القصب وعيadan الخشب (الصفصاف) ذا جوانب مسرحة الجانبين تستند بزاوية حادة على الهردي الذي يستند على الشباب وتغطى بالبواري.
- ٢٥ - البيت: مصنوع من القصب والبردي مقوس الظهر ولا يدخل الخشب في تقويم هيكله العام بل يقوم بحزم من القصب (الحنایه) تشد إلى بعضها على شكل أقواس يعتمد عددها على طول البيت وسعته تدعنه وترتبط بين الحنایا حزم متوازية من القصب تسمى (الهطر) ومفردها (هطار) ثم يكسى بالبواري المصنوعة من القصب أيضاً وترتبط بالحنایا والهطر بواسطة حبال مصنوعة من سف فسائل النخيل الطيرية يكاد كل قروي أن يكون ماهراً في صناعتها وفتلها ويقطر يعتمد غلظه على الحاجة المراد استعمال الجبل فيها فقد يستعمل لربط الحيوانات وجر الزوارق والشون الأخرى.
- ٢٦ - الكوناغ أو الربعه: جرداع كبير وهو بدل عن المضيف مخصص للضيوف من قبل الفلاحين الكرماء ولكنهم أقل شأناً من الشیوخ أو الملکین والإقطاعیین فقد يقاس مقدار کرم الشیخ أو الإقطاعی وصاحب المضيف بعدد وسمک حنایا مضيیه وقدرته الاستیعابیة من الضیوف.
- ٢٧ - الحجرة: تحاكي بناء غرف المدينة ولكن جدرانها مصنوعة من الطین وسقفها مغطی بالخشب والبواري والطین.

٢٨-النبي احمد: ضريح احد السادة يتوسط الدهور وغالبا ما يكون في القرية الواحدة أكثر من ضريح لسيد أو صاحب كرامه قد يتناسب عددها طرديا مع شدة إلام ومعاناة وبيوس القرويين.

٢٩- العلوية، الخطافة: أسماء مختلفة لطير (السنونو) ولا نعلم من أين أتت الحرمة والقداسة لهذا الطائر واعتياده في مشاركة القروي بيته ومؤوى أسراره وأفراحه وأتراه!

٣٠- السدرة: شجرة السدر (البنق) شجرة تحاط بالقدسية في الريف والمدينة العراقية في وسط وجنوب العراق.

٣١- السرجين: براز البقر والجاموس وهو احد المصادر الهامة للوقود في الريف العراقي حيث يخزن على شكل قباب من الأقراس المجففة كاحتياطي مضموم من الطاقة للعائلة تفاخر القرويات بعدد وحجم هذه القباب كدلالة على شطارة وحسن تدبير رب البيت!.

٣٢- ربع: جماعة أو شلة.

٣٣- حوبه: شارة أو جزاء المظلوم الذي يقع على صورة أذى مادي أو معنوي على الظالم إنصافا للمظلوم ولو بعد حين.

٣٤- شيشة عطر: قينية أو قارورة عطر تتحرز عليها (حديثات) أو صبايا القرية كهدية من الحبيب وفارس الأحلام الموعود

٣٥ - بشكير: منديل مزركسن.

٣٦ - يديه: يا أختي.

٣٧ - المشوفه: مرآة مدورة صغيرة.

## الجزء الثاني

### كفاٍح





حمل (مظلوم) (بوجة) صغيرة تضم ملابسه، ودع حبيته  
(حياة) وقبل (كفاح وصغيرته) موصيا إياه أن يكون الولي من  
بعده، ويلتزم بالعمل مع أسطه (نوماس) رافق دليله (واشق)  
متوجهها إلى حيث سيأخذه دون أن يسأل، وحين علم في  
الگراج إنهم متوجهين إلى بغداد قال مع نفسه (أي ولك،  
بغداد مره وحده لا هنا ولا هنا، انته جا ضعت بـ(المشهد)  
ادور لبغداد، شلون راح أتدبره، الله كريم عليك يا بو الجوادين  
يا باب الحوایج، لنك تسفره بوچهی وتمانی بوطن)  
سأله (واشق) ما بك يا (أبو كفاح) ساهماً، تحاكي نفسك؟

- لا تهتم صديقي كل مشكلة ولها حل.

على طول الطريق وهو مبهور بما يرى من مشاهد المدن  
والسيارات المختلفة الأشكال والألوان وهي تجري على  
الطرق الاسفلتية الملتوية كالافاعي السوداء، رفيقه يصف  
ويسمى له المدن والقصبات والأماكن المهمة التي تمر بها  
السيارة، الكفل، الحلة، المحاويل، محمودية، الاسكندرية  
اللطيفية ثم بغداد، حيث توقفت السيارة في علاوي الحلة  
وقد كان الوقت ظهرنا.

كان رفيقه كريماً معه حيث تناولا طعام الغداء في أحد  
المطاعم الشعبية في العلاوي مع أقداح من الشاي، أبتاع له  
ولـ(مظلوم) علبة سكائر (غازي)، قائلا إنَّ موعده مع أستاذ

(منير) في الساعة الثالثة بعد الظهر، فعليهما أن يستغلا هذه الفترة ليتعرف أبو كفاح على بعض مناطق بغداد، وموافق باصات النقل وو، وقد كان واثق يقوم بالشرح والتوضيح لمختلف المناطق وال محلات والمطاعم. الدوائر والمقاهي والمطاعم، الخ.

مبينا له أنَّ لوقت لديهم لزيارة مرقد الأمام الكاظم الآن لأرتباطه بموعد (منير) ولكنه سيأخذه للزيارة باقرب فرصة سانحة ان شاء الله بعد أن يستقر في عمله وسكنه الجديد المرتقب.

في أحد المقاهي المطلة على نهر دجلة، قصد واثق أحدى المناضد في زاوية الكازينو، فلمح بفرح غامر صديقه أستاذ (منير) جالسا إليها، نهض مستقبلا إياه مرحبا به بحفاوة وشوق كبير، أهلا وسهلا ومرحبا بابن عمي العزيز (غضبان) رد له (مظلوم) السلام بأحسن منه ولم يستفسر حول (غضبان) إذ أوضح له واثق إن اسمه من لأن فصاعدا هو (غضبان) وليس (مظلوم) حتى لا يستدل عليه أحدٌ من آل رطان أو غيرهم.

أمر لهم الأستاذ بقنيتين من مشروب الكوكا كولا المبردة ليخفف عنهم حر تموز اللاهب. وقد حاول أن يشرح له أحوال المدينة من بعد اختفائه عنها، ومدى شوق الكثيرين و منهم أم كفاح وكفاح، وأبو لميعه، لكنه استطاع أن يخمن أنْ

(منير) على علم بأدق التفاصيل على مجريات الأحداث في النجف وأريافها.

بعدها أصطحب (منير) الذي أصبح أسمه من الآن فصاعدا (سعدون) أصطحب (غضبان) عبر العديد من الأزقة والشوارع الضيقة المكتظة بالناس من مختلف الأجناس والأزياء.

ما أثار دهشته الكبيرة النساء السافرات، فلم يسبق له إن شاهد امرأة سافرة غير محجبة تسير في الشوارع والأماكن العامة، والدته وأم كفاح تتدثر بعباءتين فوق بعضهما وتجلسان بالطريق عند مرور أي رجل، لا يسيران إلا بعد أن يتجاوزهما، أستفسر من أستاذ منير عن حال الناس الذين سيرهم جريا، أحدهم يسابق الآخر، وحال هذه النسوان (العريانة) ما الذي حصل للناس وأين ذاهبة بمثل هذه العجلة، من (فرع) النساء وطردهن من بيوتهن دون (عني) ولاستر، هل من عدوٍ أو وحش أو حريق هدد حياتهم فهربوا خفافا خوفا وهلعا.

أبتسם أستاذ (سعدون): هذا هو حال المدن الكبيرة يا صديقي، إنها ضرورات العمل الذي يتطلب السرعة والخفة والخلص من كل زائد، فلا تستغرب إن طلب منك صاحب العمل خلع (بشك) وكوفتك وعقالك، لترتدي محلها القميص والبنطلون، يعني أتصير (أفندي).

باستغراب ودهشة كبيرة قال (غضبان): عفه آنه أبو كفاح يردوني أصیر من المفاریع، عمي های ما تصیر عدنھ الھ بالعرکھ، الزلمھ یفرع ویطب للكونھ شاھراً سلاھ.

قال (سعدون): نعم أخي (غضبان) هذه حیاة المدینة عبارۃ عن معرکة حامیة الوطیس یومیا من أجل کسب لقمة العیش والاستمرار بالحیاة جری وكدح وخفة وفطنة وغش إنْ تطلب الأمر، يتخلّف من لم یستجب لشرط سوق العمل ویداس بالأقدام.

والله إستاد های الدنیه تراوینه وتعلمنه دروس مو عله البال، اسأل الله لا یحرمنی منك ومن أمثالك إستاد بجاه أبو الجوادین.

شكرا أخي (غضبان) والآن دعنا ندخل للعملی والمفید، إننا الآن سنذهب إلى أحد الأصدقاء من أصحاب المطبع المعرفة في العراق، الذي هو بحاجة إلى حارس في المطبعة ليلاً والى عاملاً متدرباً على رصف الحروف نهاراً، وهو يضمن لك أجراً مجزياً بالإضافة إلى الأكل والمنام، فهو من أصدقائنا المقربين وله علم كامل بما أنت عليه.

لكن إستاد تره آني لا اعرف اقره ولا أكتب شلون راح اگدر  
أسطر الحروف

(غضبان) های ما عليك بيه، های شغله (أسطه جمال)  
صاحب المطبع وزملائه العمال في العمل.

هسه أمشي وياي نصعد لهذا الفندق فهو لصديقى لنستريح  
شويه، وهاك هاي العلاكه جايلك بييه بنطرون وقميص  
وحواء حتى تبدل بالفندق، وتدخل المطبعة أفندي.  
والله إستاد، هاي كلفه، خاف ما أعرف أمشي بالبنطرون  
والقميص والدور المصيبة مصيبة (القندره).

إستاد تره آني طول عمري ما لابس قندره، وخاف واحد من  
عمامي يشوفني أمفروع وتصير فضيحة أبو مطشر تهيلگ  
بالولايه وصار يمشي أمفروع؟

ضحك أستاذ (سعدون) كثيرا، ثم طمأن (غضبان) وقدم له  
سيكاره لوكس ليهدئه قائلا: (غضبان) راح أخليك تتدرب  
على المشي بالقندره داخل الغرفة لمن تعود عليه يا الله نطلع  
لبره.

صعدا الي الفندق استقبلهم صاحب الفندق مرحبا ومهلا  
بأستاذ (سعدون) وبأبن عمه القادم من الريف لرؤيته، أعطاهم  
مفتاح الغرفة: متمنيا لهم الراحة والسلامة.

بدأ (غضبان) يخلع العقال والковية والبشت، والدشداشه،  
ووضعهما جانبا واضحاً عليه الحرج، ثم ناوله سعدون  
القميص ثم البنطلون الذي بذل جهداً غير قليلاً ليدخل ساقيه  
فيه، أحترز عليه بعد أن أدخل القميص بداخله بطلب من  
سعدون، ناوله زوج الجوراب الذي كاد أن يتمزق بسبب  
خشونة وتشقق قدمي (غضبان) ساعده (سعدون) في إحتزاء

الحذاء، وحين وقف قال: أشوف روحي چني طاير، بروح  
أبوك إستاد خل اتوچه عليك لا طيح، أشو چني راچبلي بعيره  
مو قندره، چني فوگ النخله، - تذكر ذلك حين ركب الطائرة  
متوجها الي ألمانيا موFDAً من قبل الحزب وأخذ يضحك من  
نفسه آنذاك - بالأتقاء على سعدونأخذ ينقل خطواته بحذر  
وبطء كطفل يتعلم المشي تواً.

لف ملابسه العربية ووضعها داخل (بقچته) التي جلبها من  
أهلها.

غادرا الفندق بعد أن شكرنا صاحبه، فابتلعتهم شوارع بغداد  
مساءً، لا يكاد يصدق ما تراه عيناه، خصوصا وقد أخذت  
الناس تتدافع بالمناقب وهي تسير مسرعة لا يدرى الي أين،  
وخصوصا السافرات الحسنات وهن يتحركن بين الرجال  
بخفة وسرعة مذهلة رغم إنهم يسرن على (بسامير)  
السكاربيل العالى وكيف لا يسقطن أرضا؟  
والله يعمي سنه لو أدرب (أم كفاح) حتى تمشيه خطوتين  
بالسكاربيل ما أتدبره.

إستاد سعدون ماتگلي بروح أبوك هاي الوادم نسوان وزلم  
ليش چاره الهدوم، الزلم مفرعه والنسوان مصلخه وهدومه  
مبزنگه، شنبي الخام غالى بغداد يو هذا بخل.  
أتسم سعدون قائلًا:- أخوي (غضبان) خلأسئلتك عندك  
وبمرور الأيام تعلمك الولايه إسرارها وإخبارها، أكل الناس

ولبسه وعاداته متعلقة بأسلوب عملها وحياتها. العمل هنا هو أبو السوانى والأعراف.

بعد مسيرة غير قليلة، أعتاد السير بالحذاء، شاعت عيناه بنفس المشاهد في كل المناطق التي مرروا بها في شوارع بغداد، الرشيد الرصافي شارع غازى، الميدان، الخ حتى وصلوا المطبعة التي قصدها سعدون.

دخل إستاذ (سعدون) وخلفه (غضبان) فوجدا الأسطه (جمال) وبعضا من عماله يهمون بالخروج من المطبعة بعد أن أنهت نوبة عملهم اليومية وهم وسط أكdas من الورق بمختلف الألوان والإحجام، وعدد من المكائن الحديدية. أستقبلهما جمال أحسن استقبالاً مرحباً باستاذ (سعدون) وبابن عمه (غضبان) لعلمه المسبق بقدومه.

تسامراً وتذاكراً ودار بينهم حديث حميم القسم الأكبر منه لا يعرف (غضبان) معناه ومبناه إنَّه حديث مثقفين. أصطحبهم (جمال) خارج المطبعة لتناول وجبة العشاء على شرف (أبوكفاح) ضيفهم العزيز وشغيل المطبعة وحارسها الجديد.

كان عشاءً دسماً شهياً من الكباب العراقي اللذيذ تبعته أقداحاً من الشاي (السنگين) وسجائر الغازى. بعدها طلب الأستاذ الأذن تاركاً (غضبان) صحبة أسطه (جمال) متمنياً له عملاً جيداً وصحبة سعيدة مع زملائه

العمال واعداً إياه بأنه سيزوره بين حين وآخر وأخباره سيسمعها من الأسطه (جمال) الذي أخذ يتامله (غضبان) شاباً، انيقاً، حسن الهندام، ذا شاربين غليظين وطويلين يكادان أن يغطيا شفته العليا، يزين وجنته اليسرى حال جميل، يميل لون بشرته للبياض أكثر منه للسمرة، تزين معصمه الأيسر ساعة ماركة (أولما) الأبتسامة لم تفارق شفتيه، يده مبوسطة كل البسط لضيوفه ولعماله، تبدو عليه الرزانة والهيبة، سريع الألفة لا تشعر معه بالحرج أو التكلف، محبا للنكتة، كانت نظراته ساهمة صوب أفق بعيد.

عاد أسطه (جمال) بصحبة (غضبان) إلى المطبعة، عرفه بزميله الحارس السابق الذي رحب به بود ومحبة ظاهرة على محياه، دله على مكان منامه وتواجده وما هو مطلوب منه، الذي وجد من زميله (أبو حسن) الألفة والفهم المشترك فهو من أصول ريفية أيضاً من العمارة، مطمئناً إياه بأنّه سيعيش وسط هؤلاء الناس بأمان وسعادة وحب، فهو سيسافر صباح غد عائداً إلى أهله في العمارة بعد أنْ أمضى أكثر من عام في المطبعة ولم يشهد من متسببيها غير الطيب والمحبة والمساعدة وقد "أكسبني الكثير من الخبرة والمعرفة التي كنت أجهلها".

في صباح اليوم التالي التقى وتعرف بالعمال والأسطوات العاملين في المطبعة وكانوا جمعاً لطفاء طيبين متعاونين

يتكلمون بلهجات ولغات مختلفة منهم الكردي والعربى والصابئي والمسلم والمسيحي، الشيعي والسنى والأزيدى والمسيحي، إتلاف معهم وأحبهم وأحبوه، بعد أكثر من أسبوع أقترح عليه اسطه جمال أنْ يتعلم رصف الحروف في الألواح خاصة، فرغم جهلة القراءة الكتابة سيعمل وفق صور الحرف ومكانه في الكلمة ومكان الكلمة في الجملة، وقد رسم له أسطه جمال الحروف وأعطاه نماذج منها.

بدأ (يتمن) عليها طيلة فترة أنفراده بنفسه ليلاً في المطبعة، فأحرز تقدماً كبيراً في تشخيص الحروف وأسماءها وبالتالي كتابتها وقراءتها مما شجع الأسطوانت إلى تكليفه برصف بعض الألواح وفق ما مكتوب أمامه وما يراد منه، كرس كل جهده وقدرته وفطنته من أجل إجاده هذا العمل الممتع الذي تعلم من خلاله على الكثير من المعارف التي كانت أشبه بالطلسم بالنسبة له، بحيث أنه لم يصدق تعلمه القراءة والكتابة خلال عدة أشهر بعد إن كان هذا حلمًا شبه مستحيل بالنسبة له، كما أنه أخذ يحل شفرة العديد من المفاهيم والمصطلحات التي يتحدث بها (الأفدية) وغيرهم أمثال (أستاذ سعدون) واسطة نوماس وأسطه جمال وبعض العمال والأسطوانت في المطبعة.

كما أنه اقبل بداعع لا يوصف في التعرف على معنى ومضمون (الشيوخية) من خلال بعض المطبوعات في

المطبعة وبعض الكرايس التي يجلبها له أسطه جمال أو بعض العمال حين يسألهم عن بعض المصطلحات في مختلف المجالات السياسية والأدبية والعملية والثقافية العامة، تعرف أسماء ماركس وانجلس ولينين وستالين وفهد وووو. ديكتاتورية البرولتاريا، الرأسمالية، الأشتراكية، الأدب الواقعي، الرواية القصبة، والشعر الشوري وooo، السريالية، والرومانسية، والشعر العمودي والشعر الحر، و(القرامطة) و(ثورة الزنج) وooo،

حاز (غضبان) على المهارة الكافية بشهادة الأسطوارات في المطبعة رفعت درجته إلى مرتبة عامل ماهر وتحسن مردوده المالي الذي كان يرسل فائضه إلى عائلته حين يتقيى ولده أو الأسطه (نوماس) وغيره من معارفه هناك ممن يثق بهم.

قرر أسطه (جمال) أن يقيم حفلة ووليمة خاصة على شرف على شاطئ دجلة. بمناسبة إتقانه لعمله بمثل هذه الفترة الزمنية القصيرة والتزامه الكبير وانضباطه في العمل، والمحبة الكبيرة التي حاز عليها في قلوب زملائه.

حيث يتحفهم بأبيات الشعر الشعبي، وخرzin كبير من الأمثال الشعبية، كما يروي لهم قصصا شيقة حول عادات أهل الريف، وحكمة (علي آل صريح) و(حمد آل حمود) والمشاهير من شيوخ الفرات التوسط والمنطقة الجنوبية، كان محل ثقتهم لحل ما قد يحدث بينهم من مشاكل أو إشكاليات

حتى في مناطق سكناهم في بغداد، وقد كان بحكمته وحنكته يمكن من حل هذه الخلافات ليحل الصفاء والوئام بين الجميع، يشارك في (مشيات) الخطوبة للشباب، و(مشيات) التراضي خارج مجال العمل، بحيث أخذوا يطلقون عليه لقب (الفريضة).

النأم الجمع مساءً، طابت الجلسة قرب نهر دجلة الذي كان يتدفق ماءه أحمرأً (دهله حميره) جعلت (غضبان) يتذكر أيام زراعة العنبر في ريف المشخاب، وسحره ضوء القمر وهو يرسل شعاعه على كلبني البشر دون تفريق، حركة السفن والزوارق في النهر، شباك الصيد، أخذ الجميع يتداولون القريض وأبيات الابوذية التي تعبر عن هموم ولواعج الكادح العراقي.

طاب الحديث فطلبوه منه أن يسمعهم صوته الجميل الذي طالما استمعوا إليه وهو واقف خلف مكان الطباعة، بلغ الشوق به أشدّه لأهله ولام (كفاح) حبّية الروح بعد إن دارت كؤوس (الزحلاوي) والبيرة في الأيدي، متذكراً (زبيب) غنوده الذي فهم الآن ما هو وما مفعوله، أنطلق صوته منسابة مغرداً شجياً ساحراً لعدوبيه وبلاجة قوله، فتوسعت حلقة السامعين من الحاضرين في الكازينو ومن الصيادين الذين ركناً زوارقهم وأسرعوا نحو هذا الصوت المذهل جمالاً وسحراً،

متمنيا في داخله لوكان معهم لأن صديقه الشاعر العذب (أبو علي).

فأصبحت وليمة عض سمك و الآخر بالمقبلات وواو.  
فأصبحت وليمة سمك وأحتفالية لم يشهد الشاطئ مثلها من قبل،

تعلق الحضور بـ(غضبان) صوتاً وخلقاً، عاش الجميع ساعات من الفرح والبهجة والطرب والتمتع بسحر شواطئ دجلة وسمكها اللذيد، وقد أحب التعرف عليه شابا اسمرا يفيض حيوية وذكاءً، أسمه (حسن) من أهالي كربلاء، عسكري في معسكر الرشيد، مغرما بحب الريف وأهله ومحباً وعاشقًا للشعر وللغناء الريفي، وقد توثقت علاقتهما فيما بعد.

أختتموا حفلهم بعد متصرف الليل، عاد إلى المطبعة هو والأسطه (جمال) ودعا، وحين أختلى بنفسه وراجع ما آل إليه حاله وتكشف له المخبوء والمستتر مما لم يعرفه، ضحك من نفسه وجده "أي (يمظلوم) ولك ها الشيوعية طلعت عالم من الفكر والعلم والمعرفة، كاشفة أسرار الماضي والحاضر وأفاق المستقبل، الآن واضح ليش انته وغيرك تعيشون الحرمان والفقر والقهر، الفلاحين والعمال والكسبة. الخ: وعرفت ليش يطاردون أستاذ (منير) ويخافون من مناشير الشيوعية، وانته عيالك الشوعيه علويه، باصر ومن كل ولازم

أفاتح الأسطه جمال وهو صديق حميم لأستاذ منير حتماً  
شيوعي، لازم أوصله واحچيله رغبتي بالاتصال بالحزب "عند صباح اليوم الثاني أنفرد (غضبان) باسطه (جمال) طالباً منه أنْ ينظم له لقاءً سريعاً بأستاذ منير لأنَّه لا يعرف شيئاً عن عمله ومكان سكنه، وعده الأسطه خيراً، وبالفعل قال: إنَّ الأستاذ سيلتقيه بعد يوم غد وهكذا كان إذ التقاه في أحد المطاعم الشعبية في شارع الكفاح حول وجة غداء (تمن فوگاه).

نعم أخ (غضبان) عرفت انك طلبت مقابلتي، هل ضايقك أحدهم في العمل؟ هل لديك مشكلة مع أحد؟ لا أستاذ المسالة لا تتعلق بالعمل، بل هناك أمر خاص أود مفاتحتك به بشكل منفرد، فأجابه، على الرحب والسعة أبو (كفاح) تفضل سارا بمحاذاة نهر دجلة، فقال: أستاذ (منير) آني عندي رغبة الانتماء للحزب الشيوعي، بعد ما عرفت شنهو الشيوعية، وبعد ما عرفت إن الحال ما يتغير بدون وجود مثل هذا الحزب ليدافع عن الفقراء والكادحين والمظلومين في كل مكان، فأجاب أستاذ منير: اسمع يا صديقي بعد ما تعرفت عليك وأنت تبيع اللبلبي، وعرفت أخلاقك وكرهك للظلم وشجاعتك وإحساسك بالقهر، توقيت انك ستتجد طريقك يوماً لحزب الكادحين، ولكن لا أنا ولا غيري من الرفاق فاتحك بالأمر وأنت تمر في مشكلة

عشائرية، ربما تضطر للموافقة علينا مقابل إيجاد حل لمشكلتك، أما الآن وقد انتهت هذه المشكلة وأصبحت حرا في العودة إلى دارك واهلك وفضلت البقاء في عملك في المطبعة، وبعد أن تعلمت القراءة والكتابة واطلعت بنفسك على الفكر من مصادره وعرفت سيرة أعضائه من خلال معاشرتك لهم وحبك لهم فأنت حر في خيارك فان شئت، فاكتب رسالتك وأعطيها للرفيق جمال لإيصالها للحزب وسيأتيك الرد عن طريقه، فجمال هو أحد الكوادر الشيوعية، وأنت الآن برعايته وسأتصل به أنا لإبلاغه برغبتك.

شكراً سرحان شكرأً كييراً وعاد للمطبعة فرحاً ومحمساً للعمل، وهو ينظر الأسطه (جمال) وكأنه إنسان جديد آخر

إضافت له صفة الشيوعي الكثير من الهيبة والأحترام.

وبالفعل كتب رسالته كما أفهمه أسطه جمال ووعده أن يأتيه الرد بعد أطلاع الرفاق وأخذ موافقتهم على طلبه، وهكذا كان فقد ورده الرد الأيجابي بقبوله مرشحاً لعضوية الحزب في الوقت الحاضر وسيوضع تحت التجربة النضالية العملية لمدة ستة أشهر قابلة للتمديد للبت في عضويته من عدمها.

أخذ (غضبان) يضاعف عمله وقراءاته ويواكب حضور أجتماعات خليته الحزبية التي كانت تشكل من عمال المطبع وبعضهم ضمن مطبعته التي يعمل فيها، كان يزور عائلته كل ما ستحت الفرصة لذلك، وأخذ يزور أعمامه وأبناء

قريته، منوراً مثقباً مقيماً كل فرد من أفراد العائلة للأقارب وبقية الفلاحين وأصدقائه وعارفه الآخرين، أصبح ولده الأكبر (كفاح) شاباً يافعاً يتقدم في عمله المهني (النحارة) ويبرع فيه بشكلٍ أعجب بالأسطه (نوماس) الذي اخذ يقطر له الفكر الأشتراكي وفقاً لمدركاته وقدراته مما جعله يصبح من نشطاء (الاتحاد العام لطلبة العراق) البارزين في النجف ومنطقة الفرات الأوسط.

أخذ الناس يلمسون التغيرات الكبيرة التي ظهرت على شخصية وسلوك (غضبان) واستطاع أن يقنع أم (كفاح) ببقاءه هناك في بغداد لأنَّه أصبح ملك عمله الجديد قبل أي شيء آخر، وإنها وابتتها (سعوده) سيتقلون إلى بغداد، بعد إنْ ينهي (كفاح) دراسته في الثانوية، ويدرس في الكلية التي يرغبهَا في جامعة بغداد، استطاع أنْ يبني لها قاعدة قوية في الريف وفي المدينة، وبين أصدقائه وزملائه في العمل بالإضافة لصداقةه التي توثقت يوماً بعد آخر مع صيادي الأسماك منذ يوم الحفلة المشهودة على ضفة النهر.

أخذ نجم (غضبان) يستطيع كعامل واعي مثقف محظوظ صاحب جماهيرية كبيرة بين العمال والصيادين وال فلاحين، وهذا ما كان يتوقعه له الأستاذ (سعدون) بعد مرور الستة أشهر الذي كان يعدها يوماً بعد آخر متظراً اليوم الموعود على أحر من الجمر.

جاء عشية الأحتفال بذكرى ميلاد الحزب في ٣١ آذار ١٩٣٤ فأبلغه مسؤول الخلية بأنه وعدد من الرفاق الآخرين حصلوا على شرف العضوية في الحزب وكان أسمه الحركي (عاصف).

أحتفلت الخلية بميلاد الحزب الحادي والعشرون ١٩٥٥، وبميلادهم الجديد بمنحهم شرف العضوية في حزب القراء والkadحين.

قررَ أنْ يحتفل بهذه المناسبة العظيمة، أنْ يدعوه (جمال) وبعض رفاقه وأصدقائه إلى سهرة جميلة بالمناسبة على ضفاف دجلة مع أصدقائهم الصيادين، وكان لهم ذلك أحتفلوا في الهواء الطلق في ليلة قمراء براقص نور القمر، موجات دجلة التي أكتست بشعاشه كما يزين سماء صافية، سرعان ما مسحت الرياح عن وجهه المشرق بعض قطع من غيوم متفرقة فتألق نوره مع صدى صوت (غضبان) المتدقق عذوبة ورقة، بلغ الفرح والمرح متهاه في هذه الليلة السعيدة، أزاداد (جمال) فخرًا برفيقه الرائع الممتلىء حماساً ونشاطاً وحيوية وجرأة، أصبح مثلاً رائعاً للمناضل المأمول.

بعد مرور فترة على منحه شرف العضوية، طلب منه إنْ يتفرغ لفترة أسبوع لحضور دورة تدريبية خاصة حول عمل وتصليح وصيانة الطابعات بطلب من الحزب بلغ به بشكل فردي عن طريق الرفيق جمال، وقد غطي أمر غيابه بسفره إلى عائلته في

النجف فالامر يجب إن يكون في غاية السرية والكتمان حتى على رفاقه، وهكذا التقى (غضبان) الرفيق (سعدون) الذي أوصله بدوره إلى البيت الذي تمت فيه الدورة، تمكن (عاصف) من اجتيازها بشكل يثير الإعجاب نظراً لحماسه وتجنيد كل طاقته من أجل خدمة عمله النضالي وتطور حزبه فذلك يقرب الفقراء من يوم الخلاص كما يرى.

عاد إلى عمله في المطبعة وبعد عدة أيام قرر الحزب أن يتفرغ لمهمة خاصة وعليه يجب تغطية انقطاعه عن عمله في المطبعة بادعاء سفره إلى بلدته والتحاقه بعائلته بسبب ظروف خاصة، وبالفعل ترك عمله مودعاً زملائه ورفاقه ومنهم الرفيق والصديق (جمال) ليذهب إلى بلدته وتفقد عائلته وأطفاله وأبناء عمومته ليودعهم بعد عدة أيام على أن يزورهم وقت تسمح له الظروف بذلك.

عاد وهو مملوءٌ ثقةٍ وفخرًا بتطور الخلايا التي أسسها في الريف، وتطور عمل ولده، الذي تم تغيير اسمه بطلب من الأسطه إلى (كافاح) الذي كان فطناً جميلاً ذكياً وشقيقته التي دخلت المدرسة أيضاً بالحاج من (كافاح) الذي أعلن عن رغبته بالدراسة في كلية الآداب، عند تخرجه في نهاية عام ١٩٥٦ نظراً لعشقه للشعر والرواية بعد شغفه بقراءة كتب الأدب الذي يحصل عليها من عدد من المثقفين الشوريين في المدينة أمثال (حسن عوينه) و(مرتضى فرج الله) ومن زملائه

الطلبة، نظراً لما يمتلك من موهبة شعرية وحبه للأدب  
عموماً.

التقى الأستاذ (سعدون) فور عودته إلى بغداد وفق موعد مسبق متطرق عليه، رحب به معتبراً له بفخره واعتزازه لتفانيه في سبيل قضيته وحزبه، والآن يطلب منه الحزب أنْ يعمل في إدارة وتشغيل مطبعة من النوع الذي تدرب عليه من أجل زيادة فعالية إعلام الحزب ووسائل تحريضه وتواصله مع جماهيره في ظل المستجدات السياسية على الساحة الوطنية وبروز دور الحزب القيادي في قيام وقيادة (جبهة الأتحاد الوطني) من أجل الخلاص من النظام الملكي الرجعي.

تقدّم سعدون أمامه مبلغاً إياه أنْ يتبعه ويفعل ما يفعله، توقف (سعدون) في موقف أحد الباصات فتبّعه ليصعد الباص خلفه دون أنْ يجلس إلى جانبه أو يكلمه، في المنطقة التالية نزل (سعدون) فتبّعه (عاصف) سار (سعدون) متوجهاً لأحد الأزقة بعد أنْ تأكّد بان لا أحد كان يتبعه أو يراقبه، أنتظر (عاصف) وافهمه انه سيلتقي بالرجل والمرأة القادمين من الأتجاه المعاكس لخط سيرهما، سيسألهما بعض الأسئلة ليثبت له بأنهم المقصودون بلقائه وعندما يترکهما عليه أنْ يمثل لقائه بهما كأنه صدفة، يقبل بعضهما البعض الأول بأسم (فالح) والثانية ( مليحة ) كأنهم من معارفه ومن أقربائه التقاهم

بالصدفة هنا وعندما سيتولى الأمر الرفيق والرفيقة الذين  
التقيتهم، وهكذا كان

فعل ما طلب منه حين لقاءه (فالح) و( مليحة ) سلم عليهما  
بحرارة وهم ردوا عليه بمثله كذلك، السؤال عن الأهل  
والأصدقاء والعياال وإنّها صدفة جميلة أنْ يلتقيا به، وما عليه  
إلا أنْ يذهب معهما لدارهما فهو ضيفهم اليوم.

رغم حرارة هذا الحديث ومظاهر عفوته كانت عيناً ( عاصف )  
لم تفارق ( مليحة ) أخت فالح، لاشك انه سبق وإنْ رأى هذه  
الفتاة في مكان ما يجب أن يتذكر هـ، طولها، شكلها، عيونها،  
صوتها إلا إنّها سافرة ولهجتها بغدادية.

أنعلك ياشيطان، أيصير اهيء، لأنّ موهيء وين ذيچ وين  
هاي، الله يخلق من الشبه سبعين، لأنّ موهيء موهيء بعيدة.  
وبعده گلبيك يرفرف عليه.

سار معهم مسافة ليست بعيدة، أتجها نحو داراً في أحد  
( الدربين ) البغدادية القديمة، أدارت ( مليحة ) المفتاح في باب  
الدار، فتح الباب، دخل الثلاثة للدار وجدتها داراً بسيطة ذات  
أثاث متواضع جداً، يتوسطها تور وأكواام من الحطب، الخ.  
جلس الثلاثة على بساط يغطي أرضية الغرفة، قال فالح: رفيق  
( عاصف ) : - أنت الآن في احد بيوت الحزب و( مليحة ) بمثابة  
شقيقتك، تشاركك السكن في الدار وأنا ابن عمكما إلى حين  
استقدام عائلتك.

الدار تضم آلة طابعة سوف تكون أنت أحد المشرفين على تشغيل هذه الآلة المهمة جداً بالنسبة للحزب في الوقت الحاضر، ستأتيكم طلبات الطباعة منسوخة باليد لتقومون بطبعتها ومن ثم إحراقها، وحسب الأعداد المطلوبة وفي الأوقات المحددة، أما توزيعها فستكون من مسؤوليتي فانا سأكون يوميا هنا لاستلام أرغفة الخبز التي تتولى خبازتها ( مليحة ) بأعتبارها خبازه توفر الخبز للمطاعم والبيوت لمن يطلبها، ستكون كمية من المناشير بين أرغفة الخبز مؤشرة بعلامة خاصة سأوصلها للحزب بطريقتي الخاصة ليتولى الرفاق والأصدقاء بتوزيعها، أما القسم الثاني فستتولى مليحة طريقة إيصالها للحزب، أي طلبات لك ولمليحة وللطباعة كل طلباتكم واحتياجاتكم سيوفرها الحزب لكم، والآن أودعكم والى لقاء .

انفرد ( عاصف ) ب مليحة التي كانت اسما على مسمى جمالا ورشاقة وحسن حديث .

أطلعته على غرفة داخلية، أزاحت ( الكانتور ) جانبًا ظهرت بابا خلفه، تحتوي الغرفة على آلة الطباعة وكمية من الأوراق والأخبار وما إليه من مستلزمات الطباعة أفهمته أن هذا مكان عمله، ليقوم بطباعة كل ما يطلبها الحزب منه المنشورات والبيانات الحزبية، الخ، التي ستتولى هي و( فالح ) عملية توزيعها وإيصالها إلى المنظمات الحزبية بطريقته ووسائله

الخاصة، كانت تتحدث معه وتشعر انه سارح ومشغول رغم سماعه لها، بأمر آخر، على لسانه سؤال وكلام يتردد في البوح به لها فبادرته بالقول: نعم يا أبو (كفاح) حدسك وتوقعك وشكك صحيح تماماً فانا (سميرة) التي عرفتها سابقاً وقد ماتت لتولد بمحلها ( مليحة ) الشيوعية زوجة الرفيق الشيوعي ( مشتاق ) السجين في نقرة السلمان لعشرة سنوات، وبعد إن افترقنا وعلمت بهروبك من المدينة تعرفت مشتاق بالصدفة فكان ودوداً طيباً صادقاً، يفيض حباً وحناناً وإنسانيةً، كان يعمل في أحد محلات بيع القماش، كانت لنا علاقة حب كبيرة توجناها بالزواج، ترك ( مشتاق ) العمل في السوق وتوارينا للعمل في بغداد، ألي حين إلقاء القبض عليه قبل أقل من سنة من قبل الأمن وحكم محكمة شكلية بدعوى قيادته للتظاهرات وتوزيعه للمنشورات، بقيت لوحدي، كلفني الحزب للتفرغ لإدارة الأوكرار الحزبية والقيام بمهام مختلفة في مختلف المدن العراقية، ومنذ ذلك الوقت نذرت نفسي وجهدي وكل حياتي للحزب ولزوجي الحبيب الذي انتشلي من حالة الفقر والتشرد والوحدة بعد موت والدي، كان مشتاق ضحية أنهيار احد الرفاق في السجن تحت التعذيب،وها أنا الان أقوم بدور الأخت الخبازه للرفيق ( عاصف ) الذي هو أنت للعمل من أجل طباعة وتوزيع بعض منشورات الحزب وبياناته بالأشتراك مع بقية الرفاق في بيت المطبعة،

فمن هذه اللحظة أنت أخي ورفيقي في النضال علينا إسدال الستار على الماضي الذي تعرفه وأتمنى إن تكون بمستوى المسؤولية الكبيرة، فقد ماتت (سميرة) كمامات (مظلوم) وولدت ( مليحة ) و( عاصف ).

أصيب ( عاصف ) بالذهول والعجب مما سمع ومما رأى كيف دارت الأيام وما هو سر هذا الفكر في تغيير سلوكيات الناس من حال إلى حال لا يمكن تصورها في الخيال، وإنما يصدق ما وصل إليه ( مظلوم ) الفلاح والبائع المتجلو الجاهل إلى ما وصل إليه، ومن يصدق ما وصلت إليه ( سميرة ) الأممية اليتيمة الفقيرة بائعة القيم ل تكون ( مليحة ) المناضلة تضحي بشبابها وراحتها ومتعبتها من أجل قضية كبرى تجر عليها الويلاط من سجن وتشريد وتعذيب.

أمام مثل هذه الصورة والتحولات الكبرى في حياة الناس ومثالها ( مظلوم ) و( سميرة ) والأمثلة الكبيرة لشياع ومشتاق وأستاذ منير ونوماس وجمال ووو عظم أمام عيني ( عاصف ) الفكر والحزب ومسيرته الكفاحية الجبار، فضاعف حماسه وأقسم أن لا يدخل جهدا من أجله، وأن تكون علاقته علاقة الرفقه والأخوة الصادقة النقية البعيدة عن الغرائز الحيوانية.

واصل ( عاصف ) عمله في المطبعة، أزدادت نشرات الحزب وبياناته، بعد قيام ( جبهة الاتحاد الوطني ) بين القوى الوطنية العراقية، أثر الجهد الكبير والتبدل النوعي في سياسة

ونشاطات الحزب فأصبح له دور كبير في قيادات نضالات الجماهير العراقية من أجل التحرر والأنعتاق.

كان يتبع بآل مكير أخبار الانقسامات والخلافات والصراعات بين القيادات الحزبية، التي كانت لا تغدو أن تكون خلافات شخصية من أجل تبؤا الموضع العلني في القيادة الحزبية أو نتيجة اجتهادات وتأويلات فكرية، إما يفتقر بعضها لنضج في الوعي، أو عدم القدرة على الإقناع وإيصال ما يريد إلى بقية الرفاق. وقد كان يتأنّم كثيراً حينما يرى عملاً ينم عن الأنانية أو الكذب والأحتيال ممن يقول إنه (شيوعي) فقد تمثلهم أنقياء لا يقربهم الخبث أو الغش لأمن قريب أو من بعيد، ولكن التجربة والحياة الواقعية علمته غير ذلك.

"أي ولد (مظلوم) ذهوله هم مثل شيخ الأفخاذ عدنـه كله أتريد تصير شيخ عmom وتـگوم تامر وتنهيـ، هـاي أحـنه وـين ما نـروح شـايـلين أمـراـضـنـه وـيـانـهـ، چـاـ وـينـ الـوعـيـ وـالـفـكـرـ؟" وكان هناك سؤال كبير يورقه ولم يجد له جواب، كان يضايقه كثيراً ويبحث له عن جواب مقنع فلا يجد، ألا وهو مالذي يجذب هذه العناصر الأنانية، الكاذبة، المتعثبة إلى الحزب، حيث النقاء والتضحية والصدق والشجاعة كما تتجسد في أفكاره وسلوكيات قادته؟

بناقش الأمر مع ( مليحة ) ولكنها تبدو عاجزة أيضاً أن تجد جواباً شافياً لهذا السلوك المتناقض خصوصاً وانها قد تعرضت للكثير من الأذى من قبل مثل هذه التمادج، التي تصفها كالبثور المتقيحة في وجه وسميم نضر.

كان يتمنى إن تصلهم كتب وكراسات خاصة تهتم في البحث في السلوكيات الخاصة بالإفراد وما يدفعهم للبس الأقمعة، ولكن ييدو إن الاهتمام بمثل هذه الأمور لم تحض بأهتمام قيادة الحزب ولجانه الفكرية بالرغم من أهميتها فقد كان الاهتمام في الأمور التنظيمية والسياسية هو السائد في ظروف عمل غاية في الخطورة والسرية.

وكم كان فرحاً وسعيداً حينماقرأ حول تجربة الرفاق الشيوعيين الفرنسيين في سجون النازية حيث كان الرفيق جورج مارشيه معتقلًا مع جمع هائل من المواطنين الفرنسيين عند سقوط باريس وسيطرة الفاشست عليها.

تتلخص القصة في أنَّ أحد الشيوعيين العمال المعتقل في نفس معتقل جورج مارشيه والذي تعرف عليه لأن صورته كانت غالباً ما تتصدر صحيفة الحزب وأديبياته آنذاك لكونه قائداً مشهوراً، ونظراً لكون الشيوعي يجب أن يكون ناشطاً في كل وسط يتواجد فيه بما فيها السجون والمعتقلات، فإنَّ واجبهم يقتضي العمل على تنظيم السجناء وضمهم للحزب أو كسب صداقتهم على الأقل، فاقترب من مارشيه عارضاً

عليه ما ينوي عمله طالباً منه إرشاده إلى أسلوب العمل وكيفية التحرك وما هي أفضل الطرق لإيصال فكر الحزب للسجناء.

فأجابه مارشيه:- ما مضمونه أنهم قد مضى على وجودهم في السجن فترة غير قليلة وإنَّ أغلب السجناء يشعرون بالجوع الشديد، وإنَّ غريزة الجوع هي من أهم الغرائز الإنسانية والحيوانية على حد سواء، لذلك فإنَّ كتبها أو ضبطها والتحكم بها يمكن أن تكشف عن معدن الشخص، وبعد قليل سيثير الفاشست (لفات) الطعام من على سياج السجن فوق رؤوس السجناء، وسنرى ما يحدث، فعلا حان وقت رمي الطعام فشاهد الأننان إن بعضهم تلتف (اللفة) من يد زميله في السجن وهو يحاول الحصول على أكثر من واحدة، إما الآخر فقد احتفظ بما وقع في يده، في حين كان الثالث أعطى ما حصل عليه إلى زميلٍ مجاورٍ لم يتمكن من الحصول على شيء.

فخاطب مارشيه رفيقه قائلاً:- هل راقبت ما جرى؟ فمن حصل على (لفة) وأعطها إلى زميله مفضلاً إياه على نفسه هذا شيوعي وإنْ لم ينتم ولا يحتاج إلى جهد كبير لينضم إلى صفوف الحزب ومؤازريه، وإنما من أحافظ بوحدة لنفسه دون إنْ يزاحم غيره فهذا ممكن إن يكون صديقاً للحزب.

إما من أخذ (لفة) زميله وأحتفظ لنفسه بأكثر من واحدة فهذا لا يصلح أبداً ليكون مناضلاً شيوعاً نظراً لأنانيته وغريزته الحيوانية المفرطة.

كان (عاصف) كثيراً ما يعرض هذه القصة على رفاقه ومعارفه ويتداول معهم ومع ( مليحة ) وقد كانت أشبه بالكافش لطبيعة من يلتقي خلال عمله الحزبي وحياته العامة.

لاحظ الحماس المفرط وعلو الصوت حد الصرخ للبعض أثناء المسيرات والتظاهرات والهبات الشعبية، حينما يكون محمولاً على الأكتاف، ولكن الوحدة والمواجهة الفردية مع الجlad و في المواقف الصعبة تظهر حقيقة هذا الفرد، فبعضهم سرعان ما ينهار وتذوب كل عنترياته في أول مواجهة وقد فهم إنَّ هؤلاء هم من الساعين إلى البطولة والشهرة وسط الجموع ولكنهم يتحولون إلى فئران عند المواجهة الفردية.

إما الصنف الثاني والذي غالباً ما يتصرف بالهدوء والإبعاد عن الصريح والصراخ والأدباء وقد يكن من حملة الأبطال على ظهره وسط الجموع، نراه كالغولاذ في مواجهة جلاديء في زنزانته الأنفرادية يذهل جلاديء بقوته تحمله وصبره وتحديه وهؤلاء هم المناضلون، فكل مناضل هو بطل، ولكن ليس كل بطل مناضل. فقد كان فهد ورفاقه مناضلين حقيقيين، في حين كان مالك سيف بطلاً.

بعثت في روحه الأخبار الأخيرة بوحدة الفصائل الشيوعية بفضل حنكة ومهارة وكفاءة الرفيق (سلام عادل) الذي أحبه كثيراً دون أن يعلم بأنه هو نفسه (سلام عادل) وهو حسين الرضوي، بعثت إخبار لم شمل الحزب مزيداً من القوة والأندفاع والحماس فظل يسهر الليلالي لطباعة منشورات الحزب وبياناته وأبدع في صيانة الطابعة والمحافظة على كفاءتها بالتعاون مع بقية الرفاق في بيت المطبعة، لأنها كانت ذات أهمية استثنائية في مثل ظروف الحزب آنذاك، كانوا يبدعون أساليب ووسائل استلام وتسلیم الرزم المطبوعة وهم يعلمون إن هناك أكثر من طابعة وأكثر من وكر للطباعة ولكنهم يشعرون وكأنهم الوحيدون المسؤولون عن طباعة منشورات الحزب، كانت هذه المطبوعات تلهم حماس الجماهير والتفافها حول الحزب وتبنيها لسياسته وبرامجه وتزيد من استعدادها للتضحية من أجل تحقيق أهدافه المتمثلة في (وطن حر وشعب سعيد) هذا الشعار الذي أصبح يتردد على كل لسان نظراً لعمق وبلغة وغنى مضمونه.

كانت السلطة تفقد صوابها لعدم قدرتها على كشف هذه البيوت والأوكار السرية للشيوعيين ومطابعهم فقد كان يعلم إن هناك مطبعاً سرياً آخر يمتلكها الحزب ويديرها الرفاق من أجل طبع منشورات الحزب وأدبياته، رغم جيش مخبريها السريين ووكلاه منها ومخابراتها التي باءت بالفشل ولم

تستطيع إخماد صوت الحزب الذي ظل عالياً ومسموعاً في كل المناسبات الوطنية والقومية والأمية عبر منشوراته ومسيراته وظهوراته الداعية للخلاص من الحكم التابع لقوى الاستعمار والرجعية، والعمل للحفاظ على الثروة الوطنية العراقية وان تكون صالح كادحي الشعب وجماهيره الفقيرة والمهشمة.

رغم انّ إنهماكه في العمل في بغداد، إلا انه ظل متابعاً بشكل دائم لمجريات الإحداث في النجف حيث كان يزور عائلته بين فترة وأخرى، ويستمع كثيراً لولده (كفاح) الذي أخذ يشتد عوده في طريق النضال مع بقية رفاقه في المدينة، وقد حدثه بإعجاب كبير لزيارة الرفيق المشرف في صيف ١٩٥٥ قيل انه المسؤول الأول في (راية الشغيلة) للحزب الذي زارهم قبل فترة، وهو يرتدي لباس رجل دين من عمامة خضراء وجلباب المتدينين، وقد كان موسوعياً في ثقافته ويمتلك قدرة كبيرة في الإقناع، كان مهتماً ومهموماً في قضية وحدة الحزب والخلص من الشرذمة والأشقاق، مما أثار إعجابه قدرة الرفاق على التمويه والحركة والنشاط رغم انف قوى الأمن والسلطة وجوايسها، وقد كان (كفاح) ووالده في غاية السرور لإعلان وحدة الحزب بجهود كبيرة من قبل قيادتي الطرفين (جمال الحي دري) عن راية الشغيلة و(سلام عادل) عن الحزب الشيوعي العراقي (القاعدة).

مدينة النجف لم تختلف عن ركب أغلب مدن العراق كبغداد والحي، حيث هب أحرار العراق لنصرة الشعب المصري الشقيق الذي تعرض للاعتداء الثلاثي في ١٩٥٦، حيث كان (كفاح) من المساهمين النشطين في هذه التظاهرة الحاشدة التي شاركت فيهاأغلبية كبيرة من النجفيين، وبمشاركة القوى القومية ومن البعشيين، وقد انطلقت التظاهرة من ثانوية الخورنق، وحال انطلاقها أشتربكت مع قوى الشرطة والشرطة السرية، أدى إطلاق النار من قبل الشرطة إلى أستشهاد كل من (أحمد الشيخ علي الدجيلي) من الشيعيين، ومن القوميين الشهيد (عبد الحسين الشيخ راضي) مما أوجج مشاعر النجفيين وازداد غضبهم وتحديهم للسلطة، فقد حملوا قميص الشهيد متوجهين صوب السوق الكبير فالصحن الحيدري، وقد جلبت السلطة قوة من الشرطة غريبة الهندام من بغداد حيث يضع كل منهم خوذة وريشة في أعلىها لإرعب المتظاهرين، وقد حاصروا المتظاهرين عند باب القبلة، وقد قاموا بإطلاق العيارات النارية لترويع المتظاهرين، وبالفعل لم يبق من المتظاهرين إلا القليل، وعندما انبى لهم البطل والمناضل الصلب (محمد موسى التنجي) حيث أعتلى تلة صغيرة في (العگد) الضيق خلف بناية معين سنجر، واستل من تحت دشداشه (قامة) أربع برقيها الشرطة، وقد هتف صائحاً: (نوري رصاصك منها به)

مما بث الحماس بين صفوف المتظاهرين وزرع روح الصمود والتحدي بين صفوفهم، وأستمرت التظاهرة رغم أنف السلطة وجبروتها.

لقد كان القائد الميداني للتظاهرة محمد موسى التنجي مثلاً كبيراً في الإقدام والشجاعة، مما جعلني أقف مبهوراً أمام ببسالته وتحديه للسلطات الرجعية، وكسر شوكتها والأستمرار في التظاهرة وإيقاد حماس الجماهير، وقد شاهدت عدداً من الطلبة النجفيين الدارسين في بغداد وهم يشاركون في تظاهرات النجف حيث تم إغلاق و تعطيل الدوام في بعض الكليات هناك وخصوصاً كلية القانون ومنهم الكادر الطلابي الناشط (حكمت شبر) طالب كلية القانون، الذي سبق وان التقاه (كفاح) في بغداد وفي نادي كلية الآداب تحديداً.

كان (مظلوم) يدخن ويستمع بإعجاب كبير لما يرويه ولده حول بطولة أهالي النجف ونحوتهم القومية والإنسانية تضامناً مع أخوانهم المصريين.

وقد كانت أخبار الجماهير الغاضبة والمتفضة في قضاء الحي تثير الحماس بقدر ما تثير الغضب في نفوس كل العراقيين نظراً لما اقدمت عليه السلطات الغاشمة في استخدام العنف المفرط ضد جماهير الحي وخصوصاً من الشيوعيين قادة التظاهرات، بعد احتلال المدينة وأستباحتها من خلال التحريرات على المنازل واعتقال المئات من

المواطنين. وأجريت محاكمة صورية في إحدى مدارس لواء الكوت لبعض المعتقلين الذين اتهموا بالمسؤولية المباشرة عن ما كان يجري في المدينة من اعتصامات واضربات وتظاهرات احتجاجية، ودور أساسي في إدارة وقيادة الانتفاضة، واصدرت تلك المحكمة حكمها بالاعدام شنقا على كل من المناضل الشيعي علي الشيخ حمود ورفيقه عطا مهدي الدباس، والحكم بالإعدام غيابيا على المناضل المعروف الشهيد عبد الرضا الحاج هويس.

السجن بثلاث سنوات على الشخصية الوطنية البارزة الجادرجي على خلفية انتفاضة ١٩٥٦ المساندة للشقيقة مصر.

تحدثاً كثيراً وبالم ظاهر حول الأسلوب والطريقة التي جرت خلالها التظاهرات الجماهيرية سواء في ١٩٥٢ أو في ١٩٥٦، كونها كانت تحدث في مدن وولاية مختلفة وفي اوقات مختلفة، فكان المطلوب أن تحدث هذه التظاهرات الجماهيرية العارمة في توقيت واحد أو على الأقل متقارب في المدن العراقية، وكانت الخسائر أقل بكثير والمكاسب أكبر مما حصلت عليه الجماهير، وهذا طبعاً يعتمد على مدى حنكة ودرأية وفطنة قيادة الحزب، وقد تم مناقشة هذه الأمور

من قبلهم خلال المؤتمرات والأجتماعات الحزبية ووضعت كل الملاحظات أمام قيادة الحزب، وقد كان الرفيق (سعدون) يشارك (عاصف) في أغلب ما ذهب إليه.

في نهاية هذا العام أكمل (كافح) الدراسة الثانوية ناجحاً بتفوق وقرر الدراسة في كلية الآداب لعام ١٩٥٦-١٩٥٧.

أطلع على رسالة الرفيق سلام عادل في ٢٤-١٠-١٩٥٦ حول رفض أسلوب الأغتيالات كوسيلة لتصفية أعداء الشعب والوطن وعملاء الاستعمار من أمثال نوري السعيد وزمرته، حيث أعتبرت الرسالة أنَّ أسلوب الأغتيالات الفردية تشخيص نهج الأنظمة المعادية لشعوبها وتحمل شخصاً بعينه مسؤولية ما يجري ضد الشعب وهذا يعتبر قصوراً في الوعي وعدم تحميم الطبقة الحاكمة بكلاتها مسؤولية حالة التردي والتبعة للقوى الأجنبية، وقد كانت الرسالة مقنعة وحججها مسلم بها، كما أنَّه أكمل الرفيق (سلام عادل) في رده الواضح والحاصل حول مآرِّاده أن يقدم عليه بعض قادة الحزب من الأكراد في حل الحزب الشيوعي في كردستان بتنظيمات البارتي، وطمر هذا النهج الخاطيء في مهدِّه.

في أوقات تناول الطعام وأوقات الفراغ يحلو السمر في بيت المطبعة، وقد كان (عاصف) يحضرها بحب وأحترام رفاقه وقد كانوا خليطاً من الكرد والعرب والأشوريين، مسلمين ومسح وصابئة وايزيديين، حتى أنَّ بعضهم لا يعرف دين الآخر ولم

تكن هذه الأمور من أولوياتهم، شجع هذا الاختلاط أنْ يعلم بعضهم البعض لغة قومه بقدر ما يسمح الوقت وبقدر استعداد الرفيق للتعلم أو التعليم، أخذ عاصف يفهم الكردية ويستطيع أنْ يوصل ما يريد عند التكلم بها، وأختزن الكثير من لغة الأشوريين، والصادئة، لقد كان يريد ان يتعلم كل شيء وبأسرع وقت ليكون أكثر قدرة وكفاءة على أداء واجبه النضالي، وقد كانت له علاقة مميزة برفيقه الكردي (عوله) الذي أتاهم من صفوف حمالی (الشورجة) وهو في الأصل من أهالي (السليمانية) ضاقت به مديتها فجاء إلى بغداد، وهنا انخرط في طريق الكفاح بعد طول معاناة، كان كاكه (عوله) طويلاً القامة مفتول العضلات، وشارب خشن طويلاً يغطي شفته العليا، كان لون بشرته أبيض يميل للحمرة المحببة، مغرم بأحتساء عرق بعشيقه، كان يحتسيه (ساده) دون تحفيه بالماء كالآخرين ولكن الغريب أنه لا يسكر ابداً على الرغم من إنّ مزته (جاجيك) لبن أرييل فقط، لا يفارقها (مشربه) أو (باييه) الخشبي الطويل المقوس المصنوع في السليمانية، ونهمه في تدخين سكاير (لف) من تبغ عراقي يدعى (أبو الريحة) كان يحفظه في محفظة جلدية صغيرة مصنوعة من جلد ماعز بخلاف اغلبية مدخني التبغ (اللف) حيث يضعونه في كيس قماش يعد لهذا الغرض. بالإضافة إلى قداحته النقطية المميزة والتي يقول انه ورثها عن ابيه وانها مصنوعة

في روسيا كما مكتوب عليها، وكان بعض الرفاق يقولون له أنّها هدية الرفيق (ستالين) إلى المرحوم والدكم فيرد عليهم.  
- آني ميدري يجوز كان الوالد شيوعي كبير وآني ما يدرى،  
هي مرات يسبس مع والدتي ويدخلون غرفه ويسلدون باب  
عليهم، بس ما أدرى ليش من يخلص أجتماعهم يروحون  
يسبحون، يجوز كانوا يلتحمون بنقاش حار، مو مسل  
أجتماعات ما ل أحنه بارده.

يضحك الجميع لطراقة وخفة روح رفيقهم (عوله).  
كان عاصف يحاول دائمًا أنْ يثير شجون رفيقه (عوله)  
لتخفيف أثر الضغوط الكبيرة التي تحد من حريةهم وتثير  
تحفظهم خوفاً من أنْ ينكشف امرهم من قبل سلطات قمعية  
لا ترحم، فكان يسأله عن حياته السابقة في كردستان ومنها  
غرامياته المخبوءة، والتي هي عبارة عن جمرات لا تبرد ولا  
تطفئ لسعاتها طوال حياة الفرد العاشق فكان (عوله) يقول  
ضاحكاً: رفيق عاصف لا أدرى ماذا تجد النساء في (عوله)  
فقد كن يطاردنني اينما أكون رغم اني لا أمتلك قوت يومي،  
ولا أظنني فائق الوسامه كما ترى، وقد كن هن سبب هروبي  
إلى بغداد، فقد جنت وجنت في حبي (زمرد) رفيقتي في  
رعى الأغنام في قريتنا، كانت حبي الحقيقي، وكانت غاية في  
الجمال تفيض أنوثة ورقة، ذات عيون عسلية ساحرة، وصوت  
عذب كان يناغي قمم الجبال وخرير ماء الينابيع، وحفيظ

أوراق أشجار الجوز، تسمعني صوتها العذب حينما نكون في  
خلوة بعيداً عن عيون المتطفلين نرعنى أغنامنا وعزاتنا عند  
سفوح سلسلة جبال ازمر الشامخة، كنا نرتوي قبلاً وعناقها  
لا يتهمي من نبع غرام لا يعرف الجفاف، ولكن هذا الحب  
هاجمه على حين غرة ذئب بشري مفترس، حيث أختطفها  
من بين يدي أبن عمها وتزوجها دون رضاها وقد تسبب هذا  
القهر إلى انتحارها المفجع بالقائهما نفسها من على قمة الجبل  
نحو الوادي السحيق وقد عثروا عليها جثة هامدة ونتيجة  
لذلك سقطت طريح الفراش لأكثر من أسبوع، وقد كبت  
المي وحزني فلم أكن أبوج به إلا لعزاتي حيث كن الشاهد  
الوحيد على حبنا الجارف، ستبقى (زمرد) جرحى النازف  
الذي لا اظنه سيندمل أبداً.  
وبعد ماذا يا معشوق النساء؟

لقد أبتليت بعشق ابنة أحد الأغاوات الطغاة في من في  
منطقتنا، كانت تلاحقني أينما ذهبت، كانت تتعقب أخباري  
وأماكن تواجدي محاولة الأنفراد بي، معرضة نفسها وأنا إلى  
خطر انتقام والدها وقبيلتها التي لا ترحم، وقد حاولت ثنيها  
دون جدوى، مما جعلني اقع تحت خطر داهم سيفقدني  
حياتي وحياة عائلتي فقررت مغادرة القرية والذهاب للعمل  
في مدينة السليمانية كعامل بناء وبعد مرور ما يقارب الشهر،  
تفاجأت بها تقف فوق رأسى وأنا أتناول طعامي في أحد

مطاعم المدينة وقد توعدتني بأنّها ستفعل ما لا أتصوره انْ لم  
أعد إلى القرية، فأخباري سوف لن تخفي عليها أينما ذهبت  
حتى ولو كنت في السماء السابعة!

مما جعلني في حيرة من امري فإلى اين المفر من هذه  
المجنونة بحب راع فقير لا يملك قوت يومه، طمتها ممتضا  
غضبها خشية حدوث ما لا يحمد عقباه وأني سأعود إلى  
القرية بعد أسبوع، وقد ألقت علي أحداهن شباكها في  
السليمانية وحدثت منافسة حادة بينها وبين كناتها، فقررت  
الهرب بعيداً إلى مدينة بغداد هارباً من نجمة الحب القاتل  
الذي يلاحقني وقد غيرت أمري والتحقت بحمالي الشورجة  
لكسب قوت يومي وأرسال الفائض إلى عائلتي بطريقة سرية  
بحيث لا تصل أخباري إلى بنت الأغا.

وما هو سر تعلق النساء بك رفيق (عوله)؟

يبدو أنّ هناك سراً لا أعرفه بالضبط، ولكن لابد إنّ هناك ما  
يشير غريزة بعضهن الجنسية، ربما رائحة خاصة في جسدي،  
ربما تركيبة جسمي، وربما حظي العاشر، أنْ تلاحقني السلطة  
والنساء، والمشكله يا رفيق أنَّ الأمر لا يقتصر على النساء  
فقط وإنما على الشواد من الرجال، وقد ادخلني هذا الحال  
في الكثير من الأحراجات والمطبات الخطيرة والطريفة  
أحياناً، تذكر أمي أنَّ أحد أجدادي عن أبي ربما قبل مئات من  
السنين كان يمتلك هذه الصفة أيضاً، وقد تعلقت بحبه ابنة

أحد السلاطين آنذاك دون أن يتمكن من الأفلات منها،  
فكان حياته ثمناً لحبه هذا؟

ظلت قصة حبهم تلوّكها الألسن كل هذه السنين يضيف عليها الرواة ما تجود به مخيّلتهم بما تشاء، حتى لم يبق ما يربطها بالاصل سوى القليل القليل اللهم إلاّ أسم العشيقه والعشيق، وأحياناً تضاف إلى أسميهما ما يشاء الرواي من الألقاب والصفات، ناهيك عن التفنن والخيال الواسع الذي لا يعرف الحدود حول جمال وسحر وشجاعة ومخامرات العشيقين ووووالخ.

فحين كنت أعمل حمala في الشورجة، أستلطفي أحد التجار الأثرياء، وقد كان رجل مكروش، قصير القامة، أحص، تبدو عليه علامات الخنوثة رغم كبر سنّه ومركزه الكبير في السوق، يحاول أن لا يجعلني بعيداً عنه، يزوره إلى المحل أحد أبنائه من زوجة سابقة يعمل ضابطاً في الأمن وقد كان يرعبني بفضاضته وغزوره، وما يرويه لوالده والحضور من أساليب التعذيب الذي يمارسها مع السجناء وكل متهم يقع بين يديه، يروي هذه الجرائم بتلذذ كبير وبفخر اكبر، فقد كان بارعاً في انتزاع الاعتراف من المتهم الذي يعجز عن انتزاعه منه زملائه في المهنة، يفتخر بأنه كان يغتصب بعض السجناء أو السجينات أمعاناً في أذلالهم وتعذيبهم أو دفعهم للادلاء باعترافات حتى وإن كانت كاذبة.

وكان والده يقهقه مفتخرًا بولده رجل الأمن الذي لا يقهر..!!  
كان أحد أقربائه المقربين عضواً في مجلس النواب، يذكره  
دائماً بأفضاله عليه في فوزه في الانتخابات ووصوله لقبة  
البرلمان بفضل ما يبذله من أموال للدعائية وأقامه الولائم  
وأعطاء الرشوات لضمان الفوز، فقد كان بالغ الشراء يمتلك  
العديد من البساتين والأقطاعيات على اطراف العاصمة، وفي  
المحافظات الأخرى، ناهيك عن جنيه الارباح الطائلة من  
التجارة البيضاء والسوداء، لا رادع يردعه من أجل المزيد من  
الربح سواء عن طريق الغش أو الأحتكار والمخالفة  
والاستغفال، كان أغلب تجار السوق يحتقرونه لخسارته  
ولكنهم يخشون خدره وأحتياله ودسائسه، بالإضافة إلى  
علاقاته الواسعة بالطبقة الحاكمة من وزراء ومدراء وباشوات  
وأغوات وشيخوخ، وشقواوات، وموسسات، ورجال دين ووو.  
طلب مني أن أترفع لطلباته هو فقط، أخذ يكلفني بحمل  
أثقاله وحاجياته إلى داره كان يجزل لي العطاء، وفي أحد  
المرات، طلب مني الدخول للدار وقد كان وقت غداء،  
فأستجبت لطلبه، كانت مائدة عامرة بما لذ وطاب من لحم  
السمك والدجاج والأعناب والأرطاب، والحلويات، وقد  
شاركتنا الغداء زوج التاجر وكانت شابة ساحرة الجمال غنجة  
دلعة تصغره بأكثر من ثلاثة علاماً، كانت تلتقطني بنظراتها

الفاضحة، كاشفة عن مفاتن جسدها البض الشهي، دون أي حرج من زوجها الذي كان يبدو منشرحاً راضياً بما يجري. (عاصف) وهو يستمع لحديث رفيقه يستعرض صور لقاءاته بـ (غنوه) أيام زمان، فيسرح بعيداً، ولكن (عوله) يعيده إلى دائرة الحديث باعطائه سيكارة جديدة من كيسه الماعزي المعبأ بسكائر ملفوفة، يعودها ليلاً ليحرقها في النهار.

وما إن انتهت وجبة الغداء حتى انصرفت عنا زوجته، وأغلقت الباب خلفها، فأنبطح الرجل على بطنه طالباً مني أن أدلّك له ظهره فقد هدّه التعب هذا اليوم في العمل، تململت في باديء الأمر محجاً ولكن الحاج بصوت ناعم متسلٍ، فاقتربت منه، وبأشرت تدليك ظهره، ولكنه أخذ يأمرني بأنّ أنزل إلى أسفل الظهر، ثم أسفل، ثم خلع (دشداشته) وبيان كرشه المندلق، وطلب مني مباشرة التدليك الثانية، قائلاً لي: ييدو لي أنّك خبيراً بالتدليك كاكه (عوله)؟ أنقلب على ظهره ومد يديه بين ساقيه، أنزل شروالي وأمسك به، ممسداً، مهددنبي أنّ رفضت سيدعني بأني حاولت قتله وسرقته.

أنكفاً على وجهه وكان معه ما كان، وأثناء هذا الفعل الذي اوصلني إلى درجة الغشيان والقيء اشمئزازاً من مؤخرته الكريهة وابتذاله الفاضح، فتح باب الغرفة ووقفت قبالي زوجه ضاحكة مخاطبة زوجها: بالعا فيه حجي!

- الله يعافيج عيني، ولچ يابه هذا يشفى العله، لگته ما  
تنفوت.

- بالاعفیه حجی و خلی نجرب ونشوف!

- آنی متاکد هسه یعجیج هوایه هوایه یعنی (یسد و یمد) هھھه.

والله حجي انته خبير بهل الشغلات وتعرف شلون تختار.  
دون أن تبدو اية أستغراب وكأنها اعتادت هذا الفعل، بعد  
ذلك نهض قاصداً الحمام، تاركاً زوجه بجانبي وهي مبتسمة،  
أرتدى ملابسه بعد أن شربنا الشاي معاً، طلب مني أن أبقى  
في الدار لمساعدة (الخانم) في ترتيب بعض الحاجيات في  
الست.

کنت مذهولاً بما یجري، ربت علی ظهری (زور باش کاکه عوله) و نقدنی (خمسة) دنانیر ثم خرج.

طلبت مني زوجه أن أستحم، بعد أن أحضرت المناشف  
وصابون أبو الريحه لم أره في حياتي وقد كانت عيونها  
تجدح شبقاً، فعلت ما أرادت، وبعد ان أكملت أقتادني إلى  
غرفة نومها باذخة الأبهة والأناقة والأغراء، أجلسني قبالتها،  
خلعت عني ملابسي قطعة اثر اخرى وهي تلتهمني بقبلات  
حرى، بعد ان تعرت تماماً، ناشرة العطر الفواح بعد أن تزيينت  
كما تزين العروس لعريتها في يوم زفافها، ثارت كل براكيين  
شبعى وغريزتى، وانتصبت كل رماح ذكريتى الهايدة رغم ما

أظناها من فعل سبق، أخذتني في أحضانها اشتبتك الأيدي  
والتحمت المنخفضات بالمرتفعات كموجب وسالب حتى  
أنفجرت كل البراكين، وفتحت كل الزنازين، تشظى الخجل  
وتوارى الوجل، وما ان تهدء فورة حتى نباء ثانية حتى هدنا  
التعب فسقط كل منا على جنب وقد ذهبت في شبه أغفاء،  
ايقطعني بقبة حرى كانت كالتيار المنشط أعادت إلى  
كل خلايا جسمي النشاط، فامطرتها قبلاً وارتشفت رؤوس  
الحلم النافرة متلمساً اردها وجسدها البعض الذي ينز شهوة  
ويؤجج نيران الرغبة، فاعدنا الكرة وابحرنا للمرة الخامسة في  
بحار الرغبة المجنونة، كان اخرها وسط الحمام الفسيح  
وتحت رشاش الماء المنعش وعطر (الشامبو) والصابون.

كنت أستمع اليه وانا مصاب بالذهول من غريب ما يروي  
حتى ثارت كل مكامن الرغبة والحنين لماض ذهب.

قدمت لي طبقاً من الحلويات الفاخرة، وانقدتني خمسة دنانير  
أخرى، بعد ان أخذت مني المواثيق بأن لا اغيب عنها ابداً،  
أودعتني إلى باب الدار.

وبعد.

وبعد ماذا أقول أستمر معي هذا الحال عدد من الأشهر، وقد  
أنهكتني الجنس المفرط، فاتخذت أختلق الأعذار للتغيب عن  
العمل لأنبتعد عن السوق وعن التاجر الذي يكاد يجن حين  
اغيب عنه لعدد من الأيام، علمت أنَّ زوجه كانت أكثر جنوناً

منه، وكانت تطرده من الدار حينما لا يصطحبني معه، حتى أńها أخبرتني أńها مستعدة لقتله والخلاص منه والأفتران بي، فامتلكني الخوف من تهور هذه المرأة المدججة بالذهب والكأنزه لاثمن الحلي والجواهر، المهوسة بالجنس وهي تعيش مع زوج شاذ وعاجز عن اطفاء جمرة غريزتها المتاججة دوما.

عندما قررت الهرب إلى أسواق الكاظمية لا عمل حمala جوالا بالقرب من سوق التجار هناك، حرصت على التحرز كثيرا من دخول دار احدهم، وأرفض طلب من أشك في نوایاه أو نوایاها وكانت غير قليلة.

حتى قادني أحد زملائي في العمل إلى طريق الوعي والكافح الذي وجدت فيه ضالتي في تحقيق حلم عالم أفضل فكان حينها قرار الأنتقام للحزب.

أما قصة تعلمي القراءة والكتابة فلها حكاية أخرى مع أحد (الملالي) في قريتنا.

كان نحيف الجسد، متتصب القامة على الرغم من أن أحد ديد السنين المرتسمة على محياه السمح، بطرقة الخاصة المميزة تتوج راسه (جراوية) بيضاء اللون، لم أرى لها شبيها، تبدو لي وكأنها كلمة (علم) ملفوفة على شكل عمame أو (جراوية) يشد متتصفه شدا محكما بحزام منسوج من شعر الماعز بلون التراب، له عينان واسعتان كحيلتان كعيني الصقر، واهداب

طويلة معقوفة بشكل ملفت تشتبك بخطي حاجبيه المعقودين، من يرقبه جيداً يشعر ان المله يلقي التحية على الحجر والشجر، وينحنى امام الخضراء والزهور، يقف طويلاً حينما يرى هدهدا يوكر بعيداً على أغصان شجرة، وكأن هناك سر ما يربطه بهذا الطائر الجميل، الذي ينأى بنفسه بعيداً عن انتظار بني الانسان، يعشق الوحدة والسكينة والهدوء، كمن يعي انه يحمل فوق راسه كنز الجمال والحكمة التي يبحث عنها الانسان، اما عاشقاً محب أو كارها منتقماً من كل حكيم جميل، يبدو احياناً ان (الهدوء) كان يناغي ويحاور (المله) يرسل له اشارات لا يمكن ان يحل شفراتها غيرهما، وحينما يكمل الحوار يحوم الطير فوق رأس الشيخ كم يؤدي طقس تبجيل واحترام ثم يحلق بعيداً.

كان هذا المله مغرماً بتعليم الحرف لابناء القرية وبدون مقابل، فقد كان يقصد الرعاة إلى اماكن تواجدهم، يغريهم بعض الحكايات ويسمعهم ببعضها من ابيات الشعر تدغدغ مشاعرهم، فيأنسونه ويتحلقون حوله ليعلمهم الكتابة والقراءة.

كان يرشي بعض الأطفال ببعض الحلوي ليقبلوا على التعلم والتعليم وحفظ الشعر الذي كان كالنبع يفيض من لسانه حباً وحكمة وحب الحياة، لقد موسوعي المعرفة، لم ادرك وافهم

فلسفته في الحياة وسر اندفاعه في حب العلم والتعلم الا بعد ان ادركني الوعي الان.

لم يجالس الأغوات والأثرياء ولم يقترب من مجالسهم رغم توددهم اليه، باعجوبة كان يتخلص من العديد من محاولات الغدر والقتل على يد مجهول، ولكنه كان لا يهتم ولا يلين، يطرب كثيرا لأصوات الرعاة ويستمتع كثيرا بعزف الناي، يكلم الزهور والأشجار والطيور.

يصلی في محاربه الخاص تحت شجرة الجوز العملاقة على حافة الوادي في اطراف القرية ولم يؤد الصلاة خلف امام الجامع ابدا، كا يمتنع عن عقد قران العرسان إلا بعد ان يتاكد من عدم وجود اكراه او اجراء، يعتاش عيشة الزهد والكاف من غلات قطعة أرض صغيرة ورثها عن ابيه، غالبا ما يشارك الفلاح المكلف بزراعتها العمل في أعداد الأرض وتشذيب الأرض والعناية بشتلات التبغ.

كان يحدثنا بأعجاب كبير عن ثورة عدل حدثت في أرض بعيدة عنا، ولا بد أن يصل وهج نورها علينا.

أضرب عن الزواج بعد ان فقد زوجته وحييته رفيق شبابه التي لم يرزق منها بمولود، فعاش وحيداً برفقة كتابه وريشه ودواته، بعد وفاة والديه، فكان يحمل روح أنسان وحكمةنبي، وحماس داعية لا يلين ولا يستكين من أجل بث روح المحبة والمساواة وصيانة كرامة الإنسان.

حينما يذكر المرأة يخصها بكل تكريم وأحترام وتقدير، من لا يحترم المرأة لا يحترم ذاته، ومن يحتقرها يحتقر ذاته، أنها صانعة الحياة، ومنبت النبات ومرهضو الحيوانات ولو لاها لبقي الإنسان الذكر لا يعرف غير فنون القتال والصيد، فهي مبدعة السكن الآمن النظيف، وهي مبدعة أدوات الخزن وأفرشة وأغطية النوم، وهي صاحبة الصوت الرخيم والقلب الرحيم، فكانت هي أم الفن وهي نموذج الحكمة، ورسولة السلام، فحين كان يتحدث عن المرأة يجعلنا نخجل من أنفسنا، ونشعر بأننا صغار أمام أمهاتنا وزوجاتنا وأخواتنا، فأتهمه أهل السلطة والمال بأنه يفسد النساء ويحرضهن على الرجال ويهدد وحدة الأسرة، فيرد المله سهامهم إلى نحورهم بقوة الحجة وبلاعنة شواهد التاريخ.

يهزء كثيراً من المشعوذين الذين يمتصون دماء الفقراء من الرجال والنساء عن طريق عمل بعض الحرزوں والتعويذات، جالبة الرزق ومانعة الشر، وطاردة الشياطين. الأنسان هو صانع حياته ومستقبله، هو القادر بأرادته وعزيمته أن يصنع حياة أفضل بعيداً عن هذه الخزعبلات، ووسائل التخدير.

كان بفور غضباً عندما يرى الأغاوات والأقطاعيين يشعلون النيران ويرقصون ويحتفلون بعيد النوروز، ويستذكرون (كاوه) الحداد يقول: لا يحق الا للفقراء والمعدمين لا يحق لغير

المظلومين أن يستذكروا كاوه الحداد، الذي أشعل نيران الثورة ضد رموز الظلم والاستغلال والقهر، أما هؤلاء القساة الظلمة الطغاة فيجب أن يحرقوا لا أنسانيتهم وجشعهم ووحشيتهم بنيران كاوه الحداد حتى يتفهموا روح ثورة (كاوه) ومعناها من أجل الحرية والمساواة.

تصرفات الملهم تعزز مكانته ومحبته في قلوب وصدور الفلاحين والرعاة، في حين تستعر غضبا عليه في قلوب وصدور الأغوات وعيدهم، وكان بعض أصحاب العمامئ يصفونه باقذع الأصوات، مرة بالمارق وآخر بالزنديق والملحد والخارج عن الدين (القويم) وقد كان الملهم يدحض كل فتاويفهم بذكر سيرة الانبياء والصالحين من الزهد وحب العدل وتكرير الانسان، كعلي، وعمر، والغفاري وغيرهم الكثير من ائمة العدل وحب الانسان ومحاربة الظلم والاستغلال على مدى التاريخ.

كانت دموع (عوله) تسيل على خديه وهو يتحدث عن الملهم، الذي افتقدته القرية ذات صباح احد الايام، فلم يعثر له على اثر لحد الان، لا يعرف هل قتل ودفن في مكان مجهول، أو عرج إلى السماء، أو غادر إلى ارض مجهولة وببلاد كانت محطة آماله.

لفت أنظارنا صبيحة هذا اليوم دوران سرب من طيور (الهدى) حول كوخ الشيخ لأكثر من مرة، وهذا أمر لم

يحدث ابداً ولم تر القرية مثيلاً له، فلم تر طيور الهدى على شكل أسراب بل منفردة لا تقترب من بيوت البشر ابداً، ثم غادرت دون ان تعود اليه ثانية الا بعد مرور عام بال تمام والكمال من تاريخ اختفائه الأول، وأستمرت هذه الظاهرة (الهدedia) تتكرر في كل عام حيث تحول كونه إلى مزار يحج اليه كل طالب للعدل والحكمة.

ظل فقراء القرية يرقبون قدومه كل صباح ومساء، يتقددون كونه عسى ان يجدوه، طوال كل هذه السنين دون كلل أو ملل سيرته لم تزل على كل لسان يتمثله الشوار انساناً واعياً تائراً صلباً يقتدي به.

ويتمثله البسطاء من الصالحين واهل الكرامات فيحجون لكونه، وينذرون له النذور.

كفـكـفـ (عوله) دموعه، أخرج سيكارتين من كيسه، فأحرقنا سكارتينا الأخـيرـتين قبل الانصراف للعمل، وأنا أعيش أجواء حـيـاةـ الرـفـيقـ (عـولـه) الصـاجـةـ بالـغـرـائـبـ والمـفـاجـآـتـ.

يستذكر عاصف جيداً قصة شقيقة ( مليحة ) التي راحت ضحية ( غسل العار ) من قبل أهلها، بعد أن أغتصبها ابن الأقطاعي حيث كانت نساء وفتيات القرية يخدمون عائلة الأقطاعي الشيخ بالتوانب.

في أحدى الليالي عندما وجدها حزينة دامعة العينين وأستفسر حول سبب حزنها وما يضايقها فحكت له قائلة: في قريتنا

كان الشيخ والأقطاعي (ابو طفاح) هو الحاكم الناهي على حياة وممتلكات اُنْ كانت هناك ممتلكات للفلاحين في القرية، فلا يمتلك الفلاح غير كوخ متلهالك من البواري المصنوعة من القصب، تشدّه عيدان من شجر الصفصاف والجريدة، يفرش بحصاران من سعف النخيل، مؤثث بـ(سدانة) وهي أسطوانة طينية تصنعها النساء من الطين لتكون بمثابة مستودع لخزن الحبوب في أوقات الموسم، بالإضافة إلى (فاتية) صندوق خشبي أو معدني لحفظ الملابس، بالإضافة إلى (المجرفة) و(المرتبة) و(الرحة) وربما زوج أو أكثر من الدجاج، في حين يوصف بالثراء من يمتلك بقرة.

كانت أكثر الفئات حقاره وخصة هم (السراكيل) فهم الأكثر خصوصاً للأقطاعي يتذلّلون ويتجسسون له، يرصدون كل تصرفات الفلاحين، يتعاملون بقسوة ونذالة مع أخوانهم من الفلاحين، لأنَّ الأقطاعي سلحهم وخصوصاً لهم حصة خاصة من محصول الأرض مستقطعة من حصة الفلاح الذي قد يخرج صفر اليدين من كد عام كامل هو وعائلته بسبب نهب الأقطاعي ومن تراكم الديون عليه، وقد كان هؤلاء (السراكيل) يتصدرون الجميلات من النساء وبالأخص في مواسم الحصاد وقدوم (المنيسنجيات) من القرى الأخرى أو من قبل مرببي الأغنام للقيام بعميلة جني ودرس المحصول خصوصاً في شهر نيسان، بواسطة (مدار الحمير) بعد نقله من

الحقل إلى البيدر محمولاً على رؤوس النساء، مقابل اعطائهن كمية محددة تافهة من الحبوب بعد أكمال عملية الحصاد والدراسة والتصفيه، قد يقع السركال في حب أحداهم فينزل لها العطاء ويميزها عن صويحباتها بالعطاء، بعد تنصيبها على رأس المجموعة (الشدة) كانت لهن طقوسهن الخاصة وقت الحصاد حيث الأناشيد الجميلة التي يرددنها أثناء العمل، فتبعد مواسم الحصاد وجنى المحصول كرفاً من البهجة المعجونة بعرق وجهد ومعاناة الفقراء، في حين تصب ذهبها في جيوب الأقطاعيين العترة.

هناك الكثير من قصص العشق والمغامرة أثناء هذه المواسم، تظل تلوّكها الألسن حتى تطغى عليها قصة جديدة في موسم جديد، وقد يختتم بعضها بمسألة كبيرة خصوصاً بالنسبة للفتيات سواءً بالقتل غسلاً للعار أو انتحراراً خشية الفضيحة. في حين يصفي (عاصف) لحديث رفيقته المحزن، تعرض ذاكرته صور علاقته بحبيبه (أم كفاح) حياة التي كانت واحدة من (المنيسنچنيات) في أرضهم انذاك، وكيف استحوذت على قلبه حد الهياق، ولم يفز بها إلا بعد سلسلة من المغامرات التي كاد بعضها أن يقضي على حياته، فقد كان أهلها، الأب والأشقاء والأعمام من الرعاة الأشداء لا تفارقهم بنادقهم (البرنو) وخناجرهم (العفجاوية) حيث كان بامكانهم

قتل من يشاؤن ويتوارون في جوف الصحراء دون ان يتركوا  
اثرا يذكر.

ها خويه (عاصف) وين رحت، أكيد اذكرت ايام عشقك  
الأولى لأم كفاح، أي والله حقلك أم كفاح تستاهل كل الحب،  
جمال، وكمال ووفاء ومحبة.

يلقى عاصف فمه سيكاراة جديدة، يعود منصتا لحديث  
( مليحة ) المملوح والمؤثر حيث استانفت حديثها قائلة: وضع  
الأقطاعي جدولًا على القرىويات بالحضور إلى قصره وهو  
البيت الوحيد الممشيد من الطابوق في القرية، للقيام بعملية  
التنظيف والطبع وخدمة سيداتهن من نساء وبنات الشيخ  
الأقطاعي، بالإضافة إلى ( العبدات ) والعبيد المملوكيين  
للشيخ، ولهولاء حديث آخر من حيث قسوتهم على القرويين  
ونفوذهم المطلق في القرية بأمر سيدهم الأقطاعي.

عموماً كانت شقيقتي ( زهوري ) ضمن تلك الفتيات وقد  
كانت شابة جميلة رشيقه خفيفة الدم والروح مما لفت نظر  
أبن الأقطاعي، وأخذ يحوم حولها، محولاً الأنفراد بها  
واغرائها ببعض الدر衙م، أو بعض الهدايا البسيطة كالعطر  
وأساور من البلاستيك الملون مدعياً جبهها، وقد كانت لا  
 تستطيع أن تفصح لأهلها بأفعال ابن الشيخ وهي غير مخيرة  
 بين الحضور والغياب، كان يرسل بطلبهما أحد ( العبدات )  
 للحضور الفوري أن تخلفت يوماً، أسكرها بنعومة وحلوة

حديثه كعاشق وأرهبها وأخافها بتهديدها كسيد، فتمكن منها وأفقدها عذريتها، وبعد أن أشبع غريزته الحيوانية، أخذ يتهرب منها، حتى انكشف سرها بانتفاح بطنها حاملاً منه، فدخلت العائلة في حالة من الرعب والأنذار وخبر الفضيحة، وبدلًا من معاقبة المجرم صاحب الفعل، تم نحر الضحية في ليلة ظلماء ودفن جثتها في مكان مجهول، ومن ثم قرر والذي هجر القرية واللجوء للمدينة، فابتعدنا حياة كد ومعاناة جديدة أمتداداً لمعاناتنا الأولى وانتَ على أطلاع عليها مذ عرفتك وعرفتني.

هذه المعاناة التي لا يمكن اختزالها ببعض حكايات، وأنت مطلع على قسمها منها، هي التي جذبني إلى مشتاق الذي بدء ينير لي طريق الكفاح من أجل الحرية والخلاص من المعاناة القاسية التي عشتها ويعيشها أهل قريتي من النساء والرجال، متظاهرة اليوم الذي أثار فيه لدم شقيقتي ولأدلال أهلي من قبل هؤلاء المجرمين القتلة.

والويل لمن تمتدى يده إلى المحصول ليسد أفواه أطفاله الجياع، وقد روى لها ( العاصف ) ما شاهد هو ما جرى لل فلاج الشاب "ميران" الذي ضبط متلبساً بسرقة "شكبان" من الحنطة لأطعام أطفاله من أحد البيادر قبل القسمة، حيث ربط إلى جذع نخلة في باب مضيف الشيخ الأقطاعي ونال ما لا يتحمل من سياط عبيد الشيخ، وتركه تحت رحمة شمس

الصيف الحارقة، دون ماء ولا غذاء حتى قارب الموت، ولم يعف عنه الا بعد أن قبلت زوجته وأطفاله يد ورجل الشيخ أمام أنظار عشرا من الفلاحين الخانعين لحكم الأقطاعي.

- بالنسبة " مليحة " هؤلاء الحرامية والسراق من الجياع والمعدمين، يمتلكون الجرأة وأراده المغامرة والأقدام، هم ثوار ينقصهم الوعي لفهم أسباب الفقر والحرمان، وبذ الحلول الفردية، والأنحراف في طريق الكفاح الجماهيري المنظم من أجل الخلاص والتحرر، وهذا واجب ومسؤولية العناصر الوعائية فتنوير مثل هؤلاء في المدينة والريف، وأن لا يكون مثلهم " محمد حرامي " بل ( فهد الثائر ).

كانت هذه القصص وغيرها الكثير من حكايات الأبطهاد والقهر والاستغلال للأنسان العراقي في الريف والمدينة، نيران تأجج ارادة الاصرار على مواصلة طريق الكفاح من أجل غد الخلاص والحرية والمساواة، حيث تنشئ عاصفة الظلم والقهر لتشرق شمس الأشتراكية الأمل المنشود لكل فقراء العالم.

كان ( عاصف ) يتواصل مع عائلته بين حين وآخر وكلما ستحت الفرصة للقيام بذلك وقد يستمر غيابه عنهم لعدة أشهر.

أستجابة لطلب الحزب بضرورة نقل عائلته إلى بغداد، لأن الحزب كلف ( مليحة ) بمهمة أخرى في أحد الأولوية في جنوب العراق.

تألق ( كفاح ) في دراسته في كلية الآداب كطالب وكشاعر مبدع ومجدد، كانت العائلة تتدبر عيشها من خلال الدنانير القليلة التي خصصها الحزب لهم نظراً لتفريغ والدهم للعمل الحزبي، كما ان ( نوماس ) كان يمدّهم ببعض المساعدات رغم انقطاع ( كفاح ) عن العمل بسبب انتقاله إلى بغداد للدراسة،

ما تحصل عليه ( حياة ) تساعد به عائلتها ومصاريف ولدها وابتها الصغيرة التي دخلت المدرسة في بغداد من خلال المناشير والأدبيات المطبوعة من قبله ولقاءاته المتقطعة بالرفيق ( سعدون ) كانت الكثير من البشائر لقرب فجر جديد في العراق يلوح في الأفق.

هناك معلومات عن قوة تنظيم الحزب والحركة الوطنية عموماً وهي تزداد بشكل مدهش في القوات المسلحة ضباطاً وجندوا ومراتب وخصوصاً بعد انعقاد جبهة الاتحاد الوطني عام ١٩٥٧ .

تشكلت قواعد وخلايا رصينة للحزب في الريف والمدن والقرى العراقية من أقصاه إلى أقصاه، أصبحت المنظمات المهنية والديمقراطية قوة فاعلة في الحراك الاجتماعي

والسياسي العراقي كاتحد الطلبة والشبيبة ورابطة المرأة والجمعيات الفلاحية والنقابات العمالية ونقابات الأطباء والمعلمين والمحامين، والصحفيين العراقيين، وخصوصا في قطاع السكك والكهرباء والنفط والموانئ والنسيج الخ.

تعزز الوكر بأم (تسواهن) وهي رفيقة متوسطة العمر تمتلك عينا سياسيا وثقافة رفيعة ومعلومات غزيرة في مختلف جوانب الحياة وتجيد اللغة العربية والكردية والتركمانية، ذات مهام كبيرة ومتعددة ومنها كتابة وترجمة وتصحيح المقالات والبيانات باللغة الكردية والتركمانية.

تقوم بكل ذلك وكأنها ابنة الأربعة عشر وبسرية وهدوء تام، تبدو كأم بسيطة طيبة من جنوب العراق.

تعزز البيت بعد آخر من الرفاق وبطبعه جديدة من نوع متطور تعويضا لمطبعة الحزب التي صودرت عام ١٩٥٧ حيث أخذت تطبع ادبيات الحزب على الرونيو، وقيل إن المطبعة الجديدة كانت هدية من الحزب الاشتراكي الألماني، حيث كان الحزب الألماني يطبع بواسطتها منشوراته أثناء مقاومته للنازية فما عاد بحاجة لها بعد الانتصار على الفاشية ولادة جمهوريةmania الديمقراطية أو كما اسموها بالمانيا الشرقية (الاشراكية) المتحالف مع الاتحاد السوفيaticي، والمانيا الغربية الرأسمالية المتحالف مع النظام الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

كان للبيان الأول لجبهة الأتحاد الوطني بتاريخ ١٩٥٧-٣-٩ أثر كبير في أنتعاش آمال الجماهير في تحقيق النصر على قوى الفساد والرجعية، وقد تم تحديد خمسة أهداف للجبهة كانت تعبّر عن أبرز طموحات الشعب العراقي في تلك المرحلة من تاريخه وهي:

- (١) تنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي.
  - ٢- الخروج من حلف بغداد وتوحيد سياسة العراق مع سياسة البلاد العربية المتحررة.
  - ٣- مقاومة التدخل الاستعماري بشتى أشكاله ومصادره وأنهاج سياسة عربية مستقلة أساسها الحياد الأيجابي.
  - ٤- إطلاق الحريات الديمقراطية الدستورية.
  - ٥- الغاء الأدارة العرفية واطلاق سراح السجناء والمعتقلين والمؤوفين السياسيين، واعادة المدرسين والموظفين والمستخدمين والطلاب والمفصولين لأسباب سياسية).
- سلام عادل - ثمينة ج ١ ص ١٧٨ .

كان للحزب الشيوعي تحالف ثنائي مع الحزب الديمقراطي الكردستاني بسبب اعتراف أو عدم مرونة قيادته في دخوله جبهة الأتحاد الوطني في حينها مما عزز الدور الكفاحي للجبهة في كردستان العراق وعزز من دور الحزب هناك. كان (عاصف) يتقد حماساً لهذه الأخبار والتطوراتخصوصاً وقد أشتد عود الأضرابات العمالية في عام ١٩٥٧

و ١٩٥٨ مطالبة برفع الأجور وتحسين ظروف العمل، حيث أضراب (٤٥٠) عاملاً من عمال معمل نسيج الوصي في ٢٤ - ٣ - ١٩٥٧ و ٧٠٠ عامل من عمال الكونكريت في المنصور، وأضراب العمال الزراعيين في ٢٠ نيسان ١٩٥٧ وأضراب ٦٠٠ عامل من عمال شركة الغزل والنسيج وعمال البلوكات في شركة (زيلن) بمدينة تكريت وعمال شركة هو كتيف الألمانية. سلام عادل ص ١٩٠.

كما كان (عاصف) يتابع ويشكل مستمر نضالات الفلاحين وخصوصاً في منطقة الفرات الأوسط، وصدر صحيفة (صوت الفرات) حيث شهدت الحركة الثورية الفلاحية تطواراً كبيراً وملحوظاً للمطالبة بحقوقهم والالتحام بالحركة الثورية العراقية في عموم الوطن.

كانت هناك انتفاضات كبيرة للفلاحين المسلحة وخصوصاً في الديوانية والعمارة المطالبة بأقتسام الحاصل مناصفة بين المالك والفلاحين، حيث وصل عدد الفلاحين المسلحين المتنفذين في الديوانية أكثر من (٧٠٠) مسلح في العشرين من شهر حزيران ١٩٥٨، وللذين قاموا بأقتسام الحاصل مناصفة من قبلهم وهروب بعض الأقطاعيين خوفاً من غضب الفلاحين المتنفذين (أصدر الحزب الشيوعي العراقي بياناً في ٦-٣ ١٩٥٨ أعلن فيه مساندته لأنفاضة الفلاحين وحث فيه الشعب على مساندتها).

وقد كانت لطيبة (أم كفاح) وروحها المطبوعة بحب الناس، والتضامن معهم أثراً كبيراً في تقرب نساء المنطقة منها، وأخذت العديد من النساء تزورها بين حين وآخر، لتبادل أحاديث وهموم نسوية تحتاج النساء أن تفضفض بهمومها للأخريات ممن تثق بهن وتجد لديهن العون والمساعدة، وأخذت بعض النساء تستفسر من (أم كفاح) عن طبيعة عمل زوجها وأخواته، وسبب عدم اختلاطه بأهل محلته، فكانت تخلق الكثير من القصص والأعذار والمهن لأبي كفاح للأجابة عن أسئلتها وأرضاء فضولهن في معرفة زوار البيت وكانت تغطيتها بذكاء كونهم من أخوانه وأبناء عمومه وأقارب (أبو كفاح) كونه من (شباب) العشيرة وأعمدتها مما يستوجب مراجعته من أقاربه لحل مشاكلهم، كما أنها أخذت تعاني من مشكلة أخرى الا وهي طلب بعض النساء من (أم كفاح) أن تزود بيوتهم بالخبز ظناً منها أنهن بذلك يقدمون المساعدة لأم كفاح وعائلتها، فكانت تعذر بأنها لا تتمكن من تلبية حاجتها من الخبز لأن لها التزامات واجبة مع العديد من المطاعم والفنادق ولا يمكنها الأخلاص بمثل هذه الالتزامات، رغم أنها كانت تمنحهن العديد من أرغفة الخبز دون مقابل عند الحاجة.

كل ما سبق من مضايقات أخذت تشغل بال (أبو كفاح) خشية أن ينكشف أمرهم وقد تتعرض الدار للمداهمة عند إثارة

شكوك رجال الأمن في المنطقة، مما جعله يفكر جدياً بترك الدار في أقرب فرصة ممكناً وقد أخبر الحزب بذلك، أخذ تدابير أخرى لحين إيجاد الدار البديلة، حيث أخذ يغادر المنزل للعمل في البناء أو أعمال تحميل ومساعدةً لصاحب المقهى لسد باب الفضول حول طبيعة عمله، في حين كان يزاول عمله الطباعي مع رفاقه في الليل وفي الأيام التي يدعى عدم حصوله على عمل وأضطراره للبقاء في الدار، كان يصطحب معه أحياناً رفيقه (عوله) وخصوصاً في أعمال البناء أو تفريغ سيارات الحمل أو البناء ولكنه عزف عن ذلك نهائياً، بسبب ما كان يتعرض له (عوله) من ملاحقة بعض النساء وإثارة فضول بعض الشاذين حتى من قبل عناصر الأمن، اللذين ما كانوا يتربكون (عوله) لحاله إلا بعد أن يقضي وطره منهم أو يتعرض للأعتقال، فقد كان هذا (العولة) يمتلك سر جذب مثير لمثل هذه النماذج المثيرة للمشاكل والذي قد تسبب مخاطر كبيرة له ولرفاقه،

كاد أنْ يطير من الفرح وهو يطبع منشوراً للحزب، يبشر بقرب فجر جديد، ويوجه كل منظماته الحزبية وأصدقائه للتهيء لحدث هام في العراق بات ليس بعيداً، وسط هذه الأخبار المتفائلة بدت بغداد مشرقةً فرحة تتجمل من أجل عرس كبير، مما قلل من لهيب حر تموز وأضافه للهيب نشاط وحماس رفيقات ورفاق الدرب، وهم يتظرون يوماً جديداً

ليس ككل الأيام وعبدا ليس ككل الأعياد، يوم ستعلنه ديكة الأكواخ وبيوت الصفيح الرشيقه وليس ديكة القصور الخامدة السمينة الكسلى، وذات يوم في الثلث الثاني من شهر تموز دخل عاصف الدار وهو يتهلل فرحاً بعد عودته من أجتماع طارئ مع قيادة الحزب، سأله (ام كفاح): ما الأمر (ابو كفاح) أراكاليوم في غاية الفرح والتفاؤل هل من أمر جديد؟ نعم نعم، إنَّ هناك ما هو جديـد ما زال يتـظر خـلف أبواب الزـمن المتسارـع، يجب أنْ نـهيـئ كلـ البياناتـ والـمنـشورـاتـ التي ستـرافقـ هذاـ لـحدـثـ المـهمـ.

إنـيـ أـرىـ الفـجرـ السـعـيدـ يـقـتـربـ رـفـيقـهـ (ـحـيـاةـ)،ـ حـيـثـ عـلـمـ مـؤـخرـاـ إـنـ زـوـجـتـهـ كـانـتـ مـكـلـفةـ بـحـمـلـ البرـيدـ بـيـنـ الـلـوـيـةـ الـفـرـاتـ الـأـوـسـطـ وـهـوـ السـبـبـ الـحـقـيقـيـ وـرـاءـ زـيـاراتـهـ لـأـضـرـحةـ الـأـئـمـةـ وـالـصـالـحـينـ لـغـرـضـ التـموـيـهـ،ـ وـنـتـيـجـةـ لـفـطـطـتـهـ وـذـكـائـهـ أـبـدـعـتـ فـيـ لـأـنـجـازـ هـذـهـ الـمـهـمـةـ عـلـىـ أـحـسـنـ وـجـهـ،ـ مـاـ زـادـ مـنـ حـبـهـ لـهـاـ وـأـعـجـابـهـ بـجـرـئـتـهـ وـكـتـمـانـهـ لـأـسـرـارـ الـحـزـبـ حـتـىـ عـلـىـ حـبـبـهـ وـرـفـيقـهـ.

ليلـةـ الـرـابـعـ عـشـرـ مـنـ تـمـوزـ زـارـ بـيـتـ الـمـطـبـعـةـ الرـفـيقـ منـيرـ (ـسـلامـ عـادـلـ)ـ مـبـدـئـياـ تـوـجـيهـاتـهـ لـلـرـفـاقـ عـشـيـةـ أـنـدـلـاعـ الـثـورـةـ حـيـثـ كـانـ قدـ عـادـ إـلـىـ الـوـطـنـ مـنـ مـوـسـكـوـ فـيـ شـهـرـ اـيـارـ مـنـ عـامـ ١٩٥٨ـ،ـ بـعـدـ أـنـ حـصـلـ عـلـىـ ضـمـانـاتـ مـنـ الـحـزـبـ وـالـقـيـادـةـ السـوـفـيـتـيـةـ

وأغلب الأحزاب الشيوعية بدعم ثورة الشعب العراقي  
القادمة.

سجرت (حياة) التنور وأعدت كمية كبيرة من العجين، وقفت  
على التنور وأخذت رائحة الخبز الحار تملأ فضاء الدار  
والجوار، لا تدري هي لمن تعد الخبز فقد تجاوزت مرات  
ومرات عدد ما مطلوب منها للمطاعم والبيوت.

كانت تكلم نجوم السماء.المتلاة وكأنها تومن لها أنْ أخباري  
فيوم غد ليس ككل الأيام، أعدى خبزك لفجر جديد، لا  
تيأسني فنحن معك لا يغيبنا إلا فجر يوم يحمل البشر والفرح،  
الكل يتنتظر الصباح، تستمع لصوت مطبعة (عاصف) وهي لا  
توقف عن العمل تدور وتدور دون كلل، لا تعرف ما  
يطبع الرفيق وليس لها أنْ تعرف قبل الأوان، الأم (تسواهن)  
غادرت قبل ثلاثة أيام متوجهة إلى العمارة كما قالت لحضور  
زفاف ابنة أخيها ولابد من تواجدها هناك يوم الزفاف.

(أبو عادل) القهوجي أعاد تنظيف المقهى وضاعف عدد  
قواري الشاي والقهوة والأقداح يقول: إنَّ حفلات كبيرةً سيقام  
في المقهى قريباً ولا بد من الاستعداد، كانت تراقب حركة  
غير مسبوقة للشعب وهي ترجم الشياطين بقوة هذه الليلة،  
الكل يتربص بالحدث الكبير، قلوب حرى تترقب ندفق ينابيع  
الفرح، أخرجت القدور، وأطلق سراح قناني العطور، أوقدت  
المواقد وأعدت الموائد ترقباً للزائر الجديد.

في هذه الليلة استأذن (كفاح) أبيه ليكون غداً صباحاً في مدينة النجف ضيفاً على المنظمة هناك تلبية لطلب الحزب، ودعه والده متمنياً أن يكون الفجر فجر خير ومحبة وسلام على كل العراقيين، خصوصاً وهو يتمتع بالعطلة الصيفية قبل بداية العام الدراسي للسنة الثانية في كلية الآداب.

اقتربت الساعة لتعلن بدایة بث إذاعة بغداد كالعادة امتزجت دقات الساعة مع دقات قلوب بنات وأبناء العراق، قلوب تتذكر وعيون تتربّب.

مع الافتتاح الأول للبث جاء البيان الأول للثورة (في الساعة السادسة من صباح ١٤ تموز ١٩٥٨) ومع بدء البث الإذاعي المعهود من إذاعة بغداد،قرأ العقيد الركن عبد السلام محمد عارف بصوته البيان الأول للثورة معلناً نهاية الحكم الملكي وقيام الجمهورية العراقية) - عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العربي الجزء الثاني ص ٢٦٠.

مع الكلمات الأولى انطلقت زغاريد بيوت (التنك) والطين، دكت الأرض دبات عمال وفلاحي وأحرار العراق انه اليوم الموعود، تعلّت الزغاريد امتزجت الأصوات، فتحت الشوارع اذرعها للجماهير الهادرة بحياة الثورة وموت العملاء والمستبدين عملاً الاستعمار، كانت مليحة تتقدم الجموع وقد التحقت بهن (ام كفاح) رفعت اللافتات وعلّت الهتافات، وسط تواصل بيانات الإذاعة وهي تدعو الجماهير لمساندة

وتأيد ثورتها المباركة، تلا قفت الأيدي منشورات الحزب وهي تدعو لنصرة الثورة وملحقة قوى الظلم والظلم. هرعت جماهير الشاكرية وماجاورها من سكنة الصرف، تدفقت شوارع وأذقة المناطق الشعبية في بغداد، الميدان، الحيدرخانه، الكسرة، لتلتجم كروافد تصب في مجرى نهر جارف، هدير الجماهير في ميادين وشوارع بغداد الرئيسة، هياج ما بعده هياج، بين اليا واليعيش واليسقط، كتل بشريه تشتعل حماسا هستيريا، تهرون صوب هدف هناك من يعرفه والأغلبية تتبعه دون ان تعلم إلى أين، تتوعد، تعربد، تحمل الهراءات، والعصبي، بين فرح راقص، ومتاثر ثائر، هستيريا جماعية لم تشهد لها بغداد سابق، سيول لا يمكن أن تلجم ولا أن تحجم.

لاحت من بعيد سيارات عسكرية، تشق طريقها بصعوبة بالغة بين الحشود المتراسة، اشتتمت الجماهير رائحة الدم الحار، فنهض في لاوعيها جوع كبير، وتعطش مكبوت للدماء، مما زاد من هستيريتها وحدرها الجماعي، انتشر بين الجمهور خبر مقتل العائلة المالكة بنيران (الثوار) فبلغ الهيجان أوجه ونطح الصراخ عنان السماء، فبدا كرصاص مغلي في وهج شمس تموز اللاهبة، قطرات من دماء تسيل من بوابة الشاحنة الخلفية، انها جث الخونه، جثة الوصي عبد الله.

تحرك الحس الناقم فأنهال على الجثة بطعنات متلاحقة من خنجره، وهو يتبع علامات الأعجاب وشارات البطولة التي يقلدها له الجمهور، وكأنه صرع أسدًا هائجاً وليس جثة هامدة.

أنشطر الجمع شطرين جمع يطارد الشاحنة العسكرية، وجمع هرول صوب قصر الرحاب مغالبًا السنة النيران في نهب ما يمكن نهبه وحرق ما يستعصي على الحمل.

ظفر الجمع الأول بجثة الوصي القتيل، فشدّها بالحبال وهرول بها سحلاً مع وابل من الضرب بالعصي والأحذية والحجارة ووو.

التقت جماهير الكرخ بجماهير الرصافة، جلبت الحبال الغليظة، علقت جثة الأمير على شرفة فندق الكرخ، فصارت تحت رحمة حملة السكاكيين، قطعت الأطراف، قطع العضو الذكري للوصي ورمي للتلقفه الأيدي ليكون لعبة بأيدي من يظن إنّه كان مغتصباً بواسطة هذا العضو الذكري للسلطة الظالمة.

بعد دقائق أُنزل ما تبقى وأستمرّ مرثون السحل الدموي لتعلق ثانية أمام وزارة الدفاع، تقطع منها قطع من اللحم وترمى للجمهور الهائج الجائع، وقد تحول إلى جمع من أكلة لحوم البشر!

كان المتبقي طعما للنار ليحرق ثم يذر في نهر دجلة، الذي أصابه الشلل والعجز إلا لأعلن الطوفان متقدماً لأهاته وتدنيس مياهه بجساد البشر من الحلاج إلى فضائع التر والأتراك والفرس، مرة ببقايا الأجساد المقطعة ومرة بواء الفكر الإنساني الكتاب.

كان (سعدون) يهروء وهذه المرة كان يرتدي البطلون والسترة بدلاً من الكوفية والدشداشة حيث كان يتذكر بها عند تنقله قبل الثورة، وهو يتمتم بهذه الكلمات بعد أن عجز عن وقف هذه الهمستيريا الدموية الوحشية التي لا تصدق، كانت ملامح وجهه تنم عن حزن وقرف كبير، وقد أخبر (مظلوم) بأنه ذهب إلى دائرة البريد وقد أبرق برقة تؤيد الثورة باسم اللجنة المركزية للحزب في أول ظهوره العلني.

ماذا دهاك رفيق (منير) ارك قلقاً ومهموماً، اليس هذا اليوم الذي كنا نحلم به،

اليست هذه هي الثورة الموعودة، إنها الثورة أنه الانتصار على الخونة عملاء الاستعمار والأمبريالية وكلاء شركات النفط الأحتكارية؟

أنا (مظلوم) ما بك لا تسمعني رفيق (منير). أمسكه من ذراعه، فالنفت اليه مستغرباً وجوده بجانبه.  
-رفيق (مظلوم) هل ترى ما أرى؟

وماذا أرى إنَّها الثورة، إنَّها الجماهير الغاضبة، الجماهير الفرحة، الجماهير الشائرة، لفظها وأحس بألم شديد يعتصر قلبه حيث أتت الثورة وكأنها مرادفة للثأر من سوانني وأعراف العشيرة.

يبدو لي إنَّ ثأر وليست ثورة ماذا يفعل هؤلاء الرعاع، إنَّهم يسلّحون الجثث بشكل وحشي وغير إنساني، من اعطائهم هذا الحق، من أصدر هذه الأحكام، إنَّها محكمة الشارع المسعور!

لا أحد يسمع لا أحد يصغي للتوجيهات والتوصيات إنَّها الفوضى المدمرة، إنَّها اساءة كبرى للثورة، إنَّه زفاف وعرض دموي مربع، أين الحزب من كل هذا رقيق؟

من يستطيع أنْ يسيطر على هذا الهيجان، من يستطيع أنْ يكتب هذا البركان المتفجر، خصوصاً وأنَّ اغلب كواذرنا في السجون، أستولدت الجماهير الهائجة قيادتها، أصبح الجمهور يتصرف بعفوية، أطلق كل مكتونه التدميري الأنتقامي، وحش الأنتقام استيقظ في الرؤوس الهائجة، لم يعد يستمع لأي صوت أو أي توجيه، إننا نشعر بالشلل حد القيء والعجز.

نحن أعداء العنف والتخريب والانتقام الأعمى، ثم إننا ليس وحدنا في الشارع العراقي فهناك أصوات الأحزاب السياسية الأخرى، ناهيك عن الجمع والحسد العفوبي.

أنَّ ما يجري الآن سيجر على الثورة وعلى الشعب العراقي وعلى الأحزاب ويلات لا يمكن التنبؤ بمداها ومستواها، أنَّ هذا الخزين من لاعي العنف والتدمير، كان للحكام لقرون من الزمان في العراق الدور الأول في تراكمه ودرجة قساوته، فلم توفر السلطات المتعاقبة وسيلة من وسائل القمع والبطش إلا وأستخدمتها لقمع الجماهير ومصادر طموحات وآمال الشعوب، مما أودى مزيداً من النار تحت مراجل الغضب الشعبي ضد الحكام وها انت ترى هذا العنف المنفلت في أول فرصة أتيحت له للتعبير عن جبروته وقوته وعنفيته.

بعد أن أصابهما الأنهاك وبحث أصواتهم وهم يرشدون ويطالبون الجماهير ومن يتعرف عليهم من رفاقهم بأن يحكموا العقل والحكمة، قرروا عقد لقاء للكادر المتقدم لتدارس الموقف، ودعم الثورة، منع العنف المفرط، الأحتکام للقانون، أیصال التعليمات للمنظمات الحزبية في كل مكان، تنظيم الصنوف، الأبعاد عن الفوضى، بذل كل الجهود الممكنة من قبل الكادر الحر الآن بانتظار الأفراج عن الكوادر القيادية من السجون للعهد المباد، التعاون مع جميع قوى جبهة الأتحاد الوطني والقيام بفعاليات مشتركة قدر الأمكان.

على الرغم من إنَّ الحزب قد أصدر تعليمات مستعجلة صباح ١٤ تموز تحت الجماهير على تأييد الجمهورية من

خلال البرقيات، والتأكيد على الجبهة الوطنية والاتحاد الفدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة، وتشكيل لجان دفاع، تعبئة الشعب للمساندة، عدم كشف وزج كوادر الحزب في نشاطات علنية، تنظيم الجماهير تحت قيادة الحزب لدعم وإسناد الثورة وحمايتها.

ظل (منير) و(مظلوم) وعدد آخر من قيادة الحزب مستيقظين حتى الصباح، يشغل الجميع

أمر هروب ثعلب العراق وسند قوى الأستعمار والرجعية (نوري السعيد) الذي ما زال هارباً، لم يستدل على مكانه، رغم أعلان جائزة بـ(١٠٠٠٠) دينار عراقي لمن يخبر السلطات الثورية عن مكانه، فقد أدعى (وصفي طاهر) بأنه لم يجده في قصره، وقد أستطاع الأفلات من قبضة القوات القاصدة القاء القبض عليه (عندما أستيقظ وعرف من الخبراء بخبر الانقلاب العسكري أخرج مسدسين كانوا مخابئن في درج إلى جانب سرير نومه، ولم يخرج من القصر عن طريق الباب الخارجي المؤدي إلى الشارع العام، بل سلك الطريق إلى جهة النهر بلباس نومه (البيجامة) وفي قدميه النعال ونسى أن يلبس في دوامة أرباكه طقم أسنانه، وبعد أن انحدر من المسناة إلى جهة النهر رأى زورق أحد الصياديـن راسيا قريبا من مسناة داره، فركب الزورق وطلب منه أن ينقله إلى جانب الرصافة).

بعد ذلك غير مسيره ليتوجه إلى دار صالح البصام، ولخطورة الموقف وخشية تفتيش دار البصام، تقرر نقله، فتم نقله إلى الكاظمية بعد أن لبس عباءة نسائية لغرض التخفي عن أنظار الجماهير الغاضبة ونقاط التفتيش التي انتشرت في الطرقات، وقد تمكّن من الوصول إلى دار (صادق البصام)، وقد كان قلقاً حول مصير الملك فيصل الثاني، ومتربقاً السماء متمنياً أن يتدخل الطيران الحربي التابع لحلف بغداد لأنقاذ حكمه، كما حدث سابقاً بعد ثورة الكيلاني، ولخطورة تواجده في بيوت البصام في الكاظمية تم أخباره عن طريق (زكية) اخت صادق البصام، ليتقلّ إلى عرققوف ومن ثم تهريبه خارج العراق، ولكنه غير وجهته لخطورة التعرف عليه متوجهاً إلى دار الحاج (محمود الأستربادي) وبعد مكوث قصير في بيت الأستربادي طلب أ يصلّه إلى أن يتم اتصاله إلى دار (الشيخ محمد العربي) في الباشاين، حيث تقع مزارعه قريباً من الحدود العراقية الإيرانية ويمكن من خلالها تهريبه إلى إيران، وقد أخبر (عمر) ابن السيد هاشم جعفر هفتياً بوزارة الدفاع مخبرين عن وجود نوري السعيد في دارهم في الباشاين، فأحس نوري السعيد بالخطر الداهم، فقرر الخروج من الدار مرتبكاً حيث عثرت قدمه بعتبة الباب المرتفعة فسقطت عن رأسه العباءة النسائية فشاهده الناس وأنكشف أمره.

قريب ضحى يوم ١٥-٧-١٩٥٨ وردت أنباء عن مكان نوري السعيد متخفياً بملابس امرأة، وقد تناهشته الجماهير الهائجة، لم ينفعه مسدسه، الذي يبدو انه أطلق النار على صدغه بعد أن عرف أنَّ مصيره القتل والسحل على أيدي الجماهير الغاضبة، حصل ابن الأثرياء على الجائزة وهو المستفيد من حكم البasha في حين خسرها فقراء القصر لعائلة الأستربادي بكتمهم الأمر عن السلطة، وفاة لأسيادهم وأولياء نعمتهم! وهكذا كان سحل البasha في شوارع بغداد، وقد شفى الجمهور التاثير غليله في جثة البasha بين قطع وصفع، وسحل، وحينما علّة عبد الكرييم قاسم بـأنتشار أو مقتل نوري السعيد أمر بدفعه وقد تم ذلك بالفعل ولكن قام الجمهور بنبش القبر وأستخراج الجثة وتقطيعها ثم حرقها، وبذلك طويت صفحة النظام الملكي إلى الأبد، وقد أسلم (عمر هاشم جعفر) الجائزة المقررة (١٠٠٠٠) دينار عراقي وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت، وقد سافر بثمنها للدراسة في بريطانيا.

وفي اليوم نفسه قدم الحزب الشيوعي مذكرة إلى الزعيم عبد الكريم قاسم، تكونت من (٣) فقرات حول موقف الحزب ودعمه للثورة، والحرص على حمايتها من مؤامرات الاعداء في الداخل والخارج، وتقديم عددٍ من المقترنات العملية لأدامة الثورة وحمايتها.

في مدينة النجف: في الثالث عشر من تموز وزع الرفيق (س) المنشور الحزبي الذي ينذر بحدوث تغييرات سياسية هامة في البلاد وعلى الجميع ترقب الحدث، أوصله إلى الرفاق في النجف والمشخاب والشامية ومناطق أخرى، ولا شك إن رضا عبد نه كان على علم بهذا المنشور.

استيقظ الحاج (عبد نه) كعادته في كل فجر، ليرتب الأفرشة على (القفنات) ويسجر نار السماورات، يقوم برش باب المقهى بالماء، وهو يستمع إلى صوت (بلبل) اذاعة بغداد، ومن ثم سماع القرآن من اذاعة بغداد مهلاً مرحباً بزبائن الفجر من العمال والكسبة وبعض أصحاب المصالح، استعداداً ليوم كدح وعمل جديد، وما انْ توقف عقرب الساعة عند الساعة السادسة صباحاً، حتى لعل صوت المذيع بانشاق فجر جديد فجر ثورة الشعب بقيادة الجيش لتطوي عصر الملوكيَّة والرجعية وعملاء الاستعمار.

تسمر الجميع حول المذيع منصتين إلى البشري والحلم الجماهيري الكبير، وما انْ تيقنوا من الخبر حتى اعتلى (القفة) رضا عبد نه، وهو يبشر أهالي النجف وجماهيرها بانطلاق ثورة الشعب، ويدعوهم للتضامن وأعلن التأييد كل بطريقته للثورة والقضاء على عملاء الاستعمار وذيله، فالتفت الجماهير حوله من كل حدب وصوب، وشاع الخبر بين الناس، غردت الحناجر، واستبشرت الأكواخ ويبيت

الطين، وأستبشر كل أحرار العراق بالنصر وهم يتبعون بيانات الثورة من الراديوات وينصتون لأقوال المناضلين ممن قارعوا أهل الظلم والظلم.

ومن أجل أن لا تعم الفوضى في المدينة، بادر الشيوعيون في المدينة إلى تنظيم تظاهرة جماهيرية حاشدة عصر نفس اليوم، وكان خطيبها المتاجج ثورية وحماسة المناضل (رضا عبد ننه) وقد تكررت في اليوم التالي وبينفس الوتيرة من الحماسة وقوة التأييد، الكل تشعر بالفرح بالنصر المبين، ما عدا كبار الحوزيين وأنصارهم، وجماعة نوري السعيد وصالح جبر، والأقطاعيين، الذين أخذوا موقف المتردج والمترقب لما ستسفر عنه الأيام القادمة.

عمل (كفاح) وزملائه من الطلبة للمبادرة لفتح مقر للاتحاد بالقرب من نادي الموظفين وقد أقبل الطلبة بالعشرات لتسجيل أنتمائهم وتأييدهم للثورة ولاتحادهم، كذلك تبنى الشخصية العمالية المعروفة (شهيد أبو شبع) مسؤولية تنسيق عمل المنظمات المهنية والديمقراطية.

رفيق (مظلوم) يجب أن نعمل المستحيل من أجل ترويض هذا الجمهور الهائج والعمل على تمدينه، وأنصباطه، وهذا أمر غاية في الصعوبة في الوقت الحاضر.

الرايات الحمراء خفقة في كل المدن لا بل في الساحات والأزقة، في القصبات والمدن الصغيرة والقرى النائية،

الأربطة والقمصان والمسابح والkovfias الحمراء أصبحت مطلوبة بشكل لا يصدق، بدا اللون الأحمر طاغياً على مفردات الحياة اليومية في عراق ما بعد ١٩٥٨، صار مالوفاً أن ترى لاقتات كبيرة تحمل أسماء اتحادات مهنية، طلابية شبابية عمالية فلاحية، روابط النساء، كتائب من (المقاومة الشعبية) حرس الثورة وقادتها الزعيم المحبوب، وفي الوقت نفسه تصاعدت حمى الخوف والعداء لما يسمى بالمد الأحمر، اختفى كبار الأقطاعيين والمشائخ ولكن مراسيلهم الخفية أخذت تنشط وبقوة، هناك قوة خفية وحدت بين الأخوة الأعداء من أصحاب العمامات البيضاء والسوداء، وأصحاب الكوفيات اللندنية، وأصحاب (الجراويات) والشراويل من الأغوات، آثار حفيظتهم قانون الأصلاح الزراعي، وقانون الأحوال الشخصية، وقانون رقم ٨٠ لتأميم النفط، الأقطاعيون اختفوا وتركوا قصورهم وضياعهم بعدما انتشرت بين الفلاحين أشاعة (يوم اليقظة) وفيه سيقوم الفلاحون بقتل الأقطاعيين كل في منطقته، والأقطاعي صفة أصبحت غير محددة حيث قال أحد شيوعي العفوية: حتى من يمتلك نخلة واحدة فهو أقطاعي ولن يفلت من الحساب! في خضم هذا الصراع بدأت الألوان تصبح أوضح، الأسود والأخضر والأحمر والأصفر، توحد أهل الباطل وتفرق وتشتت أهل الحق، الحزب يطالب الزعيم والزعيم يخشى

الحزب، فريق تعاطى بالتسامح وحسن النية وفريق قرر أن لا يتضرر، قرر التعاون مع الشيطان منعاً لهيمنة اللون الأحمر، واللون لأحمر مكتوف الأيدي، لا الرفيق الأعلى يفهم ولا الرفيق الأدنى يستوعب ويلتزم، ولا الحليف الزعيم يدرك، جمع من الرفاق يهتف بحياة الثورة والزعيم وجمعوا آخر يساق إلى السجون والمعتقلات أو ينحرى عن مناصبه ومسؤولياته المدنية والعسكرية، نشطت الأذاعات وتکاثرت البيانات، انتقل الصراع من التلاسن والصراخ إلى تبادل الكلمات والطعن بالسکاكين،

وفاة الشيخ (محمد الشبيبي) بعد أيام من أندلاع الثورة، رحل قرير العين والد الشهيد حسين محمد الشبيبي وقد شهد الأيام الأولى من الثورة، وقد تم له تشيع مهيب جداً في مدينة النجف، ونصبت له عدت مجالس للفاتحة وفاءاً وتكريماً لشخصه وعطائه وعائلته للشعب والوطن.

كما شهدت النجف مهرجاناً حاشداً للمنظمات والنقابات المهنية والديمقراطية وقد أنتخب الدكتور (خليل جميل) رئيساً للمؤتمر، وصاحب الحكم سكرنيراً.

كما قرر أهل النجف تشكيل وفد من الوجاهاء والأدباء ورجال السياسة لزيارة بغداد واللتقاء بالزعيم عبد الكريم قاسم قائد الثورة من أجل التهاني والتبريكات وطرح هموم مطالب النجف، وقد شارك أبرز أصدقاء (ابو مطشر) في

الوفد، وقد قابلهم الزعيم معلنًا استجابته لمطالبهم لمشروعيتها، فعاد الوفد منتشيا بالفرح وبالأمل في مستقبل أفضل للشعب والوطن، لم يعكر هذه الفرحة إلا الحادث المأسوي للشخصية الشيوعية المحبوبة الدكتور (عبد الأمير السكافي) الذي تعرضت سيارته إلى حادث سير أدى إلى وفاته، مما أحزن النجفيين وكل الوطنيين لفقدانهم هذه الشخصية الوطنية والمناضل الأنسان السكافي، شيعته النجف في موكب تشيع مهيب يليق بمقامه وتاريخه النضالي والمهني المشرف.

وقد كان للنجف مكانة كبيرة بين المدن العراقية حيث أصبحت قبلة لزيارة الكثير من الوفود للمنظمات المهنية والديمقراطية العراقية والعربية والعالمية كزيارة وفد اتحاد الطلبة العالمي للمدينة، وأنعقاد مؤتمر أنصار السلام العام في النجف وأنتخاب عزيز شريف وأمين عجينة وخليل جميل كأبرز قياداته في تشرين الثاني ١٩٥٨.

صادفت زيارة سلام عبد السلام عارف لمدينة النجف وجود (كافح) في المدينة حيث شهد أستعدادات القوى القومية والبعشيين لهذه الزيارة حيث أعتلى عبد السلام المنصة المعدة في الميدان، والقى خطبه الارتجلية كعادته، وقد كانت تؤكد على الوحدة الفورية بين العراق ومصر التي تحمس لها القوميين والبعشيين، في حين عارضه وأستاء منه الشيوعيون

وأنصارهم مما أثار سخط عبد السلام وقد غادر المنصة دون أن يكمل كلمته، وقد أشار مطشر لوالده كون هذا الحادث كان بداية لحالة من النفور والتبعاد والحساسية بين الشيوعيين والقوميين، وقد كان انعكاساً واضحاً لتصدع وحدة جبهة الأحاد الوطني، مما أثر سلباً على الوضع السياسي العام ليس في النجف فقط وإنما في عموم العراق، على الرغم من حذر الشيوعيين وعدم معارضته القوى القومية وشعاراتها وعدم الرد على استفزازاتهم، وكيف أنقذ حسن عوينه ومحمد موسى التتنجي (مهدي محسن بحر) الملقب (مهدي الخباز) من بطش الجماهير حينما أستفزهم أثناء أحدى التظاهرات.

ومما أثار استغراب (ابو كفاح) مدى تذمر وسخط القوى الدينية الحوزوية من صدور قانون الأصلاح الزراعي الذي انتصر لمظلومية الفلاح العراقي في ٣٠ ايلول ١٩٥٨ رغم نوافضه الكثيرة بما لا يرضي طموح الشيوعيين ولا فقراء الفلاحين في الريف العراقي، في الوقت الذي يفترض فيهم مساندة الفقير أقتداءً بالإمام علي عليه السلام وانتصاره للفقراء وهو القائل (لو كان الفقر رجلاً لقتلته) نعم يا سيدنا ها هو سبب الفقر رجالاً أقطاعياً مستبداً لأن يريد قتله بل أحذ حقنا منه ولكن الداعون إليك يعارضون أسترجاع هذا الحق،

إنَّ أصحاب العوامِيْم المزيفِه يحرِّمون علينا أستعادة حقوقنا  
منهم .

وقد أستشاطوا غضباً بسبب صدور قانون الأحوال الشخصية  
والداعي للمساواة بين الرجل والمرأة واعطاء المرأة حقوقها  
المشروعة، مما دعاهم إلى تأسيس ما أسموه بـ(جامعة  
العلماء) وكان لها دور تحريضي كبير ضد الشيوعيين وضد  
الثورة وضد عبد الكريم قاسم، مستندين إلى فتوى (الشيوعية  
كفر والحاد) .

وقد كانت هذه الأحداث محل اهتمام (ابوكفاح) وقد أبانت  
له حقيقة الصراع الطبقي وكشف زيف الأدعىـات والمواعظ  
حينما تعرّض مصالح أصحابها للضرر، كيف اتحدت  
العمامة الزائفة مع الأقطاعي المستبد والزوج الظالم، ضد  
الفلح الفقير والامرأة المظلومة .

-شفتي يأم (كفاح) شلون بيَّن غش أهل ((العمايم))؟  
وشلون بين سبب التجيل والتعظيم لأهل العمايم في  
مضاييف الشيوخ الأقطاعيين ودواوينهم وفرض أتاوه عليه كل  
فلاح لبو عميـه، ولكم عمي يبيـن هذولـه مو من ربع علي ولا  
من ربع عمر هذولـه من ربع عثمان ومعاويـه (الذين يكنـزون  
الذهب والفضة) .

والله ييو كفاح همه هذولـه متحالفـين من زمان مو من اليوم، لا  
الأقطاعـيه يفارـجون أهل العـمايم ولا أهل العـمايم يفارـجون

الأقطاعيَّه، ولا ونوب يخالفون شرع الله بِأنصاف المرة  
 العراقيَّه المظلومه، يريدونه تظل (حرمه) و(تكرم عن طاريه)  
 طول عمره، والله ما أدرى شلون تصير جاريَّه وخدماته  
 وحيوانه تكرم عن طاريه والله خل الجنَّه تحت أقدامها؟  
 هذوله ما خذين وكاله من الله وكموا يحللون ويحرمون  
 بكيفهم، ها بالمناسبه خل أقرالج قصيدة الشاعر عبد الحسين  
 ابو شبع عله هل المايخافون الله:

يا آية الله شلون آية  
 وتعتر بِحدَيْد وبعباية  
 ما تدرِي بِحدَيْد ولا ماتِدرِي  
 سافل وسرسري لواط كُفْري  
 يشربْ خَمْر في ليلة القدرِ  
 وينسبُ الأيمَّة والنبَاية  
 يا آية الله شلون آية!

\*\*\*

ايْ تُخْمَة حَرَوْمَه چراهِنْ چین  
 تعمل لاجل امريكه بيا دين؟  
 چشيرة طلاييک تخلص مني  
 متغفلق صرت شيخ الولاية  
 آية الله شلون آية!

الى آخر القصيدة الهجائية الطويلة للشاعر.

\* خَدِيدُ، عَبَايَةٌ: أَسْمَاءُ أَصْحَابِ سَوَابِقٍ، كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ فِي تَنْفِيذِ مَآرِبِ اِيَّاهُ اللَّهِ، فِي النَّجْفَ حِينَهَا.

بعد عيني (أبو علي) ولا عاب حلگه والله حجايته توگع عليه الجرح، ولکم های امچان ما توگفون ویه الفقره، وتناصرون الیناصورونهم والناس التشردت وانعدمت وانسجنت حتى اخلص الشعب والوطن من المصايب ومن الاستعمار والأقطاعيه أنتم تصفون ویه أهل الظلم.

والله (ام کفاح) أرى إنَّ قوى الاستعمار الأنكليزي والأمريكي وشركات النفط بدأت تفقد صبرها وخصوصاً بعد صدور قانون رقم (٨٠) وهم يرون صعوبة أن تتدخل جيوشهم بشكل مباشر في العراق، مما سيعملون على تحريك عملائهم للعمل بالنيابة عنهم لمحاولة إسقاط الحكم الجمهوري.

كان يوماً لم تشهد مثله بغداد الاول من ايار ١٩٥٩ حين احتشد ما يقارب سدس سكان العراق في مسيرة هادرة بمناسبة عيد العمال العالمي وسط غابة من الرايات الحمراء وصور الزعيم الأول (عاش الزعيم عبد الكريمي)، الحزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي) الزعيم أحسن كأنه يطفو فوق موج احمر هائج امتلك الشارع، مما استفز عنده حاسة الخوف على السلطة وكرسي الحكم، الاغوات والباشوات والسماحات والعروبيون تناسوا خلافاتهم الثانوية امام هذا

الخطر الداهم، كثرت الدعاو وانتشرت الأشاعات وأصدرت الفتاوى أنَّ الأمر لا يطاق، يجب كبح جماح (العمايدية) و(الرعاع) أقتربت الساعة، سيفور التنور، امتشق الزعيم المكرفون موجها خطبه التي لا تنتهي، تصور الـ(أننا) كانها شهب سماوية ترجم الشيطان من كل لون ومن كل الاشكال، موجها نيران خطاباته النارية صوب اللون الأحمر أقرب واصدق أنصاره ليتفادى سخط غضب الأسود والأخضر والرمادي، العروبيون يحوكون المؤامرات ويعززون مواقعهم في الأجهزة الأمنية والعسكرية مستغلين سخط الزعيم على الشيوعيين وانصاره.

(نزيه بالـ علجمـ خـ يـ زـ لـ لـ المـ هـ دـ اوـيـ) (ابن كيفيه) يريد أنْ بفرش الأرض بالزهور على انْ تكون هذه الزهور خالية من الأشواك ولم تشر حمرتها خفافيش الليل، هل ينحاز للجماهير الهدارة المطالبة بالضرب بيد من حديد على أعداء الثورة من الأقطاعيين وأنصارهم: (لا تَكُول ما عندي وكت، اعدمهم اللية) وبذلك يستجيب للشعارات المرفوعة من قبل الشيوعيين المهيمنين على الشارع العراقي، فهو ليس شيوعياً ولا يمكن ان يكون، لابد من تحجيم قوتهم على الرغم من كونهم القوة الأكثر دفاعاً عن حكمك يا بن كيفيه.

لا بد من أرضاء العروبيين وعلماء الدين وأسترطاء الأقطاعيين حتى لا يفلت صولجان الحكم من يدك امسكه من المتتصف.

- ماذا عساك فاعل يابن كيفيه فانت تحب الفلاحين الفقراء وتريد أن تملكون أرض (اسيادهم) ولكنك لا تريد أن تغيب الأسياد، انت ت يريد أن تسعد العمال الفقراء دون أن تزعج أصحاب رؤوس الأموال، ت يريد أن تكون ثروة الشعب للشعب ولا ت يريد أن تغضب شركات البترول الاحتكارية، ت يريد أن تديم الشورة دون أن تزعج المتأمرين، وتنزع السلاح من الحراس، آه يابن كيفية كلما أشتد التأهّرّع إلى المكرفون لترجم الأعداء بسيل من (إننا) عصاك السحرية التي لم تعد تقوى على قتل ذبابة - في حين تسمع هتافات الجماهير الهاדרة المنادية بضرب القوى المضادة للثورة (ما كوا مؤامرة تصير والجبال موجوده)

اختار أن يمسك بالمكرفون، والخطب النارية والأنا المتعالية على كل الصعاب تاركا الحال تلتف على رقاب من يحملونها ضنا منهم بأنّهم قادرين على كسب ود الزعيم وتبصيره بالأخطر الداهمة، والوقوف بوجه المد القومي والمد الإسلامي، المد القومي الداعي للوحدة الفورية مع مصر، والمد الإسلامي الذي يطالب بالغاء قانون الأصلاح

الزراعي وقانون الأحوال الشخصية وضرب المد الأحمر الذي أرعب قلائهم وهدد مصالحهم.

المد الأحمر يتبنى الشعارات والهتافات أكثر مما يعد البرامج والخطط لمقاومة هذا المد الرجعي الخطير، وقد تم للزعيم ما أراد بشق وحدة الصف لجبهة الاتحاد الوطني وخصوصاً بين البعثيين والقوميين والشيوخين، ففي الوقت الذي يرى (الشيوخين) ضرورة التصريح للزعيم هو عنوان التأييد للثورة والأنبياء للجماهير (الما يصف عقلقي).

وقد أتهم القوميين بعد الخلافات مع عبد السلام عارف وحزب البعث، أتهموا الزعيم بالديكتatorية والتفرد بالحكم والأنبياء للشيوخين، ومشروعهم في الأحاديث الفدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة وعدم الاستجابة للوحدة الفورية مع سوريا ومصر، وقد قدمو استقالاتهم الجماعية في السابع من شباط ١٩٥٩، مما فاقم الأمور والتوتر السياسي الكبير بين القوى المختلفة، وقد كان (أبو كفاح) يشعر بالمرارة لما يجري من حالة الشرذمة بين مختلف القوى، وكان يجد الرفيق (منير) أشد حيرة، رغم أنعقاد الكثير من الاجتماعات المطولة لقيادة الحزب، التي كانت تؤكد على ضرورة دعم موقف الزعيم والدفاع عن الثورة، رغم إنَّ الزعيم أخذ يناسب الحزب العداء وقد رفض كل المحاولات لأشراكه في الحكم كقوة فاعلة وذات وزن كبير

على مستوى الشارع العراقي، وعدم سماعه لكل التنبieهات والتحذيرات من نشاط القوى المعادية للثورة تحت مختلف الواجهات والأدلة.

تفاقمت الأوضاع إلى ما هو أسوأ خلال انعقاد مؤتمر أنصار السلام في أم الريانين في الموصل.

(في يوم الجمعة ٦-اذار سارت مواكب أنصار السلام من محطة القططار إلى ملعب администра المحلية مروراً بأغلبية شوارع الموصل وساروا على شكل مواكب وهم يرددون (أهل الموصل يا كرام أهنه أنصار السلام).

تعرضت المسيرة للعديد من الاستفزازات حيث تم رمي القطار بالحجارة عند مروره بتكريت، ثم كانت هناك محاولة لأخذ القطار من سكة سيره قبل وصوله للموصل، كذلك تعرض الموكب إلى إطلاق النار في الموصل، مما أحدث المزيد من الاحتكاك العدائي بين مختلف الأطراف، مما أعطى الذريعة للقادة العسكريين القوميين في الموصل للأقدام على اتخاذ إجراءات قمعية ضد أنصار وقيادات وأصدقاء الحزب الشيوعي.

تحدث (كافح) بالتفصيل حول مسيرة أنصار السلام لوالده، حيث كان القطار عبارة عن شعلة من الغناء والهتاف باسم الحرية والسلام، باسم الشعب والثورة وقادتها (الأوحد) عبد الكريم قاسم، والده عقب على حدث ولده:- نعم أريد

للمسيرة أن ترسل رسالة للقوى المتأمرة في العراق عموماً وفي الموصل خصوصاً، ولكن الرسالة كان لها مفعول سلبي، حيث أعطت للمتأمرين الذريعة لأشعال فتيل تآمرهم المدعوم من قبل سوريا ومصر والمخابرات الأمريكية والبريطانية وبالتمويل من قبل شركات النفط الأحتكارية التي ضربت مصالحها.

أستل سكارة من علبة (الجمهوري) ولعها ثم قال: والله يا بويه أشوف هالشغلة هم لاعبه الزعيم، من حيث حيل ما أرتاح من المظاهره المليونية بقيادة الشيوعيين، وكأنه يحس بأهتزاز كرسيه على رأس الحكم، ويرأيه الشيوعيون يريدون يعبرون عليه حتى يوصلون للسلطة، فما حدث في الموصل يصب في مصلحته لضرب المتأمرين، وتحجيم دور الشيوعيين باتهامهم بأثارة الفوضى وأرتكاب جرائم.

قال (كافح): هذا الكلام خطير أبو كفاح، هذا رأيك لو رأي الحزب؟

لا يابه هذا رأيي وهذا ما تقوله مجريات الأحداث وقادم الأيام يظهر لنا المستور.

(في الساعة الثانية عشرة ليلاً قام العقيد الركن عبد الوهاب الشواف إلى الأعلان عن منع التجوال اعتباراً من الساعة الرابعة ظهراً، وفي الساعة الثانية عشرة ليلاً قام العقيد الركن عبد الوهاب الشواف باعتقال جميع الشيوعيين في الموصل

وعددتهم (٤٨) وهم من العناصر المتبقية من المهرجان  
بالأضافة إلى قيادة اللجنة المحلية.

كما اعتقل جميع أعضاء نقابة المعلمين والعمال وأنصار  
السلام بالإضافة إلى كامل قزانجي ووضعهم الشواف في  
مستودع الجيش ومن ثم في الش肯ة الحجرية فكانت الشرارة  
وأعلنت الثورة) ص ٩٠ عبد الكريم قاسم البداية والسقوط –  
جمال مصطفى مردان.

الشيوعيون ينكفؤون إلى الخلف، قاعدهم تتململ،  
الأسلاميون ينشطون بقوة تحت غطاء فتوى (الشيوعية كفر  
والحاد) المخابرات الأمريكية والبريطانية تعمل بكل ما  
أوتت من قوة مكر ودهاء لارباك الوضع في الشارع العراقي،  
تأجيج الصراعات العرقية والطائفية والسياسية، مرة باسم  
العروبة ومرة باسم الإسلام.

الخطط السرية ترسم في الغرف المظلمة لانتزاع كرسي  
الحكم من (الديكتاتور) (الشعوبي) ولجم المد الأحمر الذي  
لم يعد يحتمل بالنسبة للقوى المعادية، المحكمة الثورية  
تحكم، والزعيم يعفي عما سلف، قوى الردة والرجعية تتبوء  
مناصب مهمة في الجيش والشرطة وعموم دوائر الدولة  
مقابل أقصاء الشيوعيون وأصدقائهم من المواقع الهامة، قوى  
الفاشية تطلق الرصاص على الزعيم وتصيبه بجروح خطيرة،

الزعيم يتلقي المكرفون بيد وقلم أقصاء وسجن ومحاكمة الشيوعين باليد الأخرى، ويصدر مراسيم الأعفاء والغفران. الحزب ينكح على نفسه، يوقف الترشيحات، القشور الحمراء أصابها الأصفرار والعفن فاختلت تتساقط كأوراق الخريف، فور هبوب رياح خريف الثورة وأنكماس المد الأحمر.

كان (مظلوم) يتفكر ظاهرة الزعيم كثيراً، طبيته، جبه للفقراء، شعبيته، نزاهته، مقابل فرديته، سذاجته، لامبالاته بما يحاكي للشعب والوطن من وراء ظهره، تحجيمه لمحبيه، تسامحه المفرط حد الغباء مع أعدائه ليس هو كفرد بل أعداء كل منجزات الثورة، وسعدهم لoward أحلام الفقراء، فلذلك كان غالباً ما يلتقيه في منامه يحاوره ينتقده، يسائله عن أفعاله وسلوكه.

"بعد أنْ توقف قليلاً عند فرن الخباز الذي وضع في مقدمة الفرن صورة كبيرة للزعيم، تأمل (الشنكة) فسقة الخبز وبعد إنْ وزنها وجدها ناقصة، التفت لصاحب الفرن قائلاً:- وليدي أتمنى عليكأنْ تصغر صورة الزعيم وتكبر حجم (الشنكة) ثم غادره متوجهاً إلى محل الحاج زبالة.

شرب الزعيم قدحاً من شربت زبيب الحاج (زبالة) وقد أمر للحضور وقها لتناول الشربت أيضاً على حسابه ومن ضمنهم (مظلوم) طلب (مظلوم) منه أنْ يفضل بالأجابة على

أسئلة تحيره، فأستجاب الزعيم لطلبه بأريحيه، جلس الأثنان في أحد المقاهي الصغيرة في أحد الفروع المتصلة بشارع الرشيد، وهما يرتشفان الشاي (المهيل) من يد صاحب المقهى سأله: سيادة الزعيم، وقبل أن يكمل ما يريد قوله قاطعه قائلاً: رجاءً أخي، أبو،

- أبو (كافح) سيادة الزعيم.

- عاشت الأسامي، نعم أخي أبا كفاح أتمنى عليك أن تترك (سيادة الزعيم) وتتادي بأخي عبد الكريم.

- صار أخي كريم (أبو حاتم).

- أتمنى أن تعرفني بنفسك، فأنا محترم بوصفك، هل أنت شيوعي، قومي، بعيدي، برجوازي، متدين، علماني؟

- نعم أخي كفاح أنا كل هؤلاء ولكل هؤلاء.

- وهل هذا ممكن؟

- ربما يبدو لك الأمر غير منطقي ولا معقول، فلو كنت مواطناً كسائر المواطنين العراقيين، لكنت واحداً من الأوصاف والأسماء الذي تفضلت بها، وبصراحة أكبر لو كنت مواطناً فـأنا وطني عراقي الأقرب إلى القوى الاشتراكية والشيوعية، لأنني وكما افهم نفسي دائماً بأنني عراقي فقير ومن عائلة فقيرة، ولذلك فأنا منحاز للفقراء وأسعي من أجل اسعادهم ورفع الظلم والاستغلال عنهم.

- ولكن بما أني الآن رئيس وزراء العراق والرجل الأول في الدولة في جمهورية العراق، فأنا ملك لكل العراقيين لا يمكنني أن أحمل صفة فئة دون فئة أخرى، الفقير أنا المسؤول عن رفع الفقر والاستغلال عنه، والثري المستغل أنا المسؤول عن نزع صفة الاستغلال عنه ليس بغضا له وإنما حبا به ليعود إلى إنسانيته، أنا مع القومي ولكنني ضد تطرفه وشطحاته، ومع البعشي ولكنني ضد همجيته وغروره، مع المسلم المتدين ولكنني ضد فرض أرادته على غيره، ومع المسيحي ما دام مع الله، متفهم لدوانع سارق قوته ولكنني ضد أسلوبه في الحصول على حقه.

- ربما أنت لا تعلم مدى معاناتي وألمي وأنا أسلك هذا السلوك ولكنني أرى في ذلك قدرى لا زلت الرجل الأول في الدولة، ولا أشك بأنك ستنهج نفس النهج لو كنت مكانى في المنصب لتكون منسجما مع إنسانيتك ووطنيتك ومسؤوليتك وأنت على كرسي الحكم.

- هلا تخبرنى كيف سيكون حال الشعب العراقي لو إني أنحذت ولبست لباس وأتصف بأحد صفات ما ذكرت، لو كنت أسلاميا، أو بعثيا، أو شيوعيا أو قوميا؟

الا ترى اني ساكون مضطرا إلى نصب المشانت للعناوين الباقيه وانت ترى مدى يغضها بعضها البعض ومحاولة بعضها اقصاء بعض حتى ولو بالقوة والقتل، والا بماذا تفسر

احداث الموصل وكركوك وغيرها من الاحداث، وانت ترى رغم اني قاسي على اقرب اصدقائي وهنا أقصد وبصراحة تامة (الشيوعرين) حجمتهم والقيت الكثير منهم في السجون، وابعدتهم عن العديد من المناصب الحكومية الهامة، ولكنني لم ارق للكثيرين واصبح رأسي ورأس الثورة مطلوبا بالنسبة لهم.

- أخي (أبو حاتم) أنا أحاول أن أتفهم ما تفضلت به من تبرير سلوكياتك وقراراتك، ولكن هذا لا يغفر لك تغاضيك عن القوى المتأمرة من أنصار الأقطاعيين وشركات النفط، والموالين للدول خارجية، وأنت تمتلك كل الأدلة الم موضوعة أمامك لادانتهم؟

- أخي (ابو كفاح) ان ارى لو اقدمت على اعتقال وسجن كل من تردني معلومات عنهم حتى وان كنت واثقا منها لوضعت اغلب شركائي في الثورة، والمئات بل الآلاف من العراقيين في السجون، ولما خلت ساحة الاعدام من رؤوس متدرجة من (المتأمرين) على الزعيم وعلى الثورة وهذا ما لا يمكنني ان اكونه، ولاهذا ما قامت الثورة لاجله، أخي (ابو كفاح) اتعلم بأنني بكيت كثيرا عندما نفذ حكم الاعدام بالشواب ورفعت الحاج سري والطبقجي، رغم انهم كان يطلبون رأسي ورأس الثورة التي كانوا من صناعها، كيف لي ان اشعر

## بني الحارس الوحيد والمخلص الوحيد للثورة وللشعب العراقي؟

- وهنا اتفهمكم تماما اخي (ابو حاتم) ولكن عندما يقع الحذور ويمسك المتأمرين بالفعل المشهود ويقدمون للمحاكمة وتدينهم القوانين القضائية العسكرية والمدنية العراقية النافذة، فانك تعود إلى تطبيق منهجك في (العفو عما سلف) وتطلق سراح المجرمين ولا اقول المتهمين، ومثالى على ذلك المجرم والمتأمر عبد السلام عارف الذي فشل بمعجزة عن قتلك شخصيا.

- نعم اتفهم تماما حرصكم على ثورتكم من هذه النماذج المتأمرة، ولكنني لا اتصور نفسي يوما قاتلا لمن شاركتني طريق الكفاح والثورة، شاركتني (الزاد والملح) حافظ أسراري وأسراره، فقد أسميت العديد من (المتأمرين) برافق طريقي واخوتي وأمناء سري، اني احاول ان اكسب حبهم بالتسامح والعفو عند المقدرة، عسى ان يعودوا إلى ذواتهم ومراجعة اخطائهم، فليس بامكاني ان اضع توقيعي لاعدام (عبد السلام عارف) احد قادة الثورة، والذي اذاع بصوته البيان الاول للثورة مهما كان، فهو مضلل، أو طامح بسلطة ولكن لا يمكنني ان اراه مضرجا بدمائه ببنادق الثورة التي كان احد صناعها، فانا اعرف ان اغلبية فقراء العراقيين من عمال وفلاحين يحبون (الزعيم) ويضحون من أجل الثورة فهؤلاء

جانبهم مامون، ولذلك علي كسب ود ورضى من يناصبى العداء، وبذلك اكون من الرابحين ويربح العراق دم ابنائه دون ان يسيل هدرا.

- ولكن أخي (ابو حاتم) أنت بذلك لم تتنازل عن حبك الشخصي فقط، وإنما تعرض رأسك ورأس رفاقك المخلصين ورأس الثورة إلى قوى لم ترض عنك وعن الثورة الا بقتل الثورة والتخلصي عن كل مبادئها وأهدافها ومكتسباتها، وهذا مما يفقد الأمل بك من قبل من أحبوك وأحبو الثورة، فحالك هنا كحال (مجير أم عامر).

أطال صمته وخرجت من صدره حسرات حرى، وهو يقول: هكذا أنا، لا يمكنني أن أكون إلا هكذا، أنا مع الجميع أحب الجميع ولا بد أن يرضى عن الجميع، نعم أحاول أنْ، أمسك صولجان الحكم من الوسط ولكن للأسف هناك من يريد أنْ يخطفه من يدي ليمسكه من أحد أطرافه ليكسر به رأس وأرادة وقوة الطرف الآخر، وهذه هي الكارثة والمصيبة الكبرى، هل ترون اني امتلكت عقاراً أو فللاً أو قربت أهلي وعشيرتي، أو تقلدت الرتب أو بذخت في المأكل والمشرب والملابس، فها هي بدلتي من خالص راتبي،وها هو السفرطاس لا يفارقني،وها هي جيوبي شبه فارغة لا بل لا يمر شهر الا وأنا مدين إلى بعض رفافي لأنني أنفق من خالص راتبي على من يطلب العون مني ولا شك انكم

تعلمون قصة (عریس الناصرية) وقصة العامل البصري (منان) والخ الكثير مما لا تعرفونه ولا يمكن ان أصرح به، بمعنى آني لم أهادن ولم أسامح ولم أعف عن أحداً من أجل نفسي ومصلحتي أو مصلحة عائلتي وعشيرتي التي لم أذيل بها أسمى فأنا عبد الكريم ابن قاسم النجار وابن كيفية من عائلة فقيرة وأعيش في حي الفقراء، شيدت المساكن لأصحاب الصرائف ولم أشيد لنفسي قصراً ولم أملك أختي ومربيتي الفقيرة داراً حتى أسوة ببقية فقراء العراق رغم طلبها مني ذلك.

أخي نائب ضابط في الجيش العراقي قدم استقالته وقد وافقت عليها بناءً على رغبته ورغبتني خشيت ان يعامل معاملة خاصة بأعتبره شقيق (الزعيم). لم أفكر بالزواج وتكون عائلة لأنني أريد لها أن تكون عائلة مستقرة مرفهة سعيدة آمنة، ولكن كيف يكون لي هذا وان عائلتي الكبرى الشعب العراقي لم تتمتع بالأمن والسلام والسعادة والرفاه الذي أطمح به لحد الآن فلا يمكنني ان أفصل بين حال العائلتين الكبرى والصغرى.

- أقول الصراحة أخي (ابو حاتم) أنت بهذه الصفات لا يمكن ان تكون حاكماً لبلد مثل العراق مثقل بالتناقضات والصراعات الطبقية والعرقية والطائفية، وتتكالب إلى أفتراسه كل ذئاب الأرض وفي مقدمتها ذئاب الأحتكارات البترولية

المسورة، ويجب أن يكون لك عبرة في التاريخ في حكم الأئم علي عليه السلام خير عبرة في كيف يجب أن يكون الحاكم، نعني أنَّ السياسة والمبادئ لا يمكن أنْ يوضعوا في كفتي ميزان واحد.

أطال فترة الصمت، شاكرا لي صراحة و مباشرتي في ابداء الرأي دون لف أو دوران قائلاً: أني أتفق معك في كل ما ذهبت اليه أخي (ابا كفاح) وما تقوله ليس غريباً علي، فأنا كما قرئته في التاريخ وتشبعت بسلوك ومبادئ الأئم علي عليه السلام وانْ أتعلق بعبادة أمي (كيفيه) وهي تصحبني معها في زيارة الأئم علي في النجف والأئم الحسين وأخيه العباس في كربلاء كما قرئته في عيون وملامح الكثير من وجوه الكادحين في الشارع وفي عيون ووجوه الكثير من أقرب الناس الي و حتى في كلام وعيون أفراد أهل بيتي، يبدو انني قد تورطت ولا يمكنني التراجع أو التخلص عن كرسي الحكم في ظل هذه الفوضى التي تعيشها البلاد وهذا الصراع الدامي بين الأحزاب السياسية في العراق سأحاول جل ما أستطيع لتهيئة الأوضاع حتى ولو بالجور على أقرب أنصاري وأقصد بالضبط الشيوخين منهم، ورغم عدم وفائي بكل طموحات أحبابي من العمال وال فلاحين وال Kadheen العراقيين، للعمل بدستور عراقي دائم وأجراء انتخابات حرة ديمقراطية وأقامة حكم دولة الدستور والقانون وال تعددية

السياسية، ياليتني بقيت معلمًا بين طلابي وأحبتني في الشامية حيث المودة والحب والأمل والبساطة والعلم والمعرفة، مكتفيًا براتبي التسعة دنانير وكتبي وأحلامي بغض سعيد للفلاحين الفقراء وهم منتجو ذهب العبر يخوضون في وحل الواح الشلب تحت هجير تموز وآب، ولكن أراده الأقدار كانت كذلك.

- أخي أبا (حاتم) رغم اني أتعاطف معك فيما ذهبت اليه حيث اني رغم شيوعتي لما زلت أحن لأنفاقية الريف ولطيبة وعفوية الفلاح العراقي، مغفلًا مباديء الشيوعية في هدفها النهائي في الاستيلاء على الحكم وبناء ديمقراطية البرولتاريا ولو عبر الديمقراطية الشعبية وأنت تعلم انّها يجب ان تكون بقيادة الحزب الشيوعي طليعة الطبقة العاملة، وربما معرفتك بهذا الستراتيج للأحزاب الشيوعية هو الذي يخيفك من الشيوعيين، حيث انّك ترى أستحالة انتماك للحزب الشيوعي كما فعل كاسترو وكوبا مثلا، ومن الصعوبة أقناعك أننا لانسعى إلى أقتلاعك من سدة الحكم، وأنّما نسعى إلى أقتلاع هيمنة الأقطاع والبرجوازية الطفifieة من طريق استمرار التطور الاجتماعي والأقتصادي صوب المجتمع الأشتراكي عبر التطور اللازم صوب الأشتراكية، ولا نظن انّك ضد هذا التوجه، ولكنني رغم ذلك ايضاً أقول وماذنبنا نحن الشيوعيون، فنحن قد ذقنا صنوف القتل والشتم والتذيب

والسجون والتشريد والتوجويع على مراشرات السنين من أجل تحقيق أهداف الشعب والوطن وتحقيق شعار (وطن حر وشعب سعيد) ووضعنا كل طاقتنا وأمكانياتنا وأنت تعلم ذلك من أجل حماية الثورة وزعيمها (الزعيم الأول) عبد الكريم قاسم، ولكنك تنكرت لكل هذه التضحيات وأشركت حتى أعداء الثورة في الحكم الا الحزب الشيوعي العراقي مستنكرا شعارنا (عاش زعيمي عبد الكريمي، الحزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي) وهو شعار عفوي رفعته الجماهير المليونية الحارسة والمحبة للثورة وزعيمها، فلم تستجب لها وإنما أوغلت في مطاردتنا وسجن رفاقنا وأصدقائنا وآباء أبواب المتظمات المهنية والديمقراطية التي تمثل منهاجنا، لا والأكثر من ذلك عملت على تصنيع حزب شيوعي هزيل ليكون بدليلاً لنا.

قوى الفاشية القومانية تعتمدي على رفاقنا ومنعت صحفتنا وأعتدت على مقراتنا، والقوى الدينية أستجابة لرغبة الأقطاعيين أصدرت ضدنا فتوى (الشيوعية كفر والحاد) لا شيء إلا لأننا لم نحن الثورة ولم نتخلا عن مبادئنا في حرية ورفاه الشعب والوطن، وانت تعلم كم كان كرسي الحكم قريباً منا لو اتنا تخلصنا منك حينما حاول حزب البعث القضاء عليك واصابتكم بنيرانهم في رأس القرية في شارع الرشيد، وهناك فرص أخرى ولكننا وفيينا بالعهد

للثورة والشعب، فما بالك كلما أقتربنا إليك ابتعدت عنا،  
مالك وكأنك تشعر ان قبضاتنا التي تهتز ضد قوى الرجعية  
والاستعمار كأنها تريد ان تقبض على رقبتك، مالك تشعر أنها  
نريد أن نجعل منك جسراً للوصول للسلطة والحكم؟  
ماذا سيقى لديك لو اغرانا الحكم وترافقنا مع الشواف  
والقوى القومية لنرميك بصفة الديكتاتورية والشعوبية وخائن  
الثورة والعروبة؟

هل قدرنا ان يكون حالنا أشد اياماً وبؤساً وظلماً من حال  
(أبو ذر الغفاري) في عهد عثمان، الذي ضحى بكل شيء من  
 أجل الإسلام، ولكنه مات منفياً غريباً جائعاً مذلاً مهاناً في  
(الربذة) لا لشيء إلا لأنه انتصر للفقراء وحارب الأثرياء  
وأحب علي وأهل بيته، فان أكتفى معاوية وعثمان بنفي  
الغفاري وان علياً لم يستطع ان يفعل له شيئاً غير الموسامة،  
 فهو لاء لا يكتفون بنفيها بل انهم يطلبون رؤوسنا بعد ان يقطعوا  
رأسك ويقطعوا رأس الثورة؟

أطال الصمت، لا أدرى بالضبط من منا أتى في غير زمانه، هل  
أنت، أو الثورة، أم أنا، هناك خلل كبير فيما نحن فيه الآن،  
ولم يتمكن ايًّا منا وضع يده على الجرح ويتمكن من معالجة  
الخلل لتنستقيم المسيرة، تحوم في سماء العراق غربان  
الشركات الاحتكارية ودولها الساندة، تحوم غربان الفاشية  
القومانية وأنصارها في بلدان المجاورة، تحوم غربان أدعية

الدين والتدین، تحوم غربان الجهل والمغامرة من كل الألوان، ليس لنا الا أن نقول اللهم أحفظ العراق وشعبه. آنهم يرفعون شعار الوحة، كما رفع قميص عثمان ذات تاريخ، ومن منا يعادي الوحدة العربية، هل أنا عبد الكريم قاسم الذي كان في مقدمة الجيش لاستعادة فلسطين، أو الشيوعيون ضد الوحدة العربية وهم الساعون إلى وحدة كل العالم، لا شك إن الجميع مع الوحدة العربية ولكن ليس الفورية كما يريدونها وحدة حكام ضد شعوبهم وليس وحدة شعوب مدرستة ومقامة على أسس راسخة، وبخطوات مدرستة، وإنني على ثقة كبيرة إن هؤلاء الوحديون الفوريون هم أشد أعداء الوحدة الحقيقة وسيثبت التاريخ ذلك وترى أن بقينا أحياء.

طلبت ان يسقينا صاحب المقهى بقدحين شاي، فما ان رأى عامله الزعيم حتى اختل توازنه وانقلبت (صينية الشاي) الحار، احسست بحرقة شديدة على ساعدي، فاستيقظت متالما.

قص (مظلوم) تفاصيل حلمه وما دار خلاله مع الزعيم على رفاته وخصوصا الرفيق (منير) وعلى ام كفاح وكفاح، مما طلب المزيد من التفكير والتدبر من اجل ان لا تسرق فرحة الاكواخ ورقصة المعامل وبهجة العراقيين على ضفاف قناة الجيش ونهر دجلة والفرات، الذئاب المسعورة في كل مكان

لم تعد تخفي نواياها وخفاياها، والزعيم يسعى إلى (حقنا للدماء) غير مدرك ان الذئب المسعور يلتذ بولوغ الدماء. طلب (مظلوم) ان يخصص له رفيقه (منير) وقتا لسماع هواجسه وتساؤلاته وشكوكه وتحفظاته، قصدا حد الأمكان القريبة إلى قلوبهم في أيام ما قبل الثورة، على شاطيء دجلة ليتبادلا هم الساحة السياسية المنذر بالخطر.

رفيق (منير) الاترى ان الحزب لم يتخذ الاجراءات الاحترازية الكافية لمواجهة المد الفاشي، وقوى التآمر على الثورة؟

نعم، ساجيبك ولو ان مثل هذه الامور يجب ان تشار في الاجتماعات الحزبية فقط وليس محل نقاش فردي أو ثنائيا ولكن ما تحمله من توجسات فانا مثقل بها، وانت تعلم قبل فترة طلب من المنظمات الحزبية ان تقوم بعملية تدريب وتسلیح وتخزين السلاح، وتحت اجراءات تنظيمية وانضباطية مشددة تحسبا لظروف طارئة، وقد طالبنا قيادة الحزب بدراسة كافة الخيارات للحد من لامبالاة قاسم ومن الاعتداءات الاجرامية ضد رفاقنا واصدقائنا، ولكن للاسف قررت القيادة نبذ هذه الاجراءات ووعدها في بدايتها خوفا من استفزاز الزعيم وبناءً على توصيات من قبل الرفيق الاكبر، ولاشك ان هذه الاجراءات قد اثارت الكثير من التساؤلات وربما التذمر من قبل الكثير من رفاق الحزب ولكن القيادة اصرت على اتباعها، وكما تعلم او لا تعلم ان سبب سفرى

خارج العراق كان بسبب ذلك، واني أرى الآن انَّ الوقت ينفلت من بين أيدينا، قبل أنْ تكون مستعدين للحدث قبل حدوثه، وعلى كلِّ منا انْ يتفقد رأسه.

ولكن يارفيق هذا الأمر يعني أننا سنكون لقمة سائفة للقوى الفاشية المترقبة بنا، الآن نرى ونسمع قتل أو جرح أو الأعتداء على رفاقنا ومقراتنا، فلم يبق في مركز مدينة الموصل حتى رفيق واحد على قيد الحياة بعد خطاب (الكنيسة) والفتوى الخطيرة للمراجع الشيعية، وبعد أحداث الموصل، وأقدام الزعيم على سجن وملحقة العشرات من الشيوعيين وأصدقائهم.

اتفهم وتألم كثيراً لما وصل اليه الحال والمأزق الخطير الذي نجد انفسنا فيه وسط هذه الفوضى السياسية وكأنَّ ايدينا مشلولة من الفعل، ان اجراءاتنا اضعف بكثير من حركة القوى الرجعية والفاشية المتآمرة، ومن الصعوبة بمكان عودة الحزب وكوادره إلى الوضع السري لتفادي قوادم الاحداث. رفيق (منير) كيف تفسر تراجع شعبية الحزب في الآونة الاخيرة؟

(ابو كفاح) انَّ أغلب من انتمى للحزب كان انتماً عاطفياً، وليس فكريأ وفلسفياً، وأنَّ ترى مدى سعة انتشار الأمية والجهل والخرافة بين الأغلبية فانحيازاتها غير مدرورة، منقوصة الوعي، معرضة للأهتزاز في أية لحظة وأمام أبسط

الضغوط والمتغيرات وأنت خير من يعي هذه الحالة لما مررت به من مراحل تطور الوعي، فلاتستغرب ما يجري، ولكن رغم ذلك هناك نخبة غير قليلة ممن يؤمنون بعمق وصدق بالحزب كوسيلة للنضال من أجل الحرية والرفاه والتقدم، كوسيلة لتعزيز الذات القوية المستقلة وليس الفرد المهزوز السائر بلا وعي كالمخدر مع التيار الجارف. عموماً (ابو كفاح) هذا هو قدرنا وهذا هو خيارنا ولا بديل لنا سوى الصمود والاستمرار والمقاومة، مقاومة الذات، ومقاومة شطحات قيادة الحزب، ومقاومة تردي الوعي الاجتماعي، ومقاومة المد الفاشي والرجعي الذي يستهدفنا ويستهدف عموم الشعب والوطن.

من المعروف رفيق (منير) ان مؤتمر الحزب هو الذي يضع ويرسم السياسة العامة للحزب، ويختار القيادة الاقدر على قيادة المرحلة، ووضع المنهج التنظيمي والفكري بين مؤتمرين، وان حصول تحول كبير في الوضع السياسي يستوجب من الحزب وقيادته ان ترسم سياسة تنظيمية وخط سياسي جديد، واسلوباً تنظيمياً جديداً، ولكننا نرى ان الحزب لم ولن يعمل على عقد مؤتمر للحزب رغم الضرورة الملحة لذلك، ماهي الاسباب برأيك؟

انَّ التحول الكبير، والأحداث الكبيرة المتلاحقة، جعلتنا ننغمس فيما نحن عليه، والقيت المسئولية كاملة على اللجنة

المركزية والمكتب السياسي وأجتماعاتها الموسعة والمستمرة إلى محاولة التعويض عن مقررات المؤتمر، فالأحداث تلح على عقد المؤتمر، والأحداث تعقد وتحول دون عقده، وهذا نحن في حالة من الارباك وعدم وضوح الرؤية، وقد يكون للأجتهاد الذاتي أثر كبير في اتخاذ القرارات، اني أشاركك الرأي بأهمية عقد المؤتمر بأسرع وقت، رغم ضخامة وصعوبة الأمر.

الآن أود عك بسلام رفيق (ابو كفاح) فربما لاتتمكن من اللقاء ثانية.

أفترقا فرacaً مشوباً بالحسرة والألم والقلق، والأصرار، وقوة وعمق القرار للاستمرار في طريق الكفاح من أجل عالم أفضل، رغم انَّ (مظلوم) شعر انَّ في قلب وروح رفيقه الكثير من الألم وانَّ لم تتمكن من أطفاء نور الأمل ولكنها، مؤلمة، أحس انه غير راضٍ على الخط السياسي العام للحزب ولا إلى قرارات واجراءات اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب، فلم يحاول انْ يضغط عليه أكثر، ويعرضه للمزيد من الأحراج، فليس كل ما يتمناه (السكرتير) يدركه. لفت نظره انَّ أسراباً من الغربان تحوم في سماء المدينة، وكأنها تحتفل بخبر سار، وبشارة رزق وفيه في قابل الأيام فرققت رقصتها المشؤومة.

حتى كان ما كان في صبيحة الجمعة قارسة البرودة الرابع عشر من رمضان الثامن من شباط في (عروض الثورات). مخلوق مخيف رغم صغر حجم رأسه، الا انه مزروع بعيون حمراء تقدح شرراً بكل الاتجاهات، تدور في محاجرها كما تدور شعلة لهيب حارق يترصد عدواً مجهولاً، مكشراً عن أنفاس طويلة مخلفة ورائها شفتين تخترق الدماء عليهما، له كفوفاً سوداء كأنها (فاللة) صيد، تخرج من كل مكان في جسده كاقدام أميماً الزحار، مئات الأرجل كغابة من رماح محروقة، متقدماً قطعاناً من جنسه، لا زالت تخرج بأعداد غفيرة كما تخرج الصراصير والعقارب من فوهات المجاري والمياه الثقيلة في الساحات والشوارع والأزقة والبيوت، من دورات المياه في الجوامع والمساجد والأضرحة المقدسة ودور البغاء والملاهي والبارات، والمدارس والجامعات، من كروش الأقطاعين والمرابين، وجحوب المسؤولين والمسؤولات، ما عدا المجانين والكلاب السائبة لم تنتج مثل هذه المسوخ الهائجة، في طريقها تلتلهم الأشجار وتلتلهم الزهور والطيور، يتصرّح كل مكان تمر به هذه القطعان، تنطفيء الأضوية تتفجر المصايبخ تختفي الألوان تلوذ تحت معاطف السواد، أحرقوا آلات العود والكمان وكل الشبابات، حطموا الدرابيك، والربابات، ما عد طبول ضخمة مصنوعة من جلود المطربين التي ما زالت نتز دماً كلما لامستها قضبان

الطالين، اصوات تمزق طبلة الاذن البشرية تشبه العواء  
طالب برأس اللون الأحمر، أحرقوا الأربطة والمسابح،  
واطناناً من الأقمشة الحمراء والمزركشة، أمروا بـاستخدام قلم  
الفحى بدل أحمر الشفافيف، الأسود بدل الأحمر لتجميل  
الخدود وأصباغ الأضفار، مزقووا اللافتات ذات الخطوط  
الحمراء، حطموا شارات المرور الحمراء، اختفت علامات  
الممنوع أو الوقوف أو منبهات الخطر، شب حريق هائل في  
أكdas الكتب الحمراء.

يا الهي مالذي يجري انهم يتقدمون نحو الدار تتقدمهم  
جرافات وسلامم استبدال الأضوية الكهربائية المحمولة للقفز  
على سطوح الدور والمعماريات فوق الاسواق، انهم يقتربون  
من دارنا المطلية باللون الأحمر من الخارج، اصابته رعشة  
من الخوف والهلع، يا الهي مالعمل اغطية بطانيات حمراء  
سأموت ببردا في هذا اليوم الشباطي المثلج ان احرقوها، كاد  
يجن فما العمل كيف له باطفاء الحريق فصنابير الماء متجمدة  
 تماما، اصابه الرعب عندما قرر الاستعانة بمطفأة الحريق انها  
حمراء كالعادة ذات لون احمر !

لو انه ضبطوه وهو ممسك بها سيقتلونه فورا، انه أخطر من  
حامل مدفع رشاش فلون الرشاش أسود، لعن في سره من  
صبغ مطافئ الحريق بالأحمر ولم يطل البنادق والشاشات  
والمسدسات باللون الأحمر، رغم خوفه ضحك في سره من

غباء (الحمران) الا كان الجدير بهم ان يطلوا أسلحتهم  
الكلاشنكوف وأخواتها باللون الاحمر. البنادق الأمريكية  
سوداء اللون كالافاعي، ماذا عساه ان يفعل؟

الجموع تقترب اصوات الانجارات يهز بغداد هزا،  
الاذاعات تستصرخ القطuan وتحثهم على قطع راس الاحمر  
واقتفاء اثره في كل مكان.

يا الهي من اين لي بقميص أسود، قمصاني كلها حمراء او  
بيضاء او زرقاء اللون، لعن الله ذوقى.

الابيض لا ليس هو المخلص فهو يضمур اللون الاحمر وهم  
يعرفون هذا جيدا، الازرق عليه شبكات كبيرة بتواطئه مع  
الاحمر انهم يعتبرونه متماهيا مع الاحمر.

نعم انها هي المخلص الوحيد رغم انها لم تنجح في تخلص  
نوري السعيد، لا لا انه كان يجب ان يرتدي قميصاً أحمر  
آنذاك ليضمن الخلاص فقد كان غبيا رغم ذكائه المشهود له  
به، دعك من هذه المحاكمة السخيفة وتذبر امرك الآن.

ولكن من اين لك بالعبارة السوداء، زوجك وأمك وشقيقاتك  
كلهن سافرات ولا يمتلكن عباءة، الان فهمت مدى ذكاء  
وفطنة وبعد نظر اهل العمامئ، واعمامي في الريف واجبارهم  
النساء بارتداء العباءة السوداء في مثل هذه الظروف الا تبا  
للرصافي وسحقا لميمنته القاتلة (اسفري يبنت فهر فالسفور  
للناس صبح والحجاب ليل بهيم).

تعال يا ابن، لترى عظيم فائدة الليل البهيم!

ضحك بملء منقاره الغراب الذي كان يحوم فوق سماء داري  
عندما قرأ سري وانا اتمنى ان اتحول إلى غراب لانقذ جلدي  
من السلح، مذكراً إياي كيف كنت انا صبي العداء منذ صغرى  
فالغالبا ما كان هدفـا لـ(مصيـادـتيـ) ايـنـماـ اـجـدـهـ اوـ المـحـهـ عـنـدـمـاـ  
كـنـتـ طـفـلاـ، وـكـيـفـ اـتـشـائـمـ مـنـهـ خـلـالـ شـبـابـيـ وـبـلـوـغـيـ وـقـدـ كـنـتـ  
فيـ هـذـاـ مـنـسـجـمـاـ تـمـامـاـ مـعـ رـأـيـ جـدـتـيـ وجـدـيـ رـحـمـهـمـ اللهـ،  
قالـ ليـ مـسـتـهـزـئـاـ بيـ، انـ تـسـتـنـجـدـ بـعـنـادـلـكـ وـبـطـيـورـ حـبـكـ  
المـدـلـلـةـ، اوـ انـ شـأـتـ تحـولـ إـلـىـ عـنـزـ بـرـيـ وـانتـظـرـ سـكـينـ  
القصـابـ!

حاولت ان احصل على شربة ماء لأبل بها ريقى فقد تخشب  
فمي من شدة الخوف. يا الهى الماء جامد لابد من تسخينه  
حتى يسيل، وانا افتشر عن عود كبريت أصابني الفزع وأنا  
أرى سلة كبيرة من الطماطة الحمراء القانية وكم تمنيت لو  
انها انقلبت باذنجان في مثل هذه الساعة السوداء، انظر في  
المرآة فارى وجهي عبارة عن قطعة لحمية حمراء، إنَّ  
الخوف يجعل لون الوجه اصفراء وليس أحمر كما أنا الآن، آه  
أيها الأحمر.

النهر نعم إلى النهر، افردت اجنبتي وطرت محلقا في سماء بغداد حيث ارتأى الدبابات وقطعاً (الحرس القومي) هناك

جثث مبعثرة في الطرق والساحات، الاقزام في كل مكان،  
الغربان غطت نصب الحرية فظهر كتابوت اسود.  
هبطت عند ضفة دجلة في منطقة تبدو خالية من الحركة، ما  
ان حدقت في النهر حتى عدت ادراجي مرعوبا، انه نهر من  
دم. توجهت نحو النهر طوايب الاقزام، مطلوب رأس النهر انه  
احمر انه احمر، صدر امر الاعدام انهالت عشرات الالاف من  
الاطلاقات النارية صوب النهر، اخذ يغلب من حرارة  
الرصاص والبارود، كلما علا صوت الرصاص علا صوت  
دجلة بالضحك هازئا بنيران وهستيريا الاقزام، اخذت تسحب  
على سطح الماء الاف الصور الحمراء فتهال عليها زخات  
الرصاص، تغطس ولكن سرعان ما تظهر ثانية تتحدى  
الرصاص، فيصاب الاقزام بهستيريا الرصاص إلى الحد الذي  
القى البعض بأنفسهم في النهر محاولا القاء القبض على  
الصور والأوراق والكتب الحمراء، خاب ظني بالاغتسال في  
نهر دجلة، قررت ان احلق صوب الفرات.

سقطت من على سريري مرعوبا من هول هذا الكابوس  
المروع، لعن الله نوم الضحى، هدا من روعي بسملات  
زوجتي وصوت الطبال في الشارع وهو ينادي: لا صوم هذا  
اليوم ولا صيام ستقطرون بكاسات الدم الحار الذي أخذ  
يفور في شوارع بغداد، ماعادت عيونهم تألف النوم وسط  
سمع الاطلاقات النارية وفوضى المداهمات لمليشيات

(الحرس القومي) للمنازل والحارات، صوم عن الطعام لوجه الله وصوم عن الكلام والاحتجاج خوفا من بطش السلطة، عم الكسد اللون الاحمر وقد اخفى (البزاون) الاقمشة الحمراء، واختفت الاربطة الحمراء، وقد ابعد البرد القارس الطماطة من الاسواق.

هب اهل الثورة وماجاورها، حمالي الشورجة وكسبة وعمال المساطر، الجنود، والالاف من الكادحين حاملين الهروات والعصي والسكاكين والخناجر (المگاویر) قبلتهم وزارة الدفاع حيث المحبوب هاتفين (ماکو مؤامره تصير والجبار موجوده) مطالبين بالسلاح لابادة موجة الجراد العفلقي الذي يريد خنق الثورة، خرجوا هذه المرة لانقاذ الحاكم ابن الشعب ممن يريدون قتله، وليس كما خرجوا صبيحة الرابع عشر من تموز لسحل جثة الحاكم وتمزيقه اشلاء.

الآن السكين توضع على رقبة آمالهم وأحلامهم ومكاسبهم، عيونهم معلقة بقرار الزعيم لفتح مشاجب السلاح، والزعيم في حيرة من أمره، الخيار صعب بين رأسه ورأس الثورة وبين انهار الدم التي ستتسيل في شوارع بغداد لا بل في كل ساحات وشوارع العراق بين قوى الفاشية وانصارها وبين انصار الثورة وجماهيرها، لقد انطلق عفريت الدم والعنف من عقاله، الآلاف بلا عقل، الكل متمسك بالعنف واففاء الآخر.

(مظلوم) وسط الجماهير الغاضبة يسترجع وقائع حلمه ولقاءه المفترض مع الزعيم، يتسائل: والآن (ابو حاتم) ما العمل؟ هل مع صوت الجماهير أم مع قطيع الذئب؟ هل ما زلت تحب الجميع وتطلب رضا الجميع؟ كيف يمكن التوفيق الآن بين الذئب المسعور وحمامة السلام؟

وعلى حين غرة أقبلت على الجموع دبابات مسرعة تحمل في مقدمتها صور الزعيم، فأستبشرت وهللت لها الجماهير، مفسحة لها الطريق لتجه صوب الدفاع، إنها دبابات الثورة، انهم ابطال الجيش وحراس الثورة، ان للثورة جيشاً يحميها (كلنه نروح فدوه لبني قاسم).

ولكن، واي لكن ماءٌ وصلت الدبابات إلى سياج وزارة الدفاع، حتى هدرت مدافعها صوب الدفاع، والاخرى صوبت رشاشاتها نحو الجماهير الهاדרة لتستك صوتها، لتفصل حناجرها بدمائهما، كسرت الدبابات سياج الرایات الحمراء الحافة بوزارة الدفاع عرين قاسم ورفاقه المهداوي ووصفي طاهر والشيخ، الطائرات بين قاصفة ومحومة فوق الدفاع ترسل بحممها الحاقدة صوب الجماهير، متناغمة مع اذاعة بغداد وصوت المهوسة الصارخة بالانتقام والحداد وهي تذيع بياناتها الشريرة الموجه قطعانها بلاحقة انصار الثورة.

الاترى يا (ابوحاتم) كيف يعمل الساسة، كيف تعمل ثعالب  
وذئاب السياسة، الا ترى كيف خدعوا الجماهير ليمرروا  
جريمتهم؟

جلال الأوقاتي سقط صریعاً في باب داره، اذاعة الكويت  
توجه الذئاب صوب بیوت وعناوین الشیوعیین المطلوبة  
رؤوسهم، رفیقك وشريك (الزاد والملح) عبد السلام عارف  
على رأس القتلة، يطالبك اليوم بتسلیمه رقبتك التي فلت من  
يده يوم أراد قتلك، والذي حسبت أنك اعتقتها منه يوم  
عفوت عنه ورافقته إلى داره كتفاً إلى كتف وكأنه ولی حمیم.  
الم تکن أسماء وعناوین ورتب وأعداد القتلة على مدرجك  
قبل وقوع المؤامرة، وأنت لا تحرك ساكناً، لا بل مشككاً فيمن  
كشف لك كل أسرار المؤامرة، أردت أن تمسكهم بالجرائم  
المشهود، لتعف عنهم بعد حين، غافراً لهم كل جرائمهم  
لتفوز برضاهما ومحبتهم، مالفائدة في خطاباتك الان  
ومطالباتك الجماهير بالدفاع عن الثورة وقادتهم في سجونك  
ومبعدين عن مجال قرارهم وفعلهم، ماذا تفعل جماهير  
عزلاء خذلتها اکثر من مرة ولم تسمع صوتها وتتجاهل  
مطالبها، رغم ذلك فهي لم تتخلی عنك رغم كل ذلك ولكن،  
فات اوان الفعل؟

ما زلت ترى انهم يطلبونك لذاتك - فتنهض لتحلق لحيتك،  
وتلمع حذائك وتأکد من قیافتک کأی عسکري منضبط قبل

أن تتلفن لهم اني مستعد للتنازل عن السلطة مقابل حقن دماء العراقيين، ومرة أخرى تقع في مصيدهم، لتسليم رأسك لهم، رافضا تسليم السلاح لمحييك، غير مدركا انهم يطلبون رأس الثورة ورأس مكاسبها، فها انت وجها لوجه امام من (عفى الله عما سلف) سيفجرون رأسك ورؤوس رفاقك دون رحمة أو سلوك شرف، كل همهم الان اخفاء جثتك عن جماهير العراقيين الغاضبة المترقبة خشية ان تشعل قتيل الثورة الشعبية، فقرروا ان يلقون جثتك تحت ستر الظلام في النهر ليحرموك حتى من مزار، خوف أن تكون قبلة الجماهير فتكون مصدر قلق لحكمهم حيا وميتا.

وأنت أيها (الحزب) ماذا أعددت لمثل هذا اليوم الأسود، وأنت تعلم أن المستهدف أولا وأخيرا هو رأسك وجماهيرك، أنصارك الذين بدد عزيمتهم تهادنك وذليلتك وتبعيتك، تبعت الزعيم والزعيم خذلك، تبعت الرفيق الأكبر، والرفيق الأكبر وقف متفرجا، تبعتك الجماهير ولكنك خذلتها، أنها الخاسرة الأكبر بين خذلانك وخذلان الزعيم، فما العمل الآن؟

أشعل سيكارته الجمهوري، وقد بلغ غضب (مظلوم) أشد، الآن (الأهل) أم كفاح وكفاح وسعوده، (الذات) أستاذ منير، نوماس، أبو لمييعه، عبد الحسين أبو شبع، محمد موسى التنجي، رضا عبد ننه، خليل جميل وووووو: (هلي يامن ضيعوني وكحه النفس ما تقبل تلين

الليل لو سد الروازين

شمسين حمره يخضر الطين).

لا وقت للحزن ولا جواب لمن يسألون عن ما جرى، يجب أخذ زمام المبادرة وانقاد ما يمكن أنقاده، بعد ماورد من أخبار غاية في السوء بالقاء القبض على العديد من أبرز قادة الحزب وكوادره المتقدمة وقد تمت تصفيه أغلبهم برصاص الحرس المسعور أو الموت تحت التعذيب، سلام عادل، ابو العيس، عبد القادر اسماعيل، حسن عوينه، جمال الحيدري وووو انها قائمة طويلة بطول عذابات العراق وال العراقيين التي لا يراد لها ان تنتهي.

يجب أبعاد أم كفاح وسعوده إلى الريف لتكون في مأمن وسط أعمامها، وعلى (كفاح) اختيار الطريق والحل الممكن لخلاصه وخلاص رفاقه وأصدقائه، حتى تنجلி الغبرة وصد هذه الهجمة الفاشية، فالأخبار غاية في السوء، فمن قاوم قتل، وقطعان الحرس تجوب الشوارع وتعتقل على الشبهات، تحولت المدارس والملاعب إلى معتقلات تحت حراسة بنادق لاترحم أوغلت في القتل والجريمة دون محاكمة أو بمحاكم صورية يديرها نفر من الحاقدين.

تشتت خلايا الحزب وقواعده وانقطعت أواصر الصلة بين أغلب تنظيماته، الآن مطلوب الفطنة والمبادرة الذاتية والتصريف الفطن السريع.

بعد ان اتقن طريقة تنكره بزي رجل دين خصصا وقد أستطالت لحيته لأنشغاله في الفترة الأخيرة ما قبل الانقلاب، والبس ام كفاح وسعوده (البوشيه) أستطاع ان يوصلهما إلى مدينة النجف، ثم رافقهما للقرية احد اقاربه لينضما إلى عائلة عمه والد ام كفاح، ثم عاد إلى بغداد، متمنكرا بزي ابن الريف قاصداً كوخ صديقه العريف (حسن سريع) في سعيدة، الذي جمعته به علاقة صداقة ورفقة حميمة حينما كان يعمل في المطبعة، وكان لهم آراء وأحلام وتطلعات مشتركة، وقد نشأت وتطورت بينهما علاقات عائلية على مستوى الأسرتين آنذاك.

اما (كفاح) فعلم انه قرر ان يغادر العراق عبر البصرة فايران، فالاتحاد السوفيتي ان نجح في اجتياز الحدود بمعونة احد الرفاق من حزب (توده) الايراني.

قصد (حسن) إلى كوخه في (سعيدة) بعد ان عاد من الدوام في معسكر الرشيد، فرحب به (حسن) ترحيباً كبيراً، وانذه بالاحسان بعد طول فترة عدم لقاء بسبب الظروف الغير ملائمة المتلاحقة، اعد له وجبة غداء تليق به، افترشا حصيراً (الخصوص) وتناولوا وجبهما وهما يتبدلان الحديث والاخبار المؤلمة، وما جرى وما يجري من انتكاسة كبيرة للحركة الوطنية العراقية، نتيجة الانقلاب الفاشي الذي دمر كل شيء، لم يمس (ابو كفاح) حماساً واصراراً كبيراً من لدن (حسن) على

مواصلة طريق الكفاح رغم كل الصعوبات، كما انه لمس تقارب وجهات نظرهما في فهم وتفسير ما حدث، فقررا العمل من اجل اعادة البناء، وتواصل مسيرة الكفاح وتحقيق الاهداف النبيلة في (وطن حر وشعب سعيد)

طلب (ابو كفاح) من حسن ان يفتش له عن عمل، خصوصا وانه ناقش مع نفسه الكثير من الخيارات التي تناسبه من حيث حرية الحركة والتمويه في مثل هذه الظروف الغاية في الصعوبة والخطورة، وتوصلت ان افضل عمل يمكن ان يناسبني حاليا هو (فلاح) أو (حدقجي)

أي والله خوبه ياريت تشوفلي شغله فلاخ حدائق للناس التحتاج (حدقجي) وبيش ما چان، واني عندي چم فلس اشتريلي بيهن بايسكل حتى اگدر افتر عله البساتين والبيوت، وبعدين هاي الشغله راح تبعد عنی العین . وتفسحلي المجال بالحركة في مختلف المناطق ودخول مختلف الدور.

استحسن (حسن) مقترح رفيقه كثيرا معجبا بحماسه وفطنته وذكائه، وخبره بأنه سوف يكلف احد معارفه فلاخ حدائق وبساتين حتى يدبرله هاي الشغله واعتقد هو محتاج هچي واحد.

بعد مرور ثلاثة ايام، قضتها (مظلوم) بعيدا عن اماكن تواجد القوى الامنية والحرس القومي، اخبره (حسن) بأنه عشر له على عمل، وسيعرفه مساء اليوم بصديقه الفلاح، الذي سيدهله

على أماكن عمله، فقد اخبره ان (ابو كفاح) (شمران) ابن عمه، وقد ضاقت به مدينة كربلاء فقرر البحث عن عمل في بغداد، وبالفعل تم له ذلك، حيث اعاره (حسن) بنطلا قدماً، وقميصاً من قمصانه، واضعاً منجله في حزامه، ورابطاً (الكرك) على الدرجة، مرافقاً سيد نعمه الذي استأنسه كثيراً، وبعد ان افطراً سوية عند احد باعة (الشوربة) اصطحبه إلى اصحاب الدور الذين هم بحاجة إلى خدماته لتنظيم والاعتناء بحدائقهم التي كان هو يعمل فيها والآن هو مضطراً للانقطاع لأنّه حصل على عمل (فراش) في احد المدارس الحكومية، كذلك فإنه سيحصل له على عمل في احد البساتين القرية متى ما اراد ذلك.

وهكذا كان، ثبت (شمران) عناوين ومواقع واسماء اصحاب البيوت في ذاكرته، باشر عمله في حديقة دار احد الاطباء، بعد اكمال مروره بالجميع واتفق معهم على أوقات عمله حسب جدول يمكنه من رعاية كافة الحدائق.

خلال مزاولته على العمل تعرف على العديد من الشرائح الاجتماعية، ولم يمس مدى الاختلاف بين عائلة وآخرى من حيث التعامل، كذلك على اذواق اهل الدار في حبهم للخضرة وانواع وأشكال النباتات والزهور والوانها، ومدى انسجام وتناسق الوان طلاء الدار، وأسلوب لبس وأشكال مختلفة من الملابس، وقد كان يحدس من خلال ذلك على

طبيعة ومنهج حياة هذه العائلة أو تلك، ووفق فرضياته واستنتاجاته هذا قرر طريقة التعامل مع هذه العوائل، مع انه حاول عموما ان يظهر بمظهر الفلاح الساذج الامي البسيط، عبر لهجته وملابسها، وعدم فهمه لمفردات الانسان المديني والمثقف، ناهيك عن الابتعاد عن كل ما يتصل بالشأن السياسي، وقد كان يتقبل على مضض بعض الهدايا والاعطيات من الملابس وبعض المأكولات والاكراميات المالية، وكان غالبا ما يستجيب للمساعدة في عديد من الامور وان كانت خارج مجال عمله، ناهيك عن غض بصره وعفته وامانته وطبيته والتزامه الصارم بمواعيده ووعده، ومبادراته الدائمة لتكون الحديقة اجمل وانظر، مما جعل اغلب العوائل تألفه بسرعة وتعتبره مقربا من الاسرة تحرص على ادامة علاقتها به.

لفت نظره احد القصور الشامخة حين دخولها، فقد كان اللون الاصفر طاغيا على جدرانها واقسامها، الحديقة تنتظم فيها الزهور صفراء اللون، فيما تماثيل اسود ونمور وذئاب. ناداه بصوت بدوي من داخل الدار: تفضل بي، تفضل يولد دش، هلا بيک هلا بيک.

اگعد هيـن، اگعد هيـن، وشـسمـك يـولـدـ؟  
كان شيخا ضخـمـ الجـثـةـ، يـهـيمـنـ البيـاضـ علىـ شـعـرـ رـأـسـهـ  
ولـحـيـتـهـ وـشـوارـبـهـ، تـكتـسـيـ اـسـنـانـهـ بـالـلـوـنـ الـاـصـفـرـ، فـقـدـ كـانـتـ

السيكاراة لاتسقط من يده، يمسك بيده الضخمة عكاز ذو قبضة ذهبية، يتکأ على كرسي مجلل بجلد نمر، معلق على جدار الغرفة عدد من السيف والخناجر، وبنادق مختلفة.

نعم حجي أسمى (شمران).

من يا منطقة أنت؟

آنی من أهل العمارة حجي.

أها يعني أنت شروگي يولد؟

مثل ما تگول يمحفوظ.

نادى على شاب أسمى ليحضر القهوة، حاملا (دلة) فضية اللون، مقدما للشيخ ولـ(شمران) فناجين القهوة المهيلة، وبينما هما يرتشفان القهوة، دخل الديوانية شاب كثير الشبه بالشيخ يرتدي زي (الحرس القومي) خلفه ثلاثة منهم يحملون رشاشات البور سعيد.

ودون أن يلقي السلام، مستفسراً باستغراب من الشيخ: كيف سمحت لهذا الشروگي أن يجلس في مجلسك ياشيخ؟  
أنه ضيفنا ولدي وللضيف حق الضيافة، ديوانيتي ليست مقرا للحرس يجب ان تفهم هذا.

قال هذا والتفت إلى (شمران) قائلا: رح شوف شغلك بالحديقة يا ولد (شمران) في حين رن جرس الهاتف طالبا (حردان) الذي يبدو قائدا من قادة الحرس القومي، فتبادل الحديث مع المتكلم على الطرف الثاني، قائلا بانهم

منشغلون جدا في متابعة خيوط تحاول اعادة بناء خلايا تنظيمية جديدة للحزب الشيوعي، وخصوصا في الجيش، اظهر (شمران) ت Shawqale في قلع الحشائش الصفراء عن ارض الحديقة في حين كان مركزا انتباهاه إلى مجريات المحادثة التليفونية ل (حردان) مع رفقاء.

فشعر (شمران) انه الآن وفي المستقبل سيكون قرب عدوه اللدود، وتحت حمايته، وسيكون مصدر معلومات هامه بالنسبة له ولرفاقه، وعليه أن يتعامل مع (الشيخ) ومع ولده بذكاء كبير وفطنة، تبعد عنه كل شك في الوقت الذي تمكنه من الحصول على الرعاية والمعلومة.

كان (شمران) لا يعود إلى كوخ حسن خالي الوفاض بل يجلب ما يحصل عليه، ويشتري ما امكنه من خضرة أو فواكه فكمية من اللحم قدر المستطاع، وان كان (حسن) كان ينزعج ولا يوافقه على ذلك، فهو ضيفه وهو غير عاجز عن ضيافته، فكان (شمران) يردد بسؤال: السنا رفاق السنـا اخوة؟ أذن لا بد أن نتعاون ونشترك في ادارة أمور حياتنا سويةً. فيسكن حسن مذعنا لقوة حجة رفيقه.

اثناء تناولهما ل الطعام الغداء أخبر حسن بما حصل له اليوم في دار الشيخ (ابو حردان) أحد قادة الحرس القومي وأ تعرض له من الاستجواب من قل الشيخ، ومضمون المحادثة التليفونية للحرس القومي، ومدى اهتمامهم بمتابعة الخيوط التنظيمية

للحزب وخصوصا في الجيش مما يستدعي المزيد من الاحتراز والحيطة والحذر من الأندساس أو أنهيار أحد العناصر، وعدم الترثرة في الأماكن العامة، أشبعا الأمر نقاشا واتخاذ بعض التدابير الضرورية لصيانة العمل.

كان حسن يبدو لـ(شمران) غاية في الانشغل والانهمام بأمور شتى غير معروفة بالنسبة له ولا يمكنه انبطاب منه معرفتها، ولكن ليس من الصعوبة حدس أن دماغ حسن منشغل بأمر غاية في الأهمية والخطورة، ولا شك أنه يتعلق بالحزب والوضع السياسي القائم.

كان أمر إعادة الصلة بقيادة الحزب هو جل ما يشغل بال (شمران) لذلك فقد كان يقوم في كل يوم بجولة في مختلف مناطق بغداد عسى أن يتلقى بأحد الرفاق ممن له صلة بالحزب، أو ممن يريد التواصل، يعني كانت مهمة مزدوجة في لم شتات الرفاق وأعادة صلتهم بالحزب، وقد كان لا يخفى كونه يعمل فلاحا في بيت الشيخ (أبو خالد).

كانت (غزاله) الشغالة في دار أحد الأساتذة الجامعيين، امرأة لم تغادرها حيوية ونظارة الشباب بعد، سمراء عيناء مربوعة، تفيض ملاحة ولطفا وعدوية وطيبة ابنة الجنوب، تزين، مابين حواجبها، وعلى خديها، وشم أزرق أمتد من حنكتها على مقدمة رقبتها، أستلطفت (شمران) كثيراً، وغالباً ما ترهف السمع له وهو يدندن بصوته العذب احد أغانيه الريفية المثيرة

للطرب والشجن، كانت (غزاله) تختلق الأعذار لتكوين بالقرب منه في حديقة الدار، فمرة تجلب له الماء أو الشاي، واحينا (لفة) اكل، أو فاكهة، مما جعل سيدتها تضطر أحيانا لمناداتها أو تخرج للحديقة لتفقدها لحثها على القيام بعمل ما، وقد كانت تلحظ أهمتامها بتنظيف الحديقة عند حضور (شمران) فتظهر على محياتها ابتسامة ذات مغزى، فتغمزها: ها عيني (غزيله) عيني الحديقه دينظفها (شمران) انت شدتسيون.

ها عمه مثل متگولين صدگ الحديقه مخلية (شمران) ترگص رگوص، ورد الجوري والرازقي صایر يخبل من ریحته وحلاته، عمه من اچه (شمران) اچت للحديقه روح جديده، شو فيه شلون حنين ويه الورد والاشجار، والثيله، وريحته ترد الروح.

أي عيني الله يخلية، بس يلله تعالى بسرعه شوفي شغلچ بالمطبخ.

صار، صار عمه، عيني فدوه لعيونك (شمران).

غالبا ما يشعر (شمران) بالاحراج، وهو العليم بما تريده هذه -(الغزاله) ولكن هو الان باي حال، ياليتها تعلم ما انا فيه (خايهه اني وين وانتي وين) وقد نقله خياله إلى ايام الفتوة والشباب وذكريات الحب والعشق والغرام، ولكنه الان هائم

في عالم آخر، هو الان عاشق لقضية كبرى هيمنت على كل حياته.

بعد ان تناول قدح الشاي وقطعة الكيك التي جلبتها له (غزاله) اخرج باكيت الجمهوري، ولع سيكارته، وقد لاح له خيال حبيته ورفيقه دربه حياة، وولده كفاح، وعزيزته (سعوده) نفت دخان سيكارته على شكل دوامة من دخان، اثارت تحسس وريقات ورد الجنبد الاحمر.

واصل عمله حيث قام بتشذيب النخلات، التي تصورهن لجمالهن وصفوتهم كانهن صبيات مراهقات، مقللة صدورهن بـ(عنق) التمر البرحي، كانها نهود متمرة.

قام بازالة السعف اليابس، والكرب الزائد، كحلاق يقوم بتجميل وتصفيف شعر فتاة في يوم عرسها، يجعلها يصف لها سعفاتها يزيل من حولها الاعشاب، يعدها عروسا مدللة في احضان امها الطبيعة، تستعد لاستقبال عريسها ليلة الزفاف، يسرح في خياله، واستمتعه بعمله وكأنه في بستان اهله ايام فتوته وشبابه وسط مزارع ورائحة عنبر المشخاب.

لم يصح من تخيلاته الا بعد أن وضعت (صينية) الغداء امامه بيد (غزاله) بامر من سيدة المنزل وهي موظفة في احد دوائر الدولة، تتمتع بنبل الخلق والانسانية الطافحة بالمحبة والكرم خصوصا عندما تكون في الدار عند مجيء (شمران) لدارهم.

تناول غذائه الشهي من التمن العنبر، ومرق البابيء ولحم الغنم، والخبز الحار متمنيا لو شاركه بها رفيقه (حسن) بعد ان اكمل ناولته (غزاله) قدحا من الماء البارد وقدحا من الشاي محاولة ان تتلامس اصابعها مع اصابعه (يلزارع البزنگوش ازرعلي انه ورده) يتحرز ويتحرج (شمران) كثيرا يتناول القدح بحذر، شاكرا لها حسن رعايتها، متابعا مشيتها المتباخترة وهي تجر عجيزتها الرجراجة المشتهاة، وضفيرتها التي تناسب على ظهرها معانقة مرتفاعات وركها الهزاز وهي تسير في ممر الحديقة أمام ناظريه.

جمع اغراضه، ثم قاد دراجته موعدا اهل الدار.  
خارج الدار ثبت (الكرك) على الدراجة، مع حزمة من سعف النخيل، والكرب، ليستفاد منه وقودا لتتور بيت حسن، وهو يقود دراجته قبل ان يركبه في الشارع العام، احس بوقع خطى تتبعه، التفت فشاهد غزاله تسير خلفه.

ها عيني (شمران) آني هم رايحه ليبيته، عمتي انطنتي اجازه اليوم، لك عيني اني اشم بيک ريحه اهلنه، والله داده من اشوفك ترد روحي، ومن اسمعك تندنن بصوتك الحلو تذوب روحي.

عيني (غزاله) انا اشكريچ هوایه على اهتمامچ بي، ولطفچ، وهاي اهيه طبائعنه احنـه الفقره واحد يحن للثاني. بس اتي منين وشجابچ لهل الشغلـه؟

ولك داده انه جابني الوكت، اني اطوني لرجال شايب فصليه،  
ما عشت وياه سنه وراح لدار حقه، ورديت انه لهلي،  
الساكنين بمدينة الثورة، بعد هدم الزعيم الاكواخ وبنى لنا  
دورا جميلة تأوينا، وحالتهم تعانه حيل، فاضطررت اشتغل  
هل الشغله عد هذوله الناس الطيبين، الله يطيهم ما مقصرين  
ويایي، يطوني ثلث دنانير بالشهر ولبسي واچلي عليهم،  
ويكرموني بالمناسبات، ويطوني الملابس الزايده واكل، اخذه  
لامي وابوي واخوتي.

چان جيرانه خوش آدمي راد يشوفلي شغل بمعمل الزيوت،  
لكن مناعيل الوالدين، حبسوه وره ما كتلوا الزعيم الله يرحمه،  
وبعد ماعرفه عنه أي شي، يگولون چان شيوعي، من صار  
الانقلاب عليه الزعيم، چان عدنه (أميمين) أشو من أجوا  
الحرس القومي، نزع صايته وعمامته ولبس حرس قومي وگام  
يلگط بالوادم نسوان وشبان وشياپ، علبو شيوعيه لو من ربع  
الزعيم، يريد ياخذ بشاره والله ليش نزلوه من المنبر لأنه حرم  
عله الفلاح اخذ الكاع من الاقطاعيين حسب قانون الاصلاح  
الزراعي، وگلب الدنيء عليه القانون الي اطه حقوق المره.

عيني وينك يلزعيم، دمعة عيونها وهي تخرج مدايلية معلقة في  
صدرها تحمل صورة الزعيم، خويه صدگ شافوا الزعيم  
بالگمر؟

ابتسه، (شمران) قائلًا: (غزاله) شدي حيلچ و ديري بالچ عله  
اهلچ و شغلچ، وماکو شده واله فرج. وهسه الله وياچ.  
الله وياک عيني ومصحوب بالسلامه، من فدوه اروح لهل  
الجهامه.

احسن (شمران) بانه يمر بمازق جديد، لا يدرى كيف سيتعامل معه، يبدو ان هذه الفتاة قد وقعت في عشقه، والنساء عندما تعشق تكون كالمحجنون، لاتفكر بعقلها ابدا، وانما تكون تحت هيمنة عاطفتها، انها شابة تعرضت للظلم والحرمان والقهر الاجتماعي في ظل تخلف العادات والتقاليد الاقطاعية والعشائرية السائدة، وهي تحاول بكل وسيلة ان تعيش في كنف رجل يرعاها ويحترم مشاعرها ويحرص عليها، يشعـل لها رغباتها الجسدية والروحية.

ولك هاي شلون شغله (يمظلوم) لو (حرس قومي) لو (غزاله)  
ها يشنلون راح تراوشه، هسه (الحرس القومي) ومگدور عليه،  
لكن هاي الراح تغط بالحب شنسويله؟

من أجل ان يعطي لنفسه فسحة من التأمل لما هو عليه، تأمل المزيد من الظواهر التي يشهدها البلد في هذه الأوقات، عليه ان يدور الاحداث في مشغله الفكري والمعرفي لغرض تظهيرها على حقيقتها، ما هو الرئيسي وما هو الثانوي في طبيعة الصراع الدامي الجاري في البلاد، في ظل بلد ودولة ريعية، تعتمد الثروة البترولية مصدرا رئيسا للدخل، لم تهتم

بتطویر ولا بتدویر عجلة العمل المنتج، أدخال المجتمع فيأتون الثقافة الأستهلاکية، وبالتالي المزيد من الأضعاف للطبقة البرجوازية الوطنية المنتجة، ونقیضها الطبقة العاملة، مع تبعية موضوعية للطبقة المتوسطة للسلطة الحاكمة، لأنها مستوظفة عندها ولا تمتلك ذاتها واستقلاليتها كما هو الحال في المجتمعات الصناعية المتطرفة في البلدان الرأسمالية، وكل الشواهد تشير إلى فشل نظرية ومنهج التطور الرأسمالي صوب الأشتراكية بقيادة البرجوازية (الثورية) وهذا كما تصورها مروجا هذه النظرية، فالطبقة الحاكمة هي خليط من بقايا الأقطاعية والبرجوازية الطففية التابعة بما يمكن وصفها بالطبقة (الأقطاعية).

إنَّ حالة الميوعة الطبقية وتدخل الطبقات الاجتماعية ببعضها، وتحولاتها جماعات وأفراداً من حال إلى حال ومن موقع إلى موقع، لا يمكن أن يخلق ولا يمكن أن ينتج طبقة عاملة واعية لذاتها، تتمكن من رفع رأية الكفاح من أجل إقامة المجتمع الأشتراكي، مما يتطلب أن تكون هناك شريحة ثورية واعية لا وعيها وتردي موضوعها تمسك بالسلطة السياسية، تعمل من أجل تطوير وتشویر طبقات اجتماعية متنجة مستقلة عن المركز الرأسمالي الأستغلالي، وهذا يتطلب العمل من أجل تحقيق ذلك بالاستيلاء على السلطة بالقوة سواء بانقلاب عسكري، أو بثورة شعبية مسلحة.

حينما توصل إلى هذا الاستنتاج أخرج علبة سكائره مشعلا سيكاره الجمهوري الحارة، نفثا دخانها بعيدا كمن يزيل عن صدره هما ثقيرا، يشعر وكأنه تلميذ تمكّن من حل مسالة رياضية في قاعة الامتحان.

ركب دراجته وسار مسرعا خشية ان يتأخّر عن وقته المحدد إلى دار (حسن) مما قد يثير مخاوفه وقلقه عليه، كما انه يشعر بأنه حامل اليه حل معضلة فكرية كبيرة ستطرد حالة الضبابية والغموض المهيمن على الوضع السياسي والاجتماعي العام في البلاد، يشعر بأنه قد وجد مفتاح الحل الذي يجب اتباعه لبناء (وطن حر وشعب سعيد) يعطيه هذا الشعور قوة مضافة للضغط على دوامة الباسيكيل ليندفع مسرعا متّهما الشارع الأسفلي صوب قرية (سعيدة)

ييد انَّ غنج ومحبة وشاي (غزاله) قد فتح مغاليق الألغاز ويدد ضباب طريق الخلاص، ولا أدرى مالذي يشغل رأس (غزاله) الحلوه الآن؟

حينما وصل الدار، وجد (حسن) يتّظره بلهفة وقلق، ولم يتناول غداءه لحد الآن.

اعتذر وطلب منه أنْ يتناول غداءه لأنَّه لا يستطيع الأكل فقد تغدى في بيت أحد أصحاب الحدائق، أنزل سعفات التخييل والكرب واضعاً ايها خارج الدار، ثم دخل دراجته، وقرر أنْ يعمل الشاي بنفسه هذا اليوم، وهم يتناولون الشاي شرح له

ما توصل اليه بخصوص الحل الشوري لما يجري الآن ووجوب أستلام السلطة من قبل الحزب والقوى الديمocrاطية في العراق وبدون ذلك لا يمكن تحقيق استقلال البلد ورفاه الشعب.

كان حسن في غاية السرور لما طرحته (شمران) وكأنه كان يتتظر منه مثل هذا القرار الثوري المصيري بالنسبة لهم، مما فتح الباب على مصراعيه لحسن ليكشف لشمران ما قرره (المجلس الشوري) من العسكريين والمدنيين الشيوعيين للإعداد والتحضير لانقلاب عسكري انطلاقاً من معسكر الرشيد للقيام بالثورة ضد الحكم القائم، تحمس (شمران) كثيراً لما يخطط له رفاقه بعد أن اطلع على بعض التفاصيل ومنها تاكده من وجود صلة وتنسيق مع قيادة الحزب حول الأمر، وقرر تعريفه بـ(محمد حبيب) و(حافظ لفته) لغرض تدارس جميع الخطط ومستلزمات التحضير للثورة وضمان نجاحها،

أخذ (شمران) يضاعف من نشاطه قاصداً الأماكن التي يتوقع أن يلتقي خلالها ببعض رفاقه القدامى والمنقطعين عن العمل، وقد تمكّن بالفعل من إعادة صلة فردية بالعديد منهم من العمال، وصيادي الأسماك، وعمال المطابع، والكسبي، موضحاً لهم نية الحزب في الأعداد للثورة وأستلام السلطة وعليهم أن يكونوا جاهزين لهذا العمل في وقت التنفيذ، ولا

يأْلوا جهداً في إعادة الصلة بمن يثقوون به من الرفاق  
والاصدقاء المنقطعين.

كما أَنَّه وحسن كانوا يسهرون حتى ساعات متأخرة من الليل  
لمواصلة متابعة نشاط رفاقهم ورسم المخطوطات في كيفية  
التحرك حينما تحين ساعة التنفيذ، كما كانت تصلكم  
ملاحظات وآراء رفاقهم الذين كانت لهم عدد من المناطق  
ومحلات للقائهم وأجتماعاتهم غطت أغلب مناطق بغداد  
الشعبية ومنها محل خياطة (حافظ لفته) خلف السدة، وستديو  
شاهين للتصوير في بغداد الجديدة، وكوخ صغير في كمب  
ساره، ومخبز في منطقة الجوارد بالثورة، ومقهى ابو حسن  
(دي لوكس) في ساحة الطيران، بالإضافة إلى العديد من  
المقاهي والدور السكنية في مدن الثورة والشعب والحرية.

كما أَنَّ التنظيم أُوجد له نواة عسكرية ومدنية في باقي  
المحافظات وخاصة الوسطى والجنوبية، وقد وضعت عدة  
تواریخ للقيام بالثورة منذ ١٩٦٣-٥-١٥ والتي تم تأجيلها  
بسبب حالة الانذار للحرس القومي، نتيجة لصراعهم ضد  
القوى الناصرية الحليف للبعث والذين تم أبعادهم فيما بعد.  
كان (شمران) يحصل على معلومات هامة جداً من دار  
(الشيخ ابو حردان) عن طريق متابعة أحاديث حردان مع رفاته  
في الدار أو في التلفون وعن خطط الحرس القومي ضد  
الشيوعيين، وعن ما حصلوا عليه من معلومات وما قاموا به

من اعتقالات لناشطي الحزب وأصدقائه، وقد كانت هذه المعلومات ذات أهمية كبيرة لقادة (الثورة) وما يتخذونه من أجراءات وقائية سريعة.

لقد كانت (غزاله) مصدراً كبيراً للمضايقه وأحراجه، ولم تنفع معها جميع الأعذار لتبتعد عنه، وكاد أن يتورط معها في ممارسة حميمة حينما زار الدار ولم تكن سيدة البيت موجودة في الدار لانشغلها في الدوام، فقد رمت غزاله نفسها عليه متهمة ايها بقبل لاتنتهي، حركة كافة كواطن غريزته، لتهيمن على كل سحب الالم والهم والانشغالات الكبرى، فتستيقظ مجنونة فوارة أما اجراءات جسد (غزاله) ومداعباتها المثيرة، لم ينقدرها من هذا الموقف الا عندما رن جرس الباب من قبل (الخبازة) التي جلبت لهم تخصيصهم اليومي من خبز التنور الحار، وخلال ذهاب غزاله لجلب الخبز، أستطيع ان يعيده التوازن إلى نفسه ويكتب جماح غريزته، وقد أقترب موعد قدوم ربة المنزل من الدوام، رغم تشبع (غزاله) به وأنهmar دموعها في حضنه، رفع رأسها من حضنه، ماسحاً دموعها واعداً ايها بأنّه سوف لن يخذلها لو توفرت ظروف مواتية، وأستطيع أن يتخلص مما هو فيه من هم وكدر بسبب مرض والدته، وسوء صحة ولده وابنته في القرية وقلقه الكبير عليهم، تشغل عنها في زراعة بعض أعاد زهور جديدة وتعديل التربة حتى تأتي ربت البيت وأسلام

أجرته التي استحقها في هذا اليوم وهو بأمس الحاجة إليها الان.

أحضرت له (غزالة) طعام الغداء كالعادة، وسلمته أجره من السيدة مضافة لها أكرامية محترمة تقديرًا لجهوده المتميزة في العناية بالحديقة.

حمل أدوات عمله مثبتًا إليها على دراجته، وقد شيعته من باب الدار غزالة بحسرات حرى ودموع ظاهرة حاولت أن تواريها عن سيدتها التي أمرتها بتحضير الحمام، وتهيئة طعام الغداء للعائلة، فسيدها على وشك الوصول من المكتبة، حيث يحضر ويبحث في الكتب المهمة بتاريخ العراق القديم، تاريخ الأسطورة، وتاريخ الحركات الثورية في بلاد الرافدين في مختلف العصور.

حاول (شمران) شراء بعض المستلزمات الضرورية للتحضير للثورة المقبلة، كالحصول على بعض البدلات العسكرية، والرتب، وتوكيل بعض بعمل قطع قماش تحمل مختصر مقاومة شعبية (م. ش) لترتبط بالساعد لغرض تمييز الشوار عن غيرهم، اثناء بدء الحركة مع علبيتين من سكائر (الجمهوري) والله ي (مظلوم) لو مو هل الوضع الي احنه بيه مال گعدت (زحلاوي) وسمچ مسگوف، راحت ايامك اسطه جمال.  
حبستي حياة رغم مرارة فراقكم أيتها الحبيبة انت وعزيزتي (سعوده) ولكن مارات حكم الفاشست ليس لها حدود، ومن

مثلك لا يحتاج أن أشرح له ما نحن فيه، وجسامه المسؤولية  
الملقاة على عاتق كل مناضل للخلاص من هذا الطاعون  
الأسود، اغتالوا أحلامنا اغتالوا أحلام القراء، أُغتالوا الحرية،  
قتلوا ومثلوا وأستهروا ولابد من الثورة، كلنا أمل باننا  
سنتحقق آمال أحرار العراق، كلنا أمل بأننا سنتحقق أحلام  
الشهداء اللذين اغتالتهم الفاشية ومزقت

أجسادهم هذه الذئاب المسعورة، حبيتي الغالية لا يمكنني  
العيش في ظل العبودية والقهر، لا يمكنني العيش ورفاقي  
يذبحون، وشعبي يعذب، لذلك قررت اما حياة حرة سعيدة  
واما فلا معنى للحياة، حبيبي ربما نلتقي في مهرجان فرح أو  
ستلتقي أرواحنا بعيدا عن رقابة الفاشية.

لم تفارق فمه سيكارته الا لتخلفها ثانية حتى وصل إلى كوخ  
(حسن) فالليوم لقاء تقرير المصير وبغداد على موعد مع فجر  
جديد، وجد حسن منهمكاً وهو يحدث نفسه، يرسم على  
الارض ويمحو ثم يرسم، ادى التحية وجلس قربه، تذاakra  
حول أجتماع الليلة للتوصل إلى قرار لاختيار موعد جديد  
لأنطلاق الثورة.

ما ان حل الظلام حتى بدء الرفاق بالتقاطر على الكوخ، بازياء  
وهيئات مختلفة، أغلبهم جاء على ظهر دراجة هوائية او  
بخارية، بعد أخذ كافة الاحتياطات حتى يكونوا بعيداً عن

أنظار السلطة، وانَّ عنوان تجمعهم المعلن هي (مشية) صلح لزميلين متخاصمين في العمل.

افتتح حسن الاجتماع بشرح عام لطبيعة الأوضاع الحالية، ومراجعة أغلب التطورات ونضوج أغلب الاستعدادات مما يتطلب تحديد ساعة الصفر لأعلان الثورة، فتح مجال النقاش والمداخلة لإغلب الحاضرين لأبداء آرائهم وملحوظاتهم لتكون الخطة محكمة والموعد لاتشوبه ايَّة محاذير تكون المفاجأة مذهلة ومربيكة للعدو.

خلص المجتمعون إلى تحديد فجر يوم ٢٤-٦-١٩٦٣ من حيث المبدأ موعداً لأنطلاق شرارة الثورة، وستكون كلمة السر هذه المرة (فهد) ويكون انطلاقها من موقع "دبابات" أبو غريب نحو الأذاعة في الصالحة لأذاعة البيان الأول للثورة، انفض الاجتماع على أن يتم التواصل في الأيام اللاحقة ومتابعة التطورات والمتغيرات، معأخذ الحيطة والحذر والكتمان الشديد لتفادي المخاطر التي قد تجهض الثورة.

خرج المجتمعون الواحد تلو الآخر وكل منهم يشعر بدنه موعد النصر والخلاص القريب، خصوصاً وأنَّه قرأ الأصرار والحماس والاستعداد للتضحية في عيون كل الرفاق. في حين واصل (حسن) و(شمران) نقاشهما في الشأن العام والخاص، وقد عرض (شمران) على رفيقه خيار تركه لعمله في حدائق البيوت، للعمل في أحد البساتين، مما يوفر له

سكننا مستقلًا ليكون بمثابة وكر جديد يضاف إلى الأوكر  
الحالية، كما أنه يخفف من الضغط عن (حسن) وكوخره،  
وربما يفكر في دعوة (أم كفاح) لتعيش معه في هذا الكوخ،  
فالآن (حسن) مبتسمًا: ها رفيق يبدو أنك لم تعد تحتمل فراق  
أم (كفاح)؟

تريد الصدّيق أبو فلاح فرگتهم صعبه، لـاـکن مو هذا القصد،  
آنـي أـفـکـرـ بالـأـفـضـلـ لـتـطـوـيرـ عـمـلـنـاـ وـأـبـعـادـ الشـبـهـاتـ عـنـاـ.

آنـيـ ويـاـكـ أـبـوـ كـفـاحـ،ـ بـسـ أحـنـهـ عـلـىـ وـشـكـ أـعـلـانـ الثـورـةـ وـلـاـ  
ندـريـ كـيـفـ سـتـسـيـرـ الـأـمـورـ،ـ خـلـيـهـمـ الـأـهـلـ الـآنـ عـلـىـ مـاـهـمـ  
عـلـيـهـ،ـ وـبـعـدـيـنـ خـلـيـ تـواـجـدـنـهـ سـوـيـهـ يـصـيـرـ حـالـةـ مـعـتـادـةـ أـوـلـادـ  
عـمـ عـاـيـشـيـنـ سـوـيـهـ حـتـىـ نـبـقـىـ عـلـىـ تـوـاـصـلـ مـسـتـمـرـ وـهـوـ  
مانـحـاجـهـ فـيـ الـظـرـفـ الـحـالـيـ،ـ وـوـضـعـنـاـ الـآنـ لـاـيـشـ الشـبـهـاتـ.  
خلـصـ كـمـاـ تـرـىـ أـبـوـ فـلاـحـ الـعـزـيزـ،ـ وـنـشـوفـ شـلـونـ نـراـوـسـهـ وـيـهـ  
(الحرـسـ الـقـومـيـ)ـ وـيـهـ العـاشـقـةـ الـولـهـانـهـ الـبـطـرـانـهـ (غـزالـهـ)ـ؟ـ

الحرـسـ الـقـومـيـ اـنـتـهـ تـلـفـهـ وـتـلـفـ أـبـوهـ،ـ وـظـلـ الزـلـمـهـ فـاـيـدـنـهـ  
بـمـعـلـومـاتـ مـهـمـهـ،ـ وـهـوـ مـصـدـرـ مـعـلـومـاتـ مـوـثـوقـهـ وـلـاـيمـكـنـ  
الـاسـتـغـنـاءـ عـنـهـ فـيـ الـوقـتـ الـحـاضـرـ،ـ اـمـاـ (غـزالـتـكـ)ـ فـهـلـلتـ اـنـهـلـهـ  
بـيـهـ وـلـاـتـكـسـرـ خـاطـرـهـ،ـ هـهـهـهـ.

التـفـضـلـتـ بـيـهـ أـبـوـ فـلاـحـ صـحـيـحـ،ـ وـهـاـيـ الـمـسـكـيـنـهـ اـتـمـنـهـ تـلـگـالـهـ  
ابـنـ حـلـالـ تـشـارـكـهـ حـيـاتـهـ بـامـانـ،ـ وـاـيـامـ گـبـلـ رـاحـتـ وـيـهـ اـهـلـهـ،ـ  
وـحـنـهـ اـتـعـلـمـنـهـ مـاـ نـوـعـدـ وـنـخـلـفـ.

وهساه اسمع عووهه (ديج المختاضه) هاك هاي جكاره خلصه  
ولف راسك ونام وراك غبشه للدوام. تصبح عله نصر تصبح  
عله خير.

تصبح عله خير وسلام (ابو كفاح).

قبل موعد التنفيذ بعدت أيام تم تأجيل الموعد الى ٥ تموز ١٩٦٣ والذي تغير إلى يوم ٣ تموز ١٩٦٣ لعدة أسباب من بينها قيام الحرس القومي بأعتقال ضابطي صف قياديين في الحركة، ونقل أحدى الوحدات العسكرية في نفس اليوم إلى كردستان العراق، وكان في الوحدة عدد من أنصار الحركة، وقد لوحظ أزيدية نشاط ومداهمات الحرس القومي ضد العديد من العناصر من أعضاء الحركة وأنصارهم وقد عثروا عند بعضهم قطع من القماش تشد على الذراع وكتب عليها حرفياً (م.ش) أي مقاومة شعبية، وأستخدام شتى أنواع وأشكال التعذيب لانتزاع اعترافاتهم على ما كان يظنونه مجرد (تنظيم جديد) للحزب مستبعدين قدرة أية قوة على القيام بشورة أو انقلاب عسكري نظراً لأنها جميعاً بقيادة البعضين وتحت سيطرتهم.

وقد وصل إلى سمع (شمران) عن طريق (خالد) قائد الحرس القومي بأنهم تمكروا من مسك رأس خيط لتنظيم جديد للشيوعيين، الذين أصدروا عدداً جديداً من جريدة لهم الرسمية السرية، وانَّ القوى الأمنية والحرس القومي سيقومون بشن

حملة واسعة النطاق لأعتقال كل المشتبه بهم، مما جعل أمر التنفيذ غير قابل للتأجيل.

في كوخ صغير، مفروش بحصاران سعف التخييل، تم أجتماع (اللجنة الثورية) بمن فيهم (حسن، وشمران، ومحمد حبيب، وقاسم محمد، ورئيس العرفاء كاظم البندر وغيرهم) تم وضع اللمسات الأخيرة لأنطلاق الثورة بكل تفاصيلها وتوزيع المهام على الجميع ثم أقسم الجميع وسط دوامة من دخان السكائر، وتبادل أنخاب أقداح الشاي (نقسم بتربة هذا الوطن الغالي ان نحرره من الظالمين الطغاة).

وقد كانت الوصية الأخيرة من قبل (حسن) ورفاقه أنْ (لا تقتلوا أحداً بل اعتقلوهم وستقدمهم للمحاكمة)! وفي الساعة الثانية عشرة والنصف قبل ٣ ساعات من بدء التنفيذ انقض الأجتماع، وقد عاد حسن ورفاقه من عسكريين ومدنيين بمن فيهم (شمران) إلى معسكر الرشيد، وقد كمنوا في مهاجع مدرسة قطع المعادن.

عند الثالثة والنصف فجر يوم الخامس من تموز، وضع حسن وعد من ضباط الصف وعدد من المدنيين من ضمنهم (ابوكفاح) الذي ارتدى الملابس العسكرية فوق ملابسه المدنية فبدى اكثراً بدانة مما هو عليه، وضعوا الرتب والاسارات على اذرعهم، وتوجهوا نحو حرس مدرسة الهندسة الآلية العسكرية، وبحركة رشيقه وموحية مد حسن

ذراعه صوب الحرس وكذلك فعل رفاقه، امرا الحرس بالاستسلام فورا، فأستسلم الجميع وتم اعتقال عريف وضابط الخفر، وأحتلال المدرسة، ومركز التدريب المهني، وكسر مشجب السلاح والأسطلاء على (١٥٠) بندقية، وقد التحق بهم (٣٠٠) جندي من سرية الحراسة، ولكنهم لم يكملوا أحتلال المدرسة وكان ذلك بداية لعدة أخطاء أخرى توالت بعد أطلاق رصاصة أشارة التنفيذ، ومنها التزامهم بوصيت (لاتقتلوا احدا، ) وقد تمكّن العريف (كاظام فوزي) الملقب بـ (كاسترو) بكسر باب سجنه هو ورفاقه من أنصار الحركة والسيطرة عليه، وتمكنوا بعد ذلك من السيطرة على مقر اللواء (١٥) كذلك تمكنوا من السيطرة على كتيبة الدبابات الأولى وأعتقال قائد وضباط الكتيبة، وأنظروا ضباط سجن رقم واحد ولكن دون طائل، وعدم مفاجئتهم لحراس سجن رقم واحد واكتفاء مسؤول المجموعة (عربيي محمد ذهب) بمناداتهم بالاستسلام التي لم يستجب لها أحد، مما مكن (الأحمر) البعثي المتطرف من المقاومة وصدتهم مما أفشل عملية أطلاق سراح المعتقلين وأغلبهم من الضباط الدروع والطيارين وبقية الكوادر الهامة الأخرى والذي كان المعول عليهم على قيادة الطائرات والدبابات بعد تتم السيطرة عليها من قبل الثوار الجنود، وأرتباك أو تخاذل قائد الدبابة الأولى العريف "راضي كاظم شلتاغ" بقيادة عبد

السلام عارف رغم كونه من الثوار، وعدم وصول الضباط إلى الطائرات، والى كتيبة الدبابات، وفشل عملية الأستيلاء على الأذاعة، مما مكن السلطة من أستنفار قواها من الحرس القومي والجيش وأحمد أصوات رصاص بنادق الثوار بعد حوالي اربع ساعات من انطلاق رصاصتهم الاولى لأنها التزرت بالوصية الأولى ولم تبادر بالقتل، ورغم أن بعضهم حمل رتبة ضابط ولكنه ظل يتصرف ويسلك سلوك الجندي في لا وعيه احترام للضباط والأمراء، وهذا ما أستغله أعداؤهم ومكنتهم رغم كونهم كانوا الأقدر على المبادرة والقتل وهذا ما حدث من قبل العريفين (كاظام زراك وجليل خرنوب) في باب النظام لمعسكر الرشيد حيث بدل أن يقتلوا عبد السلام عارف رفع العريف لا اراديا يده اليمنى لتحيته، مما أدخل الخوف والتردد بين صفوف رفاقه من الثوار، وقد أندفعت الدبابة الثانية التي كانت صحبة دبابة عارف صوب السجن المركزي وقد داست وفرمت بسرفتها عددا من الجنود الثوار، ونتيجة لذلك تصرف معهم أعدائهم بوحشية كبيرة، فقتل من قتل، وأعدم من أعدم فوراً على يد عارف والحرس القومي وقد تم أطلاق سراح كبار البعشيين الأسرى لدى الثوار كل من (وزير الداخلية حازم جواد، وزير الخارجية طالب شبيب ومنذر الونداوي قائد الحرس القومي، ونجاد الصافي وبهاء شبيب وامر كتيبة الدبابات

الأولى وسالم مريوش وعدد آخر من الضباط البعشيين) وهرب من هرب، وقد كان (حسن سريع) من ضمن من تم القاء القبض عليهم.

نزع (شمران) ملابسه العسكرية، وشد جرحاً بسيطاً في ساعدة، وتمكن من التسلل هو واحد رفاقه من الصيادين الذي كان قد دخل المعسكر عن طريق النهر رابطاً زورقه على صفتة قصداً الزورق بعد أن ادركاً عدم جدواً المقاومة أمام هجوم الدبابات البعشية التي أخذت تجوب المعسكر ونفاذ ذخيرتها.

كان حسن يؤكد على الضرورة القصوى على الصمود بوجه التعذيب والحفظ على أسرار الثورة وعدم الأدلة بأى معلومة تكشف رفاق الطريق وتعطي إية معلومة عنهم وقد كان يرد على كل استئلة من حاكمه بأنه هو المسؤول عن الثورة وهو من أجبر الجميع على حمل السلاح، وبعد المحاكمة الصرية له حُكم عليه بالاعدام رميًّا بالرصاص، وعند التنفيذ تقدم نحو الموت بعد أن قبل رفاقه وهو يهتف (يحيى الحزب يحيى الشعب) وهو يهتف (السجن الي مرتبه والقيد الي خلخال والمشنقة يأشعب مرجوحة الابطال). وقد هتف الشاعر نائب العريف (عبد الواحد راشد) وهو يتقدم إلى منصة الاعدام "لنا شعب يأخذ بثأرنا ولن تصفع دماءنا"، في حين هتف الشاعر صباح ايلايا (ان قلتكم أشبالا فالعراقيات تلد

الأسباب بأستمرار)، وقد كانوا (٢٦) ثائراً ضمن الوجبة الأولى اللذين أعدموا من أصل (٤٦) ثائراً حكمو بالاعدام. وقد حدثت الكثير من عمليات القتل والتعذيب في مناطق ومعسكرات أخرى حيث تحرك عدد من الشوار هناك في محاولة للسيطرة عليها وتأييد حركة معسكر الرشيد وقد حدث هذا في "معسكر أبو غريب"، ومعسكر الوشاش ومعسكر التاجي، ومعسكر الجبانية، ومقر الفرقة الأولى في محافظة الديوانية، وشرطة الموسيقى، وفي العديد من الاحياء والمدن، كمدينة الثورة، وضواحي بغداد.

نصبت المحاكم الصورية والقتل بمزاج فردي حاقد في العديد من المعسكرات ومنها ما قام به (طه الشكرجي) في معسكر الرشيد في مقر اللواء ١٩ لواء عبد الكريم قاسم، حيث قام هذا الفاشي مهرجانات من التعذيب والقتل لعدد كبير من (الضباط الاحرار القادة كالزعيم الركن دواد الجنابي والمقدم ابراهيم الموسوي، والعميد عبد المجيد جليل، والعقيد حسين خضر الدوري الذي قلع له الشكرجي أذنيه بكلاطتين، قبل رمييه بالرصاص باامر من صالح مهدي عماش). بالإضافة إلى قائمة تضم ٣٤ ضابطاً معتقلين في مقر لواء ١٩ (نادي عليهم المقدم الركن محمد حسين المهداوي ضمت النقيب الطيار منعم حسن شنون والنقيب عباس الدجيلي، باامر من صالح مهدي عماش واخذهم بسيارة لوري إلى

منطقة قرية من عكركوف وتم هناك رميهم ودفنهم في نفس المكان) وهناك الكثير الكثير من جرائم القتل والتعذيب والأغتصاب.

وامعانا في التروع والارهاب، وكشف الروح الفاشية الانتقامية قررت السلطة الحاكمة تعليق عددا من جثث الثوار في مناطق واحياء مختلفة من بغداد، خصوصاً من كان يظن ان ابنيها قد شاركوا في حركة (البرية المسلحة) حيث علق: الخياط "حافظ لفته" في منطقة باب الشيخ في رصافة بغداد الذي اعدم في ٣١-٧-١٩٦٣.

العريف (عربيبي محمد ذهب) علقت جثته خلف السدة الشرقية، وكان قد اعدم بتاريخ ٣١-٧-١٩٦٣.

نائب العريف "راشد عبد الواحد الزهيري" من اهالي المسرح، اعدم في ٢-١٠-١٩٦٣ وعلقت جثته في ميدان مدرسة المخابرة بمعسكر التاجي.

جندي اول "فالح حسن" اعدم في ١٠-٢-١٩٦٣ وعلقت جثته في ميدان مدرسة المخابرة بمعسكر التاجي.

العريف "كاظم زراك" والعريف جليل خرنوب اعدما وعلقا على الباب الشمالي لمعسكر الرشيد.

تعليق جثة "حسن سريع" في مدينة الثورة.

اعدام اربعة جنود في معسكر الوشاش لبث الحماس لدى افراد دورة تدريبية لافراد الحرس القومي.

امر احمد حسن البكر باعدام عدد من المعتقلين في ٣-٧-١٩٦٣ رغم ان اعتقالهم كان قبل ٣-٧-١٩٦٣ ولم يشاركا في ثورة حسن سريعا.

شق الزورق صدر الماء، كما شق الالم صدور الثوار بعد ان حل كابوس الفشل على الحركة، الأمل التي كانت قاب قوسين او ادنى من الانتصار، فبدلا من ان تصدح اذاعة بغداد باناشيد الثورة وبيانها الاول من اصل (٨) بيانات كان من المفترض ان تذاع عند انطلاق الثورة.

بعد ان تأكد الرفيقان ابتعادهما عن الخطير، تأكد (شمران) من اخفاء جرحه البسيط تحت ملابسه، وقاما بتفكيك بندقيتهما واحفائهما تحت دكة الزورق، قاما بنشر شباك الصيد كالعادة في كل يوم، وقد اتفقا على الاستمرار بعملهما كالمعتاد، الصياد يعود إلى صيده، و(شمران) يذهب إلى عمله بعد ان يجلب دراجته التي اودعها قبل يوم عند صديق له في السوق، على أن يتواصلا فيما بعد لمواصلة كفاحهما واعادة الحياة إلى التنظيم بعد لم شتات الرفاق من مختلف مناطق بغداد وضواحيها وتجاوز محنـة الفشل المؤلم للحركة، كذلك العمل على توثيق ما جرى ومتابعة مصير رفاقهما خصوصا من وقع منهم في قبضة السلطة البعثية.

قرر (مظلوم) ورفيقه الصياد السبات خلال الفترة الحالية حتى تستقر الأوضاع، وتسكن الموجة المسعدورة للحرس القومي، فلا يقونان بأي تحركات أو نشاطات حتى اشعار آخر.

كما قرر ان يغيير محل سكنه، فلابد من بعد الان الذهاب والمبيت في كوخ (حسن) وبعد التشاور مع (الصياد) الذي اشار عليه ان يسكن في كوخ صغير على ضفة دجلة غالبا ما يلجأ اليه حينما يضطر للمبيت بالقرب من شباك صيده ليلا، وبالاضافة إلى كونه بؤمن له المبيت الامن ليلا، يمكنه ايضا من ممارسة مهنة الصيد في الاماسي وخلال الليالي المتممة وتزجية الوقت حتى تنجلி لغبرة ونرى ما نحن فاعلين.

استحسن (مظلوم) مقترح رفيقه، وبالفعل حل محله في الكوخ، الذي كان يحتوي على سرير من جريد النخيل وفراش بسيط ووسادة بالإضافة إلى حب لشرب الماء، قضى ليته الاولى هناك على جرف دجلة وامواجه التي تثير الشجن والحنين، وهي تعكس نور القمر فينطلق صوت (مظلوم) لا اراديا من حنجرته معبرا عن حزنه وحنينه والمه لفقدانه الاهل والرفاق والاحبة وفي مقدمتهم (حسن سريع) الرفيق والاخ والصديق الوفي والشجاع والمضحى الصادق من اجل الشعب والوطن، كلما علا صوته يحاول ان يكتبها لثلا يلفت اليه الانظار في لياليه الاولى، تمر امام ناظريه صور و مجريات الاحداث وما الت اليه حال الحزب والشعب، والمصير الذي

سيحل بحسن سريع ورفاقه الاحياء وهم في قبضة الحرس القومي، وما مدى قدرتهم على الصمود وتحدي السلطة الفاشية وعدم الكشف عن اسرار الحركة وعدم كشف الاسماء والشخصيات التي تمكنت في الافلات من ايديهم، في الوقت الذي يراهن فيه على صلابة (حسن) فلا يمكنه المراهنة على صمود كل الشوار الاخرين، خصوصا وهو يعرف تماما مدى وحشية وقسوة جلاديهم من افراد الحرس القومي، وعندما هل سيتمكن من مواصلة عمله دون ان يتعرض إلى خطر استدلال الحرس القومي عليه، أو عليه ان يغادر المنطقة والعمل لينتقل إلى مكان اخر، وإذا فعلا ترك عمله بصورة مفاجئة تزامنا مع الحركة الا يثير ذلك الشكوك لدى اصحاب الدور وبالاخص لدى دار (خالد) المسؤول في الحرس القومي، هل سيغامر ويستمر في العمل؟ أو يحزم امره ويغير محل سكنه وعمله؟

اسئلة مصيرية ظلت تشغل باله كثيرا ومن الصعوبة الاجابة عليها وسط وضع غامض في الوقت الحاضر.

سيحاول ان يستشرف الاخبار عن طريق لقائه بـ(غزاله) وقت قدومها إلى دار سيدتها أو خروجها من الدار، ليعرف هل هناك من جاء ليستفسر عنه اولا وبطريقة غير مباشرة بحيث لا يثير شكوكها، فان كان مطلوبا من قبل الحرس القومي

فسيسألون عنه كافة اهل الدور الذي عمل فيها ومنها دار  
عمل (غزاله).

لبس زي مغاير لزيه المعتاد، راقبها بعد خروجها من الدار  
في اليوم الرابع من الاحداث، وبعد ان ابتعدت عن المنطقة  
قادصة كراج السيارات الذاهبة صوب مدينة الثورة، اعترض  
طريقها، أجهلت منه أول وهلة:

- هاي شنو (غزاله) شبسرعه نسيتنبي انه (شمران)؟

- ها اي والله يعيوني تيهتك وانته بهل العگله الحلوه، طالع  
جنك شيخ، شلونك يابعد روحي شلون صحتك، شنهو چانته  
وين راي؟

- والله طالع ارد اروح ازور صديح الي نايم بالمستشفه؟

- انتي شنهي ما شنهي اخبارچ شکو ماکو؟

- والله يابعد عيني مدينة الثورة مغلوبه گلاب الحرس القومى  
يدور عله الشوعيه، يگولون مسوين مؤامرة مدرى انقلاب  
عله الحكومه، وكلسا جافتيلهم بيت وسحاليلهم واحد يو  
اثنين من اهل البيت، والوادم كله خايفه، ولو هيئ شايله  
رووشه ومتباھيه بالزلم الخشنه الرادت تكسر خشوم هذوله  
الموخوش اوادم جتالت الزعيم وربعه الله يرحمهم.

- خو ماکو شي عله الوادم التشتغلين عدهم؟

- لا خويه کلش ماکو ظل هذوله وادم من العلالی ما لهم  
شغل لا بالحكومه ولا بغيره.

بعد ذلك استأذن منها (شمران) رغم أنها كانت تطمح أن تجالسه و تستمتع برؤيته إلا أنه أعتذر لضيق وقته وأنه سيلتقيها في وقت آخر بعد أن يخرج صديقه معافي من عمليته في المستشفى، مما قد يشغله عنهم بعض الوقت فلا يشغل فكرهم عليه ان تأخر عن موعده في متابعة أمر الحديقة هذا الأسبوع.

جيد لحد الآن الأمور تسير بسلام، سنتظر الأيام القادمة، بعد أن فارق (غزالة) كان الوقت مساءً تموزياً حاراً، عرج على أحد المطاعم الشعبية، ليسكن نداء معدته الخاوية، فتناول ماعون (يابسه على تمن) ورغيف من الخبز الحار ورأس من البصل الأحمر الحار، أردفه بـ(استكانين) شاي مهيل من أبو (الچمب) المحاذي للمطعم، بينهم كبير يمتص دخان سيكارته الجمهوري، وهو يسمع وشوشة وهمس الناس حول أحداث مؤامرة العريف لقلب السلطة البعثية في العراق، ملاحظاً علامات الحسرة والأسف لفشلها مرتبطة على وجوه اغلبية الناس من الكسبة والطلبة وعمال المساطر والحماليين، بعد ذلك حاول أن يقضي جل وقته في الأماكن المتنزوية والقلية التواجد من قبل الحرس القومي ورجال الأمن والشرطة، حتى يحل المساء، فيشتري بعض أرغفة الخبز و(بطيخة) قاصداً كوخه على ضفة النهر ليقضي ليلته هناك وهو يدندن

اغنية التجلبيه لزهور حسين: (اجلبنك يليلي الف تجلبيه تnam المسعده وتكول مدربيه .

فيضيف اليها من عنده قائلًا: "اجلبنك يليلي والوياي اوياي والوياي بلواهم مثل بلواي".

تأخذه سنة النوم عند نسمات الفجر الأولى ولا زالت سيكارته بين أصابعه تمدهن بحرارة خفيفة تشعره باستمرار الحياة بين النوم واليمقظة.

يعد الشاي على جمر أعواد من الخشب موضوعة بجانب الكوخ تستعمل أحياناً لشي السمك المسگوف مما يهبه النهر للصياديـن، فيتناول كاساً من الشـاي وقليلـاً من بقايا الخـبـز الذي أحضره ليلاً، ثم يتناول (السلـية) المخبـأـة في زورـقـه رـفـيقـه المرـبـوط على مـقـرـبة منـ الكـوخـ فيـ جـرـفـ النـهـرـ، يـسـرحـ فيـ وـسـطـ النـهـرـ، نـاـشـرـاـ شبـكـ (الـسلـيةـ) ليـصـطـادـ بـعـضـ اـسـماـكـ الـبـنـيـ وـالـشـبـوـطـ وـالـقطـانـ التـيـ يـتـوفـرـ عـلـيـهاـ بـكـثـرـةـ دـجـلـةـ الـخـيـرـ، يـكـتـفـيـ بـمـاـ حـصـلـ عـلـيـهـ خـلـالـ سـاعـةـ الصـبـاحـ الـأـوـلـىـ لـيـعـودـ إـلـىـ كـوـخـهـ، مـسـتـقـبـلاـ رـفـيقـهـ فـيـ نـوـيـةـ عـمـلـهـ لـنـهـارـ جـدـيدـ، مـتـبـادـلـينـ التـحـيـةـ وـبـعـضـ الـأـخـبـارـ الـهـامـةـ، بـعـدـهاـ يـقـفـ عـلـىـ الشـارـعـ الـعـامـ عـارـضاـ صـيـدـهـ مـنـ السـمـكـ (التـازـهـ) ليـحـصـلـ عـلـىـ بـعـضـ الـنقـودـ مـمـاـ يـسـدـ مـصـارـيفـ عـيـشـهـ وـاـحـتـيـاجـاتـهـ الـيـوـمـيـةـ مـنـ الـاـكـلـ وـالـشـرـبـ وـالـشـايـ وـالـسـكـائـرـ.

قرر أن يقوم بجولة على البساتين الواقعة على ظفة نهر دجلة بالقرب من الكرادة والكافازمية، عارضاً عليهم أستعداده للعمل كفلاح في أحد هذه البساتين على أن يتتوفر له مكان للسكن في البستان، ومن خلال اليوم الأول لجولته حصل على هذه الفرصة في بستان كبير من النخيل وأنواع من أشجار الفاكهة، وزراعة أنواعاً من الخضروات في الواح ما بين البساتين، وقد اطلع على محل سكنه في غرفة صغيرة مبنية من الطابوق، قربها يوجد طباخ نفطي، وداخلها سرير حديدي وفراشاً مطويًا يبدو أن الغرفة مهملة منذ زمن، فالأفرشة متربة وهناك أدوات طبع مبعثرة، علم أنها كانت تعود لفلاح ترك العمل لظروف عائلية خاصة كما أخبره مالك البستان وهو من التجار الكبار الأثرياء من أهالي الكافازمية الذي كان يبدو عليه الترف، والشاشة والتواضع، مما جعل (شدحان) وهو الاسم الذي اعلمه لصاحب البستان، يطمأن له ويستأنسه، وقد اتفق معه أنه سيباشر عمله في البستان بعد ثلاثة إلى أربعة أيام تالية، وافق الحاج (أبو توفيق) قائلاً بأنه سيرضيه تماماً وسيعطيه نسبة من الخضروات المنتجة في البستان والمباعة في السوق، ويده مطلقة في سد حاجته وطعامه الخاص من التمر والفاكه والخضرة، مد يده إلى جيئه ووضع في يده دينار لتمشية اموره ونقل حاجياته.

قرر (مظلوم) أن يخبر اصحاب الدور بأنهاه عمله لديهم لأنه قرر العودة إلى أهله وعائلته بسبب مرض زوجته مما يتطلب تواجده قربها وقرب أطفاله خصوصاً بعد أن مرت أكثر من شهر دون أن يتعرض هو ورفيقه الصياد لأية مسألة وهو نتيجة لاتقبل الشك لصمود رفاقهم تحت التعذيب وعدم أدلة لهم بأية اعترافات، كما أنه قرر عدم أخبار حتى رفيقه بمحل عمله وسكنه الجديد كإجراء أحترافي مما قد يفرزه المستقبل من مخاطر.

أمضى ليته في الكوخ وقد أصطاد في وقت مبكر من الليل سمكة بنية، قام بتهيئتها للشي على لهيب نار من الخشب جنب الكوخ، بعد أن ملحتها جيداً، وأخرج أرغفة الخبز التي أحضرها معه من السوق مع حبات من الليمون الحامض وحبة من البصل، بعد أن نضجت السمكة جيداً، رفعها ودس قور الشاي في مخلفات نيران الخشب، حتى يفور الماء تمهيداً لـ(تخدير الشاي) باشر أكل السمك الشهي المطعم بالليمون الحامض، على صوت قرقرة ماء (القوري)، الذي وضع فيه كمية من الشاي، ليكون حاضراً بعد أكماله العشاء. وبعد بقية الفضلات خارج الكوخ، غسل فمه ويديه في ماء النهر الجاري، ثم تناول كأس من الشاي الساخن، ولع سيكارته من نار الموقد القريب منه، وجلس على حافة النهر،

مستنشقا النسمات الباردة المعانقة لموجات النهر، مراقبا  
لعب وسبحات صغار الأسماك قرب الجرف.

الذى ألقه كثيرا صورة حبيته (ام كفاح) وحبيبه كفاح  
وعزيزته (سعده) التي لا تزيد أن تفارقه صورهم وذكرياته  
معهم، يدور شريط الذكريات مع تساقط دموع الالم والحسرة  
والحزن المتتساقطة من عينيه متهدية محاولااته لحبسها  
وكبحها وخصوصا امام انظار الناس، ولكنه الان يشارك دجلة  
المه ونواحه الذي لا يتنهي نادبا احرار العراق وثاروه ومفكريه  
منذ عشرات القرون ولحين التاريخ، فروح الحلاج عانقت  
روح المقعف وروح الزعيم ومن سبقهم ومن لحقهم حتى  
تشرق شمس الحرية والسلام والرفاه على ارض الرافدين،  
وهو الحلم الذي من اجله بذل الاحرار ارواحهم رخيصة من  
اجله، مسح دموعه بطرف كم قميصه، ثم خلع ملابسه عام  
في مياه دجلة المنعشة، وكانه يغسل عن روحه ركام وسخام  
الحزن والكدر، مستمدًا القوة والحكمة والديمومة  
والاستمرار من روح النهر العظيم.

خرج من الماء وهو يشعر بجسمه أكثر خفة ومرونة، ونفسه  
أكثر أطمئنانا وسكينة، أرتدى ملابسه، قرفص قرب موقد النار  
وسكب لنفسه كأسا ثانية من الشاي، مدندا بعض أبيات من  
الأبودية:

(من الضيم اريد اكتب كتاب الهم من الضيم

واحچيلهم ما بدلالي من الضيم  
احبابي الجنت الوذ بهم الضيم  
أصبحوا ياوسفتني حدر الوطيه) .

يتأمل بعمق الاسى عظمة وكبراء وحكمة دجلة، تحمل  
مويجاتها سجل آلاف السنين لارض الرافدين، أتت من بلدان  
الجبال الشواهد لتستريح على صدر الفرات ولتلتحم معه في  
قبلة أبدية في ارض سومر قريبا من جنات عدن، وعلى مرمى  
ذنب الافعى سارقة عشبة الخلود، وعزف اوركسترا الحن  
السلام والعطاء لنقيق الصفادع وحفييف اجنحة الحذاف  
والكركي وابو بسيله، وقبلات شفاف سمك البنبي، ورقصات  
الشبوط وغنج القطنان وهو يلتهم عرانيص (الخريط) ويقضى  
لب (العگيد) الحلو.

في صباح اليوم التالي وبعد ان التقى رفيقه الصياد، مخبرا اياه  
بأنه قرر الانتقال للعمل في مكان آخر وربما في مدينة عراقية  
غير بغداد، وسيتواصلون بين حين وآخر وحسب الضرورة  
وسيكون هو المبادر للقاءه خصوصا وانه يستطيع الوصول  
إلى كوهه هذا والى محل سكنه ان تطلب الامر، لانه لا يدري  
اين سيستقر في الوقت الحاضر ليده على عنوانه، ودعه  
مؤقتا، امتنى دراجته وتوجه إلى الدور التي يعمل فيها، دار  
عليها بيتا بيتا، مخبرا صاحب الدار بأنه قرر الالتحاق بعائلته  
لحاجتها الماسة إلى تواجده، متمنيا لهم السلامة شاكرا

لحسن تعاملهم معه طوال فترة عمله، حاولت بعض العوائل  
ثنية عما نوى عليه لاعتذارهم به وحبهم له، وأعلن البعض  
استعداده لمساعدته بكل الوسائل، لينجز مهمته عند أهله  
والعودة إليهم، اجزلوا له عطاء أجره وما يزيد.

معرجا على دار (الشيخ ابو خالد) الذي بعد ان أخبره  
(شمران) بقراره لترك العمل والمغادرة إلى ديرته خاطبا  
ضاحكا: ها يولد يشروع في يبين حنيت، لريحة الجاموس  
والزوري، هاك خذ حسابك والله معاك. ودعه غير اسف  
لمغادرت دارهم.

ما يشغل تفكيره هو كيفية خلاصه من (غزاله) ان وجدتها في  
الدار، وعلمهها بتركه لعمله في حديقة الدار، ولكنه قرر  
مواجهة الموقف على اي حال، ففتح باب الحديقة الخارجي  
ادخل دراجته، القى بالسلام والتحية على سيدة الدار وعلى  
غزاله التي بان عليها الفرح والسرور عندما التقت عيونها  
بعيون (شمران) كما عرفته، سارعت إلى احضار الشاي  
والفاكهه احتفاء بقدومه.

اخبر السيدة بما نوى عليه، مع اظهاره اعتذاره بهم ويظل  
يتذكر ووفيا لطيب وحسن تعاملهم وكرمهم معه، متنينا منهم  
تفهم وضعه، وفي الوقت الذي بان الارتباك وعلامات  
المفاجأة والحزن على محيا (غزاله) تمنت له السيدة التوفيق  
والسلامه له ولعائلته.

طلبت من (غزاله) احضار الغداء لـ(شمران) قبل ان تعطيه اجره واكرامية مجذبة تثمنها لعمله وامانته وحسن سلوكه . بعد ان اكمل غدائه، اخرج دراجته مودعا الجميع، وقد لاحظ دفق دموع (غزاله) وألمها، وكالعادة بعد وصوله الشارع العام لحقت به (غزاله) ولكن هذه المرة دامعة العينين محملة بعتاب حار يسبب الفراق.

شنهي صدگ (يىشمران) بهل السرعه تريد تعوفنه وتمشي بعد ما تعلگت ارواحنا ييك؟

-(غزيله) والله آني ما ودي بس وضع اهلي وعايلتي هي الجبرتنى عله هل القرار، وانشالله هذا مو فراغ دائم، حتما راح نتشاوف، وبين فتره وفتره امر عليچ الجان ضلينه عايشين، تدرین انت نكتعي بکلبي، يلله نشف دموعچ وخل نشربنه گلاصين شربت نبرد گلوبنه.

هدا من روتها وبدت تستعيد توازنها، وتحكم بدموعها، وقد أزهرت خدوتها بمزيد من الحمرة الشهية .

سألها (شمران) حول حالها وحال مدينة الثورة، فتجهم محياتها وطفح الحزن على وجهها قائلة:- الثورة وأهل الثورة عاليهم الحزن والقهر، من يوم علگ الحرس القومي جنة (حسن سريع) على عمود الكهرباء، والوادم تبچي دم عليه وعله ربعة الي علگو جثتهم على طول وعرض احياء الفقره، اكثر النسوان لبسن اسود، ونصبت الوادم مآتم بالسكته بعيد

عن عيون السريه وجماعة الحرس الله لا يرضه عليهم،  
الارواح والنفوس تفور وعله ساعه تنفجر وتحرج الاخضر  
واليابس عليه روسهم وروس الخلفوهم.

كاد (شمران) ان يسقط لولا تماستكه في اللحظة الاخيره، وقد  
غض بعيته وكاد ان ينكشف على حقيقته امام (غزاله) وهو  
يسمع بخبر اعدام وتعليق جثة رفاقه على اعمدة الكهرباء في  
شوارع وساحات الاحياء الفقيرة، ظنا منهم انهم قادرؤن على  
ترويعهم وتخويفهم، ولم يستفيدوا من عبر التاريخ الحاضر  
والماضي.

بالم وحسرة ودع (غزاله) جارا دراجته بصعوبة وكأنه ماعد  
قادرا على ركوبها فكل جسمه يرتجف غضبا وحنقا وألمأاً  
جلس في أحد المقاهي محتسيا قدحا من الشاي مولعاً  
سيكاره بأثر أخرى عليها تطفأ نيران قلبه، قرر أن يشتري قنية  
(عرق زحلاوي) وأشتري كاسة من (اللبليبي) مستذكرا أيام  
زمان، وأشتري نصف كيلو نومي حامض، ونصف كيلو  
طماطه، وعددا من أرغفة الخبز، واضعا الأكياس في سلة  
دراجته التي أخذت تلتهم الطريق بقوة دفعه قاصدا الكوخ  
على الشاطيء لينفس عن بركانه الهائج، بالغناء أو البكاء أو  
الفقدان ولو لسويعات قليلة فلم يعد يحتمل، ياليته قضى مع  
رفاقه شهيدا لكان روحه أكثر راحة ولكن قسما ياحسن

قسماً يأشعب لن تذهب دماء أحرارك هباء ولا بد ان يأتي يوم الحساب.

ما وصل حتى قصد النهر، لتكن موبيجاته حاملة دمعه المدرار وعبرته الكظيمة ليفرغ مخزون قلبه الذي كاد ان ينفجر حزنا لا يسعه الكون بما رحب، ثم خلع ملابسه وأغتسل مزيلا دبق وعرق جولته المتعبة هذا اليوم، بدأت نسائم آب المساء تداعب روحه المشبعة برائحة النهر وعقب اشجار الشاطيء الجميل، عاد إلى الجرف مرتديا ملابسه، وقد لمح زورق رفيقه يقترب من الجرف بعد انتهاء رحلة صيده اليومي، فسره ذلك كثيرا فهو بحاجة إلى سمير يشاركه جلسته وهمومه هذا اليوم.

كان صيد رفيقه هذا اليوم وفيرا، حينما استقبله، اخبره بما نوى عليه هذه الليلة المقرمة والمثيرة للشجون، واقتراح عليه ان يذهب للسوق ليشتري (قالب) من الثلج اولا لحفظ اسماكه حتى الفجر حيث تتم عملية البيع على باعة الأسماك الذين يدورون على أصحاب الزوراق لشراء أسماكهم الطازجة، وثانيا لحاجتهم للثلج لتبريد كاسات (الزلاوي) ولا بأس من جلب عددا من أرغفة الخبز، وقد حين زجاجين لأستكمال لوازم الشراب.

وقد رحب رفيقه بهذه الجلسة عشية فراقهم، خصوصا وأنه سبق أن أخبر عائلته بأنه ربما سيبيت هذه الليلة في الكوخ،

وافطارهم بقنية الزحالوي بعد مرور أشهر من صيام لخطورة الوضع، فلابد من (غسل الزنجر) كما كان يقول (شمران) فلم يعد (الشاي خمرة للثوار) في مثل هذه الحال كما كان يقول الرفيق (فهد).

أمطى دراجة (شمران) وسرعان ما جلب المطلوب وعاد إلى كوخه، قاما بتكسير الثلج ووضع قسمه الأكبر على السمك وتغطيته بـ(گونية) للحفظ على برونته داخل الزورق، أنسغل (شمران) بترتيب منضدة الشراب في مقدمة الزورق واضعا (صينية) (المزة) والاقداح وقطع الثلج والحامض واللبلبي، (دولكة) من ماء الحب، فوق صفيحة دهن (الراعي) الفارغة، في حين نزل صديقه للاغتسال من عرق وتعب يوم العمل.

فقد أتفقا أنْ يتناولا شرابهما من على الزورق بعد أنْ يركنانه في مكان بعيداً عن طفل وعيون الآخرين، وهكذا كان، فقد أرخيا الزورق في النهر ليسير متهدياً مع الموج، وتوجيهه من خلال (الغرافة) بيد الصياد، قاصداً المكان المحدد بينما، بدأ (شمران) حديثه حول ما سمعه من آخر الأخبار الذي تسرب الكثير منها مثيراً الهلع والخوف والأستنكار والغضب في بغداد وخارجها، وبالخصوص ما حدث لشوار الثالث من تموز في معسكر الرشيد، وأعدام قيادة الحزب، وشيع فضيحة قطار الموت من بغداد إلى السماوة، محاولاً استذكار

ومراجعة ما جرى من أحداث وخصوصاً منذ ثورة تموز عام ١٩٥٨ وما رافقها من أحداث، وما جرى أثناء الانقلاب البعثي في ٨ شباط ١٩٦٣، وأنتفاضة معسكر الرشيد، ومراجعة دور وسياسة الحزب في الأحداث، وأسباب الأنكاسات التي حلّت بالشعب والوطن وما حصل من كوارث للحزب وآخرها القاء القبض على قيادة الحزب في الوكر السري (محمد صالح العلي، عبد الجبار وهبي، جمال الحيدري) وأعدامهم في ١٩ تموز ١٩٦٣، بعد أن تم تصفية أغلب الكادر المتقدم للحزب وعلى رأسه الرفيق (سلام عادل) (منير) الرفيق والأخ الصديق الحميم لـ(شمران) على مدى سنواته الماضية، كما تحدث عن مدى التزام وشجاعة وانسانية الرفيق الشهيد (منير) سلام عادل، وصلابته الأسطورية في مقاومة قسوة وهمجية وفاشية جلاديه حيث تم تفجير رأسه بـ(المنگنه) بعد أن أعجزهم وهزمهم بصمته وعدم افشاءه لأسرار الحزب ورفاقه.

وقد عقب رفيقه الصياد (أبو يوسف) على حدّيثه، وروى له مشاهداته المؤلمة لجثث الشهداء المعلقة في مختلف أحياء بغداد، كما اشار إلى مدى المرارة والأنزعاج للكثير من الأصدقاء والرفاق وتحميلهم بعض قادة الحزب مسؤولية السياسة التابعة والذليلة التي اتباعوها في التعامل مع الأحداث، وعدم اتخاذ الاحتياطيات الالزمة لصيانة الثورة

ومكتسباتها، وصيانة الحزب وجماهيره التي ذبحت على مذبح السياسة الخاطئة للجنة المركزية، وعدمأخذ زمام المبادرة في التصدي لفردية قاسم ومحاربته للشيوعيين، ولا التصدي لمؤامرات القوى الاسلامية والقومانية الساعية إلى اجتثاث الشيوعية من العراق كما يعتقدون تنفيذا لارادة اسيادهم في بريطانيا وامريكا وشركاتهم الاحتكارية.

تم ربط الزورق إلى جذع شجرة قرب الشاطيء في مكان شبه معزول، ووسط رقصات موبيقات دجلة استجابة لنسمات آب المنعشة ومزيد من اشعاع القمر في كبد السماء، فتح (شمران) غطاء قنينة العرق، وسكب كمية من المشروب في كأسه وكأس (ابو يوسف) ووضع كل منهما مايناسبه من الماء والثلج ليستحلب الخليط في الكاس، قاما برج كاسيهما كي ييردا، ثم شربا نخب الالم، وتناول حبة من (اللبلبي) ومص قطعة من الليمون الحامض، ولعا سكارتيهما واستئناف حديثهما، وقد بدأ (ابو يوسف) يروي لرفيقه ما رواه له شاهد عيان هو احد افراد (الحرس القومي) المتحفيف بزي مدنى، كان يرافق (قطار الموت) في الساعة الرابعة والنصف من فجر يوم ٤ تموز ١٩٦٣، أي في فجر اليوم الثاني بعد الانتفاضة، بأشراف آمر السجن العسكري رقم واحد في معسكر الرشيد الرئيس أول (حازم الأحمر) وأشرف على تنظيم وترتيبات الرحلة (مصطفى الفكيكي) وهو مسؤول نقابة عمال السكك

وأمر لقوات الحرس في قاطع السكك). العراق البيرية  
المسلحة . ٢٧٦

وقد ذكر هذا الحرس، مشاهدته حضور ترتيب رحلة القطار كل من (عبد السلام عارف، وطاهر يحيى، ورشيد مصلح التكريتي) وقد جلب السجناء الذي يقدر عددهم باكثر من (٥٠٠) سجين بمختلف الرتب العسكرية والاختصاصات المهنية والاكاديمية المهنية، وكانت اياديهم وارجلهم مقيدة بالسلاسل والحبال، وقد تم غلق ابواب القطار غلقا محكما (السير والربد) وان على القطار ان يستغرق (١٠) ساعات حتى وصوله إلى مدينة السماوة، وقد أحضر السائق (عبد عباس المفرجي) في الساعة الثانية عشر ليلا من داره في الكرادة ليتولى قيادة القطار بحمولته (الهامة) التي لا يعلم ما هي، مع توصيته بالسير الهوينا حتى لا تتأثر البضاعة داخل عربات القطار.

تناولوا الكأس الثاني من شربهم وسط دخان سκائركم التي لم تنطفيء، مسح (أبو يوسف) شاربيه (الستاليينيين) من بقايا العرق بكم قميصه، وواصل سرد روايته نقلة عن (الحرس). "تحرك القطار بحمولته، ونحن ممسكين بعرباته، أنا ومجموعة أخرى من رفافي من الحرس بملابسنا المدنية الدالة على كوننا من بسطاء منطقة الفرات الأوسط للمزيد من التمويه، نتلخص أحيانا على السجناء من خلال ثقوب

وفتحات صغيرة، كان الهدوء سائداً في بداية المسير ولم تزل الشمس ليست بمستوى عمودي، ولكننا بدءنا نراهم في حالة من الاضطراب بعد اشتداد حرارة الشمس، هذا الهياج يزداد مع ازدياد درجة حرارة شمس تموز المحرقة والتي تجاوزت (٥٠) درجة مئوية، اخذنا نسمع الطرق على جدران العربات مع صرخات النجدة، وأخذ بعضهم يلتصق على فتحات (الفراكين) وثقوبها الضيقة، كي يتتسموا شيئاً من الهواء، وبعد أستراحة قصيرة تقف خلالها القطار بعد قطع حوالي (١٤٠) كيلو متر، عاود القطار مسيره ولكن بسرعة كبيرة وغير معتادة كما كان قبل التوقف، وقد علمنا فيما بعد أن أحد هم في أذن السائق قائلاً (حالياً تعرف ان حمولتك ليست حديد بل بشر هم افضل ابناء شعبنا) البيريه ص ٢٨٣ . وعندما توقف القطار في الديوانية بدأ بعض الناس برش الماء على عرباته آملين أن يساعد على تبريد العربات الساخنة، واصل الحرس حدشه قائلاً كنا نرى بعض الناس يلتصقون بعربات القطار ولا نعلم ما يوشوشون به للسجناء داخل العربات، بعد وقت اختزله السائق وصل القطار إلى مدينة السماوة، ووجدنا الناس بالعشرات مصطفين في محطة القطار يستقبلون حمولة القطار، ارواح بشريه محجوزة في فرن لا يتحمله حتى الحيوانات، حال توقف القطار تم كسر ابواب العربات، وتناثرت الاجساد المفروعة والمروعة والتي تتثبت

بالحياة على رصيف المحطة، تم نقل بعضهم بسارات الاسعاف إلى المستشفى وقد مات أحدهم يدعى (الرائد يحيى نادر) وكان ييدو ان أمرنا الضابط المرافق للقطار لا يعلم ماذا يحمل القطار، بحيث كانت اوامرها في السماوة بضرورة فتح ابواب العربات واحدة بعد الاخرى والحرص على الدقة بنقل البضاعة إلى الباصات المتوقفة عند المحطة ومن ثم نقلها إلى الصحراء حسب التعليمات ولكنه أدرك بعد حين مدى الورطة التي وضعه أمريه فيها قائلا (هاي راد يخلوها براسي). أمر الاطباء الأهالي بأعطاء السجناء (لهمة من الملح قبل شرب الماء أو اللبن للحفاظ على حياتهم، وكانت مفرزة الحرمس القومي في محطة السماوة قد فوجئت بوصول القطار، مما أربكها وخضوعها للأمر الواقع وفسح المجال للأهالي بمساعدتهم ومساهم بعضهم بأسعاف السجناء تحت وقع الصدمة، ولو أنَّ أمراً مفرزاً حاول أن يكون عنيفاً وسيء السلوك فعالج السجين (الملازم قيس محمد صالح) بصفعة على وجهه بـ(راشدي) مما وتر الوضع كثيراً وسحبت أقسام البنادق ومحاولة سحب الملازم (قيس) ولكنهم واجهوا وقوف كل السجناء بوجوههم قائلين (سنموت جميعاً قبل تسليميه) وبعدأخذ ورد، سجل السجناء في مركز شرطة المحطة فارضين هيبيتهم وأحترامهم على أفراد الشرطة، ثم أركبوا بـ(١٥) سيارة نقل، لنقلهم مباشرة إلى

سجن نقرة السلمان، وسط حشد كبير من مواطنين السماوة وتضامنهم معهم، مما خفف من وضعهم ومعاناتهم النفسية. جدد (شمران) كاسات الألم، وهو يصغي بدهشة كبيرة إلى الحد الهمجي الذي وصل إليه هذا الحرس الفاشي، وقادتهم من أرادوا مجزرة وحشية رهيبة لاكثر من سجين من أحرار العراق ومناضليه، ومحاولة تخلصهم وتملصهم من مسؤولية هذه الجريمة البشعة، والذي وردت معلومات لاحقة أنَّ البكر وعماش وعارف وعبد الغني الراوي، كانوا يريدون اعدامهم بالجملة ودفنهم في مقابر سرية، لو لا معارضه بعض العناصر المدنية (المتعلقة) والتي سامت حمام الدم والموت، وبالتالي ثييهم عن ارتکاب جريمتهم الوحشية (حازم جواد، ومحسن الشیخ راضی، وسعدون حمادي، طالب شبيب وأنور عبد القادر الحديثی وغيرهم من القادة المدنین خصوصاً).

على الرغم من شرابهم ولكنهم يمسكون باطراف احاديثهم ونقاشاتهم وان شابها شيء من العاطفة الجياشة لهول ما يجري، بعد استعراض الاحداث اخذت تتبلور لديهم المزيد من الأفكار والمعالجات للخروج من هذه الحال المزرية، وضرورة تكثيف النقاشات لتفادي الاخطاء والأنحرافات ومحاسبة المقصرین والمتهماونین والأنهازین، خصوصاً من

قبل ما يسمونه الخط (اليميني) للحزب الذي بدت تتوضح صورته وتتوصف سمات شخصياته في قيادة الحزب .  
ما يتوجب تحري اراء الرفاق في بغداد وغيرها حول ما جرى وما يجري وضرورة بلورة رأي موحد، بعد ان يستقر الوضع وتخف حملة السلطات، كما توصل الرفيقان إلى استنتاج ان قوى البعث والحرس القومي بدأت تتخلص وتفقد هيمنتها نتيجة تصلب الدماء حول قبضتها نتيجة تلوثها بدماء العراقيين وهي تواصل نهجها الفاشي في القتل العشوائي، وحدوث شرخ بين عبد السلام عارف واتباعه من القوميين وغيرهم وبين قيادة البعث، وقادم الاسابيع والايام تنذر بحدوث مزيد من التدهور في قيادة السلطة، الامر المحير ان يرى الناس أبنائهم وأبائهم وأخوانهم وأصدقائهم معلقين على اعمدة الكهرباء ولا يتلفضون، ربما يذرف بعضهم الدموع ولكنه حتى لا يجهر برفضه لمثل هذه الممارسات الفاشية وان كانت ليست غريبة على تاريخ المستبددين في العالم العربي والاسلامي، وتعليق جثمان الثائر (زيد بن علي) احد شواهد هذه الممارسات الوحشية، ولكن الا يدرك الحكم ان هذا الفعل ان اطال عمر حكمهم بعض سنين فنهايتهم على يد اعدائهم ستكون اسوأ مما فعلوا .  
بعد ان اكملوا شرائبهم وبدء نور القمر يتارى شيئاً فشيئاً، فقرروا العودة إلى الكوخ، وقد اطلق (شمران) لصوته العنان

في ابيات من الابوذية البالغة العذوبة والحزن والمعبرة عن  
واقع الحال لهم ولشعبهم.

(يعله زماني حطلي عله يعله  
ينزل الفوگ والواطي يعله  
من ريت العمر يگضي يعله  
ولا ساعه مذله تمر عليه).

تهادى زورقهم طربا مع انتشائهم وحزنهم النبيل، قريبا من  
كوخهم، او ثقوه إلى جرف النهر، اختاروا واحدة من سمك  
(الшибوط) انشغل (شمران) بجمع وايقاد النار في كومة من  
الحطب، بينما انشغل (ابو يوسف) بتنظيف السمكة  
وتلميحها، ثم وضعها قبالة نار الموقد، حتى نضجت،  
افترشوا حشائش الشاطيء واضعين الخبز والبصل والنومي  
حامض على جريدة قديمة، بدؤا عشائهم بعد ان دسوا  
(القوري) وسط الفحم، ليكون جاهزا بعد اكمال وجبتهم،  
يتحدثون ويستذكرون وقد اخذ خدر (العرق) مأخذة منهم،  
تمددوا على الشاطيء حتى غالبهم النعاس فغطوا في نوم  
عميق، حتى اصطبحو بخيوط نور الشمس الاولى.

بعد غسل وجهه ويديه وراسه في ماء النهر البارد المنعش  
الذي بدد اخر علامات الخدر، او قد النار ووضع القوري،  
ركب دراجته، قاصدا السوق القريب، جلب من هناك كاسة  
من قيمر العرب، والصمون الحار، وعلبتين من السكائر،

وجد رفيقه مستيقضاً، وقد اتم صفقة بيع اسماكه على (السفاطه) تناولاً افطارهما وسط وجوم وصمت، كأنه علامه قفل على حديث الامس، وامانة في صدر كلّيهما، تعاهدا على اللقاء، تعانقا، بعدها اقتاد (شمران) دراجته واضعا في سلطها جوديته ووسادته، غادرها مع تلویحات الوداع لابي يوسف، الذي ردها ثم مرر كفه على عينيه مخفيا دموع الوداع لرفيقه وصديقه الحميم.

توجه (ابو كفاح) إلى الكاظمية صوب البستان الذي قرر العمل والسكن فيه، وقبل ان يصل للبستان ذهب إلى الحاج (سلمان) مالك البستان في محل عمله ليسلمه مفتاح غرفته، وليكون على علم بمبادرته في عمله، رحب به الحاج كثيرا، دعاه إلى الجلوس وامر له بشاي، وناوله سيكاره (روثمان) من علبة موضوعة امامه، هذه السكاره التي لم يتذوقها منذ زمن (غنوده) شكر للحاج لطفه وكرمه، ثم استاذن بالذهاب إلى البستان بعد ان استمع منه بعض التوجيهات التي تهم عمله، وكيف يمكنه ان يحصل على احتياجات الخاصة بالإضافة إلى مستلزمات عمله.

عبر طريقه وتجواله في شوارع العاصمة وحاراتها، كانت الناس منشغلة بشؤونها، العمل، اللهو، السهر، الأنوار في كل مكان، الجوامع والمراقص والبارات ومحلات عرض أنواع وأشكال البضائع، تبدو وكأن الحياة تسير بعيدا عن عذابات

وآلام ومعاناة المناضلين والسجناء والمشردين، الذين كرسوا كل حياتهم من أجل حياة أفضل للناس، مضحين بكل شيء حتى حياتهم من أجل هدف سامي.

قاد دراجته نحو البستان، الذي ما ان دخله حتى تفتحت أسراريه، حيث صفوف النخيل المشذب بعد انتهاء موسم جني ثماره، وأشجار الرمان والبرتقال الليمون والرارنج، وبعض شجيرات من الزيتون، ودلالة حسن ذوق من كان يعمل في البستان وجود عدة شجيرات من ورد الجوري والقداح، وزهور ملونة أخرى.

أصوات العصافير، وتغريد البلابل، وصوت (ياقوتي) للفاختة، يجدد وحشة الصمت في البستان، عادت هذه الاجواء بـ(مظلوم) إلى ايام طفولته في قريته الغافية على نهر (المجيهلة) ابن الفرات في المشخاب ارض العبر، ركن دراجته على جذع شجرة التوت الشامخة قرب باب السياج الطيني للبستان، فتح باب الغرفة، فكانت كما تمناها، غرفة فسيحة نظيفة، يجد في أحد جانبها سرير حديدي وفراش اسفنجي مع بطانية ووسادة تبدو نظيفه، وقربه منضدة خشبية مغطاة بجرائم قديمه، في واجهتها الامامية شبكة واسع، وضعت على رفه، ساعة منضدية، (قوري) ثلاثة اقداح (استكانات) للشاي، وعلبة مملوءة بالشاي واخرى مملوءة بالسكر، ومطفأة سجائرة صغيرة، ارضية الغرفة مفروشة

بحصيرة من سعف التخيل، ووجود ماكنة طبخ نفطية (چوله) ومامعونان المنيوم، ومقالة، وعدد من الملائق، في باب الغرفة يوجد حب متوسط الحجم للماء مربوط إلى جذع شجرة التوت يستظل بظلها، اغترف قليلاً من الماء بواسطه (البوشي) وهو نصف قشرة حبة جوز الهند، ليروي عطشه نتيجة الجهد المبذول في قيادة الدراجة عبر طريقه الطويل نسبياً بين كوخ رفيقه ومحل (الحاج سلمان) والبستان، البستان يروي سيحا عن طريق ساقية متصلة بأنبوب اسمتي يمر تحت الطريق العام ليتصل بالنهر، بالإضافة إلى وجود (مضخة) صغيرة قد تكون ضرورية للسقي وقت الصيف.

تجول (مظلوم) في البستان مطلعاً على الواحه المزوعة بالبرسيم، والخضروات المختلفة، وهناك بعض منها متrown تكسوه الأعشاب.

جلس قرب شجيرة من ورد الجوري المجاورة لعدة اشجار من المشمش والتين، استل سيكاره الجمهوري، اشعلها بواسطة قداحته النفطية، واخذ يرسم في مخيلته خطة عمله في البستان الواسع الجميل، بماذا سيزرعه وماهي متطلبات السوق من الفواكه والخضر، وقد كان من ملاحظاته نقص البستان إلى اشجار الزيتون، والى (سوباط) عنب، فهذه الأرض مناسبة لمثل هذه الشجيرات، وقد استدرك مخاطباً نفسه قائلاً: ان أرض العراق أرض السواد تصلح لكل

المزروعات، إنها أرض الخير والعطاء، فأبن الرافدين تمكّن من زرع كل أنواع النباتات والأشجار، كيف لا وهو أول من علم الإنسانية الزراعة، لكنه للاسف لم يتمكن طوال تاريخه قد عجز عن انبات ودوام ازدهار وأثمار شجرة الحرية، على الرغم من كونه قد رواها بدمه وعرقه طوال آلا ف السنين، حلم ايضاً بان تكون له حظيرة للابقار وبعض رؤوس من الاغنام، وزورق صغير وشبكة صيد ووو، انها احلامه واحلام اغلب اخوانه من الفلاحين العراقيين، والتي وأدتها الانقلاب الفاشي، وسبق ان تعثر في تحقيقها من قبله (الزعيم)، فز من احلامه على حين غرة فقد لسعته جمرة السيكاره التي سها عنها وهو سارح في تأملاته في عمق تاريخ وطنه الجريح وشعبه المقهور في الماضي والحاضر.

ابتسم وهو يسمع غناه عندليب من على شجرة (الممشش) ومنظر زهرة حمراء تشق ظهر صخرة مركونة قرب الساقية. كان بأمس الحاجة لسماع اخبار (ام كفاح) و(سعوده) فقد بلغ به الشوق والقلق أشدّه، فلا يعلم ما حل بهم، كما انه قلق على مصير ولده (كفاح) هل بلغ هدفه ووصل إلى مبتغاه ام لا؟

لو تحسنت الظروف وانقشعـت سحابة الفاشية عن سماء العراق، لجلب (ام كفاح) وأبنته إلى بغداد، ليكونا بجانبه في

هذا البستان الجميل ولكن ما الحيلة وما زال كابوس الفاشية  
كابسا على النفوس.

كم هو مشتاق ومتلهف للقراءة، انه الغذاء الروحي، مسكن  
الألم، طارد للغربة، مبدد للوهم، لا أرحب حتى بالجنة ان  
وجدت بدون كتاب، ولا أدرى لماذا لا يعد الله الانسان  
(المتقى) بروائع الكتب في جنات الخلد؟

وهل يكفي الانسان غذاء الجسد فقط من التين والزيتون  
والرمان، وحواري العين والاولاد المخلدين، أين غذاء الروح  
الكتاب، والموسيقى، هل يعقل ان يحرم الله الصالحين من  
صوت (فiroz) أو (داخل حسن) أو من سمفونيات (بتهوفن)  
مثلا؟

سأتدبر امر شراء الكتاب، واتدبر امر القراءة هنا بعيدا عن  
عيون الجميع، وقرر أن يخصص للكتب مخبأً سرياً حتى لا  
يعرف أحد أنه يجيد القراءة والكتابة حتى يبعد عنه الشبهات،  
فقد أصبحت الثقافة شبهة في ظل الفاشية، مستذكراً ما حصل  
مع عالم الفيزياء السجين في سجن رقم واحد (عبد الجبار  
عبد الله) رئيس جامعة بغداد في عهد عبد الكريم قاسم، حيث  
تعامل المجرم الملائم (غازي عبد الصمد) باستهتار معه عند  
التحقيق مع السجناء بعد فشل حركة (حسن سريع) (فمنذ  
اللحظة الاولى لمباشرته سأله عن الدكتور عبد الجبار عبدالله

رئيس جامعة بغداد سابقاً، وعندما جاؤوا به بصدق بوجهه  
قائلاً: انت هو عبد العجبار عبد الله؟)

كل ذلك نابع من حالة شعور بالنقص والدونية الحاقدة أمام العلماء والمثقفين. فالثقافة الرفيعة أصبحت صفة ملزمة لوصف الشيوعي، وهذا ما أعترف به وأقره أعدائهم قبل أصدقائهم، فال الفكر والفلسفة الماركسيّة لا يمكن أنْ يفهمها الا من امتلك قدرًا متوسطاً على الأقل في مختلف العلوم الإنسانية والعلوم الصرفة كالفيزياء والكيمياء وقوانين تطور وتحول المادة، وهذا هو الفرد الذي لا يمكن أنْ تجرفه مختلف الموجات الفكرية والأدلوjisية، أما من ينخرط في العمل الحزبي الشيوعي كونه نظاماً اقتصادياً واجتماعياً يتصف بالعدالة والحرية فمن الممكن جداً أنْ يتحول تحت ضغط العقل الجماعي وضغط وتهديد السلطات القمعية، فما أكثر أصحاب القمصان الحمر عند المد الشوري الشيوعي في ١٩٥٨ و ١٩٥٩ الذي أخذ بالانحسار بعد ال ٦٠ وما تلاها وها نحن نشهد الان كيف توارى لا بل تحول إلى الجهة المعادية الكثير ممن كان يملأ الشارع بالصرخ معيناً انتمائه بمناسبة ومن دونها.

جره هذا التأمل والتفكير إلى استعراض العناصر، حال، وسلوكيات، العديد من الرفاق الذين صادفهم طيلة تاريخه الحزبي، فقد كان هناك مثلاً أعلى في الالتزام والتضحية

والأيشار والصدق والشجاعة، ولكن كان هناك نفر يبدو كالحشائش السامة في وسط خميلة من الزهور، متملق، أناني، متقلب المزاج، يدعى أكثر مما يفعل، ليس هناك تفسير منطقي لسلوك هؤلاء وما هي الدوافع وراء انتمائهم إلى طريق المتابع والمصاعب والتضحية، ربما هي محاولة لأصلاح خدش أو علة أو عيب ونقص في الذات يراد ترميمها من خلال ما يمنحه طريق الكفاح من هيبة وتقدير للمتهمي حينما يحصل على شرف المناضل، فيكون منفوش الريش حينما يكون محمولاً على اكتاف الجماهير، ولكنه سرعان ما يتلاشى إلى درجة العدم حينما يواجه موقفاً صعباً لوحده، فمثل هذا الفرد سريع الاتصال سريع الانفصال تبعاً للظروف المحيطة، يسعى للحصول على صفة البطل دون أن يصون صفة المناضل.

يقف بأجلال وأحترام أمام ذكر وصورة المناضل الشهيد (محمد موسى التنجي) وكيف كان يركب دراجته ويرعبهم بأطلاق النار من بندقيته الكلاشنكوف وخصوصاً على مقر الحرس (القومي) الذي كان في مديرية الشرطة القديمة، متوارياً عبر درابين النجف وازقتها التي يعرف كل زواياها مداخلها ومخارجها وقد كان له الدور البارز في قيادة مقاومة النجفيين ضد الانقلاب الفاشي، مما ادخل الرعب في قلوب الحرس القومي في النجف وقد خصص مبلغ (١٠٠٠٠)

عشرة آلاف دينار لمن يدلهم على مخبئه ومحل سكنه، حتى توصل الفاشست إلى دار خالته التي كان يتردد إلى دارها أحيانا لأنها كانت بمثابة والدته والتي كانت ترافقه أينما ذهب، وقد عرضوها للتعذيب الشديد، فأعترفت على وكره ومكان تواجده حيث مطبعة الحزب (فتسلقوا سطح الدار من كل جانب يرتعشون خوفا وخسدة موجهين بنادقهم الكثيفة نحوه وهو واقف على مغسلة الدار مرتديا دشداشته البضاء، فاثقلوه بالقيود والحبال ووضعوه فوق احدى سياراتهم المسلحية وهو يهتف عاليا بحياة الحزب مخاطبا الناس بأخبار الحزب عن اعتقاله معرفا باسمه الصريح، وهناك في مقر عصابات الحرس الفاشي كان البطل (محمد موسى) معلقا من يديه وحوله المجرمون من امثال (مدلول المحسنا ومحسن الشيخ راضي وجعفر الذهب) وسائر المتعطشين للدم والانتقام، عندما قال له احدهم لو كان لدينا في كل محافظة واحد مثلك لاستلمنا السلطة من قاسم، الا انكم جبناء فبصدق في وجوههم، ٣٦٩ اسرع المجرم بطعنه بالحربة في خاصرته فظل ينزف حتى الموت والشهادة، اطفأت الاوضواء ليلا ونقل لدفنه في صحراء النجف على ايدي الجلادين انفسهم للتستر على جريمتهم النكراء ولم يعثر على رفاته ليومنا الحاضر) مجلة الشارة العدد ١١١ ص ٦٦.

تنبه (مظلوم) إلى اسرافه في تأمله وتفكيره، ربما شجعه جمال الطبيعة وحالة الهدوء، وجمال النهر ليذهب بعيدا في تأمله ومراجعته لسيرة الفرد والجماعة في الحزب والمجتمع ولا شك ان وصف احدهما ينعكس على وصف الآخر. مخاطبا نفسه، هذه الايام تنظر وتتأمل وتتفكر كثيراً يا (مظلوم).

هل بسبب مرارة الواقع وضبابيته، وتسارع احداثه، أو بسبب قرائتك للعديد من كتب الفلسفة والروايات وكتب التاريخ والسير؟

أو بسبب السبات التنظيمي في هذه الفترة، وغلبة وقت التنظير على وقت التدبير والتنظيم.

الآن هيا للعمل فالبستان بحاجة لجهد كبير من اجل تقليم وتنظيم الأشجار، تنظيم السوق، مراجعة مواسم الزراعة والسمسي وري النباتات في موسم الزراعة الآن، وهل هناك ما هو جاهز للجني والتسويق؟ خصوصا وأنَّ صاحب البستان قد فوضه زراعة كل مايراه مفيدة، والأرض صالحة لزراعته، كما اتاح له أمكانية شراء البذور والاسمدة وبقية المستلزمات من أحد المحلات المختصة ببيع الحبوب والمستلزمات الزراعية وتسجل على حسابه، فقرر تهيئة الأرض لزراعة البائجان، والبامياء، والخيار، والطماطة، والواحاً من الخضروات كالفجل والكراث والنعناع والكرفس.

ولكي يكون على أطلاع على مجريات الأوضاع السياسية خصوصا في البلاد والعالم فقد أبْتَاع من سوق (الهرج) راديو يعمل على البطارية، بالإضافة إلى بعض الكتب من أحد باعة الرصيف، وقد كان غالباً يستعمل دراجته الهوائية في تنقلاته متحاشياً وجود المفارز العسكرية ومفارز الحرس القومي.

سره كثيراً سماع اذاعة سرية بأسم (صوت الشعب العراقي) تذيع الكثير من أخبار الفعالities الحزبية في الداخل والخارج، وتقوم بفضح جرائم النظام ضد الشيوعيين والتقدميين والديمقراطيين، وحملات التضامن للقوى التقدمية في كل العالم مع احرار العراق، كما كانت الأذاعة تذيع محظيات الجريدة المركزية للحزب التي عادت للصدور من جديد، بعد فترة قصيرة من الانقلاب الفاشي.

تابع من خلال الراديو مجريات مؤتمر حزب البعث المنعقد خلال الفترة من (١٣ - ١١) تشرين الثاني ١٩٦٣، حيث نشرت الصحف والأذاعات حالة الانشقاق والشراذمة والصراع العنيف بين اجنحة الحزب، تمكّن الجناح اليمني ان يفرض سيطرته بالسلاح على الحزب متبعا خط ميشيل عفلق انسجاماً مع المؤتمر القومي السادس للحزب بقيادة عفلق، في حين تم تنصيحة (الجناح اليساري) بقيادة علي صالح السعدي وجماعته.

كل هذه الأحداث الدالة على عمق أزمة الحزب الحاكم، تبشر بقرب أنهيار النظام الفاشي حتماً، عندها قرر (مظلوم) زيارة رفيقه (أبو يوسف) قاصداً كونه مع أتخاذ جميع الأجراءات الاحترازية، فكان له ذلك، وقد أستقبله (أبو يوسف) بلهفة كبيرة، مخبراً إياه بأنَّه كان بأمس الحاجة للقائه، ولديه الكثير من الأخبار السارة، فقد تمكَن من إعادة الصلة بقيادة الحزب، وحصل على أكثر من عدد من أعداد الجريدة المركزية للحزب، مؤكداً له صحة استنتاجاته حول عمق الأزمة الحالية للحزب الحاكم وما يتعرض له من الشرذمة، ناهيك عما يعانيه النظام من عزلة عالمية ضاغطة أجبرته على التخفيف من اجراءاته التعسفية والقمعية، اطلعه على آخر أعداد الجريدة، التي كانت تظهر وإن لم يكن بشكل ظاهر وجود إلى ما يشير إلى وجود حالة من الاستقطاب وتصاعد نبرة النقد الشديد لبعضًا من قادة الحزب وخط الحزب السابق.

بعد دراسة كل هذه المستجدات معاً.

قرر (مظلوم) أنْ تبقى علاقته فردية في الوقت الحاضر، مع تواصل اللقاءات ومتابعة المستجدات، غادر رفيقه حيث قصد المكان الذي ترك فيه دراجته، لأنَّه لم يريد أنْ يعرف (أبو يوسف) انه قدم إليه بواسطة الدراجة مما يجعله يخمن مكان تواجده، فلم يزل الوضع لا يسمح بالكشف عن مكان عمله

وسكنه الجديد، رغم أنه عاد محملاً بالأمل في تعافي الحزب والحركة الشعبية العراقية رغم الحملة الفاشية.

مر بطريق عودته إلى البستان بالحاج (سلمان) وقد أطلعه على تفاصيل ما ينوي عمله في الموسم الشتوي القادم، حسب ما يتوجه ماتبقى من الوقت لتهيئة الأرض وزراعة الخضروات الشتوية، ومتطلبات التمهيد للموسم الصيفي، حصل على موافقة الحاج وتمنياته له بالنجاح والتوفيق وأنه سوف لا يقصر بحقه أبداً، وأنه يعتبر البستان بستانه ليعود الخير على الجميع، أمراً له بوجبة غداء من مطعم الكباب المجاور، فكباب الكاظمية له ميزاته الخاصة ولهم معها ذكريات خاصة مع (أم كفاح) وولده وابنته، ومع رفاقه وأصدقائه واحبائه طيلة فترة وجوده في بغداد قبل وبعد ثورة ١٤ تموز، هذه الذكريات وبعض الانفراج النسبي في الوضع، واستقراره في البستان جعلته يفكر بطريقة جلب عائلته من ريف المشخاب إلى بغداد ثانية وتهيئة نفسه لمعاودة استئناف نشاطه التنظيمي حتى وأنه تمكّن منه الشيب، وظهور غضون وعلامات الشيخوخة، ولكن الأمل والطموح بالسعادة والحرية ما زال وسيقى شاباً تحت مختلف الظروف، بعد أكماله لغدائه واحتسائه الشاي، تزود بعدد من علب السكائر والكريت، ودع الحاج على أمل اللقاء مستقبلاً، شاكراً له

حسن ضيافته وموذته وثقته، ركب دراجته ورأسه محمل بالآفكار والخطط والتداير التي تستوجبها المرحلة المقبلة. بداع الفضول وكمن يتفقد معالم وذكريات عزيزة على قلبه، وكمن يريد أن يتأكد من أنه لازال موجوداً على خريطة المدينة بعد عاصفة وزلزال الفاشية، قاد (مظلوم) دراجته نحو محله (البوحية) والمرور عبر شارعها الشهير المسمى (شارع موسكو) القلب الأحمر النابض بالهم العراقي والمعبر عن تطلعات الفقراء والكادحين والمثقفين الشوريين في هذه المدينة المقدسة - المدينة التي مات رمزها (الأمام الكاظم) في سجن الطغاة، أنها رمزاً من رموز المعارضة للمستبدرين والطغاة، كما أنها مدينة الشاعر والمناضل الكبير (مظفر النواب).

أراد (مظلوم) أن يستمد من هذه المدينة شحنة من الصلابة تزيده قوة واصراراً على التواصل، فباب الحوائج لا يعني المخلص السحري، والمخلص المتضرر للفقراء والمظلومين تحفze لذلك الدموع والحسرات والأدعية والندور، التي أصبحت مصدراً لعيش شلة من الطفiliين والمتتفعين من هموم المعذمين والبساطاء، بل هو مفتاح ومصباح طريق يدلّك على طريق المقاومة والصمود حتى الموت من أجل قضية عادلة.

كان الشارع ما زال على حاله طبعاً، مع فارق ملاحظة بعض عناصر (الحرس القومي) في الشارع، كما لاحظ أغلاق العديد من المحلات والمقاهي التي كانت له فيها ذكريات، كما ظهرت بعض اللافتات بتسميات مثل (العروبة) و(الامة) بدلاً من (الشعب) و(الحرية) التي كانت تعرف بها العديد من الحوانين والمقاهي، كما لاحظ وجود طلاء باهتا باللون الأسود يحاول أن يمسح ويشوه العديد من الكتابات والشعارات المكتوبة باللون الأحمر من على الجدران في الشارع الرئيسي والشوارع الفرعية في الحي وشوارع المدينة عموماً، وقد كانت علامات الحزن والالم بادية على تقسيم ووجوه اغلب من صادفهم من الناس في الشارع، حيث غابت اشراقة وأريحة ما قبل اليوم الاسود، مستذكراً ما حدث في ساحة الميدان في النجف بعد الانقلاب حيث رواها له شاهد عيان كان متواجداً حينها في النجف حيث حشد البعيون المئات من أبناء العشائر عن طريق شيوخهم من الأقطاعيين وتشجيع بعض العوائمه للتظاهر والتجمع في الساحة بعد أن وضعوا مئات الكراسي الحديدية على عرض الميدان للأستماع لكلمة رموز البعث القادمين من بغداد (احمد حسن البكر وصالح مهدي عماش) وكان (الحرس القومي) يدعى المتظاهرين للهتف بـ(يا ثورتنا من سواك غير البعث العربي الاشتراكي) كأيحاء لمنافسيهم على السلطة

وريما المقصود عبد السلام عارف وزمرته من القومانيين، دون أن تعرف الجماهير المغزى من ذلك الشعار، وفي غمرة الصراخ البعثي، سمع صوت قرقعة تشبه الأنفجار لم يكن يعرف مصدره هل هو شرارة كهربائية أو مفرقة متفجرة زرعها أحدهم، مما أحدث حالة من الهرج والمرج رافقها أصوات سقوط وأصطدام الكراسي الحديدية بعضها ببعض وهروب جلاسها من النساء والرجال، وملاحقة بعض الكراسي للهارب لأنها كانت مربوطة بطرف كوفيته أو عقاله بفعل فاعل نكایة بحضوره للأحتفالية من قبل بعض الناقمين من شباب المدينة على حكومة البعث، وقد أدت الفوضى العارمة إلى سحق بعض الحاضرين ودوسهم بالأقدام، وهرب افراد الحرس، وأخفاء البكر وعماش في احد محلات بيع (الباجة) المطلة على الساحة، ولم يبق في الساحة إلا (نعل) الفارين وعبائاتهم وأحذية وعيبي بعض الحاضرات من النساء، وعدد من رشاشات (البورسعيد) للحرس القومي الذي رماها وهرب، وقد عبرت الحادثة عن مدى خوف وهزالة السلطة وأدواتها وقد تناقل الناس أهزوحة شعبية لوصف الحالة.

(ريتك يبن قاسم حاضر بساحة الميدان، من طگ الكراسي وشردت المعدان، والحرس القومي ظل تايه وحيران) متمنيا حضور الشهيد عبد الكريم قاسم ليرى ما حدث لقتلته من

هزيمة معنوية، معبرة عن جبنهم وهشاشة حكمهم وكره الشعب لهم.

أستنتاج من خلال مشاهداته، والربط بين مختلف الظواهر والأحداث الوضع المتواتر للشارع العراقي، بالقول ان الاسابيع وربما الايام القادمة جبلی باحداث كبيرة على مستوى الحكم والسياسة، مما يستوجب المزيد من الحيطة والحذر والتأهب لكل طاريء، (مظلوم) سبق له وأن جلب بندقيته الكلاشنكوف من مخبئها بالقرب من كوخ رفيقه (ابو يو سف) الصياد، عن طريق تفكيكها ووضعها في كيس ونقلها عبر بلم احد الصياديـن، إلى مستقره الجديد في بستان الكاظمية، فقرر ان يقوم بتنظيفها هذه الليلة وتهيئتها ل تكون جاهزة للاستعمال في اي وقت.

أمضى ليته في تنظيف البندقية والأستماع للراديو حيث جولة مؤشره بين مختلف الأذاعات العربية والدولية، بالإضافة إلى سماع اذاعة الحزب السريـة، والتي كانت تذيع مقالات وتحليلات وتتوقع أنهيار حكم البعث وتدعـو الشعب العراقي لعدم الاستكانة كما تدعـو اعضاء وانصار الحزب للتواصل والالتحاق بتنظيماتهم فالشعب والحزب يضعف ولكن لا يموت، الطغـاة يرحلون ولكن الشعوب خالدة البقاء والوجود. بعد ان اسرف في أحتسـاء اقداح الشـاي من القوري الموضوع على نار (الچولة) بالقرب من متكئه خارج الكوخ، وشارفت

علبة التبغ ان تنتهي، وهو يلتهم سطور أحد روایات (نجيب محفوظ) القرية إلى نفسه والممکن الحصول عليها من المكتبات الأهلية، تسلل النعاس إلى عينيه، خفض نور (الفانوس) إلى مستوى بصيص من نور، ثم غفا على نسمات ما قبل الفجر الراحفة من نهر دجلة.

استيقض مبكراً كعادته، نفض عنه خيوط النعاس والكسل، أشعل فتائل (الجولة) واضعاً عليها قدراً صغيراً لسلق رأساً من البطاطا، كوجبة افطار، ثم نزل النهر سابحاً ليستحم بمائه المنعش البرودة فجراً، يكمل أفطاره وتناول شاي الصباح على أصوات زغاريد البلابل وزققة العصافير بين أغصان التين والرمان والبرتقال، وقد احتزم للعمل في البستان، كتنظيف السوق، ورفع الحشائش الضارة، وتقليل بعض الأشجار، وزراعة حضروات الموسم، وجنى بعض ثمار الفواكه لتكون جاهزة للشخص الذي سيقوم بتسويقها للمدينة.

قام بعملية تقليل وحراثة التربة بواسطة (مسحاته) مما تطلب منه رفع كومة من (كرب) وسعف النخيل المكدسة قرب الكوخ، أثناء رفع كومة الحطب ظهرت له رزمة ملفوفة بكيس من (الجناص) لا يدرى ماذا تضم بداخلها، قام بقطع الجبل الرفيع الذي كان يلتف حولها بشكل محكم، ثم افرغ كيس (الجناص) فإذا به يعثر على كنز أبهى ناظريه، أن هذا ما كان يحلم به ويبحث عنه، وهو بحالة ماسة اليه في وضعه

الحالي، فلقد كانت مجموعة من الكتب الفكرية والأدبية والثقافية لاعلام الفكر الماركسي والتقدمي من العراقيين والعرب والعالم، انّها مكتبة صغيرة مكثفة ومختارة، مما أسعده ذلك كثيراً، أستعرض العناوين على عجل ثم استل أحد الكتب، واعاد البقية إلى الكيس، وأودعه مع مستودعه للكتب، وعاد يزاول عمله بحيوية ونشاط اكبر، متفائلاً بمستقبل افضل فالارض لازالت تضم سر قوتها ونمائها وعطائها، لاشك انّ هذه الكتب قد أودعها عقل ثوري ضاقت به الحيل وعز عليه أتلاف كنزه كحرقه أو القائه في نهر دجلة لتفادي أرهاب الفاشية ووحشيتها، فمثل هذه الكتب تعتبر وثيقة أدانة ودليل تجريم لمن يقتنيها في نظر الفاشية.

أغلق الباب الرئيسي لسياج البستان من جهة الشارع العام كي لا يفاجأه أحد وهو يقرأ، في حين لم يفارقه الكتاب أثناء فترة أستراحته والقائه للمساحة أو المنجل، حتى أثناء تناوله لغدائها، فقد كان يرى في هذه الكتب مفاتيح أسرار العالم ومختلف ظواهره وأحداثه، انّها مصباح ينير ظلمات العقل، وساحر يكشف سر الاسرار وتملك الانسان القدرة على كشف السر الاعظم، خلق العالم، سبب الفقر والقهقر والتخلف والخرافه.



## الجزء الثالث

### البياض الدامي





يظل يسهر مع الكتاب طوال الليل على ضوء الفانوس، حتى انه ينسى أحيانا هل تناول طعامه اولا، وقد يصحو وكتابه على صدره، متاسفا عما فات من عمره وهو لا يعرف القراءة والكتابة،أخذ الوقت يمر سريعا، بين العلم والعمل، حتى فوجيء صباح الاثنين الثامن عشر من تشرين الثاني وهو يناول أفطاره ويستمع لأذاعة بغداد، بأعلان منع التجول في العاصمة بغداد، وأعفاء احمد حسن البكر من منصب رئيس الوزراء وتعيينه سفيرا في وزارة الخارجية وحسب تنسبيها، أصدر بيان بأقصاء الوزراء البعثيين الـ(١٢) الذين كان قد سفرهم رفاقهم المنشقين إلى إسبانيا، وتعيين طاهر يحيى رئيسا للوزراء.

اوكل عبد السلام عارف حماية بغداد إلى موقع بغداد العسكري، وطالب الحرس القومي بتسليم اسلحتهم للجيش وغلق مقراتهم وقد سمع صوت الطائرات وهي تقصف المقر العام للحرس القومي في الأعظمية، وذكر بعض المارة القادمين من مركز العاصمة بان الدبابات والمصفحات استولت على جميع المرافق العامة في بغداد، كل هذه البيانات كانت باسم عبد السلام عارف.

ألي (مظلوم) ما في يده وأخذ يستمع بأهتمام بالغ للبيانات الصادرة من أذاعة بغداد، والأسماء المعلنة من قادة الانقلاب

الجديد - ليستدل من خلالها على طبيعة وأتجاه هذا الانقلاب، ثم تتالت أسماء طاهر يحيى، وحردان التكريتي، وسعيد صليبي، وأحمد حسن البكر! وآخرين.

ففي الوقت الذي كان مظلوم فرحا بما ورد حول حل الحرس القومي، هذه المنظمة الفاشية وخلاص الشعب العراقي من شرورها، الا أنَّ عبد السلام عارف المغامر والمجرم الدموي الذي كان الاشد تطرفاً حتى من الحرس القومي في محاربة الشيوعيين والديمقراطيين لا يدعو للكثير من التفاؤل، ولا يختلف عن بقية رهطه من الفاشيين والقومانين المتطرفين، كما ورود اسماء بعضا من البعثيين كواجهة للسلطة امثال احمد حسن البكر وغيره انما هو دلالة على تشظي البعث وانقلابهم على نظامهم نتيجة تنافسهم الدموي على المناصب والمكاسب، حيث بدا لـ(مظلوم) ان الجناح اليمني للبعث ومن ضمنه البكر مشارك فاعل وانه قدم السلطة إلى عبد السلام عارف بدلا من هيمنة الجناح اليساري للبعث بقيادة علي صالح السعدي ورفاقه.

واصل متابعته للراديو باعتباره النافذة الوحيدة بالوقت الحاضر لمتابعة الأخبار نظرا لقرار منع التجول في العاصمة، يبدو من بيانات الحكومة وهدوء الأوضاع في العاصمة بأنَّ الانقلاب قد نجح وتمت له السيطرة التامة على الأوضاع وأمسك عارف بيده على السلطة.

في اليوم التالي توضحت الأمور أكثر فأكثر، توالي الحرس القومي من الشوارع والساحات وأصبح البعض مطارداً، وادع البعض في السجون، وهكذا دارت على الظالمين الدوائر، فقرر (مظلوم) أنْ يزور رفيقه (أبو يوسف) في أقرب فرصة ممكنة ليكون على بينة من رأي الحزب فيما حدث، أستطلع الأوضاع أولاً في الكاظمية، حيث ظهر واضحاً اختفاء سلطة البعث والحرس القومي، وإنَّ الناس تشعر بحالة من الأرتياخ لأنزياح كابوس (الحرس القومي) رغم حالة الحذر الترب المهيمنة على الشارع بشكل عام، بعد مرور عدة أيام من الانقلاب، ركب (مظلوم) دراجته قاصداً كوخ (أبو يوسف) وقت تواجده، فكان لهما لقاءً طويلاً لتدارس الأوضاع وقد أطلعه على منشور صادر من قيادة الحزب في الداخل مؤرخاً بـ١٩٦٣-تشرين الثاني أي بعد يوم واحد من الانقلاب ورد مانصه: (لقد أندفع بعض القادة العسكريين من ساهموا في الانقلاب الرجعي الفاشي للقيام بحركة انقلابية في يوم ١٨\١١ وأسرعوا في تنفيذها بعد أن شعروا بكابوس فقدان كراسיהם، يجب على جميع القوى المخلصة وعلى أبطال الكفاح المسلح في كردستان الثائرة، وعلى كل من يريد بحق ضمان الاستقرار والطمأنينة والأمن للشعب أنْ يدركوا بأنَّ المعركة لم تنته، وعلى أثر الأحداث الأخيرة فإنَّها تجاهه مخاطر جدية أبرزها الجهد المستمية في أحياض

المد الثوري، وبذر روح حسن الظن، وتخدير اليقظة التي لم تجلب سوى فسح المجال لتحقيق ما تصبو إليه القوى الرجعية الديكتاتورية الأستعمارية.

كان للبيان اثُرٌ طيبٌ في نفس (مظلوم) حيث إنَّه ورفيقه قد توصل إلى نفس الحكم على الأنقلابيين الجدد وقادتهم، أغلبهم كان مساهمًا مع الفاشية في ارتکاب المجازر ضد أبناء العراق، وعليهم رأس الانقلاب ومديره عبد السلام عارف والبكر وطاهر يحيى واتباعهما، فالانقلاب لم يكن أكثر من حالة التنافس على المناصب والمكاسب في عصابة واحدة لا يمكن أن تقود العراق وشعبه إلى بر الأمان والحرية والاستقلال.

كيف ترى الاوضاع رفيق (ابو يوسف)؟

اني أرى ماتره قيادة الحزب عبر بيانها الذي اطلعت على مضمونه، وأرى أننا يجب أن نسعى بجهد مضاعف ووعي لما مضى لنقوية تنظيمنا ولم شمل الرفاق، والتخلص من حالة الضبابية والأبعاد عن التحليل المرتكز على واقع الصراع الطبقي الدائر على الساحة العراقية، اننا بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في التجربة الماضية.

نفت (مظلوم) دوامة من دخان سيكارته، أثنى على ما قاله (أبو يوسف) وطلب منه أن يبلغ الرفاق أنْ يطلب الآن إنهاء حالة الاتصال الفردي والعزم على مزاولة عمله التنظيمي

وبحسب ما يرونه الرفاق مناسباً، وقد أبلغه أنَّه الآن في بغداد وفي مكان آمن وربما سيعمل على جلب عائلته من الريف إلى محل سكنه وعمله الحالي، أرتباطاً بتطورات الأوضاع ومتطلباتها. ولابد من الضغط على السلطة الانقلابية الجديدة من أجل أطلاق سراح رفاقنا وأصدقائنا وباسرع وقت ممكن وأيقاف حملات الاعتقالات التعسفية وانصاف ضحايا الفاشية البعثية وذراعها الاسود (الحرس اللاقومي) وستكون هذه الخطوات هي المعيار الاكبر لمدى تخلی السلطة عن النهج الفاشي المعادي للشعب وللحرفيات الديمقراطية لأحرار العراق.

أستحسن أبو يوسف آراء رفيقه وشاركه تصوراته، ووعلده بأَهُمْ سينقلها بأمانة إلى الرفاق، متمنياً أنْ ينضم اليهم بأسرع وقت ممكن لمواصلة طريق الكفاح.

أهداه واحدة منْ السمك البني الذي ما زال حياً (يلبط) لكونه اعتذر لضيق وقته وما ينتظره من عمل عن تناول الغداء معه، واعداً أنْ يتحقق له أمنيته في وقت لاحق، كما أنَّ (ابو يوسف) أوضح له أنَّ نهر دجلة في غاية الكرم في هباته السمكية خلال هذه الفترة، فأهدى رفيقه شبكة صيد (سلية) فائضة لديه، و(مظلوم) يجيد استخدامها، ليتسلى بها كما إنَّه يمكن أنْ يسد حاجته منْ أسماك دجلة الشهية من خلال ممارسة

الصيد في أوقات فراغه، خصوصاً وهو يسكن قريباً من  
ضفاف النهر.

مستذكراً طيبة وشجاعة وكرم رفاقه، الحي ومنْ أستشهد منهم  
دافعاً عن مبادئهم، فأطلق مظلوم صوته بيت من الابوذية  
لصديقه الشاعر (عبد الحسين ابو شبع).

(عيوني أتشاوف اعله الهدف وتراب، او ما ترهبني الاخطارو  
تراب

يره كبرك الشامت حجر وتراب، ويره التاريخ كبرك مزهريه)  
لاحت له دموع عيون رفيقه الذي غطاه الحزن والالم لذكرى  
من رحلوا من رفاق الطريق، فارا د ان ينفس عن همه  
ويخفف من وطئة الذكرى والالم فارده بيت ثان من  
الابوذية: (انتشينه ابسمچ گعدتنه وهلها،  
وبعد ما أعرف الدمعه وهلها

بالكاسات نتبادل وهلها، أو جوه أملأه وانعكست عليه).  
عانق رفيقه على أمل اللقاء القريب متوجهاً للكاظمية  
وبساتينها، محملاً بأمل جديد، عند وصوله، ركن دراجته  
جنب الشارع بالقرب من أحد المقاهي في محلة (البوحية)  
وقد راقه نظافتها وسماحة وأريحية من يديرها، جلس بجانب  
شيخاً تبد عليه الوسامه والرزانة، يطالع في جريدة اليوم، والى  
جانبه أحدى روایات (نجيب محفوظ) وقد كان انفه المدبب

القصير ينوء تحت اطار نظارة ذات عدسات سميكة، تبدو من خلالها حدقات عينيه الزرقاء.

أصبح (مظلوم) بالخير بشاشة تطفح بالحب والالفة.  
صبحكم الله بالخير استاد.

يبدولي إنك تعمل فلاحاً أو صياداً أبو،  
عفوا قال (ابو كفاح) استاد، نعم أنا فلاح (حدقجي).  
أمر خدمه استاد؟

الحقيقة لا ادري أنا اعتمد كثيرا على حديسي وفراستي في التعامل مع الآخرين في تعاملي اليومي، وأرى إنك من الناس الطيبين الجادين في عملهم، أنا يا أبا كفاح لم أعد قادرًا على العناية بحديقة منزلي التي احبها كثيرا، تفرحي وتبعد الوحشة والكابة عنني وأنا ارقب زهورها وشجيراتها وطيورها، لذلك فانا بحاجة ماسة إلى من يرعاها، أتمنى أن تساعدني في ذلك.

ما ادري شگول أستاد واضح أنك تستحق كل مساعدة، أفتخر واعتز كثيرا بتواضعكم كي يطلب مثلكم المساعدة من هو فلاح بسيط مثلني، ولكنني في الحقيقة لدى عمل كثير للعناية في احد البساتين هنا في الكاظمية، مما يجعل من الصعوبة أن أقوم بعمل آخر.

(ابو كفاح) أنا لا أريد ان اغريك بأجرة مقابل عملك، لأنني حدستك بأنك لست ممن يضعون المال في المقام الأول،

ولكني أقول لك طالبا مساعدتك، لجمال ذائقتك، وأهل للثقة في دخول داري، وأنا لا ألزمك بوقت فلك حرية اختيار أوقات الزيارة وترتيب الحديقة، كما أنك اعتبر زيارتك زيارة لي كأخ وصديق وسأكون محل ثقتك ومودتك وأعتبر الدار دارك.

والله أستاد يصعب علي أن أرفض لكم مثل هذا الطلب واسحاول أن أقوم بالواجب، أرجو أن تدلني على داركم الميمونه لأزوركم في أقرب وقت.

كنت واثقاً بأنك سوف لن ترد طلبي، أشكر هذه المصادفة الجميلة للقائي بكم، والآن هيا بنا للدار، فانت اليوم ضيفي العزيز، أكيد ستبتسم لك الأشجار، وسترقص لحضوركم الزهور، فهي تمتلك حاسة معرفة من يرعاها ويديم لها نمائها ونظرتها.

أصطحب (مظلوم) دراجته، وسار بجنب الاستاذ (فريد) الذي رفض ان يكنى باسم ولده، فلا بد للانسان ان يبقى معتزا بذاته بعيدا عن رابطة الدم والدين والقرابة والقومية، فانت ذاتك رغم كل الروابط وال العلاقات كما برر ذلك ل(ابي كفاح)، لم يطل بهم المسير حين دلفا شارعا واسعا فسيحأ بالقرب من ضفة النهر، حيث تراصف مجموعة من الدور الأنiqueة والقصور الجميلة المعرشة اسيجتها بالزهور والنباتات المتسلقة الملونة، حتى توقيعا عند مدخل أحدها، دلفا الباب

الخارجي وسارة عبر ممر محاط بشجيرات زهور ورد الجوري والرازقي الملونة، اخرج (فريد) من جيده مفتاحا، فتح بواسطته باب صالة واسعة مزدان سقفها بزخرفة دالة على رفعة الذوق من خلال هندستها وتناسق الوانها، كان جدار الصالة مزينا ببعض مناظر للبحر والسفن الشراعية، ولوحات من اهوار العراق وطبيعتها الساحرة، كذلك شاهد وجود صور للعديد من الفلاسفة والمفكرين والمشاهير من اهل الثقافة والأدب، فكان هناك سبينوزا، وسارتر، وهيجل، وماركس، وغوتة، بوشكين وأيلوار وطاغور والمعربي، الخ، كما إنّه لاحظ أرتباط الصالة بغرفة مجاورة تزدان بأدراج مرصوفة بأعداد كبيرة من الكتب، فأيقن بأنه في حضرة انسان غير عادي.

بعد استراحة قصيرة، طلب منه استاذ فريد التفضل إلى غرفة الطعام لتناولا طعامهما معا، وقد وجد على منضدة الطعام، صحننا من التمن ومرق (البامياء) وقطعة من لحم الدجاج مع أرغفة من الخبز، وأقداحاً من العصائر، وقد أكفى الاستاذ برغيف خبز وحبات من التمر وحبتين من البطاطا المسلوقة وكأساً من عصير البرتقال، حيث علم بأنّه من النباتيين في غذائهم اليومي، ومن خلال الأحاديث على مائدة الطعام علم بأنّ (فريد) أستاذ فلسفة متყاد، يعيش في الدار هو وزوجته

بينما ولده يدرس الطب في المملكة المتحدة، وأبنته مهندسة تسكن مع زوجها في الكراده.

بعد عودتهم إلى الصالة أطلت عليهما سيدة بادية الهيبة والوقار، لم يزد ها الشيب إلا أناقة وجمالاً ومهابةً، مرحبة بـ(أبو كفاح) وهي تحمل (صينية) بلورية وقدح من الشاي الأحمر والأخر من الشاي الأخضر كان حصة الأستاذ فهو لا يشرب الشاي الأحمر تناولاً قدحيهما، وقد كبت (مظلوم) رغبته في أشعال سيكاره كعادته بعد تناول الشاي - فقد لاحظ ان الاستاذ لا يدخن، كما لاحظ عدم وجود (منفحة) للسكائر في الصالة فقرر ان يستعجل الانصراف، على ان يزورهم في اقرب فرصة ممكنة، رافقه الاستاذ الباب الخارجي، وقد اخرج (مظلوم) السمكة (البنية) من صندوق دراجته طالباً من الاستاذ قبولها هدية منه فهي بنية طازجة كان من المقرر أن تكون غذائه اليوم، ولكنه أكتفى بكرم سفترهم الشهية، لم ينشأ الاستاذ ان يريد مظلوم، رغم أنه لا يأكل اللحوم لا الحمراء ولا البيضاء، الا انَّ الأستاذة زوجته تحب السمك فهي من مدينة (العمارة) بالاصل، تناول السمكة شاكراً له كرمه السومري، مودعاً أياه على أمل اللقاء القريب.

اقتاد دراجته ملوحاً للأستاذ بالتحية، استغرق في تفكير عميق حول شخصية الأستاذ والصدفة الغريبة التي جمعته به، وعبر ربط العديد من الملاحظات وتلميحات أحاديث الأستاذ

إستنتاج (مظلوم) بأنَّه يبدو مكشوفاً تماماً أمام نظرات وحدوس وتوقعات أستاذ (فريد) لاحظ قيام بعض أصحاب المحلات يحاولون محو العديد من الشعارات القومانية من مخلفات الحرس القومي من على الشوارع والمحلات، اختفت العديد من السيطرات والمفارز التفتيشية من الساحات ومفارق الطرق.

أبْتَاعَ علبة سكائر، وعدها من أرغفة الخبز الحار (٥) بيضات المختومة بالختم الأحمر، حيث أخذ البيض الأحمر كما الرز الأمريكي، والطحين تزداد في الأسواق العراقية بعد أن كان العاق مصدرها هاماً لهذه المواد الغذائية النباتية والحيوانية، وقد كانت هذه الظاهرة مقلقة جداً (مظلوم) ورفاقه لكونها عالمة تدهور الاقتصاد العراقي الزراعي والصناعي، وضع مشترياته في سلة الدراجة ثم اعتلاها متوجهاً إلى البستان عبر الطريق المحاذي لضفة النهر، الذي اتعكست على موبيجاته المتهادية قطع ونتف من الغيوم السائرة حيث تحملها رياح تشرين. كان يراقب العديد من الطائرات الورقية الملونة تحلق في سماء المدينة التي تمتد خيوطها إلى أيدي طفولية فرحة نظراتها تعانق السماء وهي تراقب طائرتها الورقية.

مظلوم يود لو إِنَّه يستطيع أنْ يمارس هذه اللعبة الطفولية الجميلة، فلم يعرف هو وجيله من أطفال القرى العراقية مثل هذه اللعب المدينية، كانت لعبهم (كتيف عصيه) و(امهات)

و(چعاب) و(صگله) و(أم حچيل) و(غميضه) بالإضافة للسباحة وركوب الخيل والحمير طبعاً، ذهب بعيداً في ذكرياته وتصوراته حتى كاد أن ينزلق في النهر لو لا انتباهته في آخر لحظة.

قبيل الغروب وصل البستان، ركن دراجته في باب الكوخ، ولح كوهه، حفظ ارغفة الخبز في الحافظة الصغيرة، ارتدى ملابس العمل، القى نظرة خاطفة على كتبه كانه يتفقداها أو يقدم لها الأعتذار لأنه لم يقلبها اليوم، في الأثناء بدأت تطرب سمعه أوركسترا أصوات العصافير والطيور وهي تسارع للأختباء بين أغصان الأشجار لبدء ليلة سبات جديدة بعد أن اختفت آخر خيوط الشمس الغاربة.

أنزل (الفانوس) من على دكته الطينية، قام بتنظيف زجاجته مما علق بها من الدخان الأسود وتخليصها من السخام بواسطة قطعة من القماش، أعاد ملء خزانه بالنفط الأبيض، مشدباً فتيلته القطنية وتخليصها من تشبقاتها التي تشتبt الضوء وتعرقل التحكم به عند أشعالها، فلا بد أن يعوض اليوم عما فاته من المطالعة، كما إنّه بحاجة للتفكير وأتخاذ قرارات هامة خلال هذه الأيام، كما أنّ شخصية أستاذ (فرييد) شغلته كثيراً فليس من السهل فهم كنه هذا الرجل، الذي يبدو كمن كشف عن عينيه الستر والمستور، كما أنّ عليه أن يحضر

لأجتماع الهم المُقبل مع رفقاء، ومدى قدرته للتواصل مع عائلته في الريف ووو.

تناول كتاب (المعمل) للينين، مستحضرًا في مخيلته صورة هذا القائد العظيم وهو يرسم طريق حزبه ويبعد ضباب الوهم والغموض حول الكثير من الواقع والظواهر الاجتماعية والسياسية في بلدتهم، ولكن يا رفيق دجلة ليست الفولغا وبغداد ليست موسكو والناصرية ليست سانترسبورج، وأقطاعنا ليس كولاكم، وعمايمنا ليست رهبانكم.

نعم أني مقتنع تماماً بأنك لم تعمم أحکامك وأنك تذكر دوماً بخصوصية كل بلد وتذكر دوماً بالظروف الموضوعية الواجبة لكل حركة ثورية، وكم كان يقلق التخلف العلمي والأقتصادي لروسيا كعائق كبير يهدد بناء الأشتراكية في بلدكم، وكانت تراهن على ثورة أشتراكية في ألمانيا المتطرفة كعامل هام وواجب لنجاح وانتصار الثورة في روسيا، وقد كانت روسيا لا تقارن بما نحن عليه من تخلف في البنية الاقتصادية والأجتماعية فما عسانا فاعلين؟

وكيف خضت نضالاً لا هوادة فيه ضد الأنهازية، وكشفت زيف كل أشكالها وتمظهراتها (ان مظاهر الأنهازية الأمية الحالية المتماثلة في كل مكان من حيث مضمونها الاجتماعي والسياسي تختلف حسب الخصائص القومية. ففي هذا البلد أجمع الانهازيون منذ امد بعيد تحت راية خاصة وفي بلد

آخر ينفذون عمليا سياسة الراديكاليين الأشتراكيين لأنهم يحتقرون النظرية وفي بلد ثالث يريد بعض اعضاء الحزب الثوري المارقين إلى معسكر الانتهازية ان يصلوا إلى غایياتهم لا بالنضال العلني في سبيل مباديء و بتكتيک جديد بل بافساد حزبهم أفساداً تدريجيا غير ملحوظ وغير مستهدف لعقوبة، وفي مكان آخر يستعمل هؤلاء المارقون الأساليب نفسها في ظلمات الاستعباد السياسي حيث تكون العلاقة بين النشاط المشروع والنشاط غير المشروع الخ، لها طابع خاص تماما) لينين ما العمل.

أخرج سيكاره من علبة سكافاته ولعها من فتيلة الفانوس وقد توقف كثيراً عند هذا المقطع من كتاب لينين وهو يفكك الأنماط وتمظهراتها، رابطاً ذلك بما جرى ويجري الآن داخل الحزب وقيادته والدور المدمر الذي لعبته التزعنة الأنماط في تخريب الحزب وتعريضه لأكبر الخسائر، لا بل إلى خسائر لا تعوض بالنسبة للحزب والشعب والوطن، واليوم تدور جدلات حادة حد التجريح والتشهير بين اتجاهات مختلفة في قيادة الحزب والقواعد الحزبية.

هل فينا (لينين) أو فلنسأل الواقع الموضوعي والاجتماعي بلדنا هل يمكن ان يستولد رحمه امثال (لينين)?  
هل يعقل ان تختفي كل تلك الكتل البشرية الحمراء من الشارع العراقي بمثل هذه البساطة والسرعة؟

هل من الممكن ان تصمت كل تلك الاصوات الهاדרة باسم الاشتراكية والشيوعية وهي ترى ما يرتكب من ابادة همجية وتعذيب لانظير له لرموز الشيوعية وانصارها في العراق؟

لا يدرى من اين خرج هذا الكم من الاسئلة التي ما كانت تخطر له على بال، انها تتواتد وتتكاثر وتشتتى بشكل لاسبق لها، يبدو ان الواقع المؤلم حمل معه الكثير من التساؤلات التي يتوجب على المناضل الاجابة عليها، انها اعادة نظر وتقسيم جديد لاسئلة واشكالاليات طرحها الواقع الراهن وقد وضع بذلك النظرية على محك التطبيق الفعلى، وهذا ما اكد عجز القيادة للحزب في الاجابة عليه وفهمه فهما علميا ديالكتيكا بعيدا عن الفهم التقليدي والجامد للنصوص، وعدم الخضوع الاعمى لارادة الرفاق السوفيت وسواهم في الحركة الشيوعية العالمية.

لم يفق من تأملاته وحواره مع المعلم الأول، وأستحضار الواقع الا هياج معدته الخاوية الا من دخان السكائر وتولى كؤوس الشاي الذي لم يفارق رأس (الجولة) بقربه، مما جعله يتذكر أرغفة خبزه فاحضرها مع كمية من حبات التمر (الديري) ليسد رمقه ويتفادى نداء معدته التي أبت أن تشاركه همومه وأسئلته.

ما ان اكمل عشاءه حتى دب في جسده الخدر مستجينا لنسمات تشرين الباردة فأسلم رمشيه للنوم ولم يصح حتى

أكتوى بحرارة أشعة شمس الضحى، وهو أمر لم يعتد  
مسبقا، مما جعله ينهض مرتبكا وعلى عجل ألقم فمه بعض  
حبات من التمر وما تبقى من أرغفة خبز اللية الماضية، ملهيا  
نار (الجولة) للأسراع ببلوغ ماء (القوري) درجة الغليان  
لتخدير الشاي.

احتزم وحمل منجله و(مسحاته) للقيام بأعمال أعداد التربة  
للموسم الشتوي، ورعاية بعض الأشجار وتشذيبها، فقد كان  
مزعا بين ملاعبة المنجل والمسحة بعضااته ومداورة  
الافكار في دماغه، وما أقترب وقت الظهيرة، حتى اغتسل من  
عرق العمل وأستبدل ملابسه، اقفل باب الكوخ، وتوجه إلى  
حيث موعد الاجتماع برفاقه في الجانب الثاني من النهر،  
ليكون معهم صحبة رفيقه (ابو يوسف) حيث سيكون  
اجتماعهم الاول حول مائدة للغداء (سمك مسکوف) في  
منطقة نائية على شاطيء دجلة، وقد تحقق له ذلك حيث  
التقى نخبة من الرفاق كان سبق أن التقى وعمل مع بعضهم  
بينما يلتقي مع آخرين لأول مرة، وقد قرر أن يكون في هذا  
الاجتماع مستمعا أكثر منه متحدثا.

ومن خلال ما دار في الاجتماع، كان الرأي السائد هو  
الاستمرار برفع شعار أسقاط السلطة، وعدم التعويل كثيرا  
على التغييرات الشكلية في الوجوه الحاكمة بعد حل الحرس  
القومي، وقد ظهرت آراء اولية حول كيفية أسقاط النظام

القائم، بين الانقلاب العسكري، أو الثورة الشعبية المسلحة انطلاقا من الاريف، الخ، عموما التوجه العام توجها ثوريا ولكن الوسائل والاساليب والطرق والامكانيات الفعلية لا زالت تكتنفها الضبابية والغموض، اغلبها متاثرا ببردة الفعل نتيجة القمع الدموي الفاشي للسلطة، التأكيد على لم شمل الرفاق وتقوية التنظيم واعادة الصلة بالكثير من العناصر المقطوعة عن التنظيم، ومطالبة السلطات لاطلاق سراح السجناء، وأدانة ما تقوم به من تنفيذ احكام فاشية البعث ضد الشيوعيين النصارهما مطاردتهم وأقصائهم وأستبعادهم من الدوائر الحكومية، أنفض الأجتماع باتفاق الكل على العمل بعزم وجد وثبات لاعادة البناء وعدم الانجرار وراء العواطف وأبتكار واجترار الأساليب الأفضل والأنجح في تطور العمل الحزبي والجماهيري.

عاد (مظلوم) إلى البستان، مستأنفا عمله كفلاح نشيط لابد وأنْ يفي بالتزاماته لصاحب الأرض الذي أتمنه على بستانه، محاولا تحقيق أفضل التنتائج من حيث وفرة المنتوج ونوعيته وطريقة تسويقه، وقد حاز على قبول ورضا المالك ومبراته لعمله وجهده، كما كان يمارس عملية الصيد بواسطة (السلية) من على ضفة النهر، فيحصل على قوته وما يزيد من السمك الشهي، مما يقلل نفقاته، ويقوم باهداء الفائض إلى مجاوريه من الفلاحين العاملين في البساتين المجاورة الذين عقد

معهم صداقات وعلاقات حميمة، غالباً ما تكمل بالسهرات الغنائية وتناول وجبات سمكية شهية، بالإضافة إلى كونه كان المبادر دوماً في مشاركتهم افراحهم واتراحهم بكل ما يستطيع.

كان يتحين الفرصة المناسبة للذهاب إلى مدينة النجف لزيارة عائلته بعد فراق مؤلم، وقد تحقق له ذلك في مطلع عام ١٩٦٤، وبعد أن تزوجت ابنته أحد أقاربها ويرضاها، لم يتبق من عائلته سوى زوجته (أم كفاح) التي أخذ يفكر بشكل جدي لتنضم إليه في بغداد.

خلال تواصله مع رفقاء، بدت تظهر المزيد من الدعوات من قبل أعضاء في اللجنة المركزية بالشقيق لحل تنظيمات الحزب والأندماج مع الاتحاد الأشتراكي العربي، مما أثار اعترافاً قوياً من قبل قيادات وقواعد الحزب، هذا المد والجزر في مواقف قيادة الحزب شغلت بال (مظلوم) كثيراً، وهي دلالة على عدم وجود خط سياسي ناضج داخل قيادة الحزب، بين حالة من التطرف والمطالبة بأسقاط السلطة، يتلوها بعد أشهر معدودة انقلاب الشعار إلى أقصى اليمين مطالبًا بحل الحزب في حزب السلطة، مما يهدد بانشقاق خطير في قيادة الحزب ولم تلتئم جروحه بعد.

كم من يستفيق فجأة، يصاب (مظلوم) بالدهشة وكأنه يرى شعر رأسه لأول مرة من خلال مرآة الحلاق، فقد هيمن الشيب

على شعر رأسه، ولحيته، وشاربيه، فأخذ يستعيد مسيرة حياته، ويعد السنين، وحسب تخمينات والدته، فعمره الآن يقترب من السبعين عاماً، في خضم كفاح السنين لم يشعر بالسنين تمر سراغاً، لا يدرى ما الذي نبهه الآن إلى حساب السنين؟

اثناء زيارته لبيت الأستاذ (فريد) وترتيب حديقة المنزل، ذكر له أنه يفكر أن يجلب زوجته أم كفاح من ريف النجف إلى بغداد، ويفكر بأيجاد سكن مناسب لها وضمن أمكانياته المتاحة.

أبتسم أستاذ (فريد) قائلاً: وأنا احضرت لك مفتاح الدار منذ أكثر من أسبوع حين ورد إلى علمي أنك عازم على جلب عائلتك إلى بغداد، أنا عندي هنا في الكاظمية مشتمل صغير كان يسكنه أحدهم، وقد أستغنى عنه قبل فترة، فقلت بأنه سيكون لـ(أبو كفاح وام كفاح).

ولكني لم أخبرك ببنيتي هذه إلا الآن فكيف عرفت ذلك؟  
(مظلوم) أنا ما ان أقابل الفرد حتى تكون أمامي كل تفاصيل حياته، ان أردت أن أعرف ذلك، وأنت أردت أن أعرف من أنت، ولماذا انت هنا في بغداد، فلا تستغرب مني كل ما أقوله لك، ولا تخشى من علمي هذا، فأنا أعلم الكثير عن الناس ولكنني لا أتكلم الا بما يقولونه هم، أما من أين لي هذه القدرة على الكشف، وكيف أكتسبتها، وهل ولدت معي؟

فهذه أسئلة بحاجة إلى وقت وهي لاتهمك أصلاً، ولكن الذي يجب أن تعرفه أنها ليست معلومات سلطة أو جهاز أمن أو مخابرات، أنها قدرة ولدت معي وشرط ديمومتها حفظ اسرار وخصوصيات من اتعرفهم، وقد التزمت التزاماً صارماً بهذا الشرط.

لا أري أستاذ هل أنا في حضرة وجود شخص واقعي أم أنا أتخيل كل ما أراه وأسمعه؟

لا أنت تعيش في الواقع والدليل تفضل هذا مفتاح الدار التي سأدلكم عليها وقت تشاء.

لكن أستاذ (فريد) أنا لا طاقة لي بدفع إيجار مثل هذه الدار في مثل هذا المكان، فربما سافتشر عن دار متواضعة للسكن في (الثورة) أو أي حي شعبي آخر.

ومن طلب منك دفع إيجار يا (ابو كفاح) فهذه الدار يسكنها من يحتاجها دون دفع اي مبلغ إلى حين ميسرة فيتركها لغيره من هو أحق منه في سكنها، فلا تشغل بالك في هذا الأمر. لا يعرف (مظلوم) ماذا يقول وهو امام هذه المفاجآت التي لم تخطر له على بال، أراد ان يأخذ فترة من التفكير والتأمل متسائلاً مع نفسه؟

هل يحق لك أن تدعى انك مظلوم يا (مظلوم) وأنت تجد من يسهل لك أمرك أتعقد امور حياتك حتى يحضر من يمتلك مفتاح الحل، أليست محظوظاً يا مظلوم؟.

وضع يده على جبهته وهو يستعرض صورة الحاج مالك عربة الباقلاء، غنودة، وأستاذ منير، وجمال صاحب المطبعة، وحسن سريع، ومالك البستان، والآن هذا الأنسان اللغز أستاذ فريد . ألا يجدر أن يكون أسمك "محظوظ" وليس مظلوم، فما زالت حياتك تسير رغم المصاعب، وما زلت خارج زنازين السلطات التي ابتلعت العشرات من رفاقك، لا يدري هل هو "الحظ" هل هي الصدفة هل هي نتيجة حنكته وسلوكه المحترز المتذر؟

وسط دوامة هذه الأسئلة يستذكر ما قالته له الغجرية العرافه ذات يوم وهي تقرأ له كفه مقابل كاسة من (البلبي) انه محبوب ومحظوظ، يحلم أن يمسك الشمس، وأن يعتلي القمر، وقتها ضحك كثيرا هازئاً بقول الغجرية.

أي حظ هذا وأنا؟ أجوب الشوارع ابيع الباقلاء والبلبي لأحصل على لقمة العيش، والمشاكل تلاحقتني من كل حدب وصوب؟

لا أدرى كيف يوازن النسان بين العلم وبين الميتافيزيقيا، هل هما مفترقان أم النسان لا يزال عاجزاً عن فهم حياته، وواقعه ومستقبله، عاجزاً عن فهم ما محته الطبيعة من قوى تبدو خارقة، ككنوز غير مكتشفة لا يستدل على مكامنها إلا قلة من البشر، وربما يكون "فريد" أحدهم، عموماً ما زال امامك الكثير.

ألقم فمه سيكاراً محرقاً حزماً تساوّلاًاته، ثم بدأ بمبشرة العمل في الواح الحديقة، فهي بحاجة لتشذيب أشجار الورد والزيتون، والنخلات بدت بحاجة ماسة إلى (التكلريب) وأزالة السعف اليابس الزائد فهي خمس نخلات من البرحي الرائع، كما أنَّ الحديقة بحاجة إلى كمية من السماد العضوي.

أخبر أستاذ (فريد) بمتطلبات الحديقة، ففوضه شراء وجلب كل ما يحتاجه وسيعطيه المبلغ الكافي لذلك.

تركه الأستاذ يعمل متحسساً مدى حاجته للأختلاء بنفسه ليعود إلى توازنه بعد سلسلة المفاجآت التي سمعها توا، دخل الدار ثم عاد إليه بعد قليل وقد جلب له (صينية) أفطاره، صمونتين وماعون (قيم) عرب، وقوري صغير شاي مع قدح و(شكردان) مذهب جميل.

تفضل (أبو كفاح) فطورك هذا من إعدادي أنا.

نعم أستاذ رغم اني تناولت أفطاري في البستان ولكنني لا أرفض لكم طلباً، وسأكون سعيداً بمشاركتي طعام الفطور أو على الأقل تشارك في احتساء أقداح الشاي.

جلس (فريد) قبالته، متناولاً قدحاً من الشاي ولكن بدون سكر، فسأله أستاذ لا سامح الله هل انت مصاب بالسكر؟

كلا عزيزي (أبو كفاح) ولكن هل تعلم ان السكر اشد فتكاً من الملح وكليهما يطلق عليهما العلماء اسم (السم الابيض) وانصحك بتركهما ان استطعت إلى ذلك سبيلاً.

بالمناسبة (مظلوم) اطلب منك ان لا تمثل امامي بانك لا تقرأ ولا تكتب، فأنا أعرف أنك على درجة جيدة من الثقافة وقاريء لهم للكتاب وأنا مسرور بذلك.

أرجفت يد (مظلوم) وضع قدح الشاي في (الصينية) وقأنفت مقلته تعجباً واستغراباً لما سمع من مفاجأة مذهلة. مظلوم ألم أقل لك لاستغرب، وبالمناسبة فأنا أضع مكتبي تحت تصرفك، فبامكانك أن تستعير أي كتاب تشاء، ولا شرط لي إلا المحافظة عليه وتحديد سقف زمني لاتتجاوزه لأعادته، وأنا واثق بإنّك خير من يلتزم بهذه الشروط نظراً لمحبتك للكتاب.

ربما يستغرب من يطلع على تاريخ حياتك أن تتمكن من أملاك ناصية الثقافة والوعي بمثل هذه الفترة الزمنية، من فلاح أمي، إلى مثقف واعي، ولكن قوة اليمان بقضية، وقوة الرغبة والدافع للمعرفة، والتفكير في فك أسرار الحياة، وطبيعة هذا العالم، يمكن أن تتجاوز المستحيل. عذراً يبدو إني قد استرسلت في تفسير ظاهرة أنت محورها، فأنت اعلم بذاتك، عفواً أخي "أبو كفاح".

تفضل أكمل فطورك وواصل عملك فالحديقة بحاجة كبيرة لعنائك وحنانك، اشعر انك ارتبطت مع اشجارها ونخلاتها وزهورها بعلاقة حب وتناغم رائعة، انها ملعبك المفضل،

فدعنا نستمتع بعزف منجلكم الحاذق في مغازلة وتزيين  
الأشجار والشجيرات.

كما تشاء استاذ (فريد) انت امطرتني هذا اليوم بوابل من المفاجآت المذهلة، شكرال لك على وجبة الافطار، والآن حي على خير العمل). ودعني أستمتع بنوع آخر من السموم (نيكوتين السكائر) لأي أعلم إك لا تطيقها.

يا (اباكافح) هل تعلم: إنَّ حتى النباتات لاتطبق رائحة التبغ، فهي تزودك باوكسجين نقى وأنت تبادلها بالنيكوتين السام، تفضل دخن ولكن راقب الزهور فانَّها ستنكشم على أوراقها كمن يحاول الهروب من هذا (الأنفجار النووي) المدمر ليبيتها، أني أراها تكاد تخنق وهي تشم رائحة دخان عوادم السيارات المارة في الشارع ولكن.

أستاذ (فريد) ها يشلون تاليته وياك لا ملح ولا شكر ولا دهن كلنه مخالف بس لا جكاير هاي صعبه، هسه شلون نشد منك؟ لو نشد من الورد حتى ندخن؟

عمي أمري لله راح أطلع بالشارع أدخلني جگاره وأجي لا يروح ايفشخني النخل ويخرمشني ويبچي الورد ههه.

أكمل (مظلوم) عمله، وتناول وجبة الغداء مع استاذ (فريد) دار بينهما حديثا طويلا، حول أمور مختلفة تناولت الثقافة والسياسة وما يجري على الساحة العراقية، استاذته على ان يعود ليخبره بوقت مجيء ام كفاح وليدله على الدار، شاكرنا

له كل ما قدمه له، وقد اعطاه الاستاذ مبلغاً من المال كاجرة عمل وتكليف شراء وجلب ماتحتاجه الحديقة وقت يشاء. قرر (مظلوم) ان يخبر الحاج صاحب البستان بنيته في ارسال خبر لزوجته لتتحقق به في بغداد، وبذلك سيكون سكنه خارج البستان ليكون على بيته.

رحب به الحاج معلنا عدم اعتراضه على نيته، وانه مستعد لمساعدته بكل ما يحتاجه للمن شمل عائلته، واعطاه مبلغاً من المال متمنيا له السلامة والراحة.

أرسل (مظلوم) خبراً إلى أم كفاح لتجهز نفسها لكي تأتي إلى الكاظمية لتلقاه في مكان متفق عليه مع من سيرافقها إلى بغداد وان لا تخبر احداً من أشقائهما بنيته وأنّها ذاهبة في زيارة عادية كعادتها إلى الكاظمية لزيارة الأمام الكاظم، فما زالت الأوضاع لا تشير إلى الأطمئنان. مما زالت السلطة تلاحق الحزب ومناضليه.

واصل عمله في البستان على افضل وجه وقد حقق نجاحاً واضحاً في وفرة المنتج ونوعيته، كما اصبح معروفاً لأغلب فلاحي البساتين على شاطيء دجلة ومحبوباً من قبل الصيادين حيث يمارس الصيد أحياناً من قبل الهواية وليس الأحتراف.

وهو جالس أمام مرآة الحلاق، هاله الشيب الذي غزا شعر رأسه بشكل رهيب متسائلاً عن نفسه عن سبب هذا الشيب:

ما يجري الآن من حالة التشتت والفوضى داخل قيادة  
الحزب؟

أو هو هول المعاناة وطول مشوار النضال والعمل المضني،  
وألم الفراق والوحدة؟

شعر بقليل من الأنتعاش والحيوية بعد أن أكمل الحلاق  
حلاقة شعر رأسه وذقنه، وعطره بماء الكولونيا المنعشة،  
مستذكر أيام الشباب، شد حزامه جيداً، مما تطلب المزيد من  
عبور ثقوب جديدة، حيث بدأ جسمه يذبل سنة بعد أخرى،  
وقرر حضور حفلة مصغرة بمناسبة عيد رأس السنة ١٩٦٦  
مع استاذ (فريد) الذي أصر على مشاركته أحتجاليتهما الثانية  
فقط، حيث أعد لها الأستاذ عدتها، ولكنه قرر أن يأخذ له  
جولة صيد في دجلة، فلابد من شبوط أو بنية في وجبة عشاء  
هذه الليلة، ركب دراجته التي بدت ليست كما كانت رشيقة  
مناسبة العجلات، بل تطلب منه المزيد من الجهد لتندفع  
للأمام.

مالك أيتها الدراجة هل اخذت تشعرين بشيخوختي وتناقص  
قوتي، وبدلًا من مساعدتي تزيدن همي وتعرقلين حركتي؟  
عفه والله انا ابوك ياكفاح.

أخرج علبة سكافاته من جيده وهو يوجه الدراجة باليد  
الأخرى، سحب سيكاره بأسنانه، اعاد العلبة إلى جيده ثم  
ولعها بـ(زناده) النفطي، زاده الشوق لام كفاح حسرا والمما

فأخذ يدندن مع نفسه بأبوذية حزينة يناغي الحبيبة، ويستذكر الأحباب والرفاق، عزيزنه (سعوده) وعزيزه (كفاح) تمكن من أخباره في الفترة الأخيرة، وقد اشرف على اكمال دراسته والحصول على شهادة (الكانديدات) الدكتوراه في الأدب من جامعة (باتريس لومبادا) وأن له حضورا مميزا في عالم الثقافة والأدب بين زملائه ورفاقه العرب والسوفيت.

بعد أن وصل إلى البستان، طبطب على دراجته طالبا منها أن لا تزعزع بسبب عتبه عليها، وكأنه فهم قبولها اعتذاره، ولكنها عتبت عليه، فهو لم يستبدل الأطارات القديمة، ولم يزيت (الماكنة) منذ زمن، مما أصاب (الزنجيل) والماكنة الصدا، فسبب لها كل ذلك صعوبة الحركة، تبسم، ركناها جانبا، وتناول (سليتها) واطل على ضفة النهر، ناشرا ايها لتحط غاطسة على سطحة الماء وكأنها تمنورة فتاة في ذروة رقصتها، بعد عدد من الرميات حصل على مبتغاه، في أصطياد بنیتان متوسطتي الحجم تسدان الغرض.

أخرج من حقيبة المعدنية، سروالا، وقميصا، جاكيته الصوفي، بالإضافة إلى معطفه الذي اهداه اياه يوما رفيقه الشهيد (منير) وقد جلبه معه من الاتحاد السوفياتي خلال سفرته إلى هناك . قبيل أحدهات شباط الأسود خلال لقاءهما وفطنته إلى ما يعانيه من برودة كانون الثاني وشباط في ذلك

العام المشؤوم

شم رائحته مستذكرا طيبة وذكاء وتفاني رفيقه الراحل، لم يتمكن من احتباس دمعة شقت طريقها عبر غضون وجنتيه. تدارك حزنه لف الملابس داخل ملف خاص، ووضعها في سلة الدراجة، ووضع السمكتين في كيس آخر، ووضعها في السلة أيضا، احکم قفل باب الكوخ اخرج دراجته واغلق خلفه باب سياج البستان من الخارج، وتوجه صوب الكاظمية، وبالخصوص نحو احد الحمامات العمومية للاغتسال، قصد بالفعل حماماً في شارع باب المراد، فقد سبق له وان اغتسل في حمام (الجوادين) حين يريد الاغتسال ولا يمتلك المزاج ولا الوقت لتدفئة الماء على (الجولة) أو الحطب في البستان، رغم انه اعد حيزا صغيرا من سعف النخيل ليكون بمثابة حمام يغتسل داخله حيث يشاء.

أنتذر له مكانا في باحة الحمام المتكافئ للبخار، وسط موسيقى خرير صنابير الماء وتدخل اصوات المستحمين، واستعراض اجسادهم في الصالة الواسعة على شكل قبة تساقط من سقفها قطرات الماء المتكافئ من بخار ماء الصنابير للمستحمين.

أخذ أحدهم يعني أبوذية بصوت شجي، أثارت شجون (مظلوم) فأخذنا يتباريأن ويتناوبان في الغناء خلال طرطشات الماء الساخن، وسط أتعاب واطراب ومشاركة كل المستحمين، مما جذب حتى أصحاب الغرف الخاصة إلى

دخول القاعة ومشاركتهم تغريداتهم الشجية، كان كأس الأعجاب المعلا من نصيب (مظلوم) الذي أبهر الجميع بجمال مفرداته وعذوبة ورقه صوته، فأخذ ينقلهم بين النشيج والبكاء بأبواذياته تارة، ويرقصهم فرحاً عبر (بستته) الجماعية الجميلة تارة أخرى، متسائلين كيف لا يسمعون مثل هذا الصوت الذي قد يفوق حضيري وداخل حسن من خلال أذاعة بغداد ولا توجد له تسجيلات في محلات التسجيل.

تدافع العديد من المستحممين لدفع أجرة إستحمامه وثمن (الدارسين) الذي أحتساه فيما قاسمه الآخرين ما جلبوه معهم من حمضيات إعتماداً على تناولها في داخل الحمام لتفادي البرد أو الاصابة بالانفلونزا، بصعوبة بالغة تمكن من الأفلات من دعوات بعضهم لمشاركته ليته للأحتفال بمناسبة أعياد رأس السنة الميلادية، كور الملابس التي كان يرتديها قبل الأستحمام ولفها بملف الملابس النظيفة، أكمل لباسه وأرتدى معطفه المهيب، فظهر بكل وسامته وهيبته وكأنه استاذًا جامعياً، وليس بستانياً بسيطاً.

ودع الجميع شاكراً لهم حبهم وموعدتهم وكرمهما، فقد السمكتين في سلة الدراجة فوجدهما على حالهما، وضع ملف ملابسه فوقها، وقاد دراجته مشياً، حتى نفذ إلى الشوارع الفرعية فأعتلى دراجته متوجهاً صوب دار الأستاذ (فريد) وقد أصطبغت الغيوم الداكنة بحمرة الشمس الغاربة.

ألقى بعقب السكارا بعيداً بعد أن أمتص منه نفساً عميقاً، نافثاً  
أمامه دوامة من الدخان كادت تحجب رؤياه عن مشاهدة  
جرس باب دار استاذ (فريدي) فتح باب سياج الحديقة النص  
موارب، ادخل دراجته، وجد لها متكاً على الحائط، فاطل  
استاذ (فريدي) من باب مدخل غرفة الضيوف هاشا باشا مرحباً.  
أهلاً ومرحباً أستاذ (مظلوم) أهلاً بهذه الطلة الأنique ولا  
أساتذة الجامعات، فرح بقدومكم العام الجديد، أيها المناضل  
من أجل عالم أجمل.

شكراً لكم أستاذ (فريدي) أراكاليوم تجامعني بما لاعهدة لي  
به من قبلكم.

تفضل الآن تفضل ودعك من الاعتراضات، فأنا لا أجامل  
ابداً، فأنت بالفعل أستاذ الفعل والقول وهذا هو معنى  
الأستاذية بنظري.

شكراً لاستقبالكم وتواضعكم الرائع، ولكن دعني اجلب  
السمك من (سلة) الدراجة خشية أن تسرقها قطة عابرة،  
لأشعه في المطبخ لحين وقت العشاء، واستاذن من الاستاذ  
أن يقوم بتنظيفها وتهيئتها للشي حيث سيقوم (بسقفها) بنفسه  
على الحطب في الحديقة. وبعد أن اكمل عمله.

اخذ مجلسه في الصالة كانت أمامه منضدة، وضعفت فوقها  
كؤوس من الكريستال الجميل، وقنيتان من النبيذ الأحمر

المعتق، ومكسرات مختلفة، وفواكه مختلفة، وأوراق من  
الخسن.

نعم، هيا يا صديقي تفضل، بعد أن أدار أستاذ (فريد) كأسين  
من النبيذ متبدلاً نخب المحبة والصداقة مع (مظلوم).  
أبو كفاح انت في دارك فلا تتحرج، فاني أرى ان محياك  
يحمل هما ثقيلاً، وقلقاً ينبعض عليك حياتك، هذه هي الحياة  
يارفيقي عبارة عن صراع دائم لا يتوقف الا بعد الموت، كما  
نرى، ويستمر بعد الموت كما برى المتدینون.

ماذا عساني أن أقول لكم أستاذ (فريد) وأنت تعلم تماماً ما أنا  
فيه وما يمر به شعبنا العراقي عموماً.

أنَّ ما يقلق حملة المباديء هو حالة التشوش واللاإوضوح،  
 فهي أثقل عليه من أقسى أنواع التعذيب، وأتأت تشهد حالة  
من الأرباك وفوضى القرار بالنسبة للحزب، والتراجح الغير  
مفهوم بين اليمين المهادون واليسار الشائز، مشكلتنا الكبرى  
يا صديقي إننا نقلد ولا نفكر، نعكر ولا ننور، نبشر ولا نفسر.  
هل يمكننا أن نفتخر فعلاً بأننا حزب الشهداء؟

وهل سلكتنا هذا الطريق لنحصل على درجة الشهادة، هل  
نحن نؤمن بمكافأة الشهادة؟

وهل سنحصل عليها في جنة الأرض التي نحلم بها أو في  
جنة السماء التي لانؤمن بها؟

أم أرتضينا هذا المخدر الديني الميتافيزيقي لتهدهة الخواطر  
ولتوفير القناعة للمناضلين للتضحية بالنفس مقابل وسام  
الشهادة المزيف؟

عذرا ربما تكون مثل هذه الاسئلة المثارة من قبلـي صادمة،  
ولكن عذرـي في ذلك انك صديقـي، وانك فلاح فـكر اكـثر  
منك فلاح ارض، يـسرني صدقـك وتفانيـك من اجل اهدـاف  
سامـية ونبـيلة ولكنـ.

رتب الاستاذ نظارـته، محـتسـيا ما فيـ كـأسـه، مشـجـعا (ابـو كـفـاحـ)  
لمـواصـلـة الشـرابـ، ولهـ انـ يـدـخـنـ سـيـكـارـتـهـ متـىـ يـشـاءـ، فـهـنـاكـ  
مـفـرـغـةـ هـوـاءـ مـوـضـوـعـةـ فـوـقـ رـاسـهـ بـالـضـبـطـ، سـتـكـونـ كـفـيـلـةـ بـطـرـدـ  
الـدـخـانـ خـارـجـ الغـرـفـةـ.

احـسـنـتـ استـاذـ (فـرـيدـ) فـقـدـ كـانـتـ هـذـهـ مـعـضـلـتـيـ، فـلـاـيمـكـنـتـيـ  
اشـرـبـ دـوـنـ اـدـخـنـ اـبـداـ، فالـسـيـكـارـةـ هـيـ (مـزـتـيـ) سـارـعـ إـلـىـ  
وـضـعـ عـلـبـةـ سـكـائـرـهـ اـمـامـهـ، وـلـعـ الـأـوـلـىـ بـلـهـفـةـ كـبـيرـةـ، ثـمـ اـفـرغـ  
فيـ جـوـفـهـ كـأـسـ النـبـيـذـ وـهـوـ يـقـولـ: استـاذـ (فـرـيدـ) آـنـيـ ماـ يـفـكـ  
دـمـاغـيـ غـيـرـ (الـزـحـلـاوـيـ) وـهـذـاـ النـبـيـذـ يـصـلـحـ اـيـصـيرـ مـزـهـ هـهـهـ.

ضـحـكـ (فـرـيدـ) وـقـالـ (ابـو كـفـاحـ) النـبـيـذـ يـفـتـحـ الشـرـائـينـ، وـيـنـشـطـ  
خـلـاـيـاـ الـمـخـ، وـيـشـجـعـ عـلـىـ الـحـدـيـثـ، دـوـنـ اـنـ يـجـرـهـ لـلـشـطـطـ  
وـالـخـمـولـ، بـمـعـنـىـ اـنـ يـيـسـرـ وـلـاـ يـسـكـرـ.

شكرا لكم صديقي انا أتمنى أن أسمع وانصت إلى ماتقوله  
وماتراه في مثل هذه الفرصة الرائعة التي أتحتها لي للقاء بك،  
فكيف ترى الأوضاع أنت الآن؟

محبتنا يا صديقي أتنا نقرأ العلم ولا نتعلم أن لم نقل لا نتمثله،  
أن دماء الشباب وحماسهم وأنصارهم لقيم الحرية والعدالة  
كما هي في محل ولادتها، أدى إلى أن تكون أرادت الذات  
هي الفاعلة في بناء وتشكيل منظمات ثورية ومنها الحزب  
الشيوعي العراقي دون وجود أساس موضوعي ودون وجود  
أرضية يمكن أن يقف عليها هذا الحزب.

فلو أثنا نظرنا إلى المجتمع العراقي في ضوء النظرية  
الماركسية، هل ستتمكن افراز طبقة برجوازية وطنية منتجة،  
وبالتالي هل نستطيع أن نفرز وجود برولتاريا صناعية منظمة،  
وهل نجد طبقة وسطى فاعلة، ففي بلد تهيمن عليه الصفة  
الزراعية تحت أمرة الاقطاع، وتشكل الأممية آفة تلد الجهل  
والتخلف، والعلاقات العشائرية تحكم الفلاح والأفندى على  
حد السواء، شيخ العشيرة وامام الجامع حكمه يفوق حكم  
قانون الدولة وتشريعاتها.

في مثل هكذا بنية اقتصادية اجتماعية أين تجد الحامل  
الفكري للفكر الماركسي الشيوعي وأين هي الطبقة العاملة  
بذاتها ولذاتها، كم عدد عمالنا وكم هو عدد معاملنا، ونحن

نستورد من العالم الخارجي حتى علبة الكبريت ناهيك عن السيارة والطياره والقطار.

أنت بالتأكيد مطلع على الثورات الجماهيرية في القرون الوسطى قبل أن تبلور الطبقة البرجوازية في العالم، ثورة العبيد بقيادة سبارتوكوس وثورة بابك الخرمي، وثورة القرامطة، وثورة الزنج، وأنفاضات وثورات العلوين ضد الأمويين والعباسيين، الخ.

كل هذه الثورات وقادتها لم تكن تمتلك فلسفتها الخاصة كذات طبقيّة مستقلة، وأنما كانت تلبس جلباب القوة النقيضة، وفكّر نقيضها الطبقي من الأقطاعيين والنبلاء، والفكر الديني بالنسبة لثورات العالم الإسلامي، وهذا هو أحد أسباب فشلها وعدم تجذرها، بمعنى عدم وجود حامل فكري وعدم وجود موضوع لولادة فكر ثوري يخلص هذه الطبقات من بؤسها، بسبب عدم نضوج الرحم المولد لهذا الفكر ونقصد به الطبقة البرجوازية المتوجه ونقيضها الطبقي الطبقة العاملة وبينهما الطبقة المتوسطة.

عفوًا عموماً هذا حديث يطول "أبو كفاح" ولكن لا بد منه لأيصال سبب العجز الموضوعي لعدم نضج فكر وسياسة أحزابنا السياسية في بلدان التخلف.

كان (لينين) صادقاً مع نفسه ومع رفاقه اذ ربط نجاح الثورة الاشتراكية الروسية بنجاح ثورة مماثلة في المانيا المتطرفة

صناعياً وتمتلك البنية التحتية القادرة على تمكين الحزب من انجاز مهامه الاشتراكية في العمل المنتج والتوزيع، اعتماداً على طبقة عاملة مقتدرة من حيث النوع والعدد على أسناد التحولات الثورية ان لم نقل قيادتها كما هو المفترض في كل ثورة اشتراكية، وانت ترى حجم معاناة الاتحاد السوفياتي في هذا المجال وما قام به ستالين ما هو الا نزعه أرادوية لتوفير البنية الاقتصادية التحتية القادرة على أدامة التحولات الاشتراكية، ولا ندري كيف سيكون مستقبل الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي هذا اذا كانت هناك أشتراكية فعلاً؟

لذلك لم يكن (لينين) محقاً بوصف (كاوتسي) بالمرتد، وبذلك فقد ركب مركب الدين رغم نقهده له، الارتداد من صلب الفكر الديني والمرتد حكمه القتل في أغلب الأديان. فكاوتسي يرى إنَّ روسيا ليست مهيأة لثورة اشتراكية، بل لثورة برجوازية ديمقراطية تمهد الأرض للتحول الاشتراكي، ولو كان ذلك لما كان (ستالين) ولما كانت فضائعه المشهورة بحق حتى أقرب رفقاء، رغم انه ولاشك يعمل مخلصاً من أجل اهداف سامية ونبيلة ألا وهي إقامة النظام الاشتراكي والشيوعي ويرى أنَّ كل فعل مهما كان قاسياً ولا إنسانياً ممكن أن يسهل ويمهد للوصول إلى الهدف بمعنى (الغاية تبرر الوسيلة)

أستاذ (فريد) في كل ما تقدمت به إلى أين تريد أن تصل  
بالضبط؟

أقول أولاً حتى لا تذهب بعيداً في الحكم عليّ، اني مقتنع  
كامل القناعة بالماركسية كمنهج حياة وكطريق تفكير وتغيير،  
وما أقوله ازعم بأنه هو القراءة العلمية والعملية للماركسية،  
فلا يمكن أن يكون هناك حزباً شيوعياً في بلد ما زال يحرث  
أرضه بفدان تجره الشiran، ولا يمكن أن يكون هناك حزباً  
شيوعياً يعني أكثر من ثلثي سكانه من الأمية الأبجدية ناهيك  
عن الأمية الثقافية، بمعنى أنَّ الشيوعية لا يمكن أن تكون حزباً  
جماهيريَا في هذه البلدان.

والا أين ذهب مليون عراقي يحملون الأعلام الحمراء في  
١٩٥٩، صبيحة الثامن شباط الأسود؟

وكيف تتصور وجود أحزاب في بلد السياسي يغتصب،  
ويستحق رأسه (بالمنكنه) ويقوى جسده بالكهرباء واعقاب  
السكائر، وينشر جسد بالمنشار الكهربائي، وتسمل عيونه،  
ويذاب جسده بالتizerab ووووو حتى يعلن ولائه لسلطة حزب  
حاكم، وليخون رفاقه واصدقائه، بمعنى ان كل (حزب) قاتل  
ومقصي للحزب الآخر وبقوه السلاح والبطش والتعذيب.

إنكم تقدمون القرابين تلو القرابين من أروع وأثشف وأنبل  
أبناء وبنات العراق من أجل ان تستجيب (الآلهة) التي  
لاتؤمنون بها لأمانيكم في دولة الاشتراكية والسلام، كما يقدم

البوديون وشعب الازتيك القرابين البشرية من اجل ارضاء  
الشيطان والهبة الخصب وتمنح شعوبكم الخير والعدل  
والسلام، وكانكم تشربون دماء شهدائكم لتمنحكم القوة، كما  
يشربون دماء قرابين عذراواتهم لتكسبهم القوة والعز  
والمقاومة!

وها هي قرابينكم لاتقطع تتوافق وتذبح على مذبح الحرية  
منذ فهد وحازم وصارم والجواهري والدباس وسلام عادل  
وحسن سريع والقائمة تطول بالمئات والآلاف ولا زالت،  
فهل هذا معقول؟

هل هذه أحزاب سياسية تبني دولاً أم قبائل جاهلية يغزو  
ويفتک بعضها ببعضاً؟

كم عامل في قيادة حزبكم "أو حتى في قيادة أغلب الأحزاب  
الشيوعية العالمية ومنها البلدان (الاشتراكية)؟  
فلا زال التمثيل بالنيابة، ولا زالت البرجوازية تقود وتفرض  
قيوميتها بسبب قصور الموضوع؟

أدأر مظلوم النبيذ في الكأسين، وأستل سيكاره الجمهوري  
وهو يستمع بعمق إلى ما يقوله استاذ (فريد) الذي ييدو  
كشلال دافق من الحقائق والاسئلة المذهلة؟

أرجو أن لا أكون قد ذهبت بعيداً في تحليلاتي وأسئلتي  
وأستنتاجاتي، ولكنني أدعوك أن لا تستغرب أبداً وأن ترى  
هذه الفوضى الفكرية، والمد والجزر، والتحولات السريعة

والمفاجئة بين تطرف يساري وذليلة يمينية في قيادة الحزب وموافقه السياسية، فهذا انعكاس طبيعي لطبيعة هذه القيادة وخلل بنوي في البنية التنظيمية للحزب وأنعدام المعادل الموضوعي لوجود حزب شيعي في مجتمع متعدد وستستمر هذه الحالة ترافق الحزب لأنّه جزء من مجتمع يتحول تدريجياً إلى كتلة بشرية بدلاً من طبقات اجتماعية ممتدة تمثل كل منها بذاتها المستقلة والمرتبطة جديداً بالطبقات الاجتماعية الأخرى!

استاذ (فريد) هل أنت تحضر المجتمعات قيادة الحزب؟  
طبعاً لا وأنا لست ملتزماً تنظيمياً ولا علاقة لي بتنظيماتكم  
ومنذ عقود من الزمن ولكنني أرى كل هذا بعين وفكّر وبصيرة  
ماركس وانجلس وليس بعين وبصيرة غيرهم.

أشرب نخبك أستاذ، وسأقوم لتحضير الحطب من أجل سقف السمك فهو عشائي، أتمنى أن تشاركتني وتنخلعي عن نباتتيك هذه الليلة، فقد قاربت الساعة العاشرة، السيدة على وشك القدوم، ولا بد لي أنْ أخلي لكم الجلسة لتحتفلوا أنت وزوجتك الفاضلة بعيد رأس السنة.

تفضل أنت أكمل عملك، أما أنا فسأعشش مع حبيبتي فستجلب معها عشاء الليلة من بيت إبنتها في الكرادة.  
أشعل (مظلوم) النار في كوم الحطب في ممر الحديقة الأسمتي بعيداً عن شجيرات الورد، وضع سمكته بعد ملحها

بمواجهة النار، وقد وقف (فريد) يراقبه، وهو يمسك بكأس شرابه، مشيدا ببراعة (مظلوم) في شيء السمك المسقوف على الطريقة البغدادية (النؤاسية) المعروفة.

قفز قط من الشارع مستقرا على سياح الحديقة، وكأنه يمتع نفسه بذائقه الشواء، وهو يراقبهما بحذر، عسى أن يغفل، وأن لم يغفل فلا بد من انتظار فضلاتهم، أختصم مع (عتوي) آخر . فأبعده نحو الزاوية الثانية.

أستاذ (فريد) هناك بعض النباتيين يستثنون الأسماك من قائمة اللحوم التي لا يتناولونها فما رأيك؟

نعم مرة يمتنع الإنسان عن أكل كائن حي ولاشك أن الأسماك ستكون من ضمن محظوراته، والبعض يحضر على نفسه أكل اللحوم الحمراء فقط وأغلب هؤلاء من المصابين بأرتفاع نسبة الأملاح في دمائهم يعني يمتنعون لأسباب مرضية أو حسب نصيحة الطبيب، والبعض الآخر تمنعه ديانته عن أكل أنواع محددة من اللحوم، فقد حرم الإسلام على المسلمين أكل لحم الخنزير.

ولكنه حرم الخمرة أيضاً وها نحن نحتسيها . هههه . ربما نحن لا نمتنع بداعي ديني ولكن للبيئة اثراً كبيراً على أغلبنا، فمن الصعوبة مثلاً ان تتقبل لحم الخنزير، لأننا امتنعنا أو منعنا من تناوله منذ الطفولة.

شعر (فريـد) انه قد أثـقل عـلـى (مـظلـوم) بـتـحـليـلاتـه وـتـوـقـعـاتـه  
وـأـرـائـه الـتي قد تـكـون صـادـمـة لـصـديـقهـ، رـغـم أـنـه تـلـمـس لـديـه  
حيـزاً غـير يـسـيرا من التـسـاؤـل وـربـما قد طـرـح عـلـى نـفـسـه الكـثـير  
من هـذـه الأـسـئـلة وـاـنـ لم تـكـن بمـثـل هـذـه الدـقـة وـالـعـمـقـ، وـلـكـنـ  
ما العـلـم وـهـو غالـبا ما يـكـيـهم بـمـرـارـةـ، فـهـم كـالـمـصـابـحـ المـنـيـرـةـ  
تـقـوم بـتـحـطـيمـها خـفـافـيشـ الـظـلـامـ دونـ رـحـمةـ.

نقل السمك المشوية إلى غرفة الطعام، التي هيأها له (فريد) مع أرغفة الخبز، والبصل، والطريشي، والطمطةة، بالإضافة إلى (دبس الرمان) مما يدل على إنّه ملّم بمتطلبات ومقبلات السمك المskوف على الرغم من إنّه لا يأكله، ولكن رفيقته وشريكة حياته تحبه كثيراً.

أكمل (مظلوم) عشائه، مؤجلاً شرب الشاي بعد أن يكمل سهرته في كوهه وكؤوس (الزحلاوي) كما اعتاد ذلك. ذكر الأستاذ بأنه سيأتي إليه صباح يوم الأحد الثاني من كانون الثاني ١٩٦٦ لكي يدلّه على الدار، فام كفاح ستكون في بغداد في نهاية الأسبوع يوم الخميس ليلة الجمعة لزيارة ضريح الأمام الكاظم والمكوث هنا، ودعاه والى لقاء قريب، وقد طلب منه (فريد) ان يكون هو وأم كفاح ضيوفه في مساء يوم الجمعة.

ركب دراجته، وتوجه صوب البستان مباشرة، وقد زال قليلاً  
الخدر أثر تعريضه للسعة الهواء البارد وقليلاً من رذاذ المطر

المنعش، رغم فوران الأسئلة، وأجوبتها تفور في رأسه، بعد هذه الجلسة مع هذا الرجل الغريب عالم الغيب وكاشف السر، ولو أنه يؤمن بأصحاب الكرامات لقال بأنه واحد منهم، ولكنه يقول أنه يرى بعين وبصيرة ماركس، أحقاً لهذا الحد يمكن أن يكون فكر ماركس كاشفاً للسر شارحاً للصدر مزيلاً الحجب فإذا كان هذا صحيحاً فما أجهلنا وأجهل قادتنا بفكرة ومنهج ماركس؟

ألا ترى إنك تمادي كثيراً رفيق (مظلوم)؟  
بماذا تمادي؟

كشفت نفسك وكشفت أسرار الحزب لأسان لا تعرف من هو، ولم تتعد معرفتك له بضعة أسابيع، فكيف تسمح لنفسك بذلك؟

ولكن من أنت حتى تحاسبني وتخاطبني بهذه الطريقة؟  
- أنا لصيقك، أنا رقيبك الذي أختارني بأرادتك، هل تتنكر لي الآن وبعد كل هذه الخروقات اللامقبولة أبداً؟

ما هذا أين أنا، أحس بأصطدام الدراجة بباب البستان، عاد لرشده، فتح الباب وولج هو ودراجته إلى الداخل محكماً أغلاق الباب من خلفه، وضع الدراجة جانباً والتي اثقلت إطاراتها بالطين أثر بلل الشارع الترابي بثيث المطر، فتح باب الكوخ، أشعل فتيل (الفانوس) خلع معطفه، استل (بطل) الزحلاوي من تحت السرير، وبasher شرابه، ممتزاً بدخان

سكائره وبعضاً من حبات الفستق المملحة التي جلبها من بيت استاذ (فرييد) وقعت عينه على صورة (ماركس) على غلاف كتاب كان يقرأه قبل ذهابه لأستاذ (فرييد) فماهى معه بأعتباره أنيسه وشريكه جلسته لهذه الليلة.

وانت ماذا تقول رفيق (ماركس)؟

- أبتسم وكأنه ساخراً من سؤاله، وماذا أقول أكثر وأوضح مما قلت، ولكن للاسف أرى أنَّ أغلبكم لا يفقه ما أقول، يردد مقولاتي دون أن يعي ولا يتذكر معانيها، لايسعني الآن بالنسبة لحالتكم الا أنْ أعيد مقالتي قبل عشرات من السنين.  
أنا لست ماركسيا).

عبث الرياح باوراق الكتاب، فأختفت صورة ماركس من أمام (مظلوم) غادره دون استئذان، وقد بدا غير راضيا، ان لم نقل مستاء!

أفرغ كأسه مرة واحدة في جوفه، مملحا فمه بحبات من الفستق، ممتصا نفسا عميقا من سيكارته (الجمهوري) ثم نفث دخانها دوامة كشلال يجرف معه أكdas الاسئلة الهائجة في رأس (مظلوم).

أفرغ المزيد من الزحلاوي في جوفه، حتى طرح (البطل) جوفا فارغا، فدب الخدر في جسده واصبح رأسه ثقيلا، خفض ضوء фонарь إلى أدنى، أوصد باب الكوخ جيدا، خلع حذائه، ثم القى برأسه على الوسادة متذررا ببطانيته (فتح

باشا) متقيا لساعات البرد، مستمعا لصوت قطرات المطر وهي تدغدغ سقف الكوخ، ثم غط في نوم عميق.

"الله الله كم انا مشتاق لاحتضانك حبيبي (حيوته) ما أجملك ما أذب وأطيب رائحتك، لازلت بريعان شبابك ايتها الحبيبة وكأن السنين تمر عليك كما يمر النسيم الندي على وردة في بستان، جذبها اليه فتح ضفائرها، شمم شعرها الحرير - الذي جللها، تلمس نهديها الضامرين، دس انفه بينهما، لحس بلسانه الحلمتين الورديتين، مستمتعا بموسيقى ضحكاتها وتمنعوا المغرى الجميل، تلمس مكوراتها الدافئة، ممراها انامله على بطنهما الملسأء، محتضنا خصرها الضامر، احاطته بذراعيها ضمته اليها بقوة، عبّشت بشعر صدره، داعت حواف مسلته المتتصبة، خفقت كل رايات مجساته، تصاعد جريان انهار كل قنواته كانها الشلال الدافق، لثم شفتيها، امتص رحيق لسانها العذب، تباعدت مسلطاتها،لامس حرارة فوهة بركان الرغبة، اقتحم دقل سفيته مضيق بحارها الهائجة، اشتبكت السيقان، والاكف، والالسن، "لو مر سيف بيتنا" ، "احس بضرب طبول السماء، وهاجت زوابع الرعد، شق البريق كبد السماء، انفجرت شلالات الرغبة، ثم هدات سفينة الابحار، تهدلت حافات الشراع، وانحنى الدقل، مبللا بماء الغطس الجميل"

مد يديه، تلمس الفراش، فجلس مذعورا اين هي اين ذهبت (حيوته)؟

اقتحمت الشمس شقوق باب الكوخ، معلنة صباحاً مشرقاً جديداً، جلس على عجل وقد كان راسه ثقيلاً وما زال يشعر بالدوار، فما زالت خلايا دماغه مشبعة بالزحلاوي، وضع قدراً من الماء فوق (الجولة) فهو بحاجة إلى غسل راسه للتخلص من الدوا.

خلع ملابسه، واستبدل لباسه الداخلي الذي وجده مشبعاً برائحة افرازت حلم ليته العاصفة، اختلى في حمامه الصغير، غسل شعره بالماء الدافئ وصابون الرقي، لبس ملابس العمل، تناول افطاره بقايا أرغفة خبز و شيئاً من التمر، شرب كأساً من الشاي الساخن، ولع أولى سكائر الصباح، ثم توجه إلى داخل البستان لاتمام عمله في سقي، وترتيب الواح الزرع، وقص وجبة جديدة من (السبيناغ) والجزر، وقلع رؤوس الخس، لتسليمها لصاحب العلوة الذي سيستلمها منه ظهر اليوم، كما ان عليه اقتطاف البرتقال والنارنج ونومي الحامض والرمان الناضج وارساله للعلوة ايضاً وقد كان قطاها وفيراً.

قبيل الظهر، أخرج شبكة صيده (السلية) قاصداً النهر فلا بد من أحصار وجبة غداء تليق بجهد هذا اليوم، وقد كان صيداً موفقاً فقد حوت شبكته ثلاثة سمكـات وعدد من (الزوري) في أقل من ساعة من الصيد، أهدى سمكتين لجارتهم التي كانت واقفة على التنور الطيني لأعداد خبز الغداء ارغفة من

الحنطة الشهية الحارة، كعادتها كلما وقفت على التنور، بعد ان قامت بشيء من السمات، ووضعتها في طبق (الخصوص) مع أربعة أرغفة من الخبز الحار، أخذه منها شاكرا لها صنيعها، وقد انتصب في رأسه سؤال غريب يبدو انه جاء في غير محله وقد يكون منسجما مع حالة الفوضى العامة كان السؤال هو من صنع التنور لأول مرة، هل هو الرجل أو المرأة، وهل التنانير تتشابه في كل العالم؟

رجح عقله ان المرأة هي أول من صنع التنور من الطين وهي أول من استعملته في أضاحي الخبز، ولو كان الرجل هو الصانع لما كانت المرأة ومنذ القدم هي التي تجي الخبز إجادة تامة لا يضاهيها فيها الرجل وخصوصا في الريف، أنحني لك أيتها المرأة التي تهدينا الرغيف الشهي والجسد البهبي؟

وبالتالي وبالتأكيد يعود اليها صناعة المكنسة وصناعة قدور الطبخ، وأسرة وأفرشة الدار، ومهاد الأطفال ووسائل أرضاعهم، بالتأكيد هي صاحبة اختراع (السدانة) لحفظ الجبوب، و(المرتبة) و(المجرشة) و(الرجه) لطحن وتقشير الجبوب وحياة الحصران من سعف النخيل، الخ لأن المرأة تولت إدارة البيت وتهيئة مستلزمات الغذاء، مما أعطى المرأة الحيز الكافي في التفكير والابتكار من أجل ان تكون حياتها وأسرتها أيسر وأجمل فيستذكر مظلوم براعة أمه وجدته

و عماته و خالاته في صناعة التنور والمرتبة والسدانة وال مجرفة و(الجاون) وحياة الحصران والسجاد وغزل الصوف، كما (الفأس) و(الرماح) و(شباك الصيد) و(السهام) و(المجرفة) (المگوار) و(الفاله) من اختراع وأبتکار الرجل كأدوات للزراعة وأسلحة للصيد والدفاع عن العائلة وعن القبيلة، ضد الغزاة من القبائل الأخرى ومن الضواري المفترسة.

أنتهى في ك Ox و أخذ يلتهم غدائه بشهية كبيرة، وقد كان (قوري) الشاي يكرك مرسلًا بخاره المشبع برائحة الشاي المهيئ الزكية، قبيل المغرب قام بتحميل الفواكه والخضر في سيارة صاحب العلوة، لتضاف إلى الكميات السابقة، على أن يقوم بدفع ثمنها للحاج مالك البستان.

ودعه بعد أن قبل منه على مضض مبلغًا من المال اكرامية من صاحب العلوة جزاء حسن ترتبه وتوضييه للفواكه والخضر ومساعدته في تحميelaها داخل سيارته (البك اب).

وبعد أن أنهى عمله في البستان، وقد أشرفت الشمس على الغروب، وأخذت العصافير وبقية الطيور تعزف اوركسترا العودة لأعشاشها، ل تستعد لفجر يوم جديد، بدت الغيوم كقطع ضخمة حمراء غير متتظمة الأشكال، تحملها الريح، تسير الهوينا كأنها قطيع دينصورات طائرة، غسل وجهه ويديه، دخل ك Ox، أعاد تنظيف زجاجة الفانوس مما علق

بها من سخام، أشعل الفتيلة، جلس خلف منضدته الصغيرة  
جالسا على كرسي الجريد لف جسده بالمعطف الصوفي،  
ولف رأسه بковفيته، أستل أحدى روایات مكسيم غوركي  
(وراء الرغيف) أدبيه المفضل، حيث يقول مظلوم: أعود إلى  
غوركي كلما شعرت بالضعف والوهن، آنه يبعث في النفوس  
الهمة والعزمية ويأجج الثورية بشكل كبير، حينما أقرأ غوركي  
أشعر اني أعود إلى أيام الفتولة والشباب والحماس الشوري،  
ابحر بعيدا مع (غوركي) وشخصياته الجذابة من صميم الواقع  
الإنساني وكفاحه من أجل الحرية والرفاه والأنعتاق من  
العبودية والاستبداد، حتى انه اهمل تناول وجبة العشاء  
وأقتصرها على بعض حبات من التمر، وكوب من الشاي،  
وسيكاره لانتنفيء، أشرف الليل على الانتهاء، دون أنْ يتنهي  
(مظلوم) من قراءة الورقيات الأخيرة للرواية، وقد داهمه  
النعاس وقد لفه النوم وهو على كرسيه، حتى داهنته شمس  
الفجر الجديد، وتغيريات صباح الأفتتاح للعصافير مهئه  
بعضها البعض بيومها الجديد.

اليوم يوم الأحد موعده للقاء أستاذ فائق ليdle على البيت  
الذي يسكنه مع أم (كافح) عند قدومها يوم الخميس، أغتنسل  
وأرتدى ملابسه وقرر أنْ يتناول فطورهاليوم في المدينة وعليه  
أنْ يعرض وجبة العشاء، فكتاب الكاظمية يرافق له كثيراً الذي  
وغير مكلف، وله طقوس جميلة تشعرك بأصالتك، حيث

يكون الكتاب مدثراً بالسماق، وقربك كاسة من الطريشي اللذيد، وكأس من شربت (السكنجبيل) وخصوصاً في مطعم (الأيراني) والبصل الأخضر فاتح الشهية، ناهيك عن بقية الخضروات من الكفرنخ والرشاد والكراث والفجل، إن مفردة واحدة مما ذكرت تكفي لتغذية الأسنان فكيف بها اذا أجتمعت، كم هي معطاءة أرضك ونهرك وبرك وبحرك كشعبك ياعراق!

أكمل فطوره، وأرده بقدحين من الشاي (السنگين) ولا حاجة للأشارة للسيكاره فهي مستوطنة فمه طوال اليوم ومadam مستيقظاً.

ركب دراجته وتوجه إلى دار أستاذ (فريد) الذي وجده حاضراً مستعداً لمرافقته للدار، رحب به كثيراً، ساله أنْ كان مفترراً أو لا، فأخبره بأفطاره كان يتمنى أن يكون معه لولا أنه لا يأكل الكتاب، في طريقه إلى الدار، أخبره (مظلوم) بأنه بكر بالحضور لكي يقوم بشراء مايلزم من أثاث للدار قبل قدوم أم (كافح).

عيوني (ابا كفاح) الدار لاتحتاج إلى أي أثاث فهي مجهزة بكل ماتحتاجونه، من أخشاب، وفرش نوم، ومطبخ وأدوات طبخ، فلا أظنها بحاجة الا لحضور العروس (أم كفاح).

لا أدرى ماذا اقول وكيف اشكرك أخي وصديقي وأستاذي العزيز، ولكن مثل هذا الفعل ليس غريبا على أمثالك من الطيبين.

طبعا لم تصنفي بالرفيق، هل ترون ان الرفقه لا تعني غير الأنصمام إلى تنظيم واحد، أني أرى الرفقه رفقه سلوك ومنهج حياة وتفكير اليه كذلك، هذا أولا ثانيا أنا لم اقم بأي شيء جديد فالدار مؤثثة منذ زمن حتى حين كان سلفك ساكنا فيها، وقد تخلى طوعياً عما أضافه من أثاث كانت موجودة وقد كان صاحب ذوق رفيع من حيث النظافة والأعتناء بالدار.

كيف لا يكون كذلك وهو من أصدقائك، أما عدم توصيفك بالرفيق فأني لم أرد ان أقحم عليك توصيفات تنظيمية على الأعم الأغلب تعارف عليها متسببو الأحزاب السياسية وخصوصا الشيوعيين، عموما ها نحن قد وصلنا الدار، هذه هي الدار يا صديقي، تفضل أفتح الباب فالمفتوح معك.

دخل (مظلوم) الدار صحبة أستاذ (فريد) فكانت مرتبة نظيفة بغرفة استقبال مؤثثة بأرائك وكراسي جميلة منسقة الألوان، ومطبخ صغير جميل، يضم طاخنا نفطيا و(كاونترا) جميلاً، وأدوات وأواني طبخ مختلفة الأحجام والأشكال.

غرفة نوم رائعة بسرير مزدوج، وحافظة ملابس واسعة، ومرآة كبيرة خلف منضدة جميلة، وشمامعة ملابس.

حمام نظيف رائع ملحق به سخان نفطي مزود بالماء الحار والبارد.

دار جميلة غاية ما يتمناه، واري ان ام كفاح ستكون سعيدة ومسورة عند رؤيته، الف الف شكر لك صديقي ورفيقي العزيز فقد جسدت الكثير من المباديء النظرية إلى واقع ملموس.

الآن أنا أنصرف متمنيا لكم حياة سعيدة، هذه دارك وأنت حر فيها، وسأكون بانتظارك مساء يوم الجمعة بعد وصول أم (كفاح) بسلام.

ترك الدراجة داخل الدار، وقرر أن يقوم بجولة في سوق الكاظمية فهو لم يطلع بعد على أغلب الحواليت وأأسواق التبضع في المدينة، كالقصابين، وباعة الخضار، والبازارين، وعيادات الأطباء واقرب المراكز الصحية والمستشفيات من محل سكنه الجديد.

(مظلوم) يدخل الحضرة الكاظمية، يتأمل هذا الصرح المهيّب، يقف خاشعاً ليقول كعادته في زيارة أضرحة الأنمة والرموز الدينية والأنسانية: السلام عليكم يا من كافحتم من أجل الحق والعدل وصيانة كرامة الإنسان، السلام عليكم يا من قاومتم الباطل واهله، وقارعتم المستبد وحشده.

وما أن توجه للخروج من المزار حتى كان وجهها لوجه أمام الرقيقة ( مليحة ) فكانت المفاجأة كبيرة للطرفين، بعد أن مرت

لحظة الدهشة، سلم كل منهما على رفيقه بحرارة بالغة حد أنهمار الدموع، أصطحب ( مليحة ) إلى مكان في أحد (لواوين) الصحن ليستعلم منها حول مصيرها ومصير الرفيق (مشتاق) بعد كل الأشهر الدامية نتيجة للانقلاب الفاشي، وما تلاه من أحداث.

تحدث قائلة وهي تفكك دموعها وتحاول كبت المها وحبس دموعها:

أنا خرجت قبل فترة من مخباري بعد معانات كبيرة، أما مشتاق فقد كان ضمن الشهداء المدافعين عن وزارة الدفاع يوم الانقلاب الفاشي في ٨ شباط ١٩٦٣ .

تبادل الطرفان المعلومات حول مختلف الأحداث ومجرياتها على الساحة السياسية العراقية، وقد تبين ل( مظلوم ) ان ( مليحة ) على اتصال بالحزب وهي منحازة تماماً للخط المناهض للخط اليميني لبعض قيادة الحزب وخصوصاً ما يسمى بجماعة آب، وكل المؤشرات تؤشر إلى حتمية حدوث انشقاق داخل الحزب وقد أوضح لديها أنحياز ( مظلوم ) لهذا الخيار أيضاً، عرض عليها أن يتناولان الغداء معاً في أحد مطاعم الكاظمية لأنَّ كان لديها متسعًا من الوقت، فوافقت على طلبه، فهي سعيدة جداً بلقائه بعد كل ما جرى ويجري، وقد كان لهم حديث طويل ومتشعب حول الأوضاع

وتوقعات ستقبلية، بعد ذلك أفترقا وقد أتفقا على آلية اللقاءات مستقبلا.

تبرق في ذهنه في الكثير من الأحيان العودة إلى عمله في الطباعة لو لا ما أخذ يحس به من ضعف البصر مما يجعل مهمته أكثر صعوبة، ثم أنه أستطاب عمله في البستان حيث الخضرة والنهر والطيور وحرية الحركة والاستقلالية في العمل والتأمل، وقد سبق له أن أستشار صديقه (فريد) في الأمر، فكان رآه مع بقائه في عمله في البستان، أو يقوم بمساعدته في فتح مكتبة حينما يحصل على مكان مناسب لها.

عاد مساءً للدار، وقد قرر المبيت فيها ليلة الاثنين، مستصحبا معه منشف، وعدد من قوالب الصابون، وألبسة داخلية جديدة، فقد اغراه حمام الدار الصغير والنظيف وماء السخان الساخن إلى تجربة السباحة، وبالفعل أشعل فتيل السخان النفطي، وأخذ يدور مؤشر راديو صغير كان موضوعاً على رف خشبي في غرفة المستقبل، لتزجية الوقت بالاستماع إلى الأخبار وبعض الأغانى حتى يكون الحمام جاهزاً، كانت أغلب الأخبار تدل على حالة من الرضا حول النظام القائم في العراق وما تناقلته بعض الصحف ووكالات الأنباء حول وجود حالة من التقارب أو على الأقل نقول القبول بين أغلب

**الأحزاب السياسية العراقية من بعضها البعض وخصوصا  
الشيوعيين جماعة خط (آب) والسلطة.**

قضى ليلة هانئة منتشرة بأحلام الحب والأمل بعد أن ستمتع  
بحمام معطر في دار جميلة حرم منها لفترة غير قليلة، أستيقظ  
فجر اليوم على صوت ديك الجيران من على شرفتهم المطلة  
على الدار، يتسائل الكثير من الناس عما يقوله الديك عند  
الصباح؟

هل فعلا هو يبشر بيوم جديد، أو هو ينذر بأنصرام يوم مضى،  
لا أدرى لماذا نحاول نحن بني الإنسان أن نتغفل على حياة  
الحيوانات؟

غسل وجهه بالماء الساخن، متأملاً ما ينجزه الإنسان من  
أجهزة ووسائل راحة لبني جنسه في مختلف مجالات الحياة،  
ولكن من هؤلاء الأشرار الذين يستخدمون هذا التقدم العلمي  
والتقني لقتل الإنسان وتعذيبه، حالة من التناقض الكبير، هناك  
من يجعل الحياة وهناك من يشوهها، ستظل ياماً ركس تمتلك  
مفاسد هذه التناقضات وكشف غواصتها وأسبابها وكيفية  
حلها ولكن.

يؤلمني أن أرى أحياناً هناك من يفرط في استخدام الماء بفتح  
الصنبور ويدفعه يتدفق دون أن يستخدمه، جريان الماء حالة  
تطلب التفكير، هذا السائل المدهش العجيب حامل سر

الحياة وضامن نموها وأستمراريتها، لاحظت ان ليس هناك ما هو أقدر من الماء على غسل الدم وأزالة أثره.

وقد قرر أن يكون أفطاره لهذا الصباح (هريسة) لسد الحنين إلى مدينة النجف وذكرياتها، حيث توجد هناك أفضل مطاعم (الهريسة) والأش (الأش) وهي أكلات تتضمن خليطاً للكثير من أنواع الحبوب والبقوليات، واللحوم والدهون والسكر، بالإضافة إلى طعمها اللذيذ.

أطفأ مصايف الدار، واطفاءً فتيل السخان، أخرج دراجته وتوجه صوب السوق حيث المطاعم الشعبية لتناول أفطاره المفضل لهذا اليوم، تناول ماعونا ساخناً من الهريس المشكك والمضاف اليه مسحوق (الدارسين) بالإضافة إلى صمونتين حارتين، يأكل بشهية كبيرة وهو يراقب تصاعد الأبخرة من (الأنجامة) الكبيرة للهريسة، وأنشغال جمعاً من الكسبة والعمال في تناول أفطارهم المفضل بسبب غناه بالمواد المغذية ورخص ثمنه، وملائمة مع أجواء البرد القارس.

كان صوت موسيقى حركة ملاعق الشاي تذكره برقاصات غجرية، طلب (استكان) شاي للمرة الثانية من أجل أن يطيل فترة جلوسه في المطعم والأستمتاع بما يرى أمامه من حركة وهو يتأمل الوجوه السمراء وأصرارها على أستمرار الحياة بشرف وبقوة الذراع، وهي تصارع صعوبات العيش اليومية رغم أن بعضهم ربما لا يحصل على عمل لهذا اليوم ويعود

خائباً متظراً فجر صبح آخر قد يوجد عليه بلقمة عشه  
وعائلته، كان يتظر بصبر رؤية مداخن المعامل والمصانع  
الأنتاجية الجديدة التي خططت لها ثورة الرابع عشر من  
تموز، ولكن للأسف تم وأد هذه المداخن كما وأدت الثورة  
وهي لازالت تحبو في طريق التقدم والرفاه وتوفير فرص  
العيش المنتج الشريف للآلاف من الأيدي العاملة في العراق،  
قطع أحدهم عليه سلسلة تأملاته وصورها المحلقة في عالم  
الخيال والذكريات.

صباح الخير عزيزي الغالي.

من صديقي وزميلي العزيز (شدهان)؟

أحضرته بقوة وكادت أن تنهر دموعهما لولا الخجل.  
ماذا يا (سعيد) ماذا تفعل هنا وكيف تركت المطبعة وأنت  
العامل الأمهر من بين الجميع؟

أية مطبعة وأية طباعة لقد أغلقت المطبعة منذ اليوم الموي  
وقد أعدم اسطه (جمال) بعد القاء القبض عليه في اليوم  
الخامس من الانقلاب الفاشي، مما جعلنا نشتت ونبحث عن  
فرص عمل أخرى للعيش وهنا أنا مستعد للذهاب ل (مسطر)  
العمال، للعمل في مجال البناء، وما زلت أجهل مصير العديد  
من الزملاء.

بصعوبة بالغة أقنعه (مظلوم) بدفع حساب أفطاره، بعد أن تناولا الشاي احتفاءً بلقائهما، وقد أتفقا على موعد للقاء، بعد أن ينتهي من عمله عصراً

بدأ (مظلوم) يشعر بأنه أخذ يعود إلى الحياة من جديد، على الرغم من أنه لا يعلم ما يخبئ له المستقبل من مفاجآت قد لا تكون على بال.

أعتلى دراجته متوجها صوب محل الحاج صاحب البستان، الذي استقبله بسرور كبير، مكررا رضاه الكبير عن مردود منتجات البستان لهذا الموسم، وقد أعطى لـ (مظلوم) حصته من الوارد، بالإضافة إلى اكرامية معتبرة، واعداً اياه بالمزيد، فهو لم يكن يحصل خلال عام على ربع ما حصل عليه خلال موسم واحد على يد (مظلوم).

شكراه كثيراً متمنيا له المزيد من الصحة ودوم الرزق، موضحا له أنّ حبه للأرض وللزرع تحتم عليه بذل المزيد دائماً من أجل عطاءاً أفضل ومحصول أوفر.

توجه نحو البستان، وفكراه مزدحم بآلاف الأسئلة والأفكار والصور التي علقت برأسه خلال هذه الجولة والمصادفات والأخبار المفرحة والمحزنة، افزعه صوت منبه سيارة مسرعة تطالبه بأخلاء الطريق المحاذي لضفة النهر والملتوي بالتوائها كأنه ظهر أفعى لا يرى لها رأسا ولا ذنباً، أيتها الفكرة التي تلتف في تلافيف دماغي كما تلتف الأفعى أكاد لأميز بين

رأسك وذنبك بين بدايتك ونهايتك، إلى أين تأخذني بموسك  
يانهر الحياة الخالد، لا أدرى متى أن وكيف ستقتفي محارة  
خاوية بلا روح، إنها محنـة الإنسان هذا الكائن العاقل الذي  
لا يستشار في ولادته ولا يستشار في رحيله، أنه يحيا بين  
 نقطتين قهريتين، ولكن عذابه وألمـه يكمنـونـهـ يـعـلـمـ أنهـ لأـبـ  
وأنـ يـمـوتـ وأنـ يـرـحلـ رـحـلـتـهـ الـأـبـدـيـةـ عنـ هـذـاـ العـالـمـ، مـهـماـ  
طـالـتـ حـيـاتـهـ فـإـنـهـ يـشـعـرـ اـنـ لـحـظـةـ رـحـيلـهـ كـأـنـهـ لـحـظـةـ وجودـهـ،  
وقد يكونـ هـذـاـ أـحـدـ دـوـافـعـ الـأـنـتـحـارـ عـنـدـ بـعـضـ حـيـثـ يـسـجـلـ  
وجـودـهـ بـأـنـتـحـارـهـ وـرـحـيلـهـ.

يراقب من على دراجته حركة وأصوات أسراب النوارس على  
صفحة النهر، وحركة (السمّاچ) هذا الطائر رشيق الحركة حاد  
البصر، يراه يرتفع عاليًا مرفقا بجناحيه مركزاً نظره حول  
نقطة محددة في النهر يرقب حركة سمكة صغيرة تسبح بمرح  
حالمة بانها ستبلغ يوماً حجم الكبار، وعلى حين غرة تشعر  
انها بين حافتي منقار الطائر المستنة، لاتنعمها حركاتها من  
أجل الخلاص، فيحلق بها بعيداً ليستقر على غصن شجرة أو  
سعفة نخلة حتى يقوم بازدرائها، ليعاود مهمته صيده ثانية، لا  
أحد يعرف هل يميز أنواع هذه الأسماك أو يفضل بعضها  
على بعض، كالشبوط أو البنّي والحمري أو الجري أو  
الزوري والشلّگ، الخ.

وصل البستان محمولاً على هذه الموجة المتنوعة من الأفكار والتصورات والملحوظات، وكان الدرجة أمتلكت عقلاً يدلها دون توجيه إلى البستان، أو أنها أخذت تفهم وتستجيب إلى لاعي (مظلوم) وكان هناك عصباً رابطاً قد خلق خلال هذه الفترة الزمنية بين مخ (مظلوم) وحركات إطارات الدرجة، يبتسם مسفة ما رشحت إليه أفكاره وكانه يمثل كلب (بافلوف) وأستجابته الشرطية واللاشرطية بدرجته، فالأجدر به أنْ يتمثله بحركة قدميه وساقيه الدافعتين لدواسة الدرجة.

الغريب بعد وصوله أخذ يشعر بعطش غير طبيعي وهناك شبه غشاوة على عينيه، وتبولاً متكرراً غير مسبوق، أحس بحاجته للنوم، فأضطجع على فراشه داخل الكوخ ولم يستفق إلا عصراً، حاول أن يطرد كسله بغسل وجهه بالماء البارد بكasaة من ماء (الكوز) وأخذ يرتب أولوياته في العمل القراءة، وحضور اجتماع رفاقه المرتقب، فشعر بأنه بحاجة للقراءة، فأستل رواية (ثرثرة فوق النيل) لنجيب محفوظ وأستغرق في قرائتها مستعرضاً شخصياتها، مقارناً أحدها بما يجري في مصر، فيظهر واقع مصر السياسي والأجتماعي يختلف كثيراً عما هو في العراق وهو يعيش تداعيات الفاشية وأفرازاتها، رغم أنَّ حكم جمال عبد الناصر لم يكن سهلاً على القوى الشيوعية واليسار المصري، فروح الهيمنة والفردية والتسلط هي ثقافة البرجوازية والعسكرatarية العربية، وأنَّ هذه الطبقة

الحاكمة تعاني من هجنتها وأزمتها البنوية المستديمة، في مصر الحاكم لا يجلس على عرش الذهب الأسود كما في العراق وغيره من البلدان العربية البترولية.

انصرمت آخر ساعات الليل، مع آخر ورقة من (ثرثرة نجيب محفوظ) ولكن هذه المرة فوق (دجلة) وليس فوق ضفاف النيل، فأطبق النوم بسلطانه على جفون (مظلوم) فلم يتمكن ديك الجيران من أيقاظه، حتى دخلت عليه شمس الصبح، ليستكمل برنامجه في يوم عمل بستانى جديد، فبدا مظلوم حواريته المفضلة مع أغصان الأشجار متربقا ظهور (طلع النخيل، لمزاولة عملية اللقاح لموسم جديد.

كان كثير العناية بشجيرات الورد الجوري والقداح، بألوانها وعطورها المختلفة وقد كان يسأل نفسه دائما وهو يقف أمام ورد الجوري والرازقي المفتوح ويسأل: هل ندع الوردة تذبل في شجرتها أو نقطفها ونهديها لصديق أو لحبيبه، أو نصنع منه مزهرية نضعها أمامنا في غرفة جلوسنا لتمتنع بعطرها وشكلها الجميل؟

يستمع بانتباه شديد لصوت الفاختة وقد كان يعد مرات قوتها (ياقوتي، ياقوقي) فمرة ثلاثة وأخرى خمسة لكنها لا تتجاوز الثمان مرات، يستغرق كثيراً محاولاً فك شفيرة خطابها، خصوصا حين تبادلها فاختة أخرى القوقة، يدخل في عالم الأحتمالات حتى يشعر بالعجز مخاطبا نفسه: ما

بالك يامظلوم هل ت يريد أنْ تمتلك قدرة سليمان في فهم لغة الطيور، هذه الكائنات التي يقال أنَّ عمرها اكثُر من (٦٠) مليون عام؟

استمر في عمله حتى غياب الشمس فله يوم الأربعاء لقاءً مع رفاقه في الجهة الثانية من النهر، وله يوم خميس موعد مع الحبيبة أم كفاح قرب الضريح، مما تطلب منه بذل جهداً مضاعفاً في البستان ليعرض أيام أنشغاله في شؤونه الخاصة، فلم يعد يمتلك الحماس والتشوق لحضور اجتماعات رفاقه نظراً لأنَّها أصبحت وقتاً شبه مضارع في نقاش وصراع لا يتهدى بين (اليمين) و(اليسار) وما بينهما، يصل أحياناً إلى حد الصراخ الفارغ دون أنْ يخرج بأسئلاته أو قرارات متجهة تخدم عملية تطور وفاعلية الحزب ويعزز علاقته بالجماهير في وقت هو بأمس الحاجة للوحدة ولم الشمل ومداواة الجروح الذي ما زالت تنزف.

حضر أجتماع الأربعاء، فلم يستمع الا للمزيد من إنذارات التشظي، وأخباراً غير سارة حول اعتقالات وأستشهاد عدد من الرفاق في منطقة الفرات الأوسط، فعاد محملاً بالمزيد من الألم، مستذكراً حديث صديقه أستاذ (فريد) الذي بدا له معقولاً وعلمياً اكثُر من أي وقت مضى.

قرر أنْ يمضي امسيته مع رفيقه الصياد (أبو يوسف) والذي قرر هذه المرة أصطحبه معه إلى داره، فقد وعدته زوجته

عشاء دسم (باچه) عراقية، وهي تجيد طبخها وقد أخبرها ان صديقه مدعو لمشاركته العشاء هذه الليلة، ذهبا سوية إلى هناك وقد أبتابع (مظلوم) انواعا من الفاكهة والحلويات هدية منه للصغار بمناسبة زيارته الأولى لدارهم.

أحنت العائلة بالفعل احتفاءً كبيرا بزيارتة، قد عرفوا عنه وعن سيرته الطيبة الكثير من خلال رب العائلة، مما زادهم شوقا ولهفة للقائه.

أمضى الرفيقان ليلتهم بعد العشاء الدسم اللذيد في السمر بين احاديث السياسة، وتبادل القرىض، وابوذية هادئة من صوت (مظلوم) الشجي الذي أمتع الجميع ونال أستحسان حتى الأطفال الصغار وتناول اقداح الشاي المهيل والحامض والقهوة التي كانت تعدها لهم (ام يوسف) زوجة سعيد.

رفض رغبة صديقه في الشراب، خوف أن يسبب هذا أحراجا للعائلة، كما انه أصبح لا يستسنيخ الخمرة مثيرة الأشجان والأحزان في الأونة الأخيرة.

بكر في مغادرته لدار صديقه شاکرا له ضيافته وكرمه ومحبته متمنيا ان يلقاء في ظروف أفضل، توجه نحو البستان، لأنجاز أعمالا ضرورية في تجهيز بعض الفواكه والخضروات لتسويقها إلى صاحب (العلوة) قبل ان يذهب لقاء (ام كفاح) حبيبة العمر وشريكة اليسر والعسر.

ابتاع لحمًاً ودجاجًاً، بالإضافة إلى ماتيسر من الخضروات والفاكه والحلويات والكرزات، لتكون حاضرة في البيت قبل حضورها، قام بأعادة تنظيف وتوسيب البيت فبدأ متالقاً لانيقصه الا نفس الحبيبة المنتظرة، دخل الحمام بعد أن تأكد من سخونة الماء، تمتع برشاش الماء الدافئ ورائحة الصابون (اللوكس) الزكية، حلق ذقنه، وحمل شاربيه، فاستعاد شيئاً من نظارته أيام شبابه وهو يستعرض صورته امام النراة وقد أرتدى أجمل ملابسه لافاً جسده بمعطفه الجميل مت hazırlan من البرد الشديد ورياحه قارصة البرودة، أخذ ينظر بين فينة وأخرى إلى ساعته اليدوية ماركة (اولما) التي سبق وأن قدمها هدية له صديقه الشهيد الراحل أسطه (جمال) صاحب المطبعة، انه يستحدث عقاربها لكي تسرع ترقباً للقاء القريب، الساعة الرابعة عصراً في باب الأمام الكاظم.

الوقت يمضي، تكتكة عقارب الساعة تقضم الثواني والدقائق كالمعتاد رغم أنه يراها متراكمة يحرك الساعة أمام عينيه مرة وأخرى، أنها تتحرك تتحرك، اخشى أن تتوقف رغم أنها لم تفعلها طوال هذه السنين، وقد كان الأدق في حضور مواعيده مع رفاقه في الحزب ومع زملائه في العمل، سكارته لم تفارق شفتيه، منذ الرابعة إلا ربعاً وقف في المكان في الباب، بعد أمضى بعض دقائق في تناول الشاي من صاحب (چمبر) قريب من المكان، أخذ يجوب المكان والعقارب تدور،

وكلما أقتربت من النهاية كلما أزداد وجيب قلبه، وسيطر عليه الشد والتوتر وهو يدور عينيه في محجريهما ليمسحا الشارع والمكان من مختلف الجهات.

نعم، نعم، إنّها مشيتها انها هي هي تقترب تقترب لا يمكن أن تتيه عن طريقة مشيها ولو بين مئات النساء، تقترب بانت علامات وجهها وأطل عليه محياتها، وهي تحمل حقيبة سفر صغيرة، إنّها الحبيبة حيّته.

يا الله ما أسعدي الآن؟

كاد ان يأخذها بالأحضان لو لا ان تنبه إلى انّهما في شارع عام، تناول منها حقيتها واعتصر بين كفيها الدافترين، غالبتها دموع الفرح وغالبته دموع الشوق والأحتفاء بسلامتها، تمساكاً والتقت عيونهما ببعضها، بدا ريف الشفاه واضحا، واحتزار الجسد مستعصي على التمويه والأخفاء.

حبيبي الحمد لله على سلامتك، انه يوم العيد الكبير، لا بل عيد الأعياد.

تمتم لسانها بكلمات السعادة والفرح، واخيراً نلتقي بعد طول فراق، أكاد لا أصدق، ان يجتمع شملنا بعد ان مرت عاصفة الفاشية الهوجاء.

أكيد أنت الآن جائعة بعد طول السفر ومخاوف الترقب والحدر، هيا حبيبي لتناول الغداء في هذا المطعم الذي لنا فيه ذكريات مضت، فأنا لم أتناول غدائی بعد متظرا قدومك

أيتها الغالية، شبك أصابعه بأصابعها وقادها نحو المطعم،  
طالبا من العامل تقديم أفضل ما عنده، قوزي عله التمن،  
كباب، لبن، سmek.

عيني ابو كفاح هاي شدعوه حبيبي المن كل ها الاكل، شكل  
واحد يكفي، وين بعد ماكو ذاك المزاج للأكل ابو كفاح، وقد  
خاطبت العامل قائلة: يمه بعد عيني انه جبيلي ربع دجاج عله  
التمن كلش كافي، وشوف أبو كفاح هو شি�حب؟

عيني أم كفاح انه هم يوم حبيت غير التحبينه؟  
أكملا وجبهما وتناولوا الشاي في المطعم، ثم خرجا إلى  
سوق المدينة.

أم (كفاح) احنه هسه بالسوگ، شوفي حبيبه هم محتاجه شي  
قبل منروح للبيت.

لا أبو كفاح انه مو عايزه كلشي غير سلامتك يعيونني، يالله  
أمشنه للبيت خل نرتاح، وعد اذا احتاجين شي السوگ مو  
بعيد عليه.

نتمشي او استأجر لك سيارة أم كفاح.

لا ما كو داعي خل نتمشه مازال البيت مو بعيد، دعني  
أستمتع ببرؤية المدينة بعد فراق طويل.

لا عشر دقائق ونكون في البيت، سارا جنبا إلى جنب كتف  
على كتف كحبيبين شابين عاشقين، تغلي في جسديها نيران

السوق ولهفة الأحتضان والنوم المشتهى في أحضان الحبيب  
المفتقد.

أولج المفتاح في قفل الباب الخارجي للدار، فتحها وقد دخلت أم كفاح قبله، وهي تمسح الدار بنظراتها الفاحصة. دار جميلة ونظيفة، انه عش قريب للروح في زمن الكهولة يا أبو (كفاح) مازالت الدنيا بخير ألف الف شكر لصديقك الأنسان أستاذ (فريد) دخلت صالة الجلوس، خلعت عبايتها وفوطتها فأنسدل شعرها المعطر كشلال من حرير، شاهت عيون (مظلوم) وكأنه يرى حبيبته للمرة الأولى، الله الله ما هذا الجمال حبيبي، كلما تمر السنين تزدادين جمالاً وفتنة، لثمتها في قبلة حرى، بادلته السوق وقبل الحنين، وضعفت رأسها في حضنه الدانيء، أحتضنها زارعاً قبله على كل جسدها.

أنترعت جسدها منه، أنسلت من بين يديه، أخذت حقيبتها وولجت غرفة النوم، طالبة منه أن يسخن الحمام بينما تأخذ هي ساعة من الراحة بعد عناء السفر، تركها مضطجعة، وبعد أن أشعّل فتيل الحمام، خرج للسوق ليجلب لها مناشف جديدة، وقنية شامبو فاخرة، وأمشاط، وقنية عطر فاخرة، مع كيس صغير من الكرزات.

انها ليلة ولا كل الليالي يا (مظلوم).

دخل الدار بهدوء بعد أن بدأت خيوط الشمس تميل للحمرة في سماء نصف غائم، وقد بدأت مكبرات الصوت في

الجومع المحيطة تبث سورة من القرآن الكريم، بأصوات وترتيل مختلفة تمهيداً لرفع آذان المغرب.

وضع ما جلبه كل في مكانه، وضع مؤشر الراديو على أذاعة تبث نغمات موسيقية جميلة، وجلس يراقب بشوق عارم حبيته الغافية في غرفة النوم، ومن أجل تمضية الوقت قبل أيقاظ الحبيبة لتستحم، أشعل فتيل الطباخ النفطي في المطبخ واضعاً فق ناره (الكتيلي) على الماء ليحضر أكواباً من الدارسين والشاي بعد الاستحمام.

بعيد الأذان أيقظها بقبلة حرى، نهضت بغنج وأحضرت ملابسها ودخلت الحمام.

كان يود لو ولكنه لا يريد أن يستنزف قوة حصانه قبل أن يدخلوا سرير النوم، جلس في غرفة الأستقبال وهو يسمع بشغف وأثارة صوت طرطشة الماء الذي ينسكب على جسد حبيته باذخ الجمال، أخذ يتشمم بانتعاش وأثارة كبيرة بخار الماء المشبّع بالعطر ورائحة الجسد الحبيب وهو يخرج من ثقوب باب الحمام.

أخرج من (الكتسور) دشداشته البيضاء الجديدة المعطرة، وأحضر ملابس داخلية جديدة ومنشفته متظراً خروج حبيته من الحمام ليأخذ دوره في الاستحمام مصطحباً معه عدة حلاقته لأزالة الشعر من منابتة.

فتح باب الحمام خرجت الحبيبة (الهة الجمال) خديها يشعان بهجة وأحمراراً شهيا، ترتدي (أتكا) سمايا شفافاً، يلف مكوراتها، كاشفة عن صدرها المرمرى، حامل أهرامات نهديها النافران رغم تقادم السنين، تنت عطرا ندية، وهي بعد لم تجف شعرها الذي يكاد يلامس كعبيها، وضع ملابسه جانياً أحضنها حاملاً إياها لوضعها على كرسي مقابل مرآة التجميل في غرفة النوم، قبلته بحرارة وهي تتأنوه بعنجه، قشر لها برقة طازجة وأحضر لها (كاسا) من شراب (الدارسين) المحللى بالسكر، على أنْ يتناولا الشاي الساخن بعد خروجه من الحمام.

دخل الحمام منتريا برأحته المشبعة بشذى جسد حبيته حيوته، أستمتع بدفء الماء الساخن المعطر بالشامبو وصابون اللوكس، أكمل حمامه على عجل ليكون قرب الحبيبة التي جلست أمام المرأة لتكميل زيتها مستذكرة أيام العشق والشباب، مدركة أنها لم تزل حيوته الجميلة المغيرة رغم مرور قطار السنين العجاف، أصطبغت الشفاه بأحمر الشفافيف الصارخ بالحب والداعي للعناق، مضمخة الجسد بالعطر داعي الشم واللثم والأحتضان، مسدلة شلال الشعر المطيب بالعطر، فأحسست بامتلائها بالرغبة في الحب الذي صار موارا في كل جسدها الندى الذي فتح كل مسامه وشرع كل أبوابه ونواذه لنسيم الغرام بعد طول فراق وأنغلاق وسبات.

خرج من الحمام متتشياً، معطراً، وكل حواسه رفعت أعلام  
الاستئثار، وهو يدخل غرفة النوم، وأم كفاح تكمل مكياجها  
وزييتها أمام المرأة، لدنة، مكوراتها تصدح بنداءات الرغبة،  
أنحنى مطوقاً رقبتها بذراعيه، داساً أنفه في ظلام شعرها  
المسكون بعافاريت الرغبة، وآللة الآثار والجمال، أمتدت  
أنامله نحو منائر النهددين، فأنسابت إلى أذنيه موسيقى الغرام،  
آن تيمم بشهد الرضاب، وأدخل محراب العناق، فقد حل  
وقت اداء فرض التلاقي، رفعها من على الكرسي بين ذراعيه،  
مددها على السرير المعطر بأنامل ملكة الحسن والجمال،  
صار العري هو الأشهى، صار الألتحام هو المشتهى، بعد  
الالتحام الروح حل وقت ذوبان الجسد بالجسد، أرتفعت  
اشرعاً من بياض يثنى، فار تنور الرغبة، تعالت أصوات  
الحمامة والصهيل، تداخلت المرتفعات بالمنخفضات،  
أرتفعت الحرارة حد اللذع واللسع، فار بركان الشبق أرتفع  
صياح الديك، فنداح شلال العسل، جذب عمق البحر  
الدافيء رأس الغطاس المبهور نحو الأعمق نحو الأعمق  
فسرت المتعة في كهوف المرجان وأخاديد المرتع، تدفق  
سيل الحب مواجهها موجات انكسار السد المكبوب، فدارت  
دواليب الطاقة، تفجرت مصابح النشوة فأشرقت كل شموس  
الكوكب.

هذا الرعد وسكن العصف، تراخت أغadir الجدول، تثنى الدقل، ألتف شراع الابحار، هدأت رياح الرغبة، تواضعت موجات البحر، ران الصمت وعم الخدر، تراخت الأكف من خيط البرد مجففا عرق الجسددين بعد ان وهنت نيران اللحم. سحب (مظلوم) ذراعيه من على خصرها الضامر، بعد اغماسة الخدر الجميل، جلس متأملا حورية الأرض في حضن فلاح الة الجمال، نهض بعد قبّلة حرى، احضر كأسين من نبيذ (الجنة) مهداة من (فريد) تبادلا الشراب السحري، تزودا بكؤوس من عصير البرتقال والليمون، تبادلا حبات الفستق المقشور، فعاودهم الـ الشبق، تناولت جحافل اللمس والهمس، تدانت نظائر الجسد، تناقت، تناجت، تعالت قوة الجذب والسحب، فتحقق الالتحام ثانية بدفع أقوى، وتدخلـ أكبر، تحقق الذوبان، أغلقا كل فتحات الفصل، فرقـت كل نجوم الأرض جذلاً لروعـة هذا العرض، سجدـت عشتار، طاح عرش انكيـدو جرفـته شلالـات رضـاب العطر.

ثثـاب الفجر عبر نافذـة الصبح، أكمـل هو رضـعـته من ينـبـوع الشهدـ الجـاري عـبر وـادي مـرتفـعـات النـهـدينـ الحرـىـ. حـمل مـدلـلـته بـيـن ذـرـاعـيهـ، دـخـلـاـ الحـمـامـ الحـافـلـ بـبـخارـ المـاءـ السـاخـنـ، اـغـتـسـلاـ حـدـ النـشـوـةـ، أـرـتـوـيـاـ دـفـئـاـ وـعـطـرـاـ، حـمـلـهـ مـلـفـةـ

بمنشفها إلى غرفة النوم، ارتديا ملابسهما، أحضرت (ام كفاح) كوبين من الدارسين أرتشافاهما بتلذذ كبير.  
أم (كافح) حبيبي شتریدین ریوگ، گیمر، لو کباب و صمون حار؟

عيوني انت تدري أحنه بالقريه أكثر أكلنه اللبن ومشتقاته وخصوصا (الگیمس) الصبح.

أفتهمت يعني تریدن کباب، هسه دقایق والکباب گدامک ياحلو، لثمهما بقبة خاطفة، ثم أرتدى ملابسه متدفعا بمعطفه مدثرا رأسه بکوفیته، بطلب من أم كفاح خوفا عليه من البرد لأنه خرج تواً من الحمام.

تناولوا افطارهما بشهية كبيرة، متناخيان كالبلابل، كل منهما يطعم الآخر بيده المرتعشة حباً وهي تلامس شفاه الحبيب، احتسيا الشاي، وقررا ان ياخذا جولة في سوق الكاظمية بعد ان يؤديا مراسيم الزيارة كعادة الكثيرين في يوم الجمعة، أرتدت ام (كافح) ملابسها، ولفت حول جيدها (الشیله) لافة رأسها بالعصابة ذات (الشراشیب) محمكمة شد ها بكلاب ذهبي تتدللى منه شذرات جميلة، فبدت غاية في الجمال والهيبة والحسن والوقار، مجسدة كل فتنه وهيبة وغنج بنات ريف الفرات الأوسط وسحر نساء الرافدين ذوات السحنة والملاحة السومرية.

بعد أداء مراسيم الزيارة، وخروجهما من الصحن الكاظمي،  
التقى مظلوم وجهاً لوجه مع (غزيله) بنت الثورة، فتحت  
عينها وفمها على مصراعيهما.

ياخويه هذا انته (شمران) دخيلك يابو الحوايج، صدگ چذب  
نتلاگه بعد هالسنين؟

كادت انْ تحضنه وتقبله لولا أتباهها للمرأة الوقور التي تسير  
معه.

قدمها لها قائلاً: (غزيله) نعم انا (شمران) وهذه زوجتي  
وحبيبي (أم كفاح)

يابعد روحي، شلونكم وشلون كيفكم، وين أنتم وبيا حال،  
خيه أم كفاح هنialiچ بهل الرجال ابن الأجويد، الله يسعدكم  
ويديم عشرتكم؟

(غزيله) آني بخير وسلام ولگيتلي شغل زين، وهسه جاين  
للزياره انه وأم كفاح. انتي شلونچ وين صرتني، أهلچ  
شلونهم، أهل الثوره كلهم انشاء الله بخير.

والله الحمد لله بيو (كافح) بعدني بشغلي عد هذوله الناس  
الأخيار، والحمد لله اجاني ابن حلال متوسط العمر مرته الله  
يرحمه وعده اثنين زعاطيط يشتغل فراش بمدرسه، وهسه  
عايشين سوه والحمد لله طلع خوش آدمي وما يضيچ خلگي،  
من كون أنتم اليوم بالكاظام بروح أبوك اليوم تروحون ويای  
لهلي أنتم اليوم خطاري.

ديه رحمة الله والديج والنعيم منج وعزيز متوج عله الراس يبعد  
گلبي وانشاء الله مره ثانية انشوفچ أبخير وسلام .  
سيقول (مظلوم) ان أخبر (ام كفاح) بكل تفاصيل حياته في  
بغداد طيلة هذه الفترة ومن ضمنها عمله فلاخ حدائق في  
البيوت وتعرفه بـ(غزيله).

مممنون (غزيله) آني اشكرچ هوایه، والله فرحتيني باخبارچ  
الزيته، بس أحنه معزومين عد ناس من گرايشه هنا بالكافه،  
سلمينه على كل من يسأل عنه، وعله أبو بيتج، وعله الناس  
الاجاويد التشتغلين عدهم.

خويه أمودعين بالسلامه يابعد گلبي، والله زمن الحي يشوف  
الحي.

في السوق توقف (مظلوم) عند أحد محلات بيع الملابس  
النسائية، طالبا من (حياة) أن تختار ما يناسبها ويرضي ذوقها  
من الملابس، خصوصا وأنهم سيكونون مساء ضيوف أستاذ  
(فريد) فأحسها محرجة خشية أن لا يملك المال الكافي لشراء  
الجديد من الملابس فهي عندها ما يكفيها من الملابس،  
ولكنه طمنها وعليها أن تختار ولا تشغل بالها بالمال،  
فاختارت فستانها وبلوزة صوفية وحذاء يناسب طبيعة المدينة  
ومتطلباتها.

والآن حبيتي هيا بنا لتناول وجبة الغداء في هذا المطعم  
الجميل، لا أريد أن أشغلك في هذه الأيام بالطبخ والنفح

فأنت لي وحدي اللهم العن القدر والمطابخ أدوات  
استهلاك وقت وجمال نسائنا الفاتنات.

لا تمانع (حياة) وهي ممتلئة فرحا وفخرا بزوجها الحبيب  
ولا ت يريد أن ترد له طلب، بعد الغداء، قصداً صفة النهر  
مستغلين حلاوة ودفاً اليوم المشمس - للجلوس قرب حافة  
النهر والمناغاة والتداول في حياتهما المقبلة، وما كان وما  
سيكون، وتبادل أخبار ولدهما كفاح وابتئهما الغالية (سعده)  
والأخوة والأقارب والأصدقاء في النجف وبغداد.

عاداً بعيداً أذان الظهر إلى دارهما، أخذنا إغفاءة القيلولة، بعد  
أنْ تمنعت عليه حيوته، غير راغبة في ممارسة الحب في هذا  
الوقت، فعليهما أنْ ياخذا حصتها من النوم بعد سهر الليلة  
الماضية والأستعداد لزيارة عائلة صديقه،

استيقظاً قبيل المساء، أغتسلاً وأرتدياً ما يناسبهما لمثل هذه  
الزيارة، وقبيل أنْ تودع الشمس الأفق، خرجا فاصدين دار  
(فريد) أستقبلهما بكل مظاهر السرور والبهجة، معلنا أحترامه  
وسوره برؤيتها وخصوصاً أم كفاح، وهذا ما كان من السيدة  
الأستاذة زوجة فريد، فقد ألمطرت أم كفاح وكأنها صديقتها  
منذ زمن، معجبة بجمالها ووقارها.

جلساً سوية في غرفة الأستقبال، وقد وضعنا أمامهم أنواع  
الفواكه والحلويات والكرزات، بالإضافة إلى كؤوس من  
عصير البرتقال الطبيعي، وقد أستطيع زوجة فريد حديث أم

كفاح الجميل أاعجبت بثقافتها ونظرتها للحياة رغم بساطة تعليمها، وقد أدهشها حديثها الشيق عن بنات الريف العراقي وطبيتهم وهمومهن وتطلعاتهم إلى عالم أفضل.

و حول سؤال (فريد) لصديقه حول صحته وأحواله؟ أجابه أنه بخير ولكن ما يشغله خلال هذه الأيام، كثرة عطشه وشربه للماء وجفاف فمه وكثرة تبوله على غير عادته، وأحياناً يشعر بغشاوة على عينيه والأحساس بالدوار، والشعور بالجوع.

بعد فترة صمت، أجابه (فريد) قائلاً: أخشى أن تكون هذه الأعراض اعراض الأصابة بمرض السكر، هل لديكم وراثة للأصابة بهذا الداء ابا (كافاح)؟

أجابه بالنفي، عموماً ساصطحبك غداً صباحاً وقبيل الأفطار للذهاب للطبيب واجراء بعض الفحوصات المختبرية لنكون على بينة، أنّ حالة القلق والشد العصبي الدائم غالباً ما تؤدي إلى الأصابة بمثل هذه الأمراض كارتفاع ضغط الدم والسكرى.

عموماً لا تقلق كثيراً، فالحمية خير علاج لهذا المرض، وستكون بخير خصوصاً وأنّ هناك اخباراً شبه سارة قادمةلينا في الطريق، وسيكون الوضع السياسي العام أفضل مما نحن عليه الآن.

حدق (مظلوم) بوجه (فريد) مستغرباً ومتسائلًا، ومستفسراً، هل سمع أوقرأ أوأخبر بأمر جديد فهو لا يشاركه هذا التصور، فعبد السلام عارف رغم ما قام به لحد الآن فهو لا يقل عن البعث في دمويته وفرديته وكرهه للقوى التقنية والشيوعية في العراق.

لا عليك أخ (مظلوم) إنما أعلمك لا تعلمه انت، الا عرفتني وعرفت قدراتي في قراءة المستقبل، عموماً ستثبت لك الأيام صحة ما أقول، أطلب منك فقط أن تحافظ على نفسك خلال الثلاثة أشهر القادمة لكي تنعم بالأنفراح النسبي وتتنسم شيئاً من نسميم الحرية القادم والذي سوف لن يطول حيث تتربص به عاصفة هوجاء.

تستمع أم كفاح بذهول لحديث الأستاذ وكأنها في حضرة عرافه أو قاريء الكف وليس في حضرة أستاذ في الفلسفة ومن قوم لا يؤمنون بالخرافة وكشف الغيب!

انتبهت لها ربت المنزل قائلة لاستغربني عزيزتي فالأستاذ (للينطق عن الهوى) وأنا أعرفه جيداً، وقد جربت قدراته الغريبة هذه طوال حياتنا.

الله يطيل عمره ويحفظه، هاي قدرة لا يمتلكها الا الأولياء والأوصياء ومن لديهم كرامات!

لا داده أم كفاح لاهو وصي ولا ولی بس هو يمتلك هاي القدرة على التنبؤ وهو لا يخبر الناس إلا بمايسرهم.

عموما هل حسمت أمرك في الأستمرار في العمل في البستان  
أو العودة إلى عملك في المطبعة؟

أستاذ (فريد) المطبعة أغلقت وصاحبها أستشهد، ولم يبق لها  
وجود، وحتى لو تيسر مثل هذا العمل فأنا في وضع  
الصحي الحالي لا أستطيع العمل في الطباعة، سأستمر في  
عملني في البستان ما دامت قادرا على العمل.

أما بالنسبة للحزب، فالانشقاق على الأبواب، ومسيرة  
التضحية ستستمر، إن قلبي يؤلمني على حياة ومصير أ Nigel  
الناس في بلد لا يعرف الأمان والاستقرار ولا يقيم وزنا لحياة  
وفكر الإنسان وخياراته، ومن ضياع الفرصة في عراق حر  
وشعب سعيد لا يمكن أن تغفر له بطولته وقدانه لحياته،  
الهدف ليس فقدان الحياة والتضحية بها، وإنما الهدف بناء  
وأزدهار حياة الإنسان وضمان مستقبله ومستقبل أطفاله، وقد  
سلمتكم الناس قيادها ولكنكم لم تتمكنوا من إيصالها إلى  
شاطيء الأمان، فخسرتم أرواحكم وخسرتم جماهيركم،  
وستبقى مسيرتكم تحمل المزيد من الخسائر!

أستاذ (فريد) اكرمنا اليوم بوجبة دسمة من الأفكار والتنبؤات،  
قبل وجبة العشاء.

انتهينا الآن، تفضلوا لتناول عشاءكم في غرفة الطعام.  
جلس الجميع على مائدة الطعام العامرة بما لذ وطاب وبذوق  
رفيع وتنسيق دال على الجمال وطيبة النفس والمحبة، وقد

لاحظت (أم كفاح) انَّ الأستاذ (فريد) يتعامل مع (مظلوم) كأخ وصديق مكافيء وليس كبستانى يهتم بحديقة داره، فشعر الجميع انَّهم عائلة واحدة متحابة ومتضامنة، أسعدها هذا الأحساس وشعرت بالألفة والأمان، فأبلغتهم شكرها وتقديرها وتفاؤلها بمستقبل أكثر وداً بين العائلتين، أكملوا عشائهما وسمراهما، ثم أستاذنا بالأنصار.

قرر استاذ (فريد) أ يصلالهم بسيارته إلى دارهم فالوقت بدا متاخراً للذهاب سيراً على الأقدام، واكراماً لأم (كفاح) زيارتها الأولى لدارهم.

في صباح اليوم التالي صحب (فريد) (مظلوم) للمستشفى، وبعد عرضه على الطبيب، الذي عمل له الفحوصات، وظهر بالفعل أصابته بداء السكر، ولكن بدرجة دون المتوسط خلال الحمية، فاوصاه الطبيب بالتزام الحمية ولا ضرورة لاستعمال العلاج في الوقت الحاضر، وطلب منه ان تكون مراجعته دورية لمتابعة الحالة.

شكر مظلوم صديقه لاهتمامه، وقرر الالتزام بتعليماته وتعليمات الطبيب في الحمية، وأبتعداه عن تناول السموم البيضاء (السكر والملح) وليس خوفاً من الموت الذي لا مهرب منه كما يقول ولكن المرض ضعف والضعف مذلة وهو لا يتحمل المذلة/ وكم يتمنى ان يموت موت الفجأة وهو يمتلك قوته الجسدية والعقلية.

تمنى له صديقه دوام الصحة متمنيا له العمر المديدة والعيش الرغيد، أوصله إلى باب داره ثم غادر لداره، مشيعا بتشكرات (مظلوم) وأمتنانه.

أستقبلته (أم كفاح) بلهفة لمعرفة نتيجة الفحوصات وما قاله لها الطبيب في المستشفى.

- ها حبيب بشر شنه التبيجة والله گلبي وياك من وكت الرحت لسا؟

- حبيتي اطماني، يگول سكر بسيط، المطلوب الحميء من السكريات والحلويات، والمشروبات الغازية، يعني أوصاني بالأبتعاد عن المأكولات والمشروبات التي تساعد على ارتفاع السكر بالدم، ها هيء نعيش المر وناكل المر هههه، لتخافين حبيه ما كوشي خطير، لثتها قبلة، ثم دخل الغرفة لاستبدال ملابسه بملابس العمل فعليه ان يذهب إلى البستان لاداء عمله، وقد قرر تنفيذ توصيات الطبيب بالمحافظة على كفي رجليه ويديه وتحاشي كل ما يمكن ان يسبب له جرحا، فابتاع وهو في طريقه للبستان (جزمة) لقدميه وكفوفا واقية ليديه، يسلبسها أثناء عمله في البستان.

قرر (مظلوم) مضاعفة عمله في البستان تمهيدا لموسم الريع الذي بدأ يقترب رويدا رويدا، حيث موسم الأزهار، والنمو، فأهتم كثيرا بتشذيب الأشجار، وحراثة وتسميد الأرض، وتحضرا المزيد من شتلات الورود التي يحبها لابل يعشقها

كثيراً، وقد كان فرحاً مستمتعاً بعمله، قبيل أنْ يحل المساء، جهز شبكة صيده، فالنهر يبشر بسمك وفير، القى شبكة عدة مرات فكان صيده شبوط وبنيتين، أكتفى بصيده هذا، اعتلى دراجته متوجهاً للدار، مبتاعاً عدداً من أقرانه الخبز من الكاظمية، وبعض مستلزمات المطبخ الأخرى، كالتوابل والزيت وما إليه، وخصوصاً أنتقى نوعاً جيداً من الشاي كما أوصته (أم كفاح)

وهكذا أخذت تمر الأيام والأشهر في هدوء نسبي، كان يمضيها الزوجين بين التمتع بالاستماع إلى (أم كلثوم) من خلال الراديو ومتابعة أخبار العراق والعالم، وتنظيم برنامج قراءة مكثفة مستفيدين من مكتبة (فريدي) الموسوعية الشاملة، غالباً ما كانا يتبدلان وجهات النظر فيما يسمعون ويقرؤون، وكانت هناك زيارات متبادلة بينهما وعائلتهما أستاذ (فريدي) بالإضافة إلى إقامة علاقات حذر مع الجيران في الحي، وأحتفاظهما بأمنية تحقيق زيارة مشتركة للنجف مع تحسن الظروف، وترقب أمكانية السماح للاقارب والأصدقاء بزيارتهم أيضاً، وخصوصاً عزيزتهما الغالية (سعوده). وأبناء عمومته وأخوانه، ورفاقه الأعزاء.

عادت (أم كفاح) لمزاولة هوايتها المفضلة الخياطة فقد أهدتها الأستاذة زوجة (فريدي) ماكنة خياطة ممتازة قالت أنها فائضة عن حاجتها حينما علمت أنّها تجيد الخياطة وتهواها،

والتي أفادتها كثيراً حينما كانت في القرية بالحصول على بعض المردود المالي لسد بعض احتياجاتها هي وسعوده، هذا مما عزز معارفها في المنطقة وحواليها ويسد لها فراغاً كبيراً بغياب (مظلوم) في عمله في البستان أو في تأدية بعض الالتزامات الحزبية والاجتماعية.

وبناءً على دعوة من رفيقه (أبو سلام) الصياد، أصطحب (أم كفاح) معه إلى داره، لأحياء حفلة بسيطة بمناسبة الذكرى الثانية والثلاثين لميلاد الحزب، وقد كانت مناسبة جميلة بددت الكثير من الهم والألم للشهور والسنين الماضية، وقد أعجبت (أم سلام) كثيراً (بأم كفاح) طيبتها وأدبها وكياستها وتجربتها الحياتية، وقد وعدتها بزيارة ليتها في الكاظمية في أقرب وقت بعد أن تزور الشيخ عبد القادر الكيلاني كما هي عادتها في كل مرة.

- داده أم كفاح أحس براحه وأمان من أزور أضرة الأولياء والأئمة، وكل مره أخذ ويابي (چيسين) من حب الحنطه واحد لحمام عبد القادر والثاني لحمام الكاظم عليه السلام، داده هذا الحمام يبين يفتحهم من يخلي هاي المراقد مكان عيشته وتوريخه، وداده أم كفاح أنتي ما مصدكه هذا المثل اليگول (مثل حمام الكاظم يأكل بالكاظم ويضرگ بالمعظم) داده انه شفته حمام الكاظم يضرگ بلواوين الكاظم، برد حيلهم يردون يخلون الحيوانات خطيه تشتراك بذنبهم وچذبهم.

يعني معقوله الكاظم عليه السلام يرضه حماماته يرحون  
يضرگن بالمعظم؟

تبتسم (حياة) لبساطة وخفة دم أم سلام، نافية تصدقها لهذه الأمثال، والكاظم والمعظم والكيلاني كلهم يستحقون الأحترام والتجليل وهم من الصالحين.

باتوا ليلتهم في بيت (أبو سلام) وسط محبتهم وحفاوتهم وكرمهم واحاديثهم بين ذكريات عذبة وآخرى مؤلمة ومريره، معلنين أسفهم لخبر أصابة (أبو كفاح) بالسكر متمنين له الشفاء العاجل والصحة الدائمة.

غادرا صباح الأول من نيسان دار (أبو سلام) وقد أعطت (أم سلام) عدد من قطع القماش لأم كفاح لتخيطها ملابس لأطفالها وفستانها لها، تمنى أن تكون جاهزة عند زيارتها لهم مع (أبو سلام) في قادم الأيام، كما أهدتها عددا من كبة البرغل الموصلية التي تجيد عملها (أم سلام) الموصلية الأصل.

بدت (أم كفاح) مسرورة وراضية حول طبيعة حياتهم الجديدة في بغداد، أذ بدأت تعود إلى روتينها اليومي وسط حالة من الهدوء والأطمئنان وأن لم يكن كاماً، فما زالت الأخبار السيئة لم تختفي من الساحة السياسية العراقية.

وأخذت (حياة) تنظم وجبات غذاء حبيها (مظلوم) تحاشيا لأرتفاع السكر في الدم، وأخذت قدر الامكان تنحية الأخبار

المقلقة، خصوصاً وأنه أخذ يفكر بجدية في اعتزال العمل التنظيمي الحزبي، بسبب كبر سنه ومرضه الذي لم يكن في الحسبان، فلم يعد قادراً على التخفي والتشرد والسجن، بالإضافة إلى الوضع التنظيمي المريض والأيل للشراذمة والأنشقاق، فكرس مظلوم وقته للقراءة والاستماع للموسيقى ومسامرة صديقه الحميم (فريد) الذي أخبره أنَّ هناك خبر مدحش ومهما خلال الأيام القادمة.

بذل المزيد من الجهد الممتع في البستان حيث بدأت الأشجار تزهر، والجو يعتدل فاتحاً صدره للربيع الجميل، أحياناً ترافقه (أم كفاح) للبستان لمساعدته ولغرض المتعة وقضاء أوقات جميلة على ضفاف دجلة وبين نخيل وأشجار البرتقال في البستان، ومراقبة حبها وهو يمارس هوايته بالقاء (السلية) في النهر وأصطياد السمك، وسرعان ما عقدت (حياة) صداقات حميمة مع نساء الفلاحين في المنطقة، تشاركتهن همومهن وتبسيط لهن حياتهن بخبرتها الغنية في حياتها، تشاركتهن في أفراحتها وأحزانهن وتمد يد المساعدة المالية لمن تحتاجه وحسب أماكنيتها، تخيط لهن ملابسهن وملابس أطفالهن رافضة أخذأجرة مقابل عملها، ولكنهنكن يحاولن التعويض عن ذلك باهدائها اللبن والزبد، والدجاج والبيض والتمر، الخ.

في يوم (١٣ - ٤ ١٩٦٦) على حين غرة أوقف الراديو البث في أذاعة بغداد، لتعلن عن تعرض طائرة رئيس الجمهورية عبد السلام عارف لحادث كارثي نتيجة سوء الأحوال الجوية خلال زيارته للبصرة مما أدى إلى وفاة الرئيس.

لمعت صورة (فريد) في رأس (مظلوم) أنه خبر مذهل فعلاً، ونبوءة غاية في الدقة والصدق، أما عجيب أمر هذا الرجل، وقد كان كثيراً ما يقارنه بصديقه (الممله زيدان) الذي غالباً ما يردد على مسامعه تنبؤات أخر الزمان منسوبة للأولياء والأوصياء واصحاب الكرامات بطريقة (سيأتي زمان علّي) أغلبها أخباراً تبرم بقادم الأيام وسوء أخلاق وأحوال الناس وإنَّ العالم يسير نحو الخراب والدمار ومزيدٍ من الجوع والفساد، فيحكمنا الصبيان، وتأخذ النساء تطارد الرجال، ويكثر اللواط، ويخونن الصديق صديقة، وتخونن الزوجة زوجها، حتى ظهور الحجة المنتظر (عج) حيث يضع المثله يده المختمة بخواتم زرقاء على رأسه، وقد كان يحكى له كيفية توزيع لياليه بين حريمه الأربع، فالعدل في المعاش والفراش واجب، لذلك فهو يوصي دائماً بالمزيد من العسل الطبيعي، وتناول التمر البرحي المهروس بالزبدة ونهمه المثير للدهشة في الأكل حيث لحم الغنم والكباب والدجاج والسمك وأنواع من الحلويات والمكسرات، وهو يغمز (مظلوم) ضاحكاً أباً كفاح الفراش يريد حقه.

كان يلاحظه عندما يضع في جيده قطعاً من عملة (العشرة فلوس وخمسة فلوس) ليدسها في يد المسؤولين أثناء تجواله في المدينة مردداً وجوب الصدقة على المحتاجين.

يدخل في مشادات كثيرة كلامية مع من يتأخر في دفع أيجارات بيته أو دكاكينه في المدينة لاتنفعهم أذارهم أو ضيق معاشهم، مهدداً أياهم بالتخلي أو رفع شكاوى رسمية ضدتهم، حيث كان له محام خاص يقوم بمتابعة قضايا أملاكه في المحاكم وبقية الدوائر الرسمية.

يطالب مستأجريه أنْ يخافوا الله في أملاك الناس، متناسيا خوف الله وهو يغتصب لقمة عيش أطفالهم بزيادته الأيجارات بشكل مستمر، أمواله حلال لأنَّه يخرج منها الخمس والزكاة ويحظى بمباركة (عالم الدين) ورضاه، حج بيت الله الحرام أكثر من مرة، ويعدل بين نسائه الأربع في المعاش والفراش، شيد أكثر من جامع وحسينية مستفيداً مما تقدمه الدولة من تسهيلات كالأرض والسلف لمثل هذه الاعمال (الخيرية) يحيط هذه الجوامع بالدكاكين التي يجبى منها أيجارات ضخمة، فلا مانع أن يوازي رفع أسم الله مع رفع أرباح وثروات هذا (المحسن الكريم) من خلال هذه الجوامع (بيوت الله) فلا مانع من أنْ تملأ (بيوت الله) ببيوت (المحسنين) بالمال مقابل ملء بيوت الفقراء بالجوع والقهر.

يضم أذانه لكي لا يسمع مقوله "أشباع جائع خير من بناء الف  
جامع"

مما أضطر (مظلوم) إلى ترك العمل في حديقته لأنه لم  
يستطيع تحمل نفاقه وجشعه ونهمه للجنس وللأكل.  
كان يتباھي أمام الناس بأنّ لديه فلاحاً خاصاً لرعاية حديقته  
الواسعة رغم أنه لا يكاد يعرف شيئاً عن الازهار ولا يمتع نفسه  
بشم رائحتها.

أخذ المذيع يذيع المزيد من البيانات والتواشيح والآيات  
القرآنية والكل يرقب الأوضاع بقلق كبير، ومن هو خليفة  
الرئيس عبد السلام عارف، وهل الحادث قضاء وقدر أم من  
تدبير فاعل، ومن هو المتهم، وهل سيكون هذا الحدث  
خطيراً لأراقة المزيد من الدماء ومزيداً من الصراع والعنف  
بين مختلف الجهات الطامحة بالوصول إلى كرسي الحكم.  
قرر أن يعتلي دراجته ويذهب إلى دار صديقه (فريد)  
ليستجلِّي الأمر منه.

وتجده جالساً في مكتبه يستمع إلى الموسيقى، واضعاً  
أمامه أحد مجلدات (قصة الحضارة) لدبورنت، بعد  
الأستراحة بادره (فريد) قائلاً: لا تتعب فكرك كثيراً بما حدث،  
أنها فترة أستراحة وتهدئة اللعب سوف لن تطول كثيراً، ليعود  
المطروح إلى كرسي الحكم من جديد بنفس القطار ولكن

برداء نقيه، ولا تسأل من هو الفاعل هل هو الله برياحه العاتية، أو عقل مدبر مستتر، فلكل منها أدواته للفعل. ظل (مظلوم) صامتٌ يحاول أنْ يلم بمراد وأبعاد حديث (فريد) والذي سيأتي في عالم (الغيب) المنكشف أمام عيون هذا المدهش، ولكنه عموماً أطمأنَ لما يجري حالياً، وفي هذه الأثناء تم أذاعة بيان من أذاعة بغداد تشير إلى تولي عبد الرحمن عارف شقيق الرئيس الراحل عبد السلام عارف مقايد السلطة من بعده.

تبسم (فريد) وهو يطالع تغيرات ملامح وجهه (مظلوم) وأستغرابه لما يجري، متسائلاً عن المزيد من الأيقاح ليفهم ما يجري وما سيكون؟

عزيزي (أبا كفاح) لا تشغل بالك كثيراً بما سيأتي ولكن عليك أنْ تتصرف بما أنت مقتنع به، وسيأتيك الخبر بلا ثمن. نعم استاذ ولكن ما يشغلني هو عودة المطرود بعد حين، هل هذا معقول بعد كل الذي قام به (البعث) في ١٩٦٣؟  
نعم أخي ولا تستغرب فالعقل الأكبر يدير الأفلاك والرؤوس بأتجاه من يخدمه وينفذ أرادته، نعم سيعود وستجري أنهار من دماء قد تطول عقوداً من السنين، أتمنى أنْ لانعيشها ونكون حين ذاك في ذمة العدم.

أستل (مظلوم) سيكارته وخرج ليدخنها في ممر الحديقة، تاركاً (فريد) يستمتع بسماع موسيقاه، وقد تشغل بالعناية بعض شتلات الورد في الحديقة.

بدأت علامات الدفء والاستقرار تظهر على محيا (مظلوم) بعد أن ساكته حبيبته في بيته وسقف واحد، وأخذ يخطط للقيام بسفرة إلى مدينة النجف لتفقد أقاربه ورفاقه وأصدقائه هناك بعد فترة الغياب والعذاب الماضية.

في أيلول ١٩٦٧ وصل حالة التوتر إلى أشدتها بين تياري قيادة الحزب، فأعلن رسمياً الانشقاق إلى (القيادة المركزية) بقيادة عزيز الحاج ومن تبعه، و(اللجنة المركزية) بقيادة عزيز محمد ومن والاه، وقد كان رفاق (مظلوم) ومن ضمهم (أبو سلام) ضمن تشكيلات القيادة المركزية كما هو حال اغلب تنظيمات بغداد المركز، التي تبنت طريق الكفاح المسلح لأسقاط النظام، في حين كانت (اللجنة المركزية) بين وبين، وقد بدأ كل من الطرفين يشن هجوماً اعلامياً ودعائياً ضد الطرف الآخر، مما بسبب المزيد من المراارة لـ (مظلوم) الذي اعتزل الطرفين رغم ميله إلى جماعة القيادة المركزية، وقد سلم بندقيته التي كان يحتفظ بها منذ حركة (حسن سريع) إلى رفيقه (أبو سلام) فهو يعتبرها ملك الحزب.

روى له أحد الرفاق تفاصيل العمل البطولي الأسطوري الذي قام به سجناء سجن الحلة المركزي بحفر نفق من داخل

السجن إلى خارجه وهروب العشرات من السجناء الشيوعيين من كلا الكتلتين اللجنة المركزية والقيادة المركزية في شهر تشرين الثاني ١٩٦٧، وما ترکه هذا العمل البطولي من انعکاس كبير في نفوس العراقيين وحقدهم على السلطة في حين أنعش جسد الحزب وزاد من أنصاره ومؤيديه بين الجماهير.

في هذه الأثناء قامت أبنته (سعودة) بزيارتھم صحبة زوجها، فكان جمع شمل عائلي مبهج لا ينقص اكتمال فرحته إلا (کفاح) الذي وردت منه اخبارا مطمئنة ونيته إلى القدوم إلى بغداد في اقرب فرصة سانحة.

عاشت العائلة عدة أيام سعيدة وكان الفرح بالغاً بحفيدتهم الصغيرة (آمال) أبنت (سعودة) التي تعلق بها جداً كثيراً، وقد قاموا بزيارات للأصدقاء حيث أصبحت لهم علاقات متشربة في بغداد الكاظمية وبقية مناطق بغداد، وأخذ دخل العائلة يتحسن من خلال عمل (أم کفاح) فقد أصبحت خياطة ماهرة ومشهرة ومحبوبة في المنطقة وماجاورها.

كان من رأي (مظلوم) في اعتزال العمل الحزبي في ظل حالة من الغموض والغوصى وسرعة تبدل المواقف بين أقصى اليمين وأقصى اليسار، رغم أنهم على ثباتهم الفكري والمبدائي وحماسهم لبناء مجتمع الاشتراكية ما زال حلمهم الكبير.

أخذت ترد العديد من الأخبار حول تمركز عصبة من الشيوعيين من جماعة القيادة المركزية في أهوار العراق تمهدًا لخوض الكفاح المسلح أنطلاقاً من الأهوار لاسقاط النظام القائم وكانت بقيادة المهندس (خالد أحمد زكي) ابن بغداد، وسكرتير الفيلسوف الكبير (رسل) في لندن.

كان (فريد) يفور غضباً لما يسمع قائلًا: إنها قرایین جديدة يدفعها الشيوعيون، من أنزه وأنبل وأثقلف ابناء العراق، إنها مغامرة نبيلة جديدة ولكنني لا أرى أي نصيب لها بالنجاح، يا أخي إنها أرض (سبحة) فكيف لهم يتصورون إنها يمكن أن تصلح لزراعة العنبر؟

شعر (مظلوم) إن صديقه يحاول أن يبسط له الأمور ليقنعه بتوقعاته وحدوسيه، بينما خاطبه بعقلية الفلاح الفراتي المتمرس بزراعة (العنبر) وطبيعة الأرض الواجب تهيئتها لتكون صالحة لمثل هذا النبات، فهو بحاجة إلى أرض خصبة خالية من الملوحة والى ماءاً عذباً محملاً بالغررين، مما جعله يوافق (فريد) إلى ما ذهب إليه.

لم تمر فترة طويلة حتى تسربت أخبار معركة هور (الغمونك) في الناصرية في أوآخر شهر أيار من عام ١٩٦٨، والمقاومة البطولية الاسطورية لخالد أحمد زكي ورفاقه في جبهتين غير متكافتين بالإضافة إلى شبه حيادية أغلب سكان المنطقة وخيانة بعضهم وأصفافهم مع السلطة وما غمض من

سلوكيات بعض (الرفاق) وتعاونهم مع قوى (الأمن) مختارين أو مجبرين فكانت الخسارة الكبرى حيث قتل من قتل ومن بينهم (جيفارا الأهوار) (خالد أحمد زكي) وبعض رفقاء، والقاء القبض على الآخرين بعد أن تمكنا من أسقط أحدى طائرات السلطة وتكميدها بعض الخسائر.

مما أسدل الستار على أحدى أروع ملاحم الكفاح من أجل الحرية والكرامة في أهوار العراق، ولكنها هذه المرة تحت راية الفكر العلمي وليس تحت راية صاحب الزنج أو حمدان قرمط أو أصحاب الرزط، وبقي جرح (صويفج) أهوار العمارة نازفا وأحلامه مؤجلة إلى زمن غير مسمى، فاحتكرات البترول لا يمكن أن تسمح باشتعال نار الثورة الأشتراكية الثورية على مقربة من آبار البترول، هكذا عقب (فريد) على مأساة ثوار الأهوار، وفقدانه لأرب وأنبل صديق ورفيق، اختار أن يموت في مستنقعات العراق، تاركا مغريات (لندن) مدينة الشقاوات والضباب أملا في تحقيق حلم الفقراء.

مشيرا إلى أمر لم يفقهه (مظلوم) جيدا، أن وقت فرض الهيمنة الأمريكية بدل البريطانية، وأستبدال القبضة على الحكم قد حان ولا يمكن أن تسمح هذه الاحتكرات استمرار قبضة راخية ممسكة بالحكم في أرض السواد والذهب الأسود، اقترب فجر اذاعة (بيان رقم واحد) جديد، بواسطة ناطق قديم

بوجه جديد، متفهماً لطبيعة ميل شعب العراق بأغلبية جماهيره الكادحة نحو الخيار الأشتراكي، فسيأتي هذه المرة مرتدياً لباس أقصى اليسار.

كان (مظلوم) يستمع بأندهاش كبير إلى ما ي قوله (فريد) حول أحداث تلوح في الأفق القريب.

أخذ يصطحب معه (ام كفاح) لتمضية بعض الوقت في مشاهدت عدد من العروض المسرحية، حيث بدء المسرح ينشط خلال هذه الفترة، بالإضافة إلى تزجية بعض الوقت في التجوال في شارع الرشيد وشارع أبي نواس، وأحياناً الدخول إلى بعض دور السينما لمشاهدة الأفلام السينمائية المختارة.

كذلك أمضيا أكثر من أسبوع في زيارتهما لمدينة النجف، كان الحزن والفرح يتناوبان عليهما، الفرح بأطمئنانهم على حياة وسلامة بعض الرفاق والرفقاء والأصدقاء وحزنٍ مريئٍ عند سماع أخبار أعدام البعض أو سجن البعض الآخر لسنين طويلة، أو هروب البعض الآخر إلى بلاد الغربة.

كأغلب سكان المدن العراقية ومنها بغداد في الصيف، يفترشون سطوح منازلهم ليناموا فوقها، للتمتع بالنسيم البارد ليلاً عبر نهر دجلة، والتخلص من لهيب أشهر الصيف الحارة وخصوصاً في شهر تموز وشهر آب، كالعادة أستيقض (مظلوم) صباح يوم ١٧ تموز ١٩٦٨ مبكراً تفادياً لحرارة الشمس متأبطاً فراشه، ليكمل رقادته داخل الدار تحت هواء

المروحة السقفية وقد سبقته (أم كفاح) في النزول من السطح وممارسة بعض أعمال المنزل، يبدأ بتدوير مؤشر الراديو ليستمع إلى أغاني فيروز الصباح وسماع آخر الأخبار من إذاعة العراق ولندن وغيرها من الإذاعات، عند الساعة السابعة والنصف يقطع بث الإذاعة، لتبدأ المارشات العسكرية عالمة حدوث ثورة أو انقلاب في العراق هذا ما اعتاده العراقيون منذ ١٤ تموز ١٩٥٨، وإذا ببيان رقم واحد يعلن اسقاط نظام حكم عبد الرحمن عارف، وتنصيب أحمد حسن البكر رئيساً لجمهورية العراق في ثورة بيضاء، حيث أستسلم عبد الرحمن عارف وجرى تسفيره إلى خارج العراق!

وماذا بعد يا عراق؟ (البعث) يعود ثانية للحكم؟  
ما أوسع أفقك وأصدق نبوءاتك يا (فريد) ها هي احتكارات النفط تعود ثانية لأحكام قبضتها على ذهب العراق الأسود، ولتخطف شعلة الثورة من ايدي قوى الثوار اليساريين في عموم المنطقة، يبدو أنَّ مطحنة القهر والقتل ستعاود دورانها من جديد.

كان القلق بادياً على محيا (مظلوم) وقد لاحظت ذلك (أم كفاح) وهي تستمع للمارشات العسكرية وتكرار إذاعة بيان رقم واحد على لسان أحمد حسن البكر أحد أقطاب انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، رغم قلقها الكبير حاولت (أم كفاح) أنْ

طمأن (مظلوم) ربما أستفاد البعث من اخطائه في ١٩٦٣، وأتى بنهج وسلوك جديد، محاولا التكفير عما ارتكبه من جرائم آنذاك.

لكن (مظلوم) اكد لها أستحالة ان يحدث هذا لأن الجريمة والاستحواذ على الحكم والأنفراد بالسلطة أهم مرامي البعث وسيفعل كل شيء من أجل ذلك، وكل ما سي فعله ويمارسه لأخفاء هذا الوجه لا يعدو أن يكون أكثر من خديعة وقرارات تكتيكية للوصول إلى هدفه الاستراتيجي بأحكام قبضته الحديدية على سدة الحكم لتنفيذ ما يطلبه منه أسياده الذين كانوا وراء عودته للحكم ثانية.

أثار انتباذه وهو يسير على حافة النهر، صمت النوارس، وأمنتع (السماج) عن الصيد في يوم (١٧) تموز، وكأنها أستعادت منظر النهر في ٨ شباط ١٩٦٣ حيث أصطبغ الماء في نهر دجلة بلون البحر والدم.

وهو يتحدث لم تفارقه عبارات وكلام (فريد) حول الأحداث الحاضرة والقادمة، والتي تکاد تكون أصواتا بلا صدى لا يسمعها ولا يدركها أحد في عراق الآلام الدائمة.

بدأ البعث بأصدار قوانين وقرارات متواتلة لأثبات تغير نهجه ومنهجه في الحكم، بالرغم من انه كشر عن أنبياه الفاشية في ضرب العمال (في شركة الزيوت النباتية) وقمع أضرابهم المطالب بحقوقهم في نسبة ٥٪ من الأرباح، قتل أثناء ذلك

العامل (جبار لفتة) وجراح العديد من العمال وأعتقال العشرات منهم وتعرضه للضرب والتعذيب، كما أُتهم شكلوا أجهزة تعقب ومطاردة وأختطاف وأغتيال راح ضحيتها العديد من كوادر الحزب الشيوعي وقادته كستار خضير، وعبد الأمير سعيد، وكاظم الجسم، وعزيز حميد رشيد ووو غيرهم الكثير مما أكد النهج الفاشي للسلطة ومنها الهجوم على الجمهور المحتفل في ساحة السبع بمناسبة ثورة أكتوبر الأشتراكية ومقتل ثلاثة من المحتفلين وأعتقال العشرات.

في شباط ١٩٦٩ تم اعتقال عزيز الحاج سكرتير (القيادة المركزية) للحزب الشيوعي العراقي وأنهياره وكشف تنظيمات حزبه، كما فعل القيادي الآخر في القيادة المركزية (بيتر يوسف) وأدانته لرفاقه الذين أستشهد العديد منهم تحت التعذيب، وأشادتهم بالبعث كثمن للحفاظ على حياتهما في قصر النهاية وحصولهم على مناصب خاصة ثمناً لـ (سقوطهم)!

اغتيال محمد الخضري في ١١ - ٣ - ١٩٧٠، أثناء توجهه للمشاركة في أحتفالات بيان الحادي عشر من آذار وأعطاء الحكم الذاتي للشعب الكردي، حيث وجدت جثته مرمية على قارعة الطريق، وجسده ممزقاً بعدد من الأطلقات الناريه، دلالة الحقد والكراهية.

وفي الجانب الآخر أصدرت السلطات قرارات أطلاق سراح السجناء السياسيين في ١٩٦٨-٩-٥ وأعادة المفصولين إلى وظائفهم في ١٩٦٨-٩-١٢ وأغلاق سجن نقرة السلمان، وتعيين عزيز شريف وزيراً للعدل، طرح ميثاق العمل الطني في ١٥ تشرين الثاني ١٩٧١، تأميم شركة نفط العراق ١٩٧٢. تعيين مكرم الطالباني وزيراً للري، وعامر عبدالله وزيراً بلا زارة في ١٩٧٢-٥-٤.

كان (مظلوم) يكاد لا يفارق (فريد) خلال هذه الفترة المليئة بالأحداث والقرارات والسلوكيات المتناقضة للسلطة، ولكنها لاتغير من قناعات (فريد) في الطبيعة الفاشية للبعث، وكونه مجندًا من قبل الأمريكية الأمريكية لضرب القوى التقدمية واليسارية والعمل على أضعافها وشرذمتها في المنطقة العربية بكميلها، وقد كان (فريد) حينما يتحدث كمن يستعرض فلماً عجائبيًّا يكاد لا يصدق لمستقبل الأوضاع في العراق والمنطقة.

كان دكتور (كافح) غير مقتنعاً بما يذهب إليه فريد، حين عاد إلى العراق في ١٩٧٠، وعيّن أستاذًا في كلية الآداب جامعة بغداد مستفيدًا من قرار العفو و(أنفراج) العلاقات بين البعث واللجنة المركزية للحزب الشيوعي بقيادة عزيز محمد. حاول أنْ يضم والده إلى بيته الذي وفرته له السلطة ضمن أساتذة الجامعة آنذاك، وأصر على بقائه في الكاظمية في دار

صديقه الحميم وبالقرب منه، مما أجبر (كفاح) للعيش معهم، كانوا قليلاً ما يجتمعون حول مائدة واحدة، بسبب الأنشغال الدائم لـ(كفاح) في الكلية والجامعة ونشاطاته الأدبية والثقافية والسياسية، ورغم أخبارسوء من قبل السلطة كان متفائلاً بمستقبل تحول الحكم البعثي فكراً وممارسة ليكون قريباً من الشيوعيين، وأمكانية بناء الاشتراكية بالتحالف مع (الاحزاب الديمقراطية الثورية) الممثلة للبرجوازية الصغيرة، حسب مقوله امكانية التطور الارأسمالي صوب الاشتراكية، وقد بدأت الحوارات شبه مغلقة بينه وبين والده ووالدته وأستاذ (فريد) رغم تحفظاتهم الكبيرة على تفاؤله بمستقبل العلاقات مع البعث رغم استمرار جرائمه ونهجه البوليسي والقمعي ومضايقاته التي لا تحصى للشيوعيين واصدقائهم، كان (كفاح) متھمساً لتطورات الحورات لقيام الجبهة الوطنية بينهم وبين البعث وخصوصاً بعد الاعتراف بجمهوريّة المانيا الديمقراطيّة، وأقامة معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيائي في نيسان ١٩٧٣ حيث تم تجاوز شعار الحزب في مؤتمره الثاني بأسقاط سلطة البعث بأعتباره حزباً فاشياً خادماً لقوى الرأسمال العالمي ومعادياً لطموحات الشعب العراقي في الحرية والتقدم، وما قامت به السلطة من أغتيالات لکوادر الحزب وأنصاره كردة فعل لنجاح المؤتمر وصداء الواسع في العراق والمنطقة، إلى كون سلطة البعث.

(سلطة وطنية معادية للأستعمار والتوسع الصهيوني وتوافق  
التقدم الاجتماعي)!

تواصلت لقاءات (مظلوم) و(فريد) وخصوصا في دار (فريد)  
وتواصله في العناية بحديقته التي أحبها كثيرا.

عقد علاقات خاصة بينه وبين نخيلها وشجيراتها المختلفة،  
مستمتعا بأحاديث صديقه، وحواريتهما حول الثقافة والأدب  
والفلسفة، ومناقشتهما المشتركة للعديد من الروايات العراقية  
والعربية والعالمية، في حين أخذوا يذهبان سوية وبمعيتهما  
زوجتيهما لحضور العديد من المسرحيات، حيث بدأ المسرح  
ينشط بشكل كبير خلال هذه الفترة.

في ١٦ - ١٩٧٣ دعا (فريد) صديقه وزوجته لتمضية أمسية  
وتناول وجبة عشاء في داره، وقد كان له ذلك، وقد كانت  
الأمسية بليلتها التي أمتدت حتى وقت متأخر من الليل،  
موسوعية من حيث ما طرح من خلالها بين العائلتين، كان  
اللود والمحبة تعطر أجواء السمر وتبادل النكات والطرائف،  
تخللها أيماءات وتكهنات وصور من الحاضر والمستقبل  
العربي المثيرة للألم والخوف والتحسب لمستقبل لا يشي  
بالأمان والسلام والرفاه للشعب العراقي.

بعد منتصف الليل أحضرن فريد صديقه (مظلوم) بقوة مودعا  
أيام بحرقة وحسرة غير معهودة، وقد كان يواري دموعا تكاد  
تغالب حذره لتأخذ مجرها عبر أحاديد وجتنيه المورдан،

أثار هذا المشهد (أم كفاح) وزوجة فريد، تبادلتا خلالها نظرات التساؤل والأستغراب دون أن يقولا شيئاً تعليقاً على المشهد الذي لفته أمارات الحزن دونما سبب مشهود.

غادر (كفاح) الدار في وقت مبكر جداً حيث أصطحبه أحد زملائه ورفاقه في سيارته (الفولغا) الجديدة، حيث يبدو أنَّهم على موعد مع حدث هام يحتاج للتهيئة الواسعة، أعدت أم (كفاح) وجة الأفطار كالعادة وذهبت لأيقاظ (أبو كفاح) للنهوض ليتناولا فطورهما معاً، نادت عليه أكثر من مرة ولكنه لم يرد عليها.

مدت يدها داعية أيَّاه للأستيقاظ مرة وثانية ولكن دون جدِّي، مما أدخل الهلع في قلبها، هزَّته هزة قوية ونادته بصوت عالٍ، ولكن لافائدة، كان جسده بارداً ووجهه شاحباً لم تنم منه أيَّة حركة، تحسست نبضه فوجده مطفئاً تماماً.

هرعت إلى دار جيرانها، مخبرة أيَّاهما بالحدث المرعب، ولتتصل هاتفياً برقم هاتف صديقه ليخبروا (كفاح) بوفاة والده، وقد كان الردُّ أنَّهما غير موجودان في الدار الآن، سيحاولان أنْ يبحثا عنَّهما ومعرفة مكان تواجدهما لأبلاغهم، عندها أدارت قرص التلفون لتتصل بصديقه (فريد) الذي رد عليها لم يفاجيء بممات صديقه وكأنَّه كان يتظاهر الخبر الحزين، وإنَّه سيصلهم حالاً، مما أعاد إلى ذاكرة أم كفاح مشهد وداع ليلة أمس.

في خضم النقاش الدائر وأعداد ترتبات الأحتفال بأعلان (الجبهة الوطنية والتقدمية بين البعث والحزب الشيوعي) المتضرر أنْ يقع على ميثاقه وأذاعة بيانه كل من أحمد حسن البكر عن حزب البعث العربي الاشتراكي، وعزيز محمد سكريتير الحزب الشيوعي العراقي، رن جرس الهاتف وكان المتكلم يلح بأرتباك لمحادثة الرفيق (كفاح) لأمر هام لا يقبل التأجيل، ردًا على من رفع السماعة الذي أخبر المتصل بان الرفيق مشغول طالبا من محدثه اعادة الاتصال بعد ساعة أو أكثر.

أخذ السماعة (كفاح) وهو بوضع وحالة المتذمر، حاول لوم محدثه، ولكن ذاك استبقه بأخباره بنبأ وفاة والده ووجوب عودته للدار حالاً.

تراخت قبضة يده من على سماعة الهاتف وأخذت تتراجع في الهواء، تكاثفت غيوم وجهه فأمطرت عيناه سابقة محاولته للظهور بمظهر الرجل الصلب، مردداً في داخل نفسه: اي يوم نحس هذا وسط وجوم وحزن رفاقه، اوكل الأمر إلى أحد رفاقه وأسرع متوجهًا للدارهم.

وجد هناك جمعا من الجيران، وأستاذ (فريد) وضجيج ونواح النسوة اللائي اتين خفافا لمشاركة (ام كفاح) حزنها والمها لفقدانها حبيبها ورفيق وشريك حياتها، وقد تقدم منه (ابو سلام) وجمع من رفاق واصدقاء (مظلوم) لتقديم التعزية

والتأسي، وكان (ابو كفاح) قد اوصى (ام كفاح) انه لو مات لا يريد أن يقام له سوى التشيع ورفقة أحبته معه إلى القبر، وأن يوضع ( التابوت ) الذي يحمل جثمانه في داخل السيارة ولا يربط على سقفها كما تربط الاثاث أو الحيوانات، كما أوصى أن لا يقام له مجلس فاتحة، وأنه لم يترك سوى دراجته ومنجله و(مسحاته) وعدد من الكتب، وهو لادائن ولا مدین لأخذ.

أطلع (كفاح) الجمع على وصية والده، وقد أوصاه الجميع بتنفيذها حرفياً، وسط حشرجة الحناجر المختنقة بالبكاء أسفًا على رحيله المؤلم.

تلفن كفاح إلى عمومته ورفاقه وأصدقائه في مدينة النجف لأستقباله هناك وتهيئة قبر والده حيث سيكونون اليوم مساء في النجف، أحضروا له سيارة خاصة أفرغ حوضها ليستوعب جثمانه كما أوصى، ركب معه كفاح ووالدته، بينما تبعهم الباقيون في عدد من السيارات الصالون وفي مقدمته أستاذ (فريد) صحبة سيارته الخاصة تولى قيادتها أحد الشباب المرافقين موكب الجنائز.

وصل عصراً إلى مدينة النجف، أستقبلهم في مدخل مدينة الكوفة جمعاً من الأقارب والأصدقاء من النجف وضواحيها، وقد سار الموكب المهيّب موحداً، حيث اجريت مراسيم التغسيل والتکفين في مغتسل (بير عليوي) وحمل الجثمان

لأداء الصلاة عليه ومن ثم أداء مراسيم الزيارة والطواف حل ضريح الأمام علي (عليه السلام) ومن ثم التوجه إلى حيث لحده في المقبرة وسط عدداً من أبناء عشيرته وذويه ورفاقه.

الألقى أستاذ (فريد) كلمة بلغة مؤثرة بحق الفقيد، تلاه (أبو سلام) في القاء كلمته وهو يكفكف دموعه المنهممة أسفماً والماً لفراق أعز وأحب رفاقه إلى روحه، وقد أسهب في تعداد صفاته الحميدة ومكارم أخلاقه وبسالته وشجاعته وكفاحه المشهود من أجل الغد المشرق للشعب والوطن، تفرق الجمع بعد جدل حاد بين كفاح وأعمامه وأبناء عمومته حول أقامة مجلس الفاتحة فالعرف الاجتماعي لا يمكن تجاوزه رغم وصية المرحوم، وإن لم تقام في بغداد، فهم سيقيمونها في النجف، أذعن (كفاح) لرغبتهم، ودع مرافقيه من بغداد شاكراً لهم وقوتهم ووفائهم لوالده وفي مقدمتهم (فريد) وأبا سلام) وبقية الأصدقاء والرفاق والجيران، وقرر البقاء هو ووالدته وشقيقته في النجف لأكمال مراسيم الفاتحة، وأثناء تناولهم للطعام في أحد مطاعم النجف في منطقة الميدان، لاحظوا تواجد العشرات للميدان رافعين لافتات تحمل شعارات تؤيد قيام الجبهة بين البعث والشيوعي العراقي بعد أعلان الجبهة وتوقيع أحمد حسن البكر وعزيز محمد على بيان وميثاق الجبهة الوطنية عبر شاشات التلفاز رغم عدم وضوح الصورة بالأسود والأبيض

وقد أخذ منها (النمش) مأخذه بسب ضعف البث من بغداد إلى المحافظات، يستمع (فريد) للهاتفات وصورة (مظلوم) لا تفارقه وأحياناً يتمتم بكلمات وعبارات غير مفهومة، بلغت حالة الغضب والأسئلة مبلغها عند (أبو سلام) الذي لم تزل آثار سياط البعث تحفر أخاديد في ظهره وصدره رغم مرور عدة أشهر على إطلاق سراحه من المعتقل أثر اعتقاله ورفاقه نتيجة لأعترافات (عزيز الحاج) و(بيتر يوسف) وكشفهما لكل تنظيمات القيادة المركزية، مردداً مع نفسه لمن تهتفون أيها الأغياء إنكم تسيرون إلى مصيدة (البعث) بأرجلكم.

أكملوا طعامهم، وارتشف الشاي، ثم دعوا كفاحاً ووالدته، عائدين إلى بغداد رافضين الأذعان لطلب أعمام (كفاح) بالمبيت والسفر صباحاً.

كان مجلس الفاتحة مناسبة للقاء (كفاح) بكل أقاربه وأصدقائه ورفاق فتوته في النجف، أستعادة الذكريات والبحث والتداول في الوضع الحاضر وآفاق المستقبل، وقد كانت هناك وجهات نظر متناقضة بخصوص الجبهة مع البعث.

في حين يرى كفاح أنّها تمثل بداية عهد جديد لعراق المستقبل الأشتراكي، خصوصاً وأنَّ صدام حسين وجناحه أقرب حتى من اعتناق الفكر الماركسي، مما يستوجب دعم هذا التوجه وتقوية أواصر الجبهة على مستوى القاعدة

والقيادة لغرض أنضاج الحليف الذي أختط طريق معاداة الأمبريالية العالمية والصهيونية العالمية والرجعية العربية.

بعد انتهاء الفاتحة قفل راجعاً هو ووالدته إلى بغداد، وبدأ يحضر للسكن في دارهم الخاصة وترك دار (فريدي) وأعادته إليه لتكون من نصيب شخص آخر أكثر حاجة إليها منهم، فهم الآن يمتلكون القدرة على أملاك دار حسب ما وعدتهم الدولة بتوفير دور سكن لأساتذة الجامعات العراقية، وقد عرض الأمر على والدته التي قبلت الأمر نزولاً عند رغبته، فمن الصعوبة عليها ترك الكاظمية التي اعتادت العيش بين أهاليها وفراق جيرانها للذين أحبتهم وأحبوها، فقرر أن يذهب هو ووالدته إلى الاستاذ (فريدي) لأنباء بعزمهم على تخلية الدار واعادة مفتاحها له فقد انتفت حاجتهم إليها.

استقبلهم (فريدي) بفرح يتباهي الحزن فقد اعتاد أن يستقبل صديقه (مظلوم) صحبة (أم كفاح) ولكن.

قدم لهم الماء والبيسي البارد، مهلاً مرحباً بقدومهم الذي يسره كثيراً، فهم بقية أخيه وصديقه العزيز.

بادره (كافاح) بعد مقدمات الشكر والعرفان لما تفضل به على والديه واسكانهم داره كل هذه الفترة دون أي مقابل، والآن هم يعيدون له الدار وما فيها، فلقد تيسر أمرهم وأنه سيأخذ أمه للسكن معه في داره.

نهض (فريد) وقام بفتح أحدى أدراج مكتبه، وأتى بظرف مغلق سلمه إلى أم كفاح وطالبا من كفاح قراءته . فتح دكتور كفاح (المظروف)، وأذا به ورقة سند (طابو) الدار ملك صرف باسم السيدة (حياة) مما أذهله وأثار استغراب والدته، فهي لم تسمع من (مظلوم) أنه أشتري الدار من صديقه (فريد) كما أنَّ (الدار) في منطقة راقية من مدينة الكاظمية، وهو مهما ادخر لا يمكنه شرائها، ثم أنَّ (مظلوم) لم يذكر في وصيته أنه يملك داراً، وقد حدد ملكيته بمجرفة ومنجل ودرجة هوائية وعدد من الكتب، وهو لادين ولا مدين، فمن أين جلب المال وأشتري الدار وسجلها باسم زوجته (أم كفاح)؟

فرد (فريد) على تساولاتهم، يمكنكم التأكد من ملكية الدار من دائرة التسجيل العقاري، فهي ملك خالص باسم السيدة (حياة) وقد كلفه أثناء حياته بإنجاز معاملة تسجيل الدار باسمه، وهو قام بالواجب ولكن فاته تسليم السند لصديقه وقد فوجيء بوفاته.

ثم أستدرك قائلاً وهو يجدد استغراب (كفاح) وأم كفاح، بأنه يعلم ما لا يعلمون، وتمنى على (كفاح) أن لا يجبر والدته على ترك منزلها فقد أحبت المنطقة والمنطقة أحبتها، وقد أيدته (أم كفاح) إلى ما ذهب إليه، مما جعل (كفاح) يخضع

لرغبتها، فهي بطيتها وأنسانيتها أصبحت بمثابة الأم لجميع سكناة المنطقة.

أخذ نجم (كفاح) يتألق عام بعد عام كأستاذ مميز في الأدب والنقد العربي، وثقافته العالية وفطنته واتقنه للغة العربية والروسية والأنجليزية اتقاناً تاماً، مترجماً منها وأليها مختلف النصوص الأدبية والثقافية والسياسية، أثار حفيظة وكلاه الأمن في الكلية، مما جعلهم يعرضون عليه الانتماء لحزب البعث عارضين عليه مغريات كبيرة في تسنم مناصب مهمة كعمادة الكلية، أو رئاسة الجامعة وحتى الوزارة، ولكنه كان دائم الرفض، مذكراً أيامه ببنود التحالف الجبهوي وحرية الرأي والمعتقد.

كان يوماً رائعاً حين باشرت في الكلية أستاذة جديدة أتت نقلًا من جامعة البصرة إلى جامعة بغداد كلية الأدب، أنها الدكتورة (أحلام سلام الريان) السمراء ذات الهيبة والجمال وغزارة وعمق معرفي، هذه الصورة هي التي يخرج بها الفرد عند لقائه بـ(أحلام الريان) وهذا بالضبط ما كان من (كفاح) تجاه زميلته الجديدة، التي بدأت تقترب منه في يومها الأول لل مباشرة وقد كان دليلاً في التعرف على أنواع الكلية واستذتها وطلبتها مقدماً لها كل ماتحتاجه من معلومات حول مستوى الطلبة وطرق التدريس، مما جعلها تستأنسه كثيراً، خصوصاً بعد أن تعرفته الشاعر المجدد المبدع (كفاح)

حيث تابعت شعره بأعجاب كبير قبل معرفته، ولكن في الوقت الذي هيمن على كفاح شعور الحب الجارف لهذه الفتنة الأدبية السمراء، وقد تلاقت روافد عشقهما للشعر والأدب والثقافة، كما هي روافد الفكر اليساري التقدمي، هذا التلاقي الجميل قادهما إلى عقد قران الحب وقرار المشاركة الحياتية، فكان يوما ولا أروع ولا أجمل ولا أسعد منه يوم عقد قرانهما الذي جاء متزامنا مع الذكرى (٤٣) لولادة الحزب في ٣١ اذار ١٩٧٧، ولكن خلال هذه الفترة وبالخصوص بعد انتهاء المؤتمر الوطني الثالث للحزب في ١٩٧٥ نغصت حياتهم وعكّرت مزاجهم المضائقات والاستفزازات التي اخذت تزداد بوتيرة كبيرة، خصوصاً وإن الحزب الحاكم قد أتخذ قرار تعيث التعليم والتعليم العالي وأخذ يهدد بالطرد كل من لا يتمي للحزب القائد كما يقولون.

كان العميد في وضع محرج فليس هناك أمكانية للأستغناء عن خدماتهما كأساتذين قدريين للنقد والأدب العربي، وعدم وجود البديل المناسب عوضاً عنهما، وبين ضغط السلطات الحزبية بضرورة ابعاد الأساتذة الغير يعيشين عن الوسط الجامعي والتعليمي.

تمتعا في بداية عام ١٩٧٧ بأجازة زواج لمدة شهر، قررا أن يمضيانها في شمال العراق أعززاً ببيئة وجمال بلددهما

وأريحية ناسه خصوصاً وأنَّ لهما أصدقاءً ورفاقاً كثراً في  
كردستان العراق.

ولكن بعد عودتهما، وبما شرطهما الدوام في الكلية سلم العميد (كفاح) امراً ببنقله إلى وزارة الزراعة وحسب تنسيتها، فاستلمه مبتسماً ومعقباً يبدو أن النخيل وأشجار البرتقال والليمون والحنطة والشعير بحاجة لدراسة الأدب العربي، ونظر للعميد معتاباً: شكرنا لهديتكم الرائعة بمناسبة زواجنا! في حين كانت (أحلام) في غاية الأثارة مستنكرة مثل هذه الأفعال المعادية للثقافة والأدب وللقوانين الوظيفية المعمول بها في البلد، بدأ العميد في غاية الأحراج، ظل ساكتاً مطرقاً، حاول أن يشغل نفسه بتقليل بعض الأوراق بين يديه، ثم حمل حقيبته مدعياً أنه ذاهب لحضور أجتماع هام في مقر الوزارة.

لم تكتف السلطات بنقله، بل أزدادت نوبات ومرات استدعاءه للامن وتهديده بالسجن تحت مختلف الذرائع، تخلص أكثر من مرة من محاولة الأعتداء دهساً بسيارة (مجهولة) ناهيك عن العديد من محاولات التحرش والاستفزاز المتعمد التي لاتخفي عليه مصادرها ودوافعها، فأخبر حبيبه بأنَّه قرر التواري عن أنظار السلطة، خصوصاً بعد أنْ أزدادت شراسة وعدوانية أجهزة الدولة القمعية في أواخر عام ١٩٧٨ و١٩٧٩ وتسمى صدام زمام السلطة من

البكر، وستكون وجهته إلى أهوار الجنوب، وعندما يتذير أمره سيحاول أن يلحقها به، وأن تعرضت للمضايقة.

فعليها ترك الوظيفة ومرافقه والدته إلى داره ها في الكاظمية فستكون هناك أكثر أمناً وأماناً، وهكذا كان، حيث أمضى (كفاح) أكثر من سنة متوارياً في مدينة الناصرية والبصرة بصفته عامل بناء، وقد آلمه وأفلقه كثيراً خبر اختطاف حبيبه (أحلام) من قبل (مجهولين) وهي في طريقها للجامعة في منتصف عام ١٩٨٠، قرر الالتحاق بالفصائل المسلحة في عمق الأهوار، بعد أن أعيته كل الوسائل والوساطات من قبل الأهل والأصدقاء للعثور على أي أثر لـ(أحلام).

(كفاح) بين رائحة (الخريط) ورائحة البارود.

هذه فرصتك (يا حاشوش) ان تتأثر لذلك ومهانتك ونبذك من قبل من رفضوك واحتقروك أنت وأبوك، هاهم (الرفاق) الجدد يتسلون الناس للانضمام إليهم دون قيد أو شرط سوى الولاء للحزب والشورة والقائد، أي ولدك مسدس ورشاشه و(هلهلوه للحزب القايد) وهلوله للشيطان، لا يعني لي ذلك شيئاً، هل أنا في حلم أو علم (حاشوش) يصير حكومه، يا رحمتك يا رب لا يا رحمتك يا رفيق عفلق، أين أنت يا (أبو حاشوش) ألا تستيقظ، لتأخذ ثأرك ممن يدعون الطهارة والشرف والعفة والله والله لاعمي يا والله وراس العزيز عفلق أريد اكلب عاليها سافلها واطلع بيهم نار گلبي،

وبالخصوص هذول الشوعيه اللي تكروا علي وطردوني  
طردت الچلب الأجرب.

بكر حاشوش بالذهاب لمقر الحزب مهئا ومباركا بهوساته  
التوسلية للثورة (البيضاء) التي نذر نفسه لها هو والده  
المناضل (فدعوس) الذي نفاه الأقطاع والرجعية وأعداء  
العروبة من الرفاعي للفهود بسبب نضاله وكفاحه من أجل  
ال فلاحين ومحاربة الشعوبية والديكتاتورية.

تغامز الرفاق فيما بينهم وقد ذهل بعضهم من تأليف  
(حاشوش) لقصة نضاله ونضال أبيه (الحرامي) القاتل، وقد  
أعجب بعضهم تقديم نفسه بهذه الطريقة وهذا الوصف وكما  
قال أحدهم والله: إن حاشوش يعني مأصل وأنه سيكتب  
للقىادة بتاريخه وتاريخ عائلته النضالي من أجل العروبة كي  
ينال حقوقه بعد أن تعرض للظلم والتشرد والتهجير.

وهكذا كان فقد قبل (حاشوش) عضوا في الحزب مع تسليمه  
بندقية كلاشنكوف ومسدس مع مكافأة مالية مجزية وأوصى  
له بقطعة ارض سكن بجوار المنظمة ومنحة للبناء، "انه كلب  
صيد ثمين لا يمكن الحصول عليه بسهولة في هذه المنطقة  
التي لا تعرف غير مقاومة السلطات والحكومات على طول  
تاریخها"، هكذا فالرفيق المسؤول في سره.

أول خطوة قام بها (الرفيق حاشوش) متمنطاً مسدسه متنكباً  
رشاشته قاصداً دار عشيقته (ميريوده) مستعرضاً عضلاته بما

من عليه الحزب من النعمه والجاه ولابد له أنْ يتأهل فليس هناك أحسن من (سعيدة) بنت سرحان تصلح زوجة له، وقد رتب الأمر مع (مريودة) مسبقاً لإقناع (سعيدة) وأبيها وبذلك يكون تردده على دارهم وعلاقته مع مريودة لا تثير التساؤل، كما قال لها.

أو طمام العار أجه (الفسيفس) يتختبر بوروره وصدق من گال (من قلة الخيل شدوا عل الچلاب سروچ) هكذا قالت (سعيدة) عند رؤيتها (حاشوش) يتوجه لدارهم الغريب بالأمر ان حاشوش جلب معه هذه المرة كيسا من الفواكه قدمها بأعتبارها هدية منه لعمه (سرحان) لما من عليه الحزب من تكرييم وعرفاناً بنضاله وأبيه من أجل الشعب والوطن.

نهض أبو سعده مهلاً مرحباً بحاشوش مخليا له مكان الصدارة في الكوخ طالبا من مريوده أنْ تعمل شاي تازه للأستاذ.

صار من عيوني والله يابه هي رفعت شان الأستاد حگه ذبيحه مو أستكان چاي لكن شنسوي (العين بصيره والأيد گصيره) هكذا قالت مريوده ردا على طلب سرحان.

تنحنح (حاشوش) ممسدا شواربه متلمساً مسدسه واضعاً بندقيته أمامه، أي والله رحم الله والديچ ودينه ماي بيـد المحروسه (سعيدة).

أحضرت له (سعيدة) الماء وقد بان عليها الأستياء والتململ  
قائلة في سرها (من عسا زقوم).

هله هله بأم السعد هله بهل الجهامه الحلوه والله حريمه  
المثلج يعيش هنا، انتي رادلچ قصر بالولايه. وخدماته تخدمچ.  
لا يعمي آنه بخير ورحمه وهاي عيشتي وعيشهه أهلي خل  
الولايه لهل الولايه، ثم خرجت ضجرة من الكوخ.

گلي عمي (سرحان) ترضه انته بهذا الحچي. بس مايهم باچر  
اتشوف شلونه حيل حاشوش، ثم كشر عن أنیابه بضحكه  
ذئبية وهو ينظر لأبو سعده!

ما يهمك منه يا أستاد هاي بعده زعطوطه ماتعرف گدرک  
زبن.

دخلت (مربيوده) وهي بأبهى زينة تملاً فمها الضحكه والفرح  
والترحيب بأستاذ حاشوش وهي تحمل صينية الشاي.

شوف شوف أبو (سعيدة) شوف شلون لايح المسدس بحزام  
أستاذ (حاوش) وشلون وچه مورد ولايجله صيغ الشوارب  
وطالع شباب أبن أربعطعش.

تبسم حاشوش شاakra لمريوده إعجابها برجولته وهيبيته وعلو  
شانه.

وضبعت أمامة قدح الشاي والأخر لأبو سعده، تفضل أستاد  
تفضل.

أي نعم مشكوره يمريوده لakan آنه مايطييلي الچاي لمن  
أعرف شنهو راي ابو سعده بالموضع الكتلچ عليه.  
أستاذ اشرب چايك شنهو ابو سعده وسعده يلگون أحسن  
منك، موھچي ي (سرحان).

أي أي مضبوط (سعيده) ما تلگه مثل استاد (حاشوش) أصل  
وفصل والسبع تنعام منه !! هكذا رد سرحان موضحال حاشوش  
آن مريوده قد أخبرته بطلبه ولكن، يا استاد آنه أشوف البت  
چنه موهاويه، وهاي بعد ظلت عليه (مريوده) شلون تقنعه  
وانشالله ايصير خير، استاد.

نعم الله عليك عمي (سرحان) ومريوده مايرادله نخوه، بس  
آنه شويه مستعجل من حيث القصر راح يخلص بنيان  
ومايصير أكعد بيه وحدي، ناوله تفاحة من كيس الفاكهة  
وناول مريوده بقية الكيس، وبعد آن أكمل التهام تفاحته  
أستاذن بالمعادرة لكثرة مهماته وأشغاله الحزية وان عنده لقاء  
بمدير الناحية، و، و.

خرجت خلفه مريوده وطال وقوفها معه عند زورقه وهي  
دالعه، دس بيدها مبلغ من المال على أن يتقيا غداً صباحاً  
لتخبره برضى وإقناع (سعيده) بالزواج منه وان لا تنسى  
خفارتها وضرورة مبيتها في المقر الليلة القادمة ليكون  
(سرحان) على علم.

ودعته مريوده بضحكه داعرة وعادت للبيت فسمعت سعده  
تقول: انجلع من ألف حجاره وراك وعساك لارديت، يا  
منعول الوالدين ماتگلي اشچابك عليهه.

ما ان حل المساء حتى أستدعى سرحان ابنته آمراً أياها بأن  
ترضى بطلب (حاوشش) فهو هبة السماء لها، مال وجاه، وقد  
أكدت وألحت مريوده معددة فضائله ووجاهته وسلطانه.  
فلوس ومال وحلال ولا (ناظور) المهتلف التعبان الماينعرف  
راح يرد عدل من الحرب يو لا، وحتى لو رد اتظل تركض  
وراه الحكومه لأنه مو متمني للحزب القايد.

والله والله وروح أمي العزيزه لو أدرني أندبح مية مره ولا أصير  
مره لهل الخسيس هذا، اللفوه الحرامي ابن الحرامي، أراد  
والدها بصفعها لو لم تصده عن ذلك مريوده.  
خله خله عليه آنه أعرف النسوان باچر اتعقل.

گومي نامي، گومي ماتستحين تراددين أبوچ، بنات هلوكت!  
أطفأت (سعيدة) شمعتها النفطية (اللمبة) ثم انسلت تحت  
(اللحاف) المتهرئ، والدموع تنهمر مدراراً بعبرة مخنوقة وأنة  
مكبوتة بعد ساعة من جدل حاد بينها من جهة وبين والدها  
وزوجة أبيها (مريوده) من جهة ثانية بغرض إغراءها للزواج  
من (حاوشش) الطامع بالزواج منها، بعد ان انتحرت زوجته  
الأولى لاتهامه إياها بإقامة علاقة غرامية مع المعلم (سلام)  
حيث كانت تعمل (فراشة) في مدرسة القرية، ورفضها ان

تعطي جسدها للرفيق المسؤول وبالتواطوء من قبل (حاشوش) وشكوكهم بأنتمائها إلى جهة معاديه كما يزعمون.

تعذر عليها النوم بعد أن سمعت كلام (حاشوش) حول حبيبها (ناظور) وأستحالة بقائه حياً وعودته إليها سالماً فقد ذهب إلى (درب الصد مارد) وهو في الخطوط الأمامية من القتال بين القوات العراقية والقوات الإيرانية. بعد مكرمة القائد وإعفائهم من عقوبة الإعدام لأنتمائهم للحزب الشيوعي العملي).

- ماذا يريد هذا (الخنزير) مني، ألا يكفيه علاقته المفضوحة مع (مريوده) وخصوصاً بعد أن وظفها في مقر (الفرقة) لتكون تحت الطلب في كل وقت، وتكون لها سطوة قوية على زوجها (الديوث) بسبب ماتتفقه من مال تحصل عليه من مرتبها الشهري ومكرمات الرفاق وعطائهم و!

هذا ما ردته (سعيدة) مع نفسها، وهي تبحث وتدرس وتداور في رأسها شتى الأفكار والخيارات للخلاص من هذا (الخنزير) الزيتوني الكريه المتهتك، وماذا سيحل بها لو صدق قوله وقتل حبيبها (ناظور) ليكون طعماً للنار التي أشعلها النظام مع إيران، ليذهب دمه هدراً كغيره من أبناء العراق في هذه الحرب المجنونة.

أعادت تأكيد نذر ديكها الأبيض لسيد (يوشع)<sup>١</sup> وقد صاح صيحته المألهفة بعد متتصف الليل المسماة (صوت ديج المختاضه)<sup>٢</sup>، ان أعاد إليها حبيبها (ناطور) سالماً أجتمعا تحت سقف واحد. مستذكرة آخر حوار لها معه حول ما قرره حزبهم لحماية وصيانة رفاقه وتنظيمه في ظل اشتداد حملة الملاحقة والسجن والقتل والتعذيب والترهيب التي تقوم بها أجهزة السلطة، فقد أصبح حلفاء الأمس أعداء اليوم ان لم يدخلوا تحت خيمة الحزب القائد.

(سعیده) الحزب يگول كلمن يشوف حاله ويدبر نفسه، يظل، يشرد، يطي تعهد، القياده ماتگدر تحمي كل الرفاق والأصدقاء، هم يا الله تگدر تحمي الكوادر العليا!

- هاي شلون، هذا الحچي ما معقول ايعرفكم هچي بعد ما كشفوكم للحكومة، وكت النفاھه تعالوا وكت الضيچ ما عليه!

- هذا واقع الحال يا سعيده، ولهذا السبب أبو عاهدين يشوف أن ننزل للهور ونجدد ثورة (خالد احمد زكي) ولا نبيع ذله لهل الذيابه ولو القضيه موھينه، والطمع والخوف عمه عيون الناس وگامت تبيع ضمایرها للحكومة، والمصيبة

---

<sup>١</sup> - ضريح أحد السادة المحليين وسط الهر.

<sup>٢</sup> - دلالة لياس الزوجة الزعلانه على زوجها بان لا احد سيعيدها إلى بيت زوجها اليوم حيث ينفض ديوان الضيوف في هذا الوقت.

بيهم من رفاكتنه وربعنه المطلعين على الزغيره والچيبره  
ويعرفون كل الخفایا والأسرار.

وال المصيبة الثانية يا (سعیده) لم يجد الحزب تضامن وعون  
يذكر من قبل الرفاق السوفيت ولا غيره لابل هل تسمعين  
وتشوفينهم وياهم (دهن ودبس)  
شلون يدعمون ثورة مسلحة ضد النظام (الاشتراكي الثوري)  
المعادي للأمبريالية كما يتوهمن.

تره صدگ هاي مصيبة چيبره .

شلون تگدر تخدم بجيشه عدوک، وتحارب گوه عليك بحرب  
أنته ضيده .

هكذا قالت (سعیده) لناطور ضمن حزمة من تساؤلات  
التعجب والرفض والأستغراب لما سيصل إليه حال الناس  
في ظل حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل .

- المصيبة إنهم يدعون أنَّ هذه الحرب هي دفاع عن الوطن  
وكرامته وسيادته وثرواته!

ويسأل هل حفظ لنا هذا الوطن كرامتنا وثروتنا ومعتقدنا  
حتى يستحق منا الدفاع عنه.

أننا أرض وشعب رهينة حكم ديكاتور مستبد، والطرف  
الآخر يريد أنْ يصدر ثورته كمن يصدر علب الفواكه أو رزم  
الأقمشة إلى كل العالم معتبراً الأمر أمراً شرعاً واجب  
الإطاعة والتنفيذ مما أعطى السلطة ذريعة كبرى لقتل

وملاحقة كل رافض للانخراط في جيشه وجهده العسكري  
ويعتبره يقف في صف العدو.

وبعد تقلب وحسرات وزفرات ودموع حزن وألم تسلل  
الناعس إلى عينيها وغطت في نوم عميق.

"رف من الزوارق المزينة والمزركشة يتقدمها طرادة زفة  
(سعيدة) الذهبية باتجاه دار حبيها (ناطور) في چباشة آل  
عباده وسط هور الحمار، الزغاريد يضج بها الهور طيور الماء  
بألوانها وأشكالها وأصواتها الجميلة مشاركة أهل الفهود  
وخصوصاً (سعيدة وناطور) فرحتهما بيوم زفافهما الذي طال  
أنتظاره، كانت الطيور تحلق وتدور في السماء محومة حول  
الزوارق كأنها تردد هوسات الشباب (مبارك عرسك يلهيه)  
و(جنالك برنو ما ملعوب بسرگيه) وسرب من البط الأبيض  
والخطير بأنواعه مشكلة مظلة فوق طرادة العروس لوقايتها  
من الشمس ناثرة من مناقيرها حباتٍ من اللؤلؤ على رأس  
العروس ورؤوس الزواحف مع هدير أصوات الاطلاقات  
النارية من بنادق الشباب الزواحف من جباشتهم، يزفون  
عروسان أخיהם وصديقيهم ورفيق عمرهم وعزيزهم (ناطور)  
صاحب المواقف الشجاعة المشهودة والذي يكن له الجميع  
حباً خاصاً لما يتمتع به من سمعة طيبة ونخوة وصدق ووفاء  
وتعرضه للكثير من الأذى والسجن والملاحقة بسبب مقاومته  
لكل أنواع الظلم والرأسمالية قبل السلطات الحكومية

وتتابعها من الإقطاعيين وأزلامهم، وقد سبق لجده أنْ أستشهد وهو يقاوم الأنكليز في ثورة العشرين وأستشهد والده مع ثوار الأهوار خالد أحمد زكي ورفاقه في هور (الغموكه) فيسلم السابق للاحق راية الكفاح لتوacial هذه العائلة التضحية من أجل حرية الوطن وسعادة الشعب.

تمايل (سعيده) بجمالها الأخاذ شقراء فرعاء عيناء (MSCQOL عوارضها) عيناهما الزرقاء واسعتان ورموشها الناعسة وجدائها الشقراء الطويلة التي تلاعب مكوراتها الرجراجة ونديها كأنهما رؤوس بط أبيض يرومان شق الثوب لينطلق في فضاء الحرية، توهج جمال (سعيده) بعد إن تزيست بالكحل والحناء وأحمر الشفاه يف وأرتدت بدلة العرس البيضاء، مما أبهر ناظريها وهي تتأمل صورتها في المرأة التي تحملها فضيلة شقيقة (ناطور) وقد هيمن الأنبياء والإعجاب على كل (Hadithat)\*<sup>1</sup> الفهود المشاركات في الزفة فبدت كحورية من جنان الخلد وليس قروية من الهرور كأنها ابنة الارستقراطيات الغريبة المترفة وليس ابنة (سرحان) القروي صياد السمك والطيور ومربي الجاموس ومن سكنة صراف القصب والبردي وقد يتصور المشاهد أنَّ جنات عدن تبعث من جديد ولكن على حين غرة أنقلبت (مريوده) إلى حية رقطاء ضخمة فاغرة فمهما لافظاً لهبا شديداً ودخاناً أسود

---

<sup>1</sup>- الفتيات الشابات.

أدخل الرعب في صفوف الزوافيف رجالاً ونساءً وما جت  
ومادت السفينة بمن فيها فأختلط الحابل بالنابل وعل الصراخ  
في كل جنبات الهرور وسط عاصفة صفراء هوجاء قلبت  
عليها سافلها، كادت الأفعى أن تطبق على رقبة (سعيدة) بعد  
أن حاولت إطفاء شمعتها، لولا أن تسارع (سعيدة) وتعمي  
بصرها بنار شمعة عرسها التي أزدادت توهجاً ثم أطبقت  
بكلتا يديها على رقبتها مع صرخة رعب ونجدية مدوية).  
أستيقظت على أثرها (سعيدة) وإذا بها ممسكة برأس  
(محراث التنور) لتسحبه من يد مريوده التي لكرتها بطرفه من  
أجل إيقاظها من نومها، مريوده التي أنقلبت على قفاهما  
مرعوبة من صرخة وحركة (سعيدة) باتجاهها كمن يندفع بقوة  
ليرد هجوم وحش مفترس.

- هاي شبيح خاله چنج مسودنه طفرت عليه تريدين تاكليني  
وصياحچ فرز الچيران ماتگليلي شبيح ماتكعدين بعد ليته  
تروحين للحشيش، نايمه أمبطخه وتمهدرين ساعه تضحكين  
ساعه تبچين وتصيحين ، يبين تحملمين (بناطور) المھطور.  
هذا ما قالته (مريوده) ل (سعيدة) وهي ترجف وتحاول أن  
 تستعيد توازنها

ها. أها، شنهو ليش؟ جاعده جاعده، بس (يمريوده) أشو اليوم  
ما سمعت ديچي يوعي الصبح وكعد عله حسه مثل كل يوم  
بسلا مريض شوصاير بيه الله اليستر.

هكذا قالت (سعيدة) لامرأة أبيها ردًا على زجرها أمراً إياها بالنهوض.

- ما تروحين تشوفينه خاف صاير ييه أبو (ضرير)<sup>١</sup>. قالت مريوده مستهزءة

خاله برد حيلچ دیچي منذور ل (سید یوشع) وما يصير عليه كلشي.

ثم تفقدت الديك وقد كان واقفاً متتصباً على ظهر الكوخ، أنه بكامل صحته ونشاطه ولكن لماذا لم يصبح هذا اليوم هذا ما لم تعرفه وما أثار قلقها وظل سراً على (سعيدة).

تركت الديك وسرحت بعيداً وهي تستذكر حلمها الغريب والمخيف: (سعيدة) نهضت مرتجلة، وهي لم تزل تعيش حلم زفتها وكأنها تشم رائحة العطر والبخور والحناء والدخان وصرير الرياح، فوقعت عيناهما على مرآتها المعلقة في (هطار)<sup>٢</sup> الكوخ الذي تنام فيه فقالت منبرة بصورتها وجمالها.

- أنعمت عيني ها حلاتيج وأنتي جاعده من نومتج مرعوبية چاشلون لو طلعتي من الحمام وصرتي عروس - آه ربى وصدق هچي ويصير ناطور من نصبي وأنه أصير أبيت

---

<sup>١</sup> - مرض يصيب الدجاج بالاسهال حتى الموت.

<sup>٢</sup> - حزمة من القصب تكون بمثابة قضبان ساندة للبواري التي تغطي هيكل الكوخ.

ناطور وهي تتحسر ناظرة لديكها الأبيض الذي كان يسميه (ناطور) بگبن (سعيدة) وهو يعتلي الجرداع ولكنه لم يطلق العنان لصوته كعادته كل يوم معلنًا فجر يوم جديد من الهم والترقب والجهد المضني والنظرة الدونية لـ(سعيدة) وعيشها في كنف والدها وامرأة أبيها وهي تسعى جاهدة لإقناعه لتزويجها من (حاوشش) السر كالمسؤول الحزب والذي يشاع أنه كان عشيقها قبل زواجهما من (سرحان) وقد ضمها حاوشش للحزب (القائد) وحصل لها على أمر تعين في مقر الفرقة الحزبية لتكون معه حيثما يشاء وهناك لغط كبير في القرية حول طبيعة علاقة (حاوشش) بيت (سرحان) وزوجته (مربيوده الخفيفة) كما يسميها أهل القرية، التي كانت دائماً تتهم (سعيدة) بحب (ناطور) الشوعي، ورفضت الانضمام إلى (اتحاد النساء).

أكّدت (سعيدة) نذرها (للهيك الأبيض) وهو ملكيتها الوحيدة لـ (سيد يوشع) لو حقق لها مرادها بالتخليص من (حاوشش) وتحقيق حلمها بالزواج من حبيبها (ناطور).

سمعت (مربيوده) هممّمات (سعيدة) فقالت لها: ولچ يمهبوله تريدين من سيد يوشع يزوجج للشوعي الحمر (ناطور)  
امچان دیچچ المعَظِّم !

تدرّين (حاوشش) نذر له خروف إلا صرتني من نصيبيه  
وكرفت الحرب (ناطور) وربّعه الشوعيّه.

برد حيلج، برد حيلج والبين هطرح أنتي وحاشوش الوصحى،  
وكون (ناطور) أو ربعة روایاهم حمر، العباس أبو رأس الحار  
رأيته حمره وبيرغ عشيرته أحمر والسيد ينصر بيارغ أهله مو  
بيارغ الظلام وربعهم أعله مود طلي ماخذه حاشوش الوصحى  
(برطيل) من الوادم الفقره حتى لا يلبسون جيش شعبي.  
اللهم سترك يارب، صباح الخير والستر لعافية بچاه سيد  
يوشع والله بعد گلبي ما يحمل ضيم وقهرا يارب العالمين،  
رددت (سعيدة) هذا القول مع نفسها بعد سماعها نعيـب  
الغراب فوق الدار وتوجهـت للشـريـعـة، ثم قـفـزـتـ بـخـفـةـ دـاخـلـ  
(البلـمـ) دـافـعـةـ إـيـاهـ لـيـشـقـ مـاءـ الـهـورـ بـعـنـقـهـ منـسـابـاـ بـيـنـ أـكـمـاتـ  
القصـبـ والـبـرـديـ بـقـوـةـ دـفـعـ (سعـيـدهـ) وـكـأـنـهـ تـفـرـغـ بـالـمـرـديـ كـلـ  
شـحـنةـ هـمـومـهـاـ وـنـارـشـوقـهـاـ وـقـلـقـهـاـ عـلـىـ حـيـبـهـاـ (نـاطـورـ).

ألفت (سعيده) كغيرها من بنات الهور منظر أغتسال قرص  
الشمس عند الفجر في مياه الهرم المترامي الأطراف  
وتحولات ألوانه كفتاة تغسل الحناء عن شعرها متحولاً من  
اللون الرمادي الغامق فالأخضر فالذهبي المشع كلما ارتفعت  
مبعدة عن الأفق ليبلغ أوج بريقه وتألقه عند الظهيرة لتعيد في  
المساء خضابها من جديد وتندام في حضن أمها الأرض  
محروسة بنجوم السماء وترقب القمر طوال الليل، فتعيد  
المشهد نفسه مع حبيبها القمر وكأنه يتبع خط سيرها آملاً  
بلقائهما لقاء عاشق ولها يحيى ويموت لأشهر وسنوات طوال

حالما باحتضان حبيته (الشمس) دون جدوى، ولكنه لا يعرف الكلل ولا الملل وكأنهما يقضيان حكما لآلهة السماء ولا يعرفان له نهاية دون أن يبلغ أحدهما الآخر فما ان تستيقظ الشمس حتى تخطف القمر قوة مجهولة لاتطلق سراحه إلا بعد اكتمال غيتيها ثانية عند الغسق وهكذا هو حال العاشق وصراعهم مع العواذل (والغريضية) ومراارة وقسوة الأعراف والتقاليد.

غالبا ما تشعر (سعيدة) بالحرج وأحمرار وجنتيها وهي تراقب تعدد وقبل وتناسل طيور الھور بحبور وسرور وانسجام دون خوف من حسيب أو رقيب فتغبطها على حريتها وانطلاقها لا تخشى إلا مكر وغدر الإنسان المتربيص بها دوما وأينما ذهبت وهاجرت.

تشعر بالخوف والهلع حينما تستعرض قصص الشيخ (روضان) مع زوجاته " فقد عرف عنه أنه اشتهر بإداهن في رابعة النهار ووسط جمع من الأطفال والنساء والعبيد: عندما تمنعت عنه خجلا لفها في (باريه) حصيرة من القصب وأضرم بها النار لتموت حرقا أمام عيون الجميع دون ان ينبس أحداً ببنت شفه !

داعب احد أطفاله فوق سطح غرفته وحينما مد الطفل يده الصغيرة بعفوية على لحية الشيخ، استشاط غضبا ورمي أرضا

من عل ليفارق الحياة على الفور دون الاكتراض بحال أمه  
وإخوانه وأخواته الصغار!

إذا رفع أحدهم في الديوان نظره على نظر الشيخ أو علا صوته أو تكلم بدون إذنه كان يعاقب بأن يتبول عليه العيد أمام أنظار الناس ليكون عبرة لمن اعتبر والويل لمن يعترض. إنها أفلام رعب لا يمكن تصورها في الخيال كان يمارسها شيخوخ وإقطاع المنطقة ضد الناس وخصوصا النساء.

تنفث سعيده حسرات وآهات أحر من الجمر وكأنها تخاطب مجھولا: يا رب العالمين ماتگلي أحنه شمسوين، شنهو هذا القدر الينكتب عليه، ما صدگنه خلصنه من خيزرانة الشيخ، لگفته خيزرانة (الزيتوني) من يد ظالم ليد أظلم، والله هل العيشه ماتنراد، ونوب ايگلک لاتصير شوعي.

يعتصر صدرها الحزن والألم وتتألم (سعيدة) كثيراً وهي تصادف زوارق الصيادين، عائدة من الهر قاصدة المدينة لتسويق صيدهم من الطيور، متليلة الرقاب الذبيحة مرصوفة على جانبي الزورق مخلفة خيوطاً حمراء من الدماء التي تقطر من رقبتها في مياه الهر الجارية، تتسائل (سعيدة) كيف يمكن إن يكون قلب الصياد قاسياً إلى درجة قطع رقاب هذه الطيور الملونة الجميلة لتكون طعاما له أو مصدرأ من مصادر مال يحصل عليه من بيعها في السوق ولم يكتف ببيع السمك

والقيمر واللبن والزبد والـ(خريط)<sup>١</sup> والقصب والبردي وغير ذلك بما تجود به جنات (عدن) في أهوار العراق منذ آلاف السنين.

كانت (سعيدة) ترافق فضيلة شقيقة (ناطور) عندما تذهب لجلب الحشيش من الهور فانعطفت بزورقها صوب دارهم. فضيلة، فضيله خايهه فضيله.

نادتها وهي في البلم الذي ركته في باب دارهم، فخرجت لها فضيلة ممسكة بمردي زورقها وبعد إنْ صبحتها بالخير وقبلتها كعادتها أرخت حبل زورقها ثم دفعتا زورقيهما ليسلا داخل الهور.

- فضيله ماچه خبر من (ناطور) قالت (سعيدة).

- إي يخيه كَبَلْ يومين أچه ابن حواس من يمه ويکول (ناطور) وچبهه ورای ويچي مجاز انشالله.

- انشالله خيه انشالله يچي سالم بچاه كلمن عنده چاه عدالله هسا احنه شنه بهل الحرب ألسواها هذا المچنون ويه إيران وخلاه أنچلبت عليّنه.

- إي يخيه قالت فضيلة: الله يساعد كلچ هاي نار العشچ فوك نار الحرب نار اضرب من نار، ضحكا سوية ودفعتا زورقيهما متجاوريين يسابق احدهما الثاني نحو الأمام كثعابين الماء.

---

<sup>١</sup> - ثمرة نبات البردي وتعمل على شكل قوالب صفراء.

- ولچ خيه هذا المنعول والدين (حاشوش) باليوني بلوه أهو ورفيجته (مربيوده) وتدرین أبوی مسلم لحيته بيد مرته ومرته مسلمه نفسه لحاشوش، الحطه يمه (فراشه) بمقر الحزب ويريد يطبگنه سوه انه ومرة أبوی حتى انصير بخدمته وخدمة (الرفاق)؟!

ومدري شلون بيه ولچ منين أچيب (ناطور) ويكسر رجل هل المنعول والدين الصفاله الجو وگام يلعب بالقرية لعب، بعد ماكتلوا سيد عبد العباس وحبسوا ربى ودوهم للحرب والموت.

- الله اكْلَجَ فضيلة هو (ناطور) ليش ماشد ويه ربى الراحو للشمال وللسوفيت ومدري وين بعد وخلصوا بچلودهم. هذا ما قالته (سعیده) مستفسرة من فضيلة؟

ولچ خيه (ناطور) وبعد جماعه من رفاگنه وعلى رأسهم سيد (عبد العباس) وياهم واحد يسمونه (جيفارا الأهوار) دکوا رجل گالوا مانفارج الھور نموت بالھور ولا نشد ولا نطاوع الحكومة، وچنج ماتدرین ليش مارضه ناطور يعوف الھور وتغشمين روحچ ناطور ما يگدر يعوچ ويعوف أھله بيد هذوله (الچلاب) ويمشي (يسعیده)، ونتي بعد تدرین شلون غدربيهم رفيجهم (سيد مشواف) وشلون نصبوا البعثيه ودليلهم النزل (مشواف) كمين (لعبد العباس) وكتلوا وهو چاي لهله ومنه ترك (ناطور) الھور وراح سلم للجيش بعد ما

انسدت عليه كل البيان وما كدر يوصل لربعه بالشمال الما  
نشدو عنه ولا عن رباعه من يوم الشردوا للليوم، ودوا اهو  
والمثله بأمر الحكومة گبل للساتر الأمامي ويه إيران  
وخطوهم كلهم بحلگ المدفع، لزموا عليهم (حاشوش)  
مكسور الرگبة، وصفاله الجو وظل يتباختر بزيتونيه أو وروره  
بحزامه ليل ونهار مثل العجلب المقلوب.

تأوهت (فضيله) بألم وحسرة حرى وهي تذكر (سعيله)  
بمصاب ابن عمه (سيد وليد) الذي دفنه الحرس القومي حياً  
بعد انقلاب ٨ شباط الفاشي، لم تكن الأعمال الإجرامية  
غريبة على مثل هذه العصابات. ولازال أبناء الأهوار يتذكرون  
ما حصل في الغموگه ومقتل قريتهم (غازيه) وهي تقاوم  
ذئاب الهاور بعد انتفاضة خالد احمد زكي ورفاقه.

(فضيله) صدگ يگولون حاشوش لفوه بالقرية؟

فأجابت فضيله: "حاشوش" أتى للقرية مع والده قبل أكثر من  
عشرين عاما من قرى الرفاعي البعيدة، نتيجة لطردهم من  
هناك وحكم عليهم (الفرضيه) بالفصل و(الچلوه) بسبب  
ارتكابه مع أبيه جريمة تسليب وقتل لزوار الرفاعي، وقد احل  
(الفرضيه) دمهم هدرا ان وطأت أقدامهم المنطقة ثانية وكذا  
هو الحكم على من يؤويهم أو يتستر عليهم، فجاء دخيلا عند  
الشيخ (وردان) رحمه الله فأوكل لهم رعاية (الجاموس) في  
الأهوار وخدمة المضيف، مقابل إعطائهم دار سكن

وحمياتهم وإطعامهم، مع إنذارهم بالطرد أو القتل انْ هم أساءوا لأحد في القرية والقرى المجاورة، وهكذا استمر وضعهم، وتوفي أبو حاشوش بـ(البارده) وظل حاشوش يمارس الرعي والخدمة لغاية انقلاب ١٩٦٨ واستلام السلطة في العراق من قبل حزب البعث، فكان حاشوش أول من أنتمى للحزب الذي كان أغلب الناس يتوجسون منه شرًّا بعد ما خبروا ظلمه في ١٩٦٣ فلم ينتِ إلَيْه أحد رغم كثرة المغريات.

كان له دور كبير في التجسس على الثوار في الأهوار منذ انتفاضة هور الغموگه، فأصبح عالي الشأن لدى الحزب وأخذ يتحكم في شؤون القرية وحتى الناحية ويرفع التقارير على الناس حق وباطل بأعتبراهم أعداءً للحزب والثورة، وخصوصاً الشيوعيين والقوى الدينية فأصبح مكروهاً يتجنبه الناس ولا يخالطونه ولا يجلسون في مجلس يرتاده.

إما قصة تزووجه (مربيوده) لوالدك الإنسان الطيب فمعروفة في القرية، هذا هو حاشوش كما عرفت أخباره من والدي). هيمن الحزن والكمد والخوف ليربض كابوساً على صدر (سعيدة) التي لم تفارقها صورة (ناطور) وذكرى لقاءاتهما في ثنایا الھور، يتسامرون ويتغازلون لا يشارکهم في خلوتهم هذه سوى طيور الماء وأهتزاز ذؤابات القصب والبردي، تتقدّر الأسماك حول زوارقهم كمن يرقص فرحاً وطرباً كقلبي

السابين العاشقين، تمر أمام عيون (سعيدة) صور ومشاهد وجلسات حب وغرام لا تنتهي، صوت ناطور العذب (اليوگع طير البسمه) كما يقول المثل لطراوته وحلاؤته، مواليه أبوذياته التي كانت تجعل رؤوس القصب والبردي تنحني لها إكبارا وإجلالا وطربا، وكذا حال كل من يسمع صوت (ناطور) في عمق الھور من الصيادين وأرباب وربات المشاهيف، فليس هناك من لا يعرف صوت (ناطور) كان الكل يقطعون حركة المشاهيف ويركرون (المradi) جانبا وهم ينصلتون لغناء (ناطور) ابو الغيره كما يسمونه.

(منهلي هله المكتوب الفاني من هلي

قريته وهل دمع عيني منهلي

يدنيه انتي الحرمتيبي منهلي

وسكنت الغرب من غصبن عليه)

كانت (سعيدة) ترقب تردي حال ناطور وشروعه وقلقه الدائم بعد أن رحل مع من رحل وسجن من سجن من رفاقه وأصدقائه، وكان يحدس شرًا مستطيراً سيحل بشعبه ووطنه، وحينما تأسأله (سعيدة) عن سبب تطييره وتشاؤمه يجيب: حبيبه كل التجارب التي مر بها وطنه وشعبه ما تحارب هذا (البيرغ) الا وكانت الكوارث والمصائب تنزل كالملط على رؤوس العراقيين.

الكل يعرف ما حدث للعراق بعد ١٩٤٨ أو ١٩٤٩ والتاريخ يتحدث بألم ما حصل بعد ١٩٦٣ وهنا نحن نقبل على ما هو أقساً من كل ما فات، فنذر الحرب والخراب أصبحت واضحة وطبول الحرب تصم الآذان.

أحاه، والله عورت گلبي يناظور، وترست خشمي بارود،  
وانترس، حلگي، دم، ياسيد يو شع دخيلك.

والله (يسعده) ما أضم عليه هذا اليتراولي، وكل ماشوف  
الوضع راح يتخربط وايصير الفوگ حدر، وماندري شلون  
راح تصفى،

حيبي (ناطور) أشو آني ما شوف التشوفه، فأجابها ناطور  
بصوت حزين ووجه متوجه ليس كعادته: تعلمين ماذا  
شاهدت في المدينة عند زيارتي لها الشهر الماضي؟

فما لفت نظري هناك تكديس عشرات لابل المئات من (الفوانيس) و(اللالات) النفطيه و(الچول) و(البريمزات) و(الصوبات) في سوق المدينة، السؤال: ما الذي أتى بهذه الأدوات التي شارت على الانقراض حتى في الريف العراقي؟

أَنْ هنَاكَ أَمْرًا خَطِيرٌ يُدْبِرُ فِي الْخَفَاءِ لَنَا وَلِوَطْنَنَا سَيَعِيدُنَا  
عُشَراتُ السَّنِينَ لِلْوَرَاءِ يَا (سَعِيدَه) وَالسَّاتِرُ اللَّهُ  
هَا، هَا خَايِيه (سَعِيدَه) هَايِ وَيْنَ رَحْنَه وَيْنَ صَرْنَه، خَايِيه  
أَشْوَفْجِ مَدْرِي وَيْنَ سَرْحَتِي مَدْرِي وَيْنَ رَحْتِي؟

هكذا خاطبت (فضيله) (سعيده) بعد أن أحسست بها قد انكفت الي مكمن ذاكرتها كمن يستذكر ويسترجع صوراً بعيدة.

خيه (فضيله) مدربي شبيه، أشو گلبي لا ييج وخاييفه مدربي من حلم أمس مدربي من نعيب الغراب الميشوم مدربي من صفتنت الديج اليوم الماعوعه الصبح لا أول ولا تالي.

ديه أبداعت ناطور ما تخلينه نروح نزور سيد (يوشع) لن گلبي اليوم لاصجمني وأرم وكلش خاييفه، ولوون تدريرن شلون شفت حلم الليله الراحت الله اليستر (يففضيله) ايگولون حلم الفرح ينجلب حزن والحزن يصير فرح مدربي ليش وهذا بس عد العراقيين يو عد كل الوادم.

يا الله يغاتي نروح نزور مثل ماتريدين انه خاييه اگدر اعصيلچ أمر وأنتي عزيزة اخوي (ناطور).

وبالفعل أنعطفت الزوارق صوب قبة السيد يوشع التي تتوسط الهور كغيرها من عديد الأضرحة وبنيات السادة وأبناء الأئمة المنتشرة على طول وعرض الهور، وهي تزداد ويكتشف منها الجديد كلما تكاثفت غيمون البؤس والقهـر والمرض والحرمان على أبناء الأهـوار وضاقت بهم سبل الخلاص وخصوصاً بعد تكرار فشل وأنتكـاس انتفاضاتـهم وثوراتـهم المسلحة ضد مختلف الأنظمة في العراق منذ الخلافة العباسية والعثمانية والـعـهد الملكـي والـجمهـوري ولـحين التـاريـخ من أجل نـيل

حريتهم والحصول على حقوقهم ونصرة من يلوذ بهم من سكان المدن من المتمردين على السلطة أو الهاربين من الخدمة العسكرية.

ركن الزوارق حول سياج الضريح ودخلن إلى الداخل حلت (سعيدة) حزامها وهي عادة المرأة الريفية المضيومة والمهمومة عندما تريدها تشكي همها وألمها لأحد السادة أو الأولياء ليتتصر لها ضد الظالمين، جلست عند شباك السيد مسندة رأسها على الشباك ومطلقة العنان لدموعها لتهمر بغزارة وهي تتسلل وتترجى السيد إن يتحقق لها حلمها ويعيد لها حبيبها سالما من محقة الموت على الجبهة ويخلصها من (حاوشش) وزمرته، وإنها لم تزل عند وعدها في إيفائها بالنذر فالديك الأبيض لا يمكن إلا يكون من حصة (سيد يوشع) وبعد ويه بيرغ أبيض وكيلو (ملبس) (واهليه)<sup>١</sup> وچيس حنه أحني بيه شباقچك يسيد. وأخذت تخاطب سيد يوشع: لا يبعد عمري يغاتي كلشي ولا تصدق بحچي اليحچون عن الشوعيه، ما يعرفون الله، وما يعرفون أليمه والساده، تره حچي (ناطور) على (سيد مشواف) مو معناته عليكم، چا أنته أتصدق (مشواف) سيد أبن رسول الله وهو صاير سري وگراش للحكومه، أنته هم شفتلك سيد يعوف شارة ابو

---

<sup>١</sup>- جكليت وحلويات أخرى يجري نشرها في ضريح الولي عند تحقيق الأمنية.

فاضل أبو راس الحار ويدور شارة الحكومة، لا يسيد أنت  
برى من هذا الچلب.

وبعد إن مرغت وجهها بشباك الضريح جددت نذرها وزادت  
عليه البيرغ والحنن والواهليه وأفرغت ما بصدرها من هم  
وكدر ونشيجه وحسرات وعبارات، وأودعت السيد كل أمنياتها  
وتمنياتها، وفضيلة ترقبها بحزن بالغ ودموع ساخنة، استعادت  
جلستها ثم نهضت وخلفها صاحبتها باتجاه زورقهما وهي لا  
تريد ن تغسل عينيها خشية إن فقد حلمها الجميل وهذه  
الدموع التي اختلطت بعطر شباك (سيد بوشع).

أستقر الزورقان في متصرف الهور واستلت الفتاتان منجليهما  
وبدها بقطف ذوابث القصب الريانة ورميهما وسط الزورق  
على شكل حزم وفي الوقت نفسه يقمن بجمع الخريط من  
عرانisch البردي لأكل بعضه وتسويق الفائض إلى السوق  
وبين فترة وأخرى يسترحن ويأخذن بيت لواعجهن وهمومهن  
لبعض وقد تأخذهن سنة من النوم بعد التعب والاسترخاء في  
طن الزورق فيهضن مذعورات ليستعلن العودة  
للبيت. مصغيات بكل حواسهن إلى صوت غناء صياد بيت  
الهور وشباكه وطيوره المهاجرة شجونه وهمومه وعشقه  
المكبوت ليتفاعل صوته مع تكسرات أمواج الماء.  
(چبتيني للضميم اشماليچ ييمه شبيچ چبتيني للضميم شو بس  
علي دنياي تمطر بلا غيم).

فتختنق (سعيدة) بعبرتها وتود لو أنها تستطيع أن تطلق العنان لصوتها المشهود له بالعنوية والجمال من قبل رفيقاتها أثناء حفلات النساء في الأفراح والأعراس في مجالسهن الخاصة وقد خبرت صوتها (فضيلة) حيث تبدآن بالغناء المكتوب وهن يتقابلن على (الرحة) للطحن وغالباً ما تردد (أطحـن بـگـايا الروح ما أطـحـن شـعـير) و(كونـ الحـيـب يـصـير مـگـلد وـضـمـه مـاـبـيـنـ النـهـدـ وـالـثـوـبـ كـلـ سـاعـهـ اـشـمـهـ) وـسـطـ هـذـهـ الـأـفـكـارـ وـالـأـحـلـامـ وـالـتـخـيـلـاتـ وـأـمـواـجـ الـهـورـ وـسـمـاعـ (الـأـبـوذـيـةـ)ـ الـحـزـينـةـ لـلـصـيـادـيـنـ عـادـةـ لـاـ تـصـحـوـ (سعيدة) وـ(ـفـضـيـلـةـ)ـ إـلـاـ وـهـنـ عـلـىـ مـشـارـفـ الـقـرـيـةـ عـنـدـ الضـحـىـ.

لـفتـ نـظـرـهـنـ هـذـاـ الـيـوـمـ مـشـاهـدـتـهـنـ لـرـهـطـ مـنـ الزـوارـقـ وـهـيـ مـتـجـهـةـ صـوـبـ قـرـيـتـهـمـ قـادـمـةـ مـنـ مـرـكـزـ مـدـيـنـةـ الـفـهـودـ وـبـيـدـوـ إـنـ الـزـوـرـقـ الـذـيـ فـيـ الـمـقـدـمـةـ يـحـمـلـ (ـنـعـشـاـ)ـ مـلـفـوـفـاـ بـالـعـلـمـ الـعـرـاقـيـ مـعـ أـصـوـاتـ بـكـاءـ وـنـحـيـبـ وـعـوـيلـ تـنـاـهـتـ لـمـسـامـعـهـنـ،ـ فـأـصـابـهـنـ الـذـعـرـ وـالـخـوـفـ وـالـرـعـبـ وـأـخـذـتـ كـلـ مـنـهـنـ تـنـظـرـ فـيـ وـجـهـ الثـانـيـةـ وـهـنـ كـالـمـصـعـوقـاتـ تـخـوـفـاـ مـنـ هـذـاـ الـمـشـهـدـ الـذـيـ أـخـذـ يـتـكـرـرـ فـيـ الـقـرـيـةـ بـعـدـ مـعـرـكـةـ الـقـادـسـيـةـ الـمـشـؤـومـةـ وـسـوقـ الشـبابـ وـالـشـيـوخـ إـلـىـ مـحـرـقـةـ الـحـرـبـ مـعـ إـيـرـانـ وـقـدـ زـادـ كـدـرـهـنـ وـتـطـيـرـهـنـ صـوـتـ نـعـيـبـ غـرـابـ يـحـومـ فـوـقـ بـيـوتـ الـقـرـيـةـ!

- يمه بعيد البله ولاكالله الله (ناطور) أچه منه طارش لهله گبل  
چم يوم ويگول راح يچي مجاز، ولچن صخام وچوهچن  
أچاب هاي السالفة على بالچن اشو كل زلم القرية بالجيش  
والجيش الشعبي خوما بس (ناطور).

ودون وعي منهن وجهن زورقيهما لتتبع الزوارق المتوجه  
صوب القرية ثم أخذت تتوجه صوب دار سيد (غضبان) أبو  
ناطور.

أرتجف المردي في بد (سعده) يت弟兄 حلم الصباح وتغرب  
الشمس ويلفها الظلام لتسقط فاقدة الوعي ، بعد إن تيقنت  
أنها تسير خلف نعش حبيبها (ناطور) ولم تسترد وعيها إلا  
عند ضحى اليوم الثاني فتفتح عينيها وسط جمع عائلتها  
وجلوس (حاوشش) عند رأسها مناشدا إياها بان تصحو وان  
(ناطور) ذهب شهيداً وفداء للقائد والحزب والوطن سمعت  
زعيق ديكتها المكبوت والمستغيث وهو يرفس مذبوحا تحت  
قدمي والدها ليقدم غداءً لضيفهم العزيز (حاوشش) فهالها  
المشهد وفقدت القدرة على الكلام، وهي تذرف دموعا  
مكتوية بنار الفراق الأبدي وضياع الأحلام ومشهد  
(حاوشش) مستبشرًا وفرحاً بخلاصه من ناطور متوهماً إن  
(سعیده) ستكون من نصيه!

فقدت (سعیده) قدرتها على الكلام بشكل نهائي رغم  
محاولات أهلها ومحاولات (حاوشش) الذي جلب لها طيبا

من الناحية، ولكن دون جدوى، أخذت تسير وتتكلم بعد صحوتها دون أنْ تعي ما تقول، تصرخ حيناً وتبكي حيناً آخر، تضحك ضحكاً هستيرياً في أوقات أخرى دون سبب ظاهر لمن حولها، تهرب مذعورة من هجوم ذئب موهم، تقذف حاشوش كلما شاهدته بـ(سرجين الجاموس) تسب تلعن، تضرب خدودها تبكي بكاءً مرّاً ثم تسقط كأنها جثة هامدة، عزفت عن الأكل، وان أكلت شاركت حيواناتها بعلفها، تلطخ وجهها بالوحش والطين ورماد الحطب، وصل بها الأمر إلى التجديف والتطاول على بعض الأسماء المقدسة بعد عتب وخطاب طويلاً كأنها تعاتب وتساءل أحد أبناء قريتها وقد شمل هذا حتى سيد (يوشع).

بووجهها الملطخ وشعرها المنفوش المعفر بالطين (السرجين) وما تم تعليقه في رأسها وملابسها من الرفيف والحرز وشرائط القماش الملونة صارت تشيه لوحدة سريالية، استفحلاً أمر هياجها يوماً بعد يوماً؟ لا تأنس إلا حين تتوهم إنها تجالس (ناطور): تناغيه تدلّعه تغازله تضع رأسها في حضنه تمسد له شعره تذوب معه في قبلة حرى، تستعرض كل صور لقاءات العشق وكل مغامرات الحب والتستر والأختفاء عن عيون العواذل والحساد، تبدو في غاية الفرح والسعادة والنشوة، ولكن على حين غرة تزلزل الدار بالصراخ والعويل مدعية ان ناطور كان هنا، وقد أختطفه

منها الذئب مطالبة الجميع ان يهبو معها لنجدته وتخليصه من أنبياء، تصرخ بأعلى صوتها ناطور ناطور رآنه (سعده). نتيجة لما آل إليه حالها قرر أبوها وبعض أقاربها أن يحجزوها في غرفة طينية لا يسمح لها بمعادرتها لأي سبب كان خصوصاً بعد أن رفضت أن تربط إلى شباك (سيد يوش) صارخة بوجوههم.

خايبين ياسيد يابوسيد، اشو أكل ديجي وما حفظ ناطور، أخذ الديچ أو ما حفظ ناطور، أو مبس هاي أشو أطه آل (حاوش) رشاشة ومسدس، يبين أستغزر بـ(طي) حاوش ودېچي صار أبطنه، يبين كله تمشي (بالبرطيل) چا الفغير منهو الله، السكت راح بالرجلين والراح للشوعيه گالوا كفر بالله.

تظهر حاوش بأنه حاول جهده ومن منطلق مبادئه (الإنسانية) أن يرد لـ(سعیده) عقلها لakan دون جدوی، يبدو أن عقلها دفن مع جثمان عشيقها (ناطور) وأخذ يردد أمام محافل الناس: هاي الگلناه، هذول الشوعيه، ما جادرین إلا عليه عقول بنات الناس الأشراف، يغشمونهن ويذبونهن وفوگ كل هذا يچرهونهن الساده ويچرهونهن بالحزب والقياده.

لم تكن قصة (ناطور) وفاجعة (سعیده) الأخيرة التي عاشتها القرية، فقد خيم عليها الحزن والوجوم والخوف، الزوارق

التي تحمل توابيت الموت أخذت تتزايد يوماً بعد يوم مكتوب على مقدمها الإعلام التالي: الشهيد البطل، الخائن العميل، المتخاذل الجبان، و، و) تعددت الأسباب والقتل واحد أخذ الناس يعرفونه ويحرفونه.

بعد أن يأس (حاشوش) من شفاء (سعيدة) انقطعت زياراته لبيت سرحان في حين أزداد عدد خفارات (مربيوده).

أستدعي (سرحان) للمشاركة في قاطع الجيش الشعبي المتوجه إلى جبهات القتال، وحينما راجع (حاشوش) شاكيا له كبر سنه وعجزه وليس هناك غيره من يرعى بيته وحيواناته ويسد الوحشة عن (مربيوده) ويداري (سعيدة) قال حاشوش: يا أبو (سعيدة) لابد لك أن تشارك الجميع في الدفاع عن الوطن وعن الشرف، لابد ان تهتز الشوارب مثل ما گال (القайд) حفظه الله ورعاه، انته شلون ترضه فارسي مجوسني يدنس شرف (مربيوده) يو (سعده) لا سامح الله؟

أما (سعيدة) الله الله وإنما مربيوده فهي براعيتي ورعاية الرفاق، إنها تشعر بالألم وهي ترافق لم تشارك أبناء شعبك في الذود عن الوطن، طلبت منا أن نلبسك ثوب الشرف لباس الخاكي كمقاتل في الجيش الشعبي، وقد كرمها الرفيق المسؤول على طلبها هذا كامرأة ومناضلة عراقية أصيلة.

أيدته (مربيوده) في ما قاله لزوجها حول ضرورة الالتحاق بالقاطع وإلا فستلجم إلی طلاقه لجنبه.

ذهل (سرحان) لما سمعه من كلام وتصور نفسه واقفا على رأسه، أو زاحفاً على أربع وانْ كلامه ثغاء عنزة وسط قطيع من الذئاب.

استقبلته مريوده بالزغاريد حين دخل (سرحان) الدار مرتدية الخاكي متمنطاً بجعية العتاد متنكباً الكلاشنکوف.

صلوات على محمد، عين الحاره بارده، شوف شلون طالع هيه بهدوم الحكمه.

وليج آنه هيه بغير سلاباتكم هاي، گرة عينچ وعين المھطور (حاشوش) من كون راح تودون هذا الرجال الجبیر للحرب، الراح تحصد الزغار والکبار، وظللت الولاية تلعب بيـه (الگدعان).

رمى (سرحان) البنديـة من يده على الأرض لاعنا اليـوم الذي رأى به حـاشوش وزمرة حـاشوش ملقيـاً نـظرـة غـضـب نحو زوجـته مـدرـکـاً تـاماً سـبـبـ فـرـحـها بـذـهـابـه إـلـى جـبـهـة القـتـالـ.

نهض ملقيـاً نـظرـة على ابنتهـ التي لم تعد تـدركـ أيـ شيءـ مما حولـهاـ. تـكـالـبـتـ عـلـيـهاـ أـسـرـابـ الذـبـابـ وـالـبـعـوضـ وـالـقـوـارـضـ. خـلـعـ سـرـحانـ بـدـلـتـهـ (الـخـرـائـيـةـ) كـمـاـ سـمـاـهـاـ، مـرـتـدـيـاـ (دـشـداـشـتـهـ) فـتـحـ بـابـ صـرـيفـةـ سـعـيـدـهـ جـالـسـاـ بـجـانـبـهـاـ، مـتـأـمـلاـ مـاـ حلـ بـهـاـ، كـلـمـهـاـ وـعـيـنـاهـ تـشـرـ دـمـوعـاـ حرـىـ دونـ انـ تـلـفـتـ إـلـيـهـ اوـ تـكـلـمـهـ.

أخرج كيس تبغه وبعجلة لف سيكارته، أخذ يمتص وينفث دوامت كثيفة من الدخان، كمن يبعد أسرابا من الجراد والعناكب التي هاجمته من كل مكان.

ماذا حل بكم. يا أبناء الأهوار ألستم أبناء من كانوا يصارعون السلاطين والوحوش والثعابين، الم يصرع أجدادكم الأسود والضواري التي كانت تسكن الهرور في سالف الزمان، ألستم من حارب العثماني والإنكليز وكانت لكم أيام مشهودة في مقاومة كل دخيل وكل مستبد عنيد، رحمة الله عليكم أبي وجدي، إننا لم نعد نستحق ان ننسب أنفسنا لكم لقد كنتم أحرازا لم تصبروا على ضيم، اخذ سرحان يسترجع حكايات جده وأبيه وكبار سكان الأهوار حول بطولاتهم وصولاتهم ضد الترك ضد الإنگليز ضد غزوات قطعان السلب والنهب التي كانت تستهدفهم من باطن الصحراء بين حين وآخر، كانوا يسحرونهم بأحاديث طوال ليالي السمر السومري الموروث، حول أحداث لم يتبق منها سوى أشباح صور ما زالت تقوى على النسيان وتقاوم الاندثار، يتحدثون عن أحداث غريبة وحيوانات عجيبة، عن مدن مندثرة وعن (چباشات) ارتفعت للسماء، عن جد طائر، وعن حيوانات تتكلم، عن عرائس وحوريات القصب والبردي، وعن آلهات وألهة عجيبة، عن ملك حكم الجهات الأربع. ووو، ولم تكن

الذاكرة تتعب ولا تكل عن سرد ما قاله وتناقله الآباء للأبناء  
والأجداد للأحفاد.

كانوا كثيراً ما يعشرون في ثنايا الهرور بقايا رماح أو دروع أو  
أنصال سيوف، أو قطع من الذهب أو الفضة أو الخزف  
منقوشة أو مرسوم عليها مالا يعرفون، كانت تثير دهشة  
وإعجاب الأجانب من زوار الاهوار، اللذين يستميتون من  
أجل الحصول عليها بأي ثمن، كان هناك من أجداد ناطور  
وغيره من ذوي العلم بذلك الزمان يرون ان هذه الأشياء لا  
تقدر بثمن إنها حاجيات تسكنها أرواح أجدادهم، فكان  
بعضهم يقول الحفاظ عليها يعادل حفاظكم على شرفكم!  
قطع سلسلة ذكرياته هياج (سعيدة) وتحذيرها من الذئب  
خاطف ناطور.

أمسكها هداً من روعها ضمها إلى حضنه خصب رأسها  
بدموعه، حتى غابت عن الوعي من جديد قبلها وخرج  
منحي الظهر دامع العينين مبعداً مريوده عن طريقه كمن يهش  
بعوضة عن وجهه، حاولت ان تمتص غضبه بحركات غنج  
مرسلة إليه أشارت حب وغزل ودلع غير مسبوق بينهما.

غرز (سرحان) سهام نظراته بوجهها قائلاً: لا تتوهمين اني  
غير عارف بما يجري وما جرى وبما سيكون، اني عارف  
تماما سبب استدعائي للجيش الشعبي. وسبب اشتغالك في  
الفرقة، ولكن ان عدت من رحلة الموت هذه، ورأيت او

سمعت انك ألحقت أي أذى ب (سعيدة) فسيكون موتك  
على يدي، يا، اللهم صبرج يا روح.

ابعدت عنه (مريوده) غاضبة مستغيرة ما قاله لها (سرحان)  
وكانها تراه لأول مرة التفت إليه قائلة: والله هو مو صوچك  
صوچي آني اللي ردت عود أو دعك أليله ونته رابح تدافع  
عن الوطن، بس هاي هي يگولون (لا تسوی زین شر ما  
تلگه).

مسحت حمرة شفافها بظاهر كفها وهي تدمدم بكلام غير  
مسروع.

دخل (سرحان) الكوخ ليجمع حاجياته وأغراضه أخفاها في  
كيس من (الجنفاص) ليكون جاهزا للذهاب للقاطع عند  
الفجر، ومن هناك يتم تسويقهم وإرسالهم الى جبهات القتال،  
كما أخفى وأضمر في نفسه أمراً سيظهر بعد حين.

أبكرت (مريوده) النهوض فلم تجد لزوجها أثراً، أصلحت من  
حالها وزيتها لتذهب إلى الفرقة، بعد أن ألقت برغيف من  
الخبز لـ(سعيدة) وغلقت من ورائها الباب مع أحكام قفله من  
الخارج.

لم تجد أحداً في الفرقة فقد ذهب الجميع لتوديع القاطع  
المتوجه لجبهات القتال وسط حالة من القلق والخوف لورود  
أخبار غير ساره من هناك تفيد بأنهايار جبهة الفيلق الرابع  
ووقوع معارك طاحنة في اهوار العمارة حيث بدأت طلائع

القرويين الهاربين من نيران المعارك تصلهم، وهم يقصون عليهم أحوالهم بين نيران القوات العراقية ونيران الإيرانيين وكل منهم يتهمهم بالعمل لصالح عدوه، فقتل أو أسر الكثير من رجالهم ونسائهم وأطفالهم وقتل أو صودر العشرات من حيواناتهم وأموالهم وأسلحتهم الشخصية.

آلاف الأسماك طفت ميتة فوق سطح الماء ومئات الطيور قتلتها الشظايا ونيران القذائف الصاروخية والمدفعية والطائرات والأسلحة الرشاشة، ومنظر لا يوصف للجثث الجنود من الطرفين طافية فوق المياه تجر ورائها ذؤابة دم حمراء، وقد أصبحت غذاء للسلاحف والأسماك والطيور.

نعم لقد قامت أقيامه وملأت الهور رائحة الموت والبارود وأصوات هزيع القذائف المرعبة، لم يشهدوا مثلها حتى في أيام الاستعمار الأنكليزي، كما يروي كبار السن من سكبة الأهوار.

تفرق شمال أهل القرى باتجاهات مختلفة ولم يعودوا يعرفون من هو الحي ومن هو الميت ومن أبتلعته المياه، من في الجانب العراقي ومن في الجانب الإيراني، إنها لمصيبة ما بعدها مصيبة.

عند المساء عاد الرفاق محملين بسيل من الأكاذيب ألملفقة حول النصر والتقدم وهزيمة العدو، وإلقاء القبض على بعض العملاء للنظام الإيراني، يحدرون السكان من مغبة ان تنطلي

عليهم أكاذيب القوى المعادية، إنَّ عيون الحزب واعية تترصد للعملاء الذين بدأت تظهر لهم بعض النشاطات في أعماق الاهوار، وبعض المحاولات لضرب قواطع الجيش الشعبي والفرق الحزبية في بعض المدن.

بدا (حاشوش) قلقاً خائفاً كثعلب مهزوم رغم ما أظهرته له مريودة من زيتها وفرحتها برحيل معكر صفوهم (سرحان) إلى غير رجعه.

أمضت ليلتها بين الرفاق الذين حاولوا أنْ يهربوا من خوفهم وقلقهم في إحياء ليلة حمراء من السكر والعربدة والرقص والغناء وإطلاق الأطلاقات النارية نحو عدو مفترض، وقد أبلت (مريودة) بلاءاً حسناً في إطفاء نار الرفاق وإسعادهم بالتنقل بين أحضانهم حتى الصباح وكأنها تنتقم من إهمال (سرحان) وتهديداته لها قبل رحيله.

رغم كل الهرج والمرج وفوضى ليلتهم أصبح صباحهم بالتطير والتوجس والاستعداد لزيارة مسئول مهم للفرق، سبق الزيارة رؤية وجوه وإشكال جديدة لأناس غرباء لم يسبق لهم أنْ شوهدوا في المنطقة من قبل، وهم بأزياء مختلفة.

عند الضحى بانت سحابة كبيرة من التراب على الطريق الرابط بين الناحية ومركز الناصرية أتضجع بعد فترة وجيزة أنه سرب طويل من السيارات المضللة والسيارات المكسورة

المكتظة بناس مددجين بالأسلحة من مختلف الأنواع والأشكال.

أنتشرت السيارات على مداخل المدينة وأختفى الناس من الطرقات ومقاهي المدينة وتقاطر ذوي النظارات السوداء لدخول مقر الفرقة، استمر الحال لعدة ساعات، خلالها كانت بعض السيارات تداهم بيوت محددة وتقتاد من فيها من الرجال والنساء والأطفال دون معرفة السبب، عم المدينة الرعب حتى المساء حيث عاد سرب السيارات من حيث أتى مصطحبا معه العشرات من الرجال والنساء والأطفال وسط دهشة وحيرة وتساؤل أهل المنطقة، نزلت بهم الكوارث كنزول المطر.

لا يعرفون من أين تأتيهم المصائب، أخذت نيران الحروب ونيران السلطة وإعداماتها وسجونها تلتهم الرجال والنساء والأطفال دون تمييز. انه طاعون جديد. أتى ليفتلك بسكان الأهوار مضافا إلى البليهارزيا التي لا يوجد شخص غير مصاب بها صغير كان أو كبير.

تجمع حشد من وذوي وأقارب المعتقلين في باب الفرقة للأستفسار عن مصير أبنائهم وآبائهم ونسائهم، ولم يتلقوا من الرفاق جوابا غير إنّهم لا يعرفون شيئا عما جرى ويجري ولكن الأمر متعلق بنشاط القوى العميلة في المنطقة لورود معلومات من الجهات العليا حول نشاطهم في المنطقة، وإن

أمر أعتقالهم لا يعدو سوى أستفسار وأسئلة وسيعودون في أقرب وقت ربما غداً صباحاً وعلى الجميع الأنصراف فوراً من أمام الفرقة وإلا.

فرق الجمع وسط حالة من الرعب والشك والخوف على مصير المعتقلين، وأسئلة تجر أخواتها عن السبب والسبب والمصير ومتى وكيف ولماذا، ولكن ليس في اليد حيلة لابد أن يتظروا إلى الغد الذي ربما يشهد سقوط عصابة الطغيان لينجي مصير من اعتقلوا هم ومن سبقهم ومن سيتبعهم في قادم السنوات !

بعد ان اختلت (مربيوده) بحاشوش وبقية الرفاق أسرها عن وجود جماعات مسلحة لقوى وأحزاب مختلفة في الأهوار تقوم بعمليات الأغتيال والخطف وشن هجمات مسلحة على مقرات الأمن والاستخبارات والمقرات الحزبية وتستهدف الرفاق وتقطع الطرق مما يستوجب الحذر واليقظة التامة وأستخدام كل أساليب الردع مع هذه المجاميع .

وقد وضعت خطة مفصلة من قبل جهاز الأمن والاستخبارات والمخابرات والحزب للمتابعة والملاحقة والمراقبة، وقد أوكل لحاشوش (مربيوده) دور هام في هذه اللجان لملاحقة المخربين ورصد تحركاتهم، وإنهما مرشحان لدوره في مركز المحافظة أو في بغداد لغرض التدريب لرفع قدراتهم في أساليب المراقبة والحصول على المعلومات، وقد حصل

ذلك بالفعل حيث أدعى كل منهم على أنفراد بأنه ذاهب لزيارة أقاربه، وقد أوكلت مريوده أمر العناية بسعيده إلى الجيران.

بعد فترة من عودتها أحذت (مريوده) تردد على مآتم العزاء المقامه على أرواح القتل في المنطقة لشتى الأغراض وقد عرضت قدراتها لتكون (مله) أو (عداده) من الطراز الأول مستغلة حلاوة وطراوة صوتها وقدرتها على حفظ قصائد المديح والرثاء في مختلف الأغراض كما كانت تحفظ أبيات الأبوذية (البسات) الداعرة في حفلات الأعراس، وحفلات الرفاق الخاصة وال العامة، وخصوصاً احتفالية عيد ميلاد السيد الرئيس في ٢٨ نيسان من كل عام.

أنقطعت علاقتها بحاشوش والفرقة الحزبية وأخذت تكثر من زيارة أضرحة الأولياء والأوصياء ولا تفوتها مناسبة في هذا المجال لابل تبنت أمر تسيير زيارات النساء الجماعية لأضرحة الأنئمة والأولياء (الدوره) كما إنّها برعـت في أمور نسائية أخرى، مكتنـتها من دخـول انـ لم يكن كلـ فـأـغلـبـ بـيوـت القرية وما جاورـها من القرى الأخرى، أصبحـت ذات هـيبة وصـيتـ ووجـاهـةـ عندـ المسـؤـولـينـ وعلـىـ مـسـتوـيـ الـقـيـادـاتـ العـلـياـ.

أما (حاشوش) فقد أشيـعـ انه قد طـردـ منـ الحـزـبـ لأنـهـ أـلحـ كثيرـاـ فيـ مـطالـبـ السـلـطـاتـ بالـكـشفـ عنـ مـصـيرـ المـعـتـقلـينـ منـ

أهالي المنطقة وحاول الأعتداء على الرفيق المسؤول، شاع الخبر بين الناس وسط أستغرابهم ودهشتهم وسبحان من غير الأحوال من حال إلى حال.

فقد قرر (حاشوش) أن يحترف الصيد حاملاً شباكه على زورقه ليجوب الأهوار طلباً للرزق وتدبر أمر عيشه من صيد الأسماك والطيور، متبرعاً بالفائض لمن يصادفهم في الهاور بأريحيه غير معهودة قربته من قلوب تجمعات الصيادين في ثنايا الهاور، وغالباً ما يجد أخبار معارضته للسلطة وطرده من الحزب متداولة بين الصيادين في الهاور مما يجعله يحظى باحترام وتقدير وإعجاب البعض في حين يواجه الصدود والابتعاد من قبل آخرين، والشك والريبة من قبل تجمعات أخرى على علم بتاريخ سلوك (حاشوش) متخذين قرار عدم السماح له بدخول مناطق سيطرتهم وتجمعاتهم ولا التعرف على عناصرهم، بالإضافة إلى تسريب أخبار كاذبة ووهمية إلى سمعه على سبيل الاختبار والتحقق من شخصيته ومهمته في الهاور.

كان حاشوش يتعرض بين فينة وأخرى للأعتقال من قبل قوات خاصة لا أحد يعرف من أين تأتي. وبعد فترة من الزمن يطلق سراحه ليعود إلى ممارسة عمله مرة أخرى، لم تكن شباك حاشوش مخصصة لصيد الأسماك والطيور فقط بل تصطاد أحياناً بعض القرويات في أثناء تواجدهن في الهاور أو

مشايفهن المحملة بالملح لإيصاله إلى أهوار العماره ومن ثم إلى إيران، كان مشروع مساعدة دائمة ونخوة مشاركة على طول الخطوط حتى لإعطاء بعض المال بسخاء لمن يتقبلنه منه على سبيل المساعدة والنخوة والإنسانية لحين ابتلاء (طيرة) للطعم لتفرش له جناحيها برضي ومتعة تامة، استطاع حاشوش أن يكون عبر هذه الممارسة شبكة من العلاقات الحميمة مع عدد غير قليل من القرويات البائسات متمنكا من بناء عرش ذكوريته على أكdas حرمانهن وكتبهن حاجتهن وجهلهم.

كان بعضهن يحضرن مجالس الملء (مربيوده) وينقلن إخبارها لحاشوش أول بأول، وأستطيع ان يستغفل بعضهن بإيصال رسائل وتعليمات وطلبات عن طريقهن إلى (مربيوده) بأعيبارها نذور أو هدايا ل (أهل البيت) كمشاركة من (حاشوش) المظلوم الغريب المطرود.

لم تكن (مربيوده) عديمة الحيلة في التواصل واللقاء بحاشوش سواء في ثانيا الهرور أو في المدينة.

بالتعاون مع بعض المتعاطفين معه من الصيادين والقرويات أستطيع (حاشوش) ان يقيم له (چباشه) صغيرة في منطقة نائية من الهرور، وخلال هذه الفترة زهد في الصيد والعمل وأخذ يكثر من الصلاة والسجدة والركوع وقراءة القرآن والأدعية ويتبنأ بمصائر الناس، هذا سيطلق سراحه وذاك سيعتقل

وفلان سيتعرض لشر، وووو، وكانت كل تنبأً ته صادقة وحقيقة، أطلق لحيته وحلق شاربه وتختم بأكثر من خاتم، غير متناسٍ مسبحته السوداء الـ(١٠١)، مسورة (الچباشة) بالرأيات الملونة من الخارج ومزينها من الداخل بصور الأئمة والأولياء.

بسرعة مذهلة بانت على جبهته آثار السجود والورع، أخذ الناس نساء وشباب وشيوخاً يقصدون المله لمعرفة الطالع والتزود بالرقى والحروز والأدعية للشفاء من مرض أو تحقيق أمنية، وبالخصوص كانت رقى المله بخصوص الحصول على وظيفة أو الحصول على عمل لدى السلطة مجابه، فلم يرجع أحداً خائباً وهو يحمل دعاء أو رقية من المله، تطلب الأمر أنْ يوسع (چباشته) أضعاف مما كانت حيث يتطلب أمر بعض المرضى وطالبي البركة والزوار المبيت في مضيف المله، غالباً ما يتطلب الأمر أنْ ينفرد المله بالمريض أو المريضة والمبيت معه ليلة أو أكثر، وأستحمام المرضى أو المريضات وخصوصاً من المصابات بالعقل أو تأخر الحمل، ونظراً لما أمتاز به المله من بركات وورع فقد أخذ الناس يسمونه بالمله (نعمه) فهو نعمة وهدية من رب السماء لسكان الأهوار، نسي الناس (حاشوش) وصار المله (نعمه).

في أحد الأيام دعا الملهم كل معارفه من الرجال والنساء وكل من تصله دعوته وأولم وليمة كبرى لأن هناك أمراً هاماً يريد أن يطلعهم عليه الملهم.

وفي اليوم الموعود تقاطرت المشاھيف على مضيف الملهم وهي تغص بالنساء والرجال من مختلف المناطق وحتى من مركز المحافظة، وعند دخولهم المضيف فوجئوا برجل مهيب الطلعة، يرتدي ملابس بيضاء ناصعة ويعتم بعمة سوداء ذات تنسيق جميل يلف على رقبته يشماغ اخضر مزخرف بزخرفة إسلامية ساحرة، نوراني الطلعة ذو لحية بيضاء وجبهة وضاءة، كل من يدخل ينحني مقبلاً يد السيد الجليل ويتحنى جانباً لفسح المجال لآخرين، اكتظ المضيف بالمدعين، وكانت هناك حركة نحلية خارجه تقوم بتهيئة الطعام والشراب وأستقبال الوافدين وتوزيع البركات على الزائرين والزائرات والجميع يتلهفون لمعرفة الخبر المفاجئ الذي يريد أن يعلنه الملهم.

قبيل الظهر تتحنح السيد المهيب فران الصمت المطبق على الجالسين والواقفين وكلهم آذان صاغية للقول المتظر ثم صلى على محمد وآل محمد ثم ثنى وثلث فصح الديوان بالصلاوة بصوت واحد هز أركان الچباشة ورددهه نباتات وطيور الهاور فهيم من الذهول والخشوع على الجمع وتوجه السيد بالكلام للحاضرين: تعرفون أيها الإخوة ان أهل

بيت الرحمة من النسل العلوي تعرضوا للظلم والأضطهاد والسجن والتشريد من قبل الطغاة والسلاطين لعنة الله عليهم، مما أدى بهم للتشرد من ديارهم والتستر على أنسابهم وألقابهم خوفاً من البطش وملاحقة عسس السلاطين - وهنا أخذ أحدهم ينظر بوجه الثاني، لأنه لا يفهم ولا يعرف معنى العسس - تنبه السيد بفطنته لذلك قائلاً: لا يختلط عليكم الأمر فالعسس تعني شرطة الأمن السرية كما نقول في هذا الزمان كفانا الله شرهم، فردد الجمع وراءه الله يُچفينه شرهم. آمين.

تناول السيد قدحًا من الماء من يد الصبي الواقف لخدمته قائلاً: لعن الله من حرمك من الماء سيدِي يا أبا عبد الله. فردد الحضور نعلتا الله على بنى أميه.

نعم أخوان ما تعرض له أهل البيت من ظلم لعشرات السنين أنسى الناس نسبهم الأصلي كونهم من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله سبحانه يتصرّ دائمًا لهذه الذريّة الظاهرة ويأتي وقت لتعرف حقيقة من حاول الباطل أنْ يطمر نسبة ويبخسه حقه.

القصد من حديثنا أيها الأحبة هو ما عرفتموه باسم مله (نعمه) فهو أيها الإخوة من ذوي الحسب والنسب أنه من ذرية رسول الله (ص) وقد عثرت بالصدفة أو بتوجيهه من الله عز وجل على شجرة نسبة وحسبه فأمرني ملك رأيته في عالم

الرؤيا ان أقصد ديار مله (نعمه) وكشف الستر عن نسبه وحسبه وقد أدلني الملك على مكانه وكونه كان يعرف بـ(حاشوش ابن فدعوس) بينما هو السيد (نعمه السيد أیوب، السيد، السيد، الخ) فضح الحاضرون بالصلة على محمد وآل محمد وعلت الزغاريد والتهليل والصلوات في خارج المضيف ونثرت (الواهليات) ونذرلت النذور، أسكنتهم السيد بإشارة من كفه ان أسكنتوا: ومن نعم الله أيها الإخوة إنكم أسميتموه دون علم منكم (نعمه) وهذا أمر رباني أيها الإخوة من الله بها عليكم تمنى أن تزيدكم إيمانا واعترافاً بفضل (سيد نعمه) عليكم وجوده بين ظهرانيكم.

هذا ما جئت من أجله وما على الرسول الا البلاغ المبين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نهض السيد وأخرج من حقيبة له عمامه سوداء وغترة خضراء و(صاية) سوداء من القماش الفاخر وألبسها لسيد (نعمه) مباركاً ومهنئاً له نعمة الله عليه.

تقاطر الحضور يحملون قناني ماء صغيرة أسأل السيد فيها لعابه ليتبرك به الناس ملتمسين الرزق والأمان والشفاء، ومثل هذا حدث خارج المضيف أشرفت عليه المله (مريوده) التي أصبحت تسمى بالمله (فاطمه) استجابة لأمر ورد على لسان إحدى المبروكات وتكرر الأمر أكثر من مرره.

عند الظهر أمهم السيد للصلوة الظهر. ثم أخذت صوانی الرز  
العنبر المثلثة بلحم الخرفان والحولي والمشبعة بدهن الحر  
مع أواني (الروبيه) ناهيك عن خبز الطابق السياح والسمك  
المشوي فعاش الناس يوم فرح وعرس ومهرجان لم يحلموا  
بمثله وسط واقع حرب خيم عليهم فيه الحزن والخوف  
والتشرد، ختم اللقاء الكبير عند المساء عادت الزوراق  
والمساحيف من حيث أتت وهي تحمل الرايات الملونة  
والشارات في الرقب والأيدي وقناني الماء المباركة في  
أيدي وجوب وحقائب العائدين إلى منازلهم، لم يتخلّف من  
الركب سوى عدد من الفتيات المتتطوعات لخدمة السيد  
وضيفه، والممله (فاطمه) التي قدمت بصحبة السيد حامل السر  
والخبر السار.

وبعد أن صفا الجو وذهب المباركون التام شمل الثلاثة  
المباركين خلعت العمائم وأبعدت التمائيم، وأحضرت  
الكؤوس وطابت النفوس، وقد أبدعـت (ميريوده) في غنائـها  
وأبدعـت (صانـعـتها) بالرقص والغناء حتى أـنـلاـجـ الفـجرـ حيث  
صلـى (الـسـادـهـ) عـلـىـ أـرـدـافـ الغـوـانـيـ.

كان (السيد) وجماعته من الشوار يتفجرون غيضاً وغضباً مما  
يفعله حاشوش وزمرته وتضليله للناس، وأدعـاءـاتهـ الكـاذـبةـ  
والمـزـيفـةـ، وقد تـوعـدوـ وهـاجـموـهـ أـكـثـرـ مـنـ مـرـةـ دونـ أنـ  
يـتـمـكـنـواـ منـ الـظـفـرـ بـهـ، أحـلـواـ دـمـهـ لـمـاـ أـرـتكـبـهـ مـنـ تـشـويـهـ

لسمعتهم وسمعة الدين وتجنيده نفسه ومن معه لخدمة السلطة ولكن يبدو غنًّى كذبته أنطلت على الكثيرين.

جلس (سرحان) خلف مدفعه الرشاش في موضعه الأمامي المقابل لمواقع قوات العدو، كان يسمى موضعه بل (نوجه) أي المكان الذي يختبأ فيه الصياد لمراقبة دخول الطيور في شباكه وسط الهور لاتخاذ قرار سحبها لتطبق على الطيور في الوقت المناسب.

بين حين وآخر تبدد صمت الهور (صلية) مدفع رشاش أو بعض طلقات متقطعة باتجاهين متعاكسين، لا لصد خطر أو هجوم وإنما لإثبات وجود يقظ وتبديد الضجر على السواتر المقابلة، بحيث أصبحت وسيلة لتبادل الرسائل فيما بين الطرفين عبر شفرة لحنية يفهم منها مضمون الرسالة هل هي ودية أو سب وشتم وما إليه، وأحياناً تكشف عتمة الهور طلقات مدفع التنوير المتشظية أو المظلية فتبدو كأنك في وضح النهار، سرعان ما يعود الصمت إلى سابق حاله لا يعكر صفوه سوى نقيق الضفادع أو صفقات أجنبية بعض الطيور المستفزة أو التي تمرح وتمارس الحب في فضاءات المنبسطات المائية بين أكمات القصب والبردي، تتفاوز أمام عينيه أنواع مختلفة من الأسماك، يستفزه بعضها وهو يتحداه بلا مبالاته وأستعراض جسمه أمام ناظريه -البز والگطان، والشبوط، والبني، والحمري، والسمتي - تظهر بأحجام قلما

صادف مثيلها في منطقته خلال رحلات صيده هناك، كان يختار واحدة أو أكثر ليصوب لها نيران بندقيته الكلاشنكوف، وينزل ليسحبه من الماء يصحبه معه عند حضور بديله في الحراسة إلى مقر الفصيل، فالسمك أصبح وجبة الغذاء الرئيسية لهم في هذا المكان النائي، مuestra عن نقص التجهيزات الغذائية من مقر القاطع بالإضافة إلى رداءتها وكان أغلبها من المعلمات التي لم يستسغها سكان الأهوار، هذا الواقع أغنی (سرحان) من الحاجة إلى أسماكه المجففة التي جلبها معه من بيته لعمل (المسموظه) المحبيبة لدى سكان عموم الجنوبيين وخصوصا سكان الأهوار.

في هذه الليلة الظلماء أحتمد إطلاق النار وأستمر لفترة غير قليله بين الجانبيين وخصوصا موضع سرحان ومن يقابلها على الجهة الثانية، مما وضع جميع المواقع في أستفار كامل، أنقطع الرمي وأنقطع الاتصال بسرحان بسبب غير معروف، فترك أمره حتى الصباح وعند الاستطلاع لم يعثروا على أي أثر لسرحان أو لسلاحه مع وجود بقع دموية في الموضع! تم إعطاء موقف للفصيل ومن ثم للسرية فالفوج وقيادة القاطع أنَّ المقاتل سرحان أصبح في عداد المفقودين. انتشر نباً فقدان سرحان بين أهالي القرية والقرى المجاورة. أظهرت (مله فطومه) مبالغة كبيرة في الحزن والتأسي وتلقي

العزاء لفقدانها زوجها العزيز المقاتل البطل (سرحان) (ولمن  
تريد الحيل يابوسكينه).

تعاطف الرفاق مع قضية فقدان (أبو سعيد) ومصاب مله  
(فاطمه) فأعتبر الفقيد شهيداً وأعطي كافة حقوق الشهيد  
لـ(فاطمه) بعد أن أصبحت قيمة رسمياً على (سعيد) فاقدة  
العقل والإدراك، ملكت (المله) داراً في مركز الناحية وسيارة  
صالون حديث وإكراميات وهدايا أخرى تثميناً للشهيد البطل  
(سرحان) ولم تمر ليلة جمعه إلا وتكون مله (فطومه) في  
حضرة السيد (نعمه) مع مجموعة من النساء والأطفال  
المحملين بالندور والهدايا، إضافة إلى ما كانت تحضره المله  
معها كثواب لروح المرحوم الشهيد، تقضي ليتها هناك ثم  
تعود عند الضحى وهي شبه نائمة في الزورق.

تتأسى لها النساء إنها أخلفت حالها على المرحوم وخصوصاً  
عندما تنفرد بالسيد (نعمه) لأنه كان صديقه الحميم!

عندما يعود الناس من الزيارة يكونون محملين بأخبار مختلفة  
تكاد لا تصدق يتم تداولها في داخل المدن ومجالس العزاء  
حيث اختصت المله (فطومه) برواية رؤى السيد وما يرويه  
زواره القادمون من أماكن بعيدة، ومنها ان مجموعة من  
الطناطل استوطنت الأهوار، وأخذت تقوم ببعض الأعمال  
ضد بعض الناس وخصوصاً من أفراد الشرطة والجيش  
الشعبي والأمن والرفاق الحزبيين، وأنه رأى أكثر من رؤية

وكان هناك جرافات أخذت تشق الطرق في الأهوار، وربما يصل الأمر إلى تجفيفها لأنَّ أستفحَل أمر هذه الطناطل الذي أخذت تتكاثر يوماً بعد يوم وربما هي مسيرة من قبل قوى سحرة معادين للحكومة العراقية؟!

أخذت بعض الطائرات (السميتية) تحوم في سماء الأهوار بين حين وآخر، ويشاهد أحياناً إطلاقها لصواريخ أو رشقات من مدفوعها الرشاش في أماكن مختلفة، ذهب بعض مربى الجاموس والصياديَن ضحية هذه الضربات، كما انتشرت أخبار، تعرض السيارات العامة والخاصة إلى التسلُب ومصادرة الأسلحة وحجز بعض الأشخاص ممن يشتَبه بهم من عناصر الاستخبارات أو الحزب، وكانوا يحملون المطلق سراً هم بعض من المنشورات والبيانات السياسية بمختلف العناوين، وأحياناً يعلقون على صدورهم (زوريَّة) أو (زوريتين) محاكاة لأنواع الشجاعة الذي كان يعلقها على صدورهم القائد الضرورة.

أخذت تحدث في الأهوار عمليات غاية في الجرأة والدقة والحنكة في التدبير، تم مbagatة العديد من الفرق الحزبية وقتل أو أسر متسببيها والأستيلاء على أسلحتهم ومعداتهم، هجر الرفاق الكبار بيouthem فلم يعودوا ينامون في بيouthem بل في أماكن مجهولة، أو يتجمعون في أماكن محصنة ومحروسة من قبل الجيش خشية هجوم هذه القوى المسحورة التي

أصبحت لها الهيمنة على الأهوار وبعض القرى في الليل خصوصا، أخذت تظهر بيانات في المدن والقصبات تحمل صور (جيفارا) أو (خالد احمد زكي) أو صور الشهيد (محمد باقر الصدر) وغيرهم من شهداء الحركات المقاومة للنظام، الكثير من البيانات والبلاغات كانت تقدم الأدلة الدامغة على عدم أرتباطها بإيران أو أي دولة مجاورة، بل هي حركة مسلحة تقاتل النظام من أجل الحرية وبناء الدولة الديمقراطية دولة العدل والمساواة وصيانة كرامة الإنسان وأمنه ورفاهه، فلم تعد كلمة العميل الملحقة بأسماء القوى السياسية المقاومة للسلطة إلا بالاستهزاء والتندير وترتد لصدر السلطة وأجهزتها الإعلامية.

في صبيحة أحد الأيام حينما كانت العائلة المستأنفة على (سعيدة) تريد تقديم الطعام لها، لم تتعثر لها على أثر رغم التحري عنها في كل مكان من الدار وما حولها في الأكمات المحيطة بصرiftتها، تم أخبار (المله فطومه) بالأمر، فاتت نفسها لتتأكد من الأمر برقة بعض من أفراد الشرطة والأمن، انتشرت الزوارق البخارية في كل مكان فباءت كل الجهود في العثور عليها حية أو ميتة، سجلت مفقودة لأسباب مجهولة، ربما جرفتها مياه الأهوار وأبتلعتها الأسماك والسلامحف، أو أختطفتها أحد الطناطل وقد يكون أخذها الجن الذي تزوجها وافقدها عقلها من يدرى، مثلت (فطومه) دور

المتألم مع دموع الأسف لفقدان وديعة المرحوم العزيز الشهيد (سرحان).

أهمل أمر (سعيدة) وطواه النسيان بعد انتشار عشرات الاحتمالات والتصورات لغيابها المفاجئ، أعتبرها البعض من الأرواح المبروكة وقد تسامت الي ربها فتحولت طيراً من طيور الأهوار يسمع له أنين ونواح طوال الليل والنهر حزناً على حبيبها ووالدها، وأخذوا ينذرون لها النذور وينصبون لها القدور.

كانت هذه الرواية الأكثر قبولاً ورواجاً بين سكان الأهوار وملائمة لأوضاعهم المأساوية وواقع الخوف والقهر والتوتر الذي خيم على حياتهم تحت كابوس الحرب التي يشتد أوار نيرانها يوم بعد يوم والتي بدت بلا نهاية.

أستقبل (الثوار) (سعيدة) بفرح بالغ اغلبهم يعرف قصتها الحزينة وحبها المغدور، كان جبها مضاعفاً فهي حبيبة محبوهم (ناطور) وهي أبنة (سرحان) المقاتل الذي أثبت جرأة وبسالة وحنكة كبيرة في المعارك والتدبير، وقدرته الكبيرة على معرفة خارطة الأهوار مداخلها مخارجها حتى في الليالي المظلمة كطائر من طيورها، كان الثوار بحاجة ماسة الي مثل هذه الخبرة ومثل هذا الدليل عند تخطيطهم لاي عملية او عند تنقلهم من مكان لاخر ومن چباشه الي أخرى، فلازال العديد منهم يتذكرون بألم بالغ ما آل إليه

مصير الشاعر الشيوعي (خالد احمد زكي) في اهوار الغموگه حينما ظل هو ورفاقه الطريق آنذاك، كان المقاتل دكتور كفاح) قائد المجموعة معجبا جداً بهذا المقاتل السومري الفطن والشجاع، الذي أستوطن الهاور هو وعصبة من رفاقه منذ عام ١٩٨٠، وأخذ العديد من الفارين من ظلم السلطة ونيران الحرب المدمرة يجدون ملاذهم بين صفوفهم، ومنهم كان (سرحان) المقاتل الهارب من قواطع الجيش الشعبي، خصوصاً بعد أن تعرفهم من رفاق (ناطور) و(خالد أحمد زكي) وقد تعرف على بعض شباب (الفهود) بين صفوفهم.

كانت (سعيدة) مذهولة ولم تدرك ما هي عليه، حتى إنّها لن تتعرف والدها في أول الأمر، تولت النساء عملية تنظيفها بإدخالها حماماً ساخناً أعد لها خصيصاً، وأستخدمن مبيدات القمل لتخليصها من أسراب القمل وبيوضه المعششة في رأسها وكل جسمها طوال فترة حجزها، أعدوا لها وجبة دسمة من حليب الجاموس ومن الزيد والجبن، وخصصن لها وجبات غذائية خاصة من لحم الطيور والأسماك والتمر، وصف لها مسؤول المفرزة الطبية أنواعاً من المراهم لمداواة التقرحات المنتشرة في جسمها، وبعض الحبوب والبراشم للقضاء على بعض الالتهابات، كان (سرحان) يجلس قبالتها أوقات طويلة يسرد لها حياتهما وذكرياتهما منذ طفولتها وأسترجاع التي مرت بهما، تستمع أحياناً بانتباه كبير وأحياناً

تصرخ خوفاً من الذئاب العاوية، تنادي (ناطور) تنادي أمها  
تبصق بوجه (حاشوش) و(مربيوده) تدب أمها، تعاتب سيد  
(يوشع) ولماذا خذلها، أرتضي بـ(طلي) حاشوش الحرام  
وترفع على (ديكها الأبيض) ملكها الوحيد، ثم تستكين وتتنام،  
أخذت صحتها تتحسن يوماً بعد آخر وأخذت تستأنس  
والدها ونساء (الثوار) تناقصت نوبات صراخها وفزعها،  
أخذت تدعو كل شاب يحمل سلاحاً (ناطور) كان الجمع  
يرقب تصرفاتها بين حزن وفرح حسب تصرفاتها، أخذت  
تسأل عن والدها وعن (حاشوش) و(مربيوده) وأين هي الآن  
كانوا يجيبونها عن كل أسئلتها بالتفصيل، يوم بعد آخر  
أخذت تتحسن وتنشط وتسوّع، وما أن مر الشهر الأول  
على تواجدها مع رفاق والدها حتى أستعادت كامل وعيها.

كاد والدها أن يطير من الفرح وهو يرى أبنته العزيزة وقد  
عادت معافاة وبكامل صحتها الجسمية والعقلية، أخذت  
طالع في بعض الكتب والكراريس الموجودة في مقر  
الجماعة حين تكون بمفردها، خصص لها الرفيق (كافح)  
وقتاً خاصاً من أجل زيادة وعيها وثقافتها يقراء لها العديد من  
قصائده، وقد ضمن بعض قصائده بطولات حياة الثوار ومنهم  
(سعيدة) قصة عشقها ووفائها لحبيها (ناطور) ومعاناتها  
وقربيتها بعد استسلام (البعث) للسلطة في (١٩٦٨) ومجيء  
(اللفوه) (حاشوش) إلى قريتهم، وما حصل بعد أنهيار

(الجبهة الوطنية) وتزعم صدام للسلطة، وبداية الحرب مع  
أيران.

كان طلبها الأول من والدها أن تمرن على استخدام السلاح.

بويه آني الي طلب عدكم أتمنه ما تردوني؟

گولي يبعد أبوچ، غالی وطلب رخیص، بیچ خیر ودللی؟

بويه آني أريد أتدرب عله السلاح؟

لزم الكل الصمت في بداية الأمر، وكأنهم استغروا هذا  
الطلب من (سعیده) وهي في حالة نقاھة، فأجاب الوالد: ما  
کو مانع یویه لكن ما تشوفین بعد وکت عله السلاح  
وصحتج بعدها ما تتحمل؟

بويه آنه ما أطیب ولا راح أصحه إلا ما آخذ بشاري وثار  
(ناطور) وربعه من هل الظلام، آني لازم أدور (حاشوش)  
ورفیجته (مریوده) وآخذ حگی منهم،  
أعجب الجميع بردھا وإصرارھا على أن تكون أحد  
المقاتلات والمقاتلین في کفاحھم من أجل حریتهم  
وخلاصھم، وكان الرد من الجميع وفي مقدمتهم والدها.

تدللین: سعیده، ومن عین باچر راح انطیچ (کلاشنکوف)  
وستنظمین لمجموعة المقاتلات والمقاتلین الذين يتدریبون  
على إتقان أستعمال السلاح وأصلاح عطلاته وأمور أخرى.  
تهلل وجه (سعیده) بالفرح وكأنها عادت لأيامها الأولى،  
فبدت في غایة النشاط والحيوية، شکرت لهم أستجابتهم

وقالت: آني أريد أن أنظم للمقاتلات والمقاتلين الأميين دورة سريعة وقت فراغهم لتعلم القراءة والكتابة، لأنني أرى ذلك سيفعهم كثيراً في الوقت الحاضر والمستقبل، ويمكّنهم من استيعاب التعليمات والمعارف العسكرية والحياتية العامة.

وقد تمت الموافقة على طلبها وأبلغ الجماعة الأستجابة للخطة التعليمية التي ستضعها (سعيدة) لتعليم الأميين والأميات القراءة والكتابة، والعمل على توفير المستلزمات الضرورية لذلك من خلال الحصول على الكتب التعليمية من بعض أصدقائهم وصديقاتهم من المعلمين والمعلمات.

وهكذا كان انتظمت (سعيدة) في الدورة التدريبية وقد أحرزت تفوقاً ملماوساً في إتقان استعمال السلاح خلال فترة قياسية، كما أنها كانت تحرز تقدماً ملماوساً في تعليم الأميين القراءة والكتابة، لم يكن يعكر صفوهم غير الحملات التي تشنهها السلطة على مقراتهم واضطراهم للتنقل بين الچباشات المختلفة المتناثرة على طول وعرض وعمق الأهوار، وخبر اعتقال رفيقهم المناضل العيني (كافاح) خلال زيارته السرية إلى عائلته حيث تعرفه أحد وكلاء الأمن في أحدي السيطرات قبيل وصوله إلى بغداد.

كانت لـ(سعيدة) أفكاراً واقتراحات مدهشة في التخطيط والتنفيذ لبعض العمليات القتالية التي كانت تقوم بها المجموعات المقاتلة، نجحت أن تكون نواة خاصة من

المقالات تم اختيارهن من قبلها وفقاً لإمكانيتهن المتميزة للقيام بإعمال الاستطلاع وجلب المعلومات، ومجموعة أخرى للقيام بعمليات خاصة تستهدف بعض الأهداف الهامة التي تتميز بالدقة والجرأة والصدى الإعلامي الكبير، مما أكسب عمليات (الثوار) تحولاً نوعياً هاماً في عملياتهم الخاصة ومثلت تحدياً كبيراً لأجهزة السلطة.

لم تستطع أجهزة السلطة التكتم على أخبار عمليات بطولة مدهشة أودت بحياة العديد من كبار مسئولي الأمن والاستخبارات والحزب حتى في مركز محافظة ذي قار وميسان والبصرة، يقال أن الفاعل واحد في كل هذه المحافظات، وترشح الأجهزة أن الفاعل امرأة تمتلك قدرات سحرية في أصطياد هذه الرؤوس والإيقاع بها في فخاخ الموت، لم يكن يتصدراً حاجز أو سياج أو حماية فقد دخلت إلى غرف نومهم، ومحاتبهم المحصنة والمحمية بحماية خاصة، مما أدخل الفزع ليس في قلوب المسؤولين المحليين وإنما حتى في مركز العاصمة، عجزوا عن حل اللغز المحير خاطف الأرواح في الليل وفي الصباح؟!

تعرض (سيد نعمه) الي أكثر من عملية خطف، وكذا حال (مله فطومه) بعد أن تعرفتهم (سعیده) وقد أصرت بأنها تريدهم أحياءً ولا تريد قتلهم، بعد ما أطلعت على أساليبهم في التضليل والتوجيه الكبير والمذهل في السيطرة على

عقول بسطاء الناس، وتجنيدهم لخدمة أهداف السلطة ومخطاطاتها تحت عباءة الدين والشعائر الدينية المختلفة، بالإضافة الي سلب أموالهم بواسطة شعوذتهم المختلفة. وقيادة وتدبير عملية تسقيط جماعي للفتيات البريئات، من أجل أحكام عملية ارتهانهن لسيطرة (سيد نعمه) و(فطومه) فلو قتلوا ا دون ان يقروا بما كانوا يفعلون لأصبحوا من الأولياء وينصب لهم المغفلون العزاء ويبينون لهم المقامات والمزارات، بهذه الحجة القوية والذكية كانت ترد (سعيدة) على من يطالها بقتلهم.

نتيجة لهذه النشاطات والعمليات الفاعلة والجريئة أخذت أجهزة النظام ومسؤوليها يحسبون ألف حساب قبل الإقدام على أي عمل إجرامي بحق أبناء الأهوار وأماكن تجمعهم وتواجدهم، كانت تصل للمسؤولين بعض التهديدات من الثوار تدعوهم فيها بأن يتنهوا عن فعل من الأفعال وأن لم يتنهوا فسيكون عقابهم شديد، وبعد أن أثبت الثوار أن تهديداً لهم لم يكن للتخفيف فقط وإنما نفذوا كل تهديداً لهم بحق المتمادين والمستهينين بهذه التهديدات فقدوا رؤوسهم ثمن استهتارهم وتماديهم في إجرامهم.

لم تتوقف عمليات الثوار بعد صمت المدافع على جبهات القتال مع إيران وتوصل النظام العراقي والإيراني إلى وقف

إطلاق النار وتسوية المشاكل فيما بين الحكومتين، وسط تسائل الناس كيف ولماذا بدأت، وكيف ولماذا انتهت؟ أخذ سكان الأهوار يعانون الأمرين أولها تجفيف الأهوار من قبل السلطة العراقية، بالإضافة الي قمعها وإهمالها لسكان الأهوار والتنكيل بهم وإثارة الشكوك بأصولهم وولاءاتهم، تحول الهرور الي غابة من الطرفاء والقصب والعاقول، توطنته الذئاب والضباع والأفاعي والعقارب خصوصا بعد ان بدأ أس Gundaddات النظام لأحتلال الكويت ودخول العربات العسكرية والمدرعات للصحاري وهروب الوحش البرية إلى الزور المترامي الأطراف في جنوب العراق.

أضطر العدد الأكبر من مرببي الحيوانات والصياديون وال فلاحين الي الهجرة للمدن الكبيرة، مما حدا بالثوار الي تقليص أعدادهم للحد الأدنى ما عدى المكشوفين للسلطة وأجهزتها الأمنية، شكلوا نوارات صغيرة متنقلة لا تقوم في أغلب الأحيان إلا بعمليات داعية بحثة وبعض العمليات الخاصة ضد العناصر الملعونة من زمرة النظام.

أتخذت هذه القرارات والإجراءات بعد عقد الثوار اجتماعاً واسعاً حضره (سرحان) و(سعيدة) بقيادة (جيما را الأهوار) وفصائل (أبو الأحرار).

تحدث القادة قائلين: أعزائنا الثوار والمujahidin نرى ان سحب الحرب التي شنتها أمريكا وحلفاؤها أخذت تتکاثف

بسريعة، خصوصاً وانَّ النظام أعطاه كل المبررات والذرائع لشن هذا الهجوم بقرار أممي بعد أن أقدم الطاغية على احتلال الكويت ورفض الانسحاب منها، إننا نرى انَّ الحرب غير متكافئة وانَّ الحرب خاسرة تماماً وستؤدي إلى تدمير بلدنا ونهب ثرواتنا، بسبب حماقة مجرنون ببغداد، ولا يبالغ انْ قلنا انه قد لأمريكا خدمة لا يستطيع ان يقدمها له حتى اقدر وأكفاً عملاً لها لابل أقدر وأكفاً مقاتليها، مما يستوجب علينا العمل على تغيير تكتيكاتنا القتالية وأساليب مقاومتنا في الظرف الراهن، إننا مطالبون بمقاومة عدو مزدوج النظام وزمرته وأمريكا الرأسماль والاستغلال وحلفائها وهذا أمر في غاية الصعوبة والخطورة والتعقيد، بحيث يصعب الفرز والتمييز بين العدو في (الداخل) والعدو (الخارجي) إنهم يعملان بالتخادم والتضامن من أجل تدمير العراق أرضاً وشعباً مما يتطلب من كل فصائل المقاومة الوطنية الحذر واليقظة وعدم الانجرار وراء زيف دعوى الطرفين فكلابهما مجرم قاتل مخاطل طامع مستبد،

نحن نرقب بألم بالغ أنجرار قسمًا ممن يدعون النضال من أجل تحرير العراق من أيدي الطاغية بالاستعانة بالأميركيان وحلفائهم وهذه هي الطامة الكبرى كمن يهرب من كلب مسعور ليستغث بذئب جائع !

قبل أن يكمل كلمته حدث لغط وشبه فوضى إذ ارتأى البعض أنه لا يتفق مع رأي الخطيب وأن التعاون مع الأميركيان هو أفضل الطرق للخلاص من النظام الذي عجزنا عن إسقاطه عبر أكثر من ثلاثين عاما خلت، وأن الأميركيان أعلنوا بأنهم سيدخلون محررين وليس فاتحين أو محظيين، ولابد من الخلاص من الديكتاتورية حتى وأن حصل الاحتلال.

تدارك (ياسر) الأمر لكي لا يتطور الي احتكاك خشن معينا ان لكل منا رأيه وطريقته وقناعته ومن هنا سنفترق ولكل مساره الذي ستثبت الوقائع والأحداث القادمة خطله من صوابه فلا داعي للأحتراب والتلاسن والعداء.

كانت (سعيدة) ووالدها وجمع من المقاومين الآخرين الي صف (جيفارا الأهوار) ورفاقه، صافحته بحرارة عند أكماله لكلمته قائلة: هذا عين الصواب والطريق الصحيح للخلاص من الديكتاتور ربيب وصناعة أمريكا وحلفائها، يجب أن نتعض من تاريخنا البعيد والقريب، الأستعمار ينصب صنائعه ويرعاهم على حساب حرية ورفاه شعوبهم طالما ينفذون مخططاته ويعملون لضمان مصالحه، وبالتالي تأكيد أن لهؤلاء الصنائع عمرًا محدوداً بعدها لابد وأن تتهاوى عروشهم تحت ضربات شعوبهم وثوراتها التي لابد منها مهما طال الوقت، غالباً ما تسعى أمريكا الي اتخاذ خطوات استباقية لإجهاض أجنة الثورات قبل ولادتها، عبر نشر الفوضى وخلق الذرائع

للتدخل العسكري المباشر وفرض البساط لوجوه جديدة في شكلها قديمة في جوهرها، لابد أن يقرر الشعب مصيره بيده. أستحسن الجميع ما ذهبت إليه (سعيدة) وقررا أن يقيموا الوضع الجديد وما بعده دراسة كل الأحتمالات والتكييف معها، مما يستوجب عقد اجتماع موسع لنخلص من خلاله إلى القرارات والخطط التي تقيناً وتحافظ على عناصرنا، ومحاولة إيجاد صلة بتنظيمات الحزب في كردستان وفي الخارج للتنسيق وتوحيد الرؤى والتحركات المستقبلية، وعدم الانجرار لمخططات قوى الرأسمال العالمي كثمن للخلاص من الديكتاتورية.

أفترق الجمع موزعاً على ثلاث مجموعات (السيد) وأنصاره الذي يسعى البعض منهم لإسقاط النظام بأي ثمن، في حين يرى القسم الآخر بأن القضاء على الديكتatorية يجب أن يكون على أيدي العراقيين وبآرادتهم الوطنية، و(جيفارا الأهوار) وأنصاره الذين اختطوا طريق الخلاص عبر ثورة شعبية عراقية، ومجموعة (ساهي) التي لم تحسن أمرها بعد في تأييد ومساندة أي الفريقين.

دارت رحى الحرب، شهد الكل ما سببته من تدمير وخراب، كانت الهزيمة الكبرى للنظام دمرت القدرة العسكرية العراقية ومرغت كرامة الجيش العراقي بالتراب، كانت الأنفاضة التي أتت على ما تبقى من مؤسسات الدولة والبني التحتية للبلاد،

حرف مسارها منذ انطلاقتها الأولى لتصب في مصلحة دول المجاورة (الشرقية ولا غربية، جمهورية إسلامية) و(لا ولني على أني أريد قايد جعفري) أدارت لها أمريكا ظهر المجن، أعطى الضوء الأخضر للنظام لسحق الانتفاضة، انشغلت قوى (المعارضة) في الخارج بالأجتماعات والمناورات وتقسيم المناصب والمكافآت فيما بعد النظام، تركت الجماهير بلا قياده، قرر (العقل) الأكبر الأمريكي تأجيل الإطاحة بالنظام لحين استنزاف قدراته المتبقية وإخضاعه لشروط أستسلامية مذلة في خيمة صفوان، لابد أن تم عملية تجريف القيم الأيجابية والثورية للشعب العراقي عبر تجويعه وإطلاق يد النظام لتأدبه وقمعه، فخيم ليل الحصار الاقتصادي، أصبح الشعب مرتهنا لدى السلطة، حدث الأنبياء الكبير للمعسكر (الأستراكي) صالت وجالت فرق التفتیش، أبتلعت قوى (المعارضة) الطعم الأمريكي، أستكملت أدوات اللعبة: أعد المسرح على أكمل وجه لغزو جديد، عاد التاريخ إلى سنوات الاحتلال الانكليزي، أنهار النظام بوقت غير متوقع، عمّت الفوضى (البناء) مدن العراق، أعلن المحرر نفسه محتلاً، هدمت خيمة الناصرية، توّلى (برايمر) تفصل سلطة على مقاس أمريكا، هرولت قوى (المعارضة) دخلوا ما أسمى بمجلس الحكم الانتقالي.

كما في كل مرة تتناسى قيادة الحزب شهداء الحزب وتصافح  
القتلة كما حدث مع البعث والبكر وصدام، حدث مع مسعود  
البارزاني وأختفت مجررة عيسى سوار وغيره، وأمتدت اليد  
وصافحت جزار بشتشان جلال الطالباني وزمرته، لكل دم  
ثمنه الا دم الشيوعي العراقي يذهب سدى بلا ثمن!

كان (جيفارا) و(سعیده) وبقية رفاقهما منهمکين بإعادة بناء  
بيوت الحزب في كل مدن العراق وقصباته، إعادة أرتباط  
رفاق الدرب، التفكير بدخول حزبهم مرحلة جديدة من  
الكفاح وفق شعاره المعلن (لا ديكتاتورية ولا احتلال) وقد  
كان يشغلهم كثيراً مصير رفيقهم (دكتور كفاح) الذي وصلهم  
خبر اعتقاله من قبل القوى الامنية في بغداد بعد فشل  
الانتفاضة الاذارية نتيجة خيانة أحد المنديسين من عملاء  
السلطة، ولم يتمكنوا من الحصول له على أي أثر حتى بعد  
أنهيار النظام، رغم وجود اسمه في ملفات قوى الأمن  
والمخابرات، وأنه لا زال قيد الأعتقال حتى سقوط النظام  
ولكنه لا يعلمون عنه شيئاً ولا يمتلكون دلالة على أحد من  
أهله وذويه في بغداد أو سواها.

عقد أجتماع استثنائي لمجموعته لتدارس الوضع: "رفاقنا  
الأعزاء إننا الآن ندخل مرحلة جديدة وخطيرة من الكفاح من  
اجل أنجاز مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي وفي مقدمتها  
التخلص من الاحتلال بكافة السبل المتاحة وبكافحة الوسائل

المتيسرة، ها هي البرجوازية قد قدمت الوطن بطبق من ذهب لأسيادها وأولياء نعمتها الأميركيان وحلفائهم، وذهبت جمعيتها وجبروتها في أول اختبار حقيقي لوطنيتها، علينا أن تكون أوفياء لوعودنا وشعاراتنا، ولدماء شهدائنا، إننا بالضد من قوى الرأسمال المتوحش في كل مكان وكل زمان فكيف به وقد احتل بلدنا وإذلال شعبنا وجاء بدباباته وطائراته لسرق ثرواتنا وعليه فأننا ندعو الي رفض الاحتلال وعدم مصادقة ممثليه ومريديه مهمماً أختلفت مسمياتهم وأوصافهم "

كانت سعيده تستمع بانتباه شديد لتقرير الرفيق (جيفا را) التي كانت ترى فيه (ناطور) ورفاقه سألت:- ولكن هل لك أن تعلمبا بموقف قيادة الحزب في هذه المرحلة؟

التفت إليها مستغربا سؤالها، قائلًا:- وهل الأمر يحتاج الي سؤال أو وضوح فشعار الحزب في غاية الوضوح، ونهجنا الفكري والسياسي ليست بحاجة الي شرح في عدائنا لكل أحـتـالـ بـالـإـضـافـةـ اليـ موـقـفـناـ المـناـهـضـ للـرأـسـمـالـيـةـ فيـ كـلـ حـيـنـ وـمـكـانـ،ـ فـمـاـ الدـاعـيـ لـالـسـؤـالـ؟ـ

رفيقنا العزيز تتناقل وكالات الأنباء ان هناك دعوة موجهة للحزب الشيوعي لدخول مجلس الحكم المرتقب، فما هو موقف قيادة الحزب من هذه الدعوة؟

نعم، أنَّ برایمر و بتوجيه من البتاغون هناك محاولة لتسقيط جماعي لكل قوى (المعارضة) العراقية عبر إدخالها في

مجلس الحكم بقيادة برايمير، وأعتقد جازماً أنَّ هذه الخطوة سوف لن تطلي على قيادة الحزب، ناهيك عن كونها متناقضة مع شعاره المعلن والمقرر عبر مؤتمره السابع، وأنَّ اتخاذ مثل هذا القرار يجب أن يكون رأي قاعدة الحزب وفقاً لمبدأي الديمقراطي والتتجديد للحزب المقررة في مؤتمره الخامس.

- لا بأس سرى ما سيحدث؟

بعد يوم عمل مضني للتواصل مع رفاق الأمس وترتيب الخلايا واللجان، كانت الصدمة الكبرى حين أخبرهم الرفيق المسؤول ان الحزب قرر الأشتراك في مجلس الحكم الأنتحالي ممثلاً بسكرتيره العام التي توافق الدخول للمجلس بمثلة بمسئوليها الأول.

أصيб الجمع بالصدمة الشديدة والمفاجأة التي لم تكن في الحسبان بحيث تعذر على (جيفارا) و(سعيدة) و(العم سرحان) أسلوب الرد والرفض القاطع لهذا القرار الذي سيعيد قتل شهدائه من جديد ويضحي بالحزب على مذبح الرأسمال العالمي ويتنكر لتاريخه النضالي الطويل ولشعاراته التي لم يجف حبر حروفها بعد.

انصرف الرفاق وفض الاجتماع برفض الأغلبية الساحقة للرفاقي للقرار.

اعتكفت (سعيدة) في دارها بمعية والدها الذي بدا عليه الهرم والتعب، كانت تراقب باهتمام شاشة التلفاز الذي سينقل وقائع الجلسة الأولى لمجلس الحكم ويأهواه المفاجأة الكبرى وهي تلمح (حاشوش) يدور في أروقة المجلس بمعية (مربيوده) ولقائهما مع القنوات الفضائية باعتبارهما من الشخصيات التي كانت تخوض نضالاً ضارياً ضد النظام الصدامي، وتحمسهم لخطوة إعلان مجلس الحكم ودعوتهم كل القوى لتسهيل مهمة برایمر من أجل بناء دولة الحرية والديمقراطية في العراق، وكذا أعقبه (السيد) وكانت المفاجأة الكبرى بظهور الرفيق سكرتير الحزب وهو يوزع البسمات ويعلن عن تفاؤله وتحمسه لمشاركة حزبه في بناء الديمقراطية ودولة المؤسسات في العراق من خلال مجلس الحكم الأنتقالي؟!

كان (سرحان) منشغلًا في لف سيكاره حين شاهد (حاشوش) و(مربيوده).

قدما نفسيهما باسم (سيد علوان) و(علويه فضيله) يتحدثون للناس عن جهادهم وتضحياتهم في مقارعة الديكتاتورية الصدامية وتحملهم للسجن والتعذيب مما أضطرهما للهجرة خارج العراق كلاجئين بعد الأنتفاضة الشعبانية المباركة، سقطت علبة تبげ من يده فتناثر تبعها وتناثرت أوراق دفتر اللف على الحصيرة، وقد بلغ به العجب والأستغراب

والغضب أشدّه، ألتفت إلى سعيده قائلاً:- ولكم هاي خوش  
سالفه ولكم صرنه مثل الگال.

(المارضه بچزه رضه بچزه وخروف).

ردنه نتخلص من صدام ادور اچانه برايمير وفوگاها ربع صدام  
وشنون صايرين مناضلين ومجاهدين!

القم (مشربه) سيكارة دبل لف، ملأت دوامات دخانه الغرفة،  
ملتفتاً لدهشة وشهقة ابنته (سعیده) حين قالت:- ها ولكم  
هذا الرفيق (أبو عايف) يابويه ياكاع انشگي وبلغعني هاي  
وينك يـ(فهد) يـ(سلام عادل) يـ(خالد) يـ(سيد عباس) يـ(ناطور)  
يـ(كافح) ولكم هاي شلون صارت؟

وعندما أستفسر منها (سرحان) عما رأت وما الذي أثار  
استغرابها أكثر مما رأى، منهوا هذا النوب (أبو عايف)  
فقالت:- والله يابويه الشفته مصيبة هذا الشفته سكرتير  
الحزب، فقال سرحان: يعني شنهو ربكم هم طبو لمجلس  
الحكم (الأنتعالي) ويـه الجماعة.

ولكم هاي صدگ مصيبة عله گولت أبو المثل: (ضرط وزانه  
وتاه الحساب) چاوين صار شعارهم (لا ديكتاتورية ولا  
احتلال) يبين يبعد أبوچ الجماعة لاكتلهم كراسی مجلس  
الحكم الأحتلالي بقيادة (الدم قراتي) برايمير الحيمر، فشالوا  
الـ(لا) راس الشعار حتى يصير خفيف (ديكتاتورية وأحتلال)  
أي والله رحمه من رب العالمين (رادله گرون گصوا أذانه) چا

شنهو همه وحد عن الجماعة أهل اللحه الچانوا يصيحون  
أمريكا الشيطان الأكبر) هسا أشوا صارت (أمريكا الملاك  
الأكبر) اي والله رحمة الله عله أبو المهوال الهوس.  
(ذبوهه رغيف وهز ذيله).

قررت سعيده ان تلتقي بالرفيق (جيفارا) وهي في غاية الألم  
والتوjug ولازال في ذاكرتها حلمها في الليلة السابقة (بعد  
الكدر الذي خيم على صدرها حينما شاهدت لمة (مجلس  
الحكم الأنتعالى) خلدت للنوم متعبة فسمعت والدها  
(سرحان) ومشاهداته في يوم العيد فقررت ان تقضه لرفيقها  
(جيفارا) قائلة:- قال لي الوالد: (نم إلى سمعي أن أحدهم  
شاهد (ناطور) في سوق المدينة يوم ٣٠-٣ وقد بدا على  
محياه البشر والفرح تبدو وزرته وكأنها تعكس ألوان قوس  
قزح في بهائه وجماله وروعته، يشتري حلويات وشموع  
وعيدان بخور وغيرها من مستلزمات حفلة عرس وشيكه  
وكان أصحاب الدكاكين وال محلات يتناولونه ما يريد دون ان  
يطالبوه بمال مساهمة منهم في عرس آل (وجدان) في مثل  
هذا اليوم من كل عام وهم يداعبونه خذ ان هذا مساهمة من  
البرجوازية الصغيرة (السبعينة) للبرولتاريا (الهلكانه): فقرر  
أبو كرش الشبعان (سيد نعمه) ان يحضر هذا العرس  
الغريب للأطلاع على سره ومدى أهميته لدى (ناطور) وهل  
هو يخص كل (النواطير) أم أنه يخص (ناطور) سيد نعمه

وحده ولكنه في حقيقة الأمر لم يتوصل إلى طريقة تمكنه من الحضور. وتساءل مع نفسه عن كيفية استقباله من آل (وجدان) ومن "ناظور" وهم يعرفونه تمام المعرفة ولا يطيقنوه وهم في حضرتهم فكيف وأنا بين قومه "النواطير الحمران" أحضر البطل المعتق الذي جلبه معه عند عودته من سفرته الأخيرة إلى لندن وأخذ يحتسي الكأس بعد أخيه وهو متوكلاً على فراشه الوثير يجلس عند قدميه واحداً من (نواطير) الماضي ومن (حرامية) الحاضر "بطيحان" غاب عنه الأمر قليلاً بعد متصف الليل بعد أن أعياه السكر والسهر ثم عادت التساؤلات نفسها إلى ذهنه وفي آخر الأمر قرر أن يستشير واحداً من يسمونهم بـ(حالة النواطير) عسى أن يدلle إلى طريقة لحضور العرس الأسطورة، وبالفعل فقد ضحك منه هذا (الحالة) قائلاً ما معناه آنه حقاً لا يعرف شيئاً عن عادات وأعراف آل (وجدان) قائلاً: إنْ ذهبت للعرس ودخلت ديارهم لا يمكن أن يطردوك مهما كانت عداوتك لهم وكرههم لك: ولكن عندهم مقوله تقول (الإيجي بغير عزيمة يكعد بغير فراش) أي ما معناه لا يكون معتبراً في الديوان بل يجلس قرب "النعل" في باب الديوان أي سيكون حالك كحالي وأمثالي من الحالات الـ(مفصولين) من حمولة "آل وجدان" وعلى الرغم من أنني لم أستوعب هذا العرف ولكني قبلت بكل الشروط مهما كانت قاسية على أن أحضر

(العرس) يقول (ابو كرش الشبعان): قررت أن أصطحب (حثالي) معه وبالفعل فقد أوصلتنا سيارتنا رباعية الدفع إلى مشارف سلف آل (وجدان) وقررنا استئجار زورقا صغيرا يقلنا إلى مكان الاحتفال وقد رفض صاحب الزورق ان يأخذ أجرا إكراما "ل آل وجدان" أخذ زورقنا ينزلق بين الأحراس كالأفعى وسط القصب والبردي الذي بدا ريانا بخضرة ربيعية ساحرة وكنا نصادف العديد من الزوارق وهي مزينة بالأعلام الحمراء ويتصدح ركابها بألوان الغناء الريفي العذب والأهازيج الجميلة الراقصة يتراى للمرة ان ذواب القصب وعيдан البردي كانت تصفق وتمايل طربا مشاركةً في هذا الفرح الكبير. بعد عدة ساعات أوقف حثالي بمله عند جزيرة كبيرة تدعى (چباشة) في أعماق الهاور يقولون أنها موقع جنات عدن المشهورة في التاريخ سابقا وسكن آل "الحرمان" حاضرا، حشر البلم بصعوبة بين الزوارق التي بدت كأنها صبايا زنجيات بجدائل وأشرطة حمراء، تشرب بأعنافها إلى أرض الجزيرة ومكان الاحتفال تهز أرداها طربا مع اهتزاز أمواج الهاور تحتها كأنها تؤدي رقصة السامبا الساحرة.

دخلنا وجلستنا كما أشار علي "حثالي" قرب "النعل" ولكن الغريب أنّي وجدت وجوهاً أعرفها في المنطقة الخضراء ومجالس الحلفاء ظنتها من وجهاء وعمداء آل (وجدان) نعم وجدتها جالسة كمجلسي وقد بدا عليها الضيق والحيرة كمن

أنكشف سره وأفتضح أمره وإذا هم جمِيعاً من حثالة فخذ  
"الحرمان" من سلف البو (وجدان) حالهم حال  
حثالتي "بطيحان" وأستغربت من حضورهم هذا المكان.

لاحظت أنَّ هناك صفاً كبيراً من كراسٍ الجريدة يجلس عليها  
عدد من الوجوه التي ظنتها من الأموات وبعضاً لم أرَ غير  
صورها في الجرائد وكتب "الحرمان" وقد كانت هذه  
الكراسي مزدادة بالبسط المزركشة المعمولة من  
الصوف. وكان شاباً بهي الطلعة مهيب المظهر يستقبل  
القادمين ويدهلهم على أماكنهم مع كوكبة من شباب آخرين لا  
يقلون عنه هيبة وأناقة فسألت "بطيحان" من يكونون هؤلاء  
هل هم أهل العرس فأجابني إن الشاب الذي تراه يدعى خالد  
أحمد زكي والأخر أبو (عاهدين) والآخرين من الشباب  
والشابات من رفاقهم اللذين أستشهدوا هنا دفاعاً عن بيت  
وشرف وأعراف آل (حرمان) ومبادئهم.

وما أنْ احتضنت شمس الغروب ناشرة حمرتها الجميلة على  
سطح الماء فبدا وكأنَّه راية حمراء بسعة وطول الهرور  
المترامي الأطراف منسجمة مع أعداد لا يمكن عدُّها من  
الرايات الحمراء التي ترفرف فوق هامات القصب والبردي  
حتى توالت على المكان المئات من الزوارق المزينة برايات  
حمراء والتي تبعت منها أعزب الألحان مصحوبة بالزغاريد  
والموسيقى وأصوات الطبول فيستقبلها (خالد) وأبو

(عاهدين) و(ناظور) ورفاقهم الآخرين ليأخذوا مجالسهم على كراسى الجريد.

فجأة نهض الجميع لاستقبال فتاً وسيم مقطوع الذراعين يحمل غيتارا معلقا بربقته قال "بطيحان" مجنيبي أنه (فتور جارا) الذي قتلها الفاشست في شيلي أيام الانقلاب المدبر أمريكيا ضد سلفادور الليندي وما أثارني مشهد أحتجضاته أحيممي من قبل (جيفارا) الذي عرفته من قبعته ونجمته الشهيرة.

بينما انتظمت الشابات الجميلات وهن يربطن خصورهن بأحزمة صوفية حمراء مزركشة متراصات مع الشباب متلاصقي الأكتاف متتشابكي الأكف للرقص على صوت (المطبّك) المصنوع من قصب الهور المعبر عن عذوبه ودفعه وصفاء وكمال صوت ابن سومر الذي أودعه هذا اللحن الجميل آلهة الفن والطرب منذ آلاف السنين ليكون الفرح خالدا، كان ألل (چوبي) على أشدّه وسط الزغاريد والهلاهل والشموخ المتوجهة، شدا الجميع وقوفاً أنشودة بمختلف اللغات ولكن بلحن واحد ردده معهم الهور وأسراب الطيور ورقصة له اسماك الماء ونجوم السماء.

جلست مبهورا بما أرى حيث البشر والفرح والأغاني. وأخذت تدور على الحاضرين فتيات وفتیان بعمر الزهور وردية الخدود والثغور كأنها الدر المتشور ليضعوا أمام

الجالسين طبقاً مصنوعاً من سعف النخيل الملون وضع  
بداخله قطع من "الخريط" وحزمة من "العكيد" وحبات من  
التمر "البرحي" وكاسات من اللبن والزبد.

ثم نهض شيخاً واسع الجبهة عريض المنكبين ذو لحية غزيرة  
يساعده خالد وكونكته في وضع شارات حمراء على صدور  
الحاضرين وكانوا يتراورون أو يهملون بعض الجالسين حتى  
أتموا عملهم هذا وسط تصفيق شديد من قبل الحضور، وقد  
لاحظت "ناظور" تقفز من عينيه دموع الفرح وهو يقبل الشيخ  
وكونكته بعد أن علقوه شارته على صدره وأن شد ما  
أدهشني أن من حاول من آل "بطيحان" أن يضع شارة حمراء  
جلبها معه كشارة نسب لإل "وجدان" تحولت هذه القطعة  
إلى لهب أحرق أصابعه وسود دخانها وجهه وسط ازدراء  
واحتقار الحاضرين فيولي هارباً ملقياً بنفسه وسط مياه الهرور  
عسى أن تبيض وجوههم ولكن دون جدو ف قد اسودت  
وجوه آل "بطيحان" جميعاً كما يقول (ناظور) "من حيث بخت  
آل (وجدان) چبير وشارتهم بليد تصيب من يدعى زورا  
انتسابه لهم".

وبعدها استمرت الكلمات والمناقشات والأناشيد والآهات  
الحزينة على ما آل إليه حال وطن "وجدان" وأن أغurasهم  
ومنذ عقود لم تتم في زمن الحرية والسلام بل تحت ظلم  
وظلم الديكتاتورية أو سلاسل المحتلين والمستبددين ولكن

هذا هو قدرهم وهذا هو حالهم لم تخمد أفراحهم ولم تتوقف رقصاتهم وأغانيهم لثقتهم بالنصر مهما كثرت الإحزان واشتدت الآلام وتکالب الأعداء ومهما كان عدد آل (بطیحان).

كان "ناطور" يحتل قطب الحوارات والمناقشات واحترام وتقدير "البو كتاب" و"البو ريشه" و"البو طبله" و"البو منجل" لأنه من بيت "الحرمان" من حمولة إل "جاکوج" التي يقر لها الجميع بالريادة والقيادة والسمو والتي بدونها لا يعقد لهم نصر ولا يشيد لهم قصر كما يقولون.قرأ الشاعر سعدي يوسف قصيدة بعنوان (لا زال العراق وطني وأنا لست الشيوعي الأخير).

استمرت الأفراح والرقصات والمناقشات حتى استفاقت شمس الفجر من رقتها الهائمة كأنها عشتار في أحضان حبيها تموز، فمشطت شعرها وقبلت نجمة الصباح وجاه الصيادين وعمال الفجر قبلة الوداع لتأخذ مكانها في عرش السماء كي تواصل الأرض دورتها المعتادة.

فتناول الجمع فطورهم من خبز "السياح" وأكواب الحليب الطازج والقيمير والجبن والزبد والشاي المهييل والمهدر بجمر "المطال" والسمك المشوي لذيد المذاق، وعند تجمعهم للفطور شاهدت كل رموزهم مثل العم هوشي منه وباتريس لومببا ولوركا وعبد الفتاح إسماعيل و، و، وتزين

صدورهم شاراتهم الحمراء وتشع جماههم كنجوم الصباح  
من كل القارات يتتوسطهم لينين بجبهته الوضاءة رافعا لهم  
قبعته الشهيرة وفهد قارئا عليهم وصاياه.

وبعدها تعانقوا وتعاهدوا وتفرقوا توعدتهم طيور الماء  
وذوابن القصب متعاهدين للقاء في عام جديد وعراق حر  
وشعب سعيد.

وعندما لطمت "بطيحان" على فمه قائلا له أن من له مثل  
هولاء الإخوان والأعمام في كل العالم مالذي يجعله يلوذ  
بحمى المنطقة الخضراء مثل حالى؟

وإذا بحشالي "بطيحان" يقفز مذعورا من شدة الضربة  
فأيقضني، وأنا أثرث، ناطور، ناطور، حمران، عرسان! فرد  
علي (بطيحان) بعد أن تناهى ألم الضربة، عمى ماتكلى  
أشبيك تره والله راح أيسودنك (ناطور)؟!

كان (ياسر) يولع سيكاره من الأخرى وتکاد الدموع تقفز من  
عينيه وهو يستمع لحلم (سعيدة) مع والدتها (سرحان).

قال لها ولبقية الرفاق بعقد اجتماع فوري لتدارس الأمر  
وكيفية العمل لمواجهة هذه الكارثة الكبيرة، وبالفعل حصل  
الأجتماع في بيت سرحان، كان (ياسر) ثائراً هائجاً يكاد أن  
ينفجر من الغيظ لما شاهده وسمعه، قال وهو يحاول أن  
يمتص غضبه عبر أمتصاص قدرًا كبيرًا من دخان سكائره التي  
لا تنطفيء فالأخير تشعـل الثانية مع أرتـشاف أقداح الشـاي من

يد العم سرحان الذي لم يكن أحسن حال منه:- رافقنا الأعزاء لابد إنكم أصبحتم على بينة من قرار الحزب بالانضمام لمجلس الحكم الأحتلالي ممثلا بشخص سكرتيره، دون أن يأخذ رأي أغلب منظمات الحزب في الأمر تحت ذريعة ضيق الوقت فبرايمر كما يقولون طلب الرد سريعا، ويبدو أن القطار الأمريكي الذي طرد البعث من مقاعده، وهو عار لحق بهم منذ ١٩٦٣، يريد أن يشغل مقاعده بدلاً منهم فحزن الرفاق حقائبهم لحجز أماكنهم في القطار الأمريكي السريع.

فما رأيكم أنتم يارفاق بهذا القرار الخطير؟  
رد بعض الرفاق والرفقاء بالرفض القاطع للقرار وتوباعه.  
فيما أطرق البعض الآخر وكأنه يسمع بالأمر لأول مرة!  
ورد القسم الآخر ان القيادة هي الأعرف بمصلحة الحزب  
ومصلحة الشعب، وما تتخذه القيادة هو الصحيح.

في حين أرتأى آخرون ان هذا القرار خاطئ من الناحية المبدئية ولكنه يتحمل الصح من الناحية التكتيكية فلا بد أنء يكون صوت الحزب موجوداً في كل مكان للحد من ضرر قرارات ومخططات الأمريكان والقوى المتحالفه معهم.

قالت (سعيدة) رفاق أن أشتراك الحزب سيكون محسوبا على الطائفه الشيعية كون الرفيق (أبو عايف) شيوعاً شيعياً ضمن تشكيلا المجلس المبني على مبدأ المحاصصة العرقية

والطائفية، فإلى أي منحدر تنزلق قيادة الحزب في دخول المجلس لاحتلالي وتحت إشراف المخابرات الأمريكية التي أعلنت إنها دولة محتلة.

في حين يرى البعض أنَّ الرفاق قد قدموا الكثير وضحوا بالكثير وتحملوا التشتت والتعذيب الحرمان وهاهي الفرصة سانحة ليحصلوا على حصتهم من حكم العراق وثروته. فأستشاط (ياسر) غضباً وألمًا، كاد ان يهم بصفع المتحدث لولا خصوصية الجلسة، نظر إليه غاضباً وهل ترى أنَّ ثمن تضحيات الشيوعيين مناصب هزيلة وحفنة من الدولارات يمن بها عليهم أعدائهم المحتلون وأعدائهم الطبيهيين، مع من كنا نصرخ بأعلى أصواتنا الأمبريالية عدوة الشعوب، فهل تحولت أمريكا الي صديقة للشعوب الآن أيها الشيوعي الهمام؟!

تكلم آخر قائلاً وما العمل إذن؟

هل نحمل بنادقنا ونعود للأهوار ثانية؟

كلا رفيقنا العزيز أرى ان يتريث الحزب في اتخاذ قراراته السياسية الهامة مسترشداً بمنهجه الماركسي وخبرته الطويلة في مقارعة عملاء أمريكا وصناعتها، ففي الوقت الذي لا نستطيع أن نرفع فيه الآن السلاح بوجه الاحتلال وعملائه، هذا لا يعني أن نمد له يد التعاون والتحالف وقبولنا لأحتلالهم لبلادنا ونيتهم في نهب ثرواتنا وأستعبادنا كما هو

دين ونهج أمريكا الرأسمال في كل مكان تتوارد فيه، يفترض بالحزب أن ينأى بنفسه عن العملية السياسية القائمة على المحاصصة الطائفية والعرقية والترفع على المناصب والمكاسب كثمن لتنازله عن مبادئه ودماء شهدائه على امتداد أكثر من سبعين عاماً ونيف، وأن يكون وفياً لشعاراته المرفوعة والمقررة من قبل مؤتمره الوطني ولم يجف حبرها بعد، يفترض بقيادة الحزب أنْ تسعى لإعادة بناء تنظيماته وتنشيط منظماته المهنية والديمقراطية مستفيداً من فرصة حرية العمل السياسي السلمي في الوقت الحاضر ليكون ضمير الشعب العراقي ومرجعيته الفكرية والسياسية في مثل هذه الظروف الصعبة وأنْ لا يعمل على خلط أوراقه مع أوراق أخرى مشبوهة ومتذبذبة مطعون بوطنيتها.

إلا ترون أيها الرفاق الوجوه الذي أخذت تظهر على شاشات التلفاز مثل (حاشوش) و(مربيوده) ووو وآخرون الذين غيروا ألوانهم وأزياءهم وأسمائهم وركبوا الدبابات الأمريكية للحصول على المناصب والمكاسب اللذين كانوا مدانيين بجرائم أخلاقية ومخلة بالشرف حتى من قبل النظام السابق، وبعضهم قتلة ووكلاء أمن ومخابرات ملطخة أيديهم بدماء أبناء العراق الأحرار، فكيف نسمح لأنفسنا ان نصطف مع هؤلاء في صف واحد ونركب معهم مركب العبودية والاستغلال بزي ومظهر جديد ستثبت الأيام بأنه لا يختلف

عن سابقه ان لم يكن أكثر قسوة وبشاعة، وكما قال المناضل الخالد ابو گاطع (الفرس ذيچ الفرس ما تغير بس چلاله) وكان التاريخ يعيد نفسه ولكن هذه المرة بقسوة أكبر، فقد كان زمن قول شمران الياسري حكم وطني وصف بالديكتاتوري فما القول في ظل احتلال أميرالي صريح؟ لا يمكن بأي حال من الأحوال ان تدعوا أمريكا الحزب الشيوعي للأشتراك في السلطة إلا لغاية واحدة هي الإجهاز عليه وإسقاطه سياسياً وفكرياً بين جماهيره وأنصاره، فالمحتل الأميركي يدرك تماماً أنَّ عدوه الأساس هو القوى اليسارية بمختلف ألوانها وبالخصوص الحزب الشيوعي العراقي، فإسقاطها عبر إشراكتها في مجلسه الاحتلالي يعتبر نصراً كبيراً من مختلف الجهات.

أولاًً إسقاطه أمام جماهيره وعزله عن الشعب وثانياً الظهور بمظهر الديمقراطية والحياد وإنها لم تعد أمريكا رافعة راية العداء والفناء للشيوعية والشيوعيون في كل مكان، وعندما يفقد الحزب جماهيريته ستتمكن من تحجيمه وحتى ضربه ونبذه بسهولة كبيرة دون أن تكون للأمر أي ردة فعل يعتد بها، وبذلك يتذرع عليه العودة إلى شعاراته وأهدافه المبدئية السابقة.

كذلك يجب أن تكون على وعي تام في أسلوب وطريق مقاومة المحتل في واقع أختلاط الأوراق، ورفع هذا الشعار

وذريعة المقاومة من قبل قوى فاشية ولا ديمقراطية همها الوحيد أن تكون على رأس السلطة مقابل اي ثمن.

ثانياً: الاستعمار الأمريكي يتميز ميزة ربما لا يمتلكها غيره وهي أنه يصنع ويصمم ويخلق معارضيه في دهاليز مخابراته ومخبراته وهي مقاومة ومعارضة مسيطر عليها مهما تطرفت في أطروحتها وشعاراتهاوها هي القاعدة و(داعش) وتوابعها مثلاً واضحاً على ما نقول، نريد أن نقول ليس كل من يدعى معاداة أمريكا هو صديقنا أو حليفنا.

فهل يمكن أن يكون مقاوماً من يقتل أبرياء الناس في ساحات العمل وفي الأسواق والمطاعم: وهل يسمى مقاوماً من يدمر البنية التحتية الصناعية والزراعية ويدمر المنشآت والمؤسسات الخدمية؟

الخلاصة إننا لا نتملك غير وسيلة التنوير والتوصير وترسيخ قاعدة حزبنا في الوقت الحاضر، ولكل حريته في اتخاذ القرار الذي يراه.

أما أنا ومن له رأيي، فسأرفع لقيادة الحزب استقالتي المبنية على رفضي للنهج الفكري والخط السياسي لقيادته الحالية لحين تصحيح الموقف الذي نراه خاطئاً ولا يمثل إرادة الشيوعيين المناضلين، كانت "سعيدة" من رأي (جيفارا) وعدد آخر من الرفاق الآخرين في حين ترك قسماً آخر الأجتماع مرتضياً ومؤيداً لموقف الحزب وبقى فريق آخر

على الحياد ودون أتخاذ موقف في الوقت الحاضر، وقبل ان ينفض الأجتماع وزع أبو (سعيدة) وجبة جديدة من الشاي قائلاً: عمي ولو آني موشوعي لكن آني صديجكم اگول وينه الگال:

(ذاك من ذاك اللگه النچمه العزيزه بلا سمه ودگله عينه  
وذاك من ذاك الخله گلبه عله چفه وغسل باخر نزف وچه  
المدينه)

اشو رکض ويه الجماعه، غمض عيونه، وحفه رچلينه وركض حتى يركب بالقطار، هذا أهو الامتحان الصدگ موبلف حچي، ايه عيش وشوف.  
وينه الگال:

(ابنکم باعته الدينه ولا باع)  
اشو باع الأول والتالي وبتراب الفلوس!  
او ما چذب الگال (أبو گروه یتین بالعبره)  
های العبره كله اسلحت ويبيین الصدگ من الجذب، والله  
اليستر من الجaiات.  
ظل يعمي اللي يلفة القايسش بعد مايگدر يوگف ويصير أمره  
مو بيده.  
ايصير أمره بيد الواجف عله المكينه، وانتم تعرفون الواجف  
عله مكينة (مجلس الحكم الانتعالی) منهو وشيريد ولوين  
يريد يوصل بالبلاد وبالعباد.

امساكه بجناح الحمام المذبوحة كان آخر عهد (كفاح) بالنور  
قبل العدم، بالقرب من عربته التي لم يبق لها ذكر سوى  
خشب محترق وكسر من زجاج قناني الخل والحامض.  
لم يعد (كفاح) يشاهد في (المتنبي) ولا بائع اللبلبي في مسطر  
العمال، ظهرت أمه، حاملة كتابه المحترق، هائمة تلطم  
الخدود تصيح (يا اهل بغداد لا مقام لكم بها) اختلط صوتها  
بصوت بائع الصحف وهو ينادي: اقرأ، اقرأ! شاعر العراق  
الكبير (س) يُكرم بعدد من الأوسمة، الشاعر الوطني الكبير  
(س) يستذكر جريمة الإرهابيين في المتنبي، سيفي المثقف  
حي لا يموت!

في حين ينادي بائع آخر: اقرأ، اقرأ القصة الكاملة للشهيد  
(كفاح) المناضل، كفاح الشاعر.

كفاح: أفلت من يد الطاغية فنحرته يد الإرهاب مانشيتات  
بخط بارز كبير تحت صورة شاب غاية في الوسامنة والأناقة،  
يجدب الناظر بابتسمة ساحرة، ونظرة تخترق الأفق البعيد.  
(كفاح) أضاعه الطريق، (كفاح) خانه الرفيق، (كفاح) كان في  
جب الطاغية.

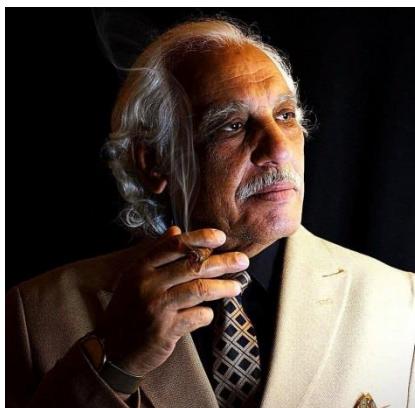
انطفأ (الوطني) عم الظلام، تداخلت الأصوات والأسκال،  
فتناثرت الصحف وأختلطت الصور وتداخلت العناوين.  
داسها فأر هارب يفترش عن جحر يخلصه من ملاحقة قط  
جائع.

## **ملاحظات هامة**

وردت في الرواية الكثير من الأسماء والأحداث والظواهر، منها الحقيقي الواقعي ومنها من نسج خيال الكاتب والذي لا يمكن ان يكون منفصلا عن الواقع المعاش أو المتخيل، فهي رواية وليس وثيقة تسجيلية.

أعتمد الكاتب العديد من المصادر في سرد ووصف الأحداث سواء بالنقل المباشر أو تمثل ما ورد فيها.

## المؤلف في سطور



حميد لفتة دخيل

الحرizi

- أديب وكاتب وصحفي.

- التولد: ١٩٥٣-٧-١

- العراق - النجف  
المشخاب.

- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

- عضو اتحاد الصحفيين العراقيين.

- عضو نقابة الصحفيين العراقيين.

- رئيس تحرير مجلة الحرية.

- عضو هيئة تحرير مجلة رؤيا.

- عضو اللجنة التحضيرية لملتقى القصة القصيرة الأول  
المقام من قبل بيت السرد العربي في النجف الاشرف لعام

.٢٠١١

- صدرت له مجموعة قصصية بعنوان (ارض الزعفران) ضمن أصدارات مجلة بانيقيا لاتحاد الأدباء والكتاب في النجف.
- صدور ثلاثة رواية بعنوان (محطات - العريانه ج ١، ومحطات كفاح ج ٢، ومحطات ج ٣ البياض الدامي) ط ١ عند دار الفؤاد القاهرة ٢٠١٨.
- مجموعة قصة قصيرة وقصة قصيرة جداً بعنوان (المصابيح العميماء) بتعضيد من قبل الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق - فرع النجف.
- صدور مجموعة شعرية بعنوان (مشاهدات مجنون في عصر العولمة) ٢٠١٩.
- صدور ديوان شعر بعنوان (لا يعني).
- ديوان شعري بعنوان (ن سجاج) دار الورشة الثقافية.
- صدور كتاب بعنوان (الدين والسياسة) عن دار (نور) للطباعة والنشر في ألمانيا.
- صدور رواية (ارض الزعفران) الحائزة على المرتبة الثانية على مستوى الوطن العربي ورواية (القذاحة الحمراء) روایتان قصیرتان عن دار حروف منثورة المصرية.
- صدور كتاب (أربع روایات قصيرة جداً) عن دار حوض الفرات - النجف ٢٠١٩.

- صدور كتاب (تراجيديا مدينة) وكتاب (ما لم تمسسه النار) و(قراءة في رواية السقشخي – للروائي علي لفته سعيد) و(مالم تمسسه النار) رواية عبد الخالق الركابي نقد أدبي عن دار حروف مثورة المصرية.
  - إصدار كراس عن العمل والعمال في العراق.
  - حصوله على (وسام ووشاح التميز من الدرجة الاولى في القصة القصيرة في العالم العربي للعام ٢٠١٠) في المسابقة المقامة من قبل مجلس الصحافة العالمي.
  - صدر له كتاب بعنوان (كشكول الحريري – مجموعة دراسات ومقالات متنوعة- دار قهوة).
  - كتاب صفحات من الفن الروائي العراقي – الرواية النجفية خلال ٩٠ عاما ١٩٣٠- ٢٠٢٠.
  - المنشورة في المجلات الصحف العراقية، والعديد من الواقع الالكترونية العراقية والعربية. مثال للطباعة.
  - نصوص ادبية مترجمة للغة الصربيّة.
  - له العديد من الشهادات التقديرية من الواقع الادبية والثقافية الالكترونية.
- عضو العديد من الاتحادات والمنظمات الادبية والثقافية العربية.

- له عشرات الدراسات والمقالات والقصائد والقصص المنشورة في الصحف والمجلات العراقية ناهيك عن المواقع الالكترونية العراقية والعربية.  
شهادات كثيرة بحق الشاعر والروائي من قبل أدباء وكتاب وقصاصين من داخل العراق وخارجه.
- له عدة دراسات نقدية حول روايات ونصوص شعرية ومجاميع قصصية عراقية وعربية (مشروع كتاب بعنوان قول في الثقافة والادب بـ ٣ أجزاء في السرد والشعر).
- كرم الكاتب من قبل منظمة أحلام الطفولة في غزة - المجلس العالمي لحقوق الطفل.
- فازة مجموعه قصص قصيرة جدا في مسابقة نازك الملائكة.
- تضمن كتاب (معجم كتاب القصة في النجف الاشرف ١٩٢٠ - ٢٠١٠) الصادر عن القصة في النجف للقاص محمود جاسم عثمان. ص ٧٦-٨٥.
- هناك مشاريع ومشاركات ونشاطات اخرى لا يسع لها المجال.  
على المجال السياسي:  
- نشط ضمن الحركة الطلابية عضو (اتحاد الطلبة العام) في بداية السبعينيات وعضو اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي.

- ناشط ضمن النشاطات الاحتجاجية والتظاهرات منذ ٢٠١٣ والمطالبة بالغاء رواتب وامتيازات اعضاء مجلس النواب ومجالس المحافظات.

- ناشط في تظاهرات اكتوبر ٢٠١٩.

- احد سجناء انتفاضة اذار . ١٩٩٠ .

ایمیل:-

[Hamd.hur@gmail.com](mailto:Hamd.hur@gmail.com)

## **المصادر**

- ١ - حنا بطاطو - العراق.
- ٢ - عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي - عزيز سباхи.
- ٣ - ذياب مهدي محسن - مقهى عبد ننه - ارث سياسي اجتماعي ادبي نجفي عراقي - موقع الحوار المتمدن.
- ٤ - صاحب جليل الحكيم - النجف الوجه الآخر - محاولة استذكار.
- ٥ - مجلة الشارة العدد ١١١ شباط ٢٠١٧.
- ٦ - المحامي جرجيس فتح الله - العراق في عهد قاسم
- ٧ - اوريل دان - العراق في عهد قاسم.
- ٨ - ثمينة ناجي يوسف - سلام عادل سيرة مناضل.
- ٩ - روائع عبد الحسين اب شبع - الابوذيه - الموال - الدارمي - القصيدة الاجتماعية.
- ١٠ - احمد باني خيلاني - مذكراتي.
- ١١ - عزيز الحاج - الوجه الآخر.

- ١٢ - الدكتور كريم سعیده - حركة حسن سریع وقطار الموت.
- ١٣ - حکمت شبر - انا وبغداد.
- ١٤ - ستيفن همسلي لونكريك وفرانك ستوكس - العراق منذ فجر التاريخ حتى ثورة تموز ١٩٥٨ .
- ١٥ - ایاد سعید ثابت - عنکا یواجه الشائر قدره.
- ١٦ - الدكتور صالح البصام - مذکرات واسرار هروب نوري السعید.
- ١٧ - عبد الامیر الرکابي - مهیار الباهلي - انتفاضة الاهوار المسلحة - ١٩٦٧-١٩٦٨ .
- ١٨ - الدكتور رحیم عجینة - مذکرات.
- ١٩ - عدنان عباس مذکرات.
- ٢٠ - زکی خیری مذکرات.
- ٢١ - حسين سلطان مذکرات.
- ٢٢ - ثابت حبیب العانی مذکرات.
- ٢٣ - بهاء الدین نوري مذکرات.
- ٢٤ - ا.م.د عبد الستار شنین الجنابي - دور النجف في انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ (في ضوء وثائق مديرية المخابرات السرية والسياسية في وزارة الداخلية العراقية - دراسة وثائقية ص ٢٤٦-٢٨١) .

- ٢٥ - د. وليد محمد سعيد الاعظمي - ثورة عبد الكريم قاسم في الوثائق البريطانية.
- ٢٦ - اسماعيل العارف اسرار ثورة ١٤ تموز العراقية وتأسيس الجمهورية في العراق.
- ٢٧ - مجلة الثقافة الجديدة اعداد مختلفة.
- ٢٨ - كاظم الحلبي - الشيوعية كفر والحاد - فتوى علماء المسلمين - سلسة اخي المسلم رقم (٤) وافقت وزارة الارشاد على طبعه بكتابها المرقم ٩ والمورخ ١٩٦٠-٤-٥ - مطبعة القضاء انجف - باشراف اللجنة التوجيهية لجماعة علماء المسلمين، من الكتب والمؤلفات للكاتب (الشيوعية عدوة الاديان، الشيوعية تحارب الاسلام، ووعد بصدور كتب بعنوان - الشيوعية ت يريد اشاعة النساء) هنا نريد ان نشير إلى حجم الهجمة التحريرية الكبيرة التي شنها المتأسلمون ضد الحزب الشيوعي وتحت انظار سلطة عبد الكريم قاسم ومنذ بداية عام ١٩٦٠ .
- ٢٩ - عدنان عباس - هذا ما حدث - مذكرات عدنان عباس.
- ٣٠ - عبد الكريم قاسم البداية والسقوط - جمال مصطفى مردان.
- ٣١ - قادر رشيد (ابو شوان) بشتاشان بين الالام والصمم.

٣٢ - رواية عبد العباس عبد الجاسم - عبد الكريم قاسم -  
حقيقة التاريخ وتاريخ الحقيقة. شهادة طالب حامد قاسم،  
نجل شقيق الزعيم.

بالاضافة إلى قراءات العشرات من الكتب والوثائق المطبوعة  
أو المنشورة في الواقع الالكتروني، والمعايشة الشخصية  
المباشرة للكاتب داخل تنظيم الحزب وخارجه لعشرات  
السنين منذ الستينات ولحين التاريخ.